واقومها قيلا فقال تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم
حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا وكيف لا يبين من له بصيرة بين دين اسس على تقوى
من الله ورضوان وارتفع بنائه على طاعة الرحمن والعمل بما يرضاه في السر والاعلان
وبين دين اسس على شفا جرف هار فانهار بصاحبه في النار اسس على عبادة الاصنام
والاوثان والالتجاء الى الصالحين وغيرهم من الانس والجان عند الشدائد والاحزان
وصرف مخ العبادة لغير الملك الديان ورجاء النفع والعطاء والمنع ممن لا يملك لنفسه
نفعا ولا ضرا فضلا عن غيره من نوع الانسان ودعوى التصرف في الملك لصالحي رميم
في التراب والاكفان قد عجز عن دفع ما حل به من الله فكيف يدفع عن من دعاه من بعيد الا و طان
او فاسق يشاهدون فسقه وفجوره فهو ابعد الناس من الرحمن او ساحر يرهم من سحره
ما يحير به الاذهان فيظن المتخذ ولا انها كرامة من الله وانما هي من مخاريق الشيطان تبا
لهم سدوا على انفسهم باب العلم والايمان وفتحوا عليها باب الجهل والكفران قالوا اخبر الله
بالتكذيب وامره بالعصيان اخبر بان الهدى والنور في كتابه فقالوا كان ذاك فيما مضى
من الازمان وامرهم باتباع ما انزل اليهم من ربهم ولا يتبعوا من دونه اولياء فقالوا
لابد لنا من ولي غير القران ان جئتهم بكتاب الله قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اهل الزمان
او جئتهم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قالوا خالفها الشيخ فلان وهو اعلم منا ومنكم
فاعتبروا يا اولي الايمان عمدوا الى قبور الانبياء والصالحين فبنوا عليها البنيان ونقشوا
سقوفها والحيطان وحلوها بالغالي من الاثمان والبسوها الوان الستور الحسان
وجعلوا لها السدنة والخدام فعل عباد الاوثان والصلبان وذبحوا ونذروا لمن فيها
وقربوا لهم القربان وقالوا هؤلاء شفعاؤنا في كشف الكروب وغفران الذنوب
وحول الجنان فيا ويح من صعق لي شرك المشركين هل هو بعينه الا هذا كما نطق به القران
في سورة يونس والزمر وغيرهما من محكمات الفرقان ان عرف ان الانكر عليه فقد حكم
الله بانهم اضل سبيلا من الانعام اذا استبدلوا الشرك بالتوحيد والضلال بالهدى

والكفر بالأسلام نعوذ بالله من موجبات غضبه واليم عقابه فهو السلام او غرك ان بعض
من تعظمه قد رأى شيئا من هذا او قاله فالخطأ جائز على من سوى الرسول من الانام فعليك
بالرجوع الى العصمة الذي لا سبيل الى تطرق الخطأ اليه وهو كلام ذي الجلال والاكرام ك
وسنة رسوله عليه افضل الصلاة والسلام مع ما قاله العلماء الاعلام الذين نطقوا
بكلمة التوحيد وحققوها بالاعمال والكلام ولم يزل الحال على ما وصفنا لك من
الامور العظام منتشرا في اهل البلدان المنتسبين الى الاسلام الى ان مرقين منه كما تمرق
الرمية من السهام الى ان اراد الله ازالة تلك الظلمات وكشف البدع والضلالات
وتقي الشبهات والجهالات وتصديق بشارة رسول رب الارض والسموات في قوله
صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها
رواه ابو داود والحاكم والبيهقي في المعرفة واسناده صحيح على يدي من اقامه هذا
المقام ومنحه جزيل الفضل والانعام اعني به الشيخ الامام خلف السلف الكرام المتبع
لهدي سيد الانام المناضح عن دين الله في كل مقام شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب
احسن الله له المآب وضاعف له الثواب فدعى الى الله ليلا ونهارا وسرا وجهارا واقام
بامر الله تعالى في الدعوة اليه ولا هابا احدا فيه ولا داري فعظم على الاكثرين وانفوا
استكبارا ولم يلتفت ذلك عن امر الله حتى فيض الله له اعوانا وانصارا فرفعوا الوية
واعلاما حتى انتشرت في الخافقين انتشارا وصنف رحمه الله تعالى التصانيف في
توحيد الانبياء والمرسلين والرد على من خالفه من المشركين ومن جملتها كتاب التوحيد
وهو كتاب فرد في معناه لم يسبقه اليه سابق ولا لحقه فيه لاحق وهو الذي قصدت
الكلام عليه انشاء الله تعالى وان كنت لست ممن يتصدى لهذا الشان لكن لما رأيت
الكتاب لم يتعرض للكلام عليه احد يعتد به ورأيت تشوق الطلبة والاخوان
الى شرح يفي ببعض ما فيه من المقاصد احببت ان اسعفهم بمرادهم على حسب طاقتي
والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه ولذلك يسر الله الكلام عليه ومن به

من عنده وحده لا شريك له لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فناسب ان يسمى
تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد وحيث اطلقت شيخ الاسلام فالمراد به الامام ابو
العباس ابن تيمية او الحافظ فالمراد به ابو الفضل ابن حجر العسقلاني صاحب فتح
الباري وغيره رحمهما الله تعالى واسأل الله تعالى ان يجعله خالصا لوجهه الكريم وسببا للفوز
بجنات النعيم انه جواد كريم رؤوف رحيم قال المصنف رحمه الله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم
افتتح المصنف رحمه الله كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز وعملا بحديث كل امر
ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو اقطع رواه الحافظ عبد القادر الر
هاوي في الاربعين من حديث ابي هريرة مرفوعا واخرجه الخطيب في الجامع بنحوه
فان قلت هلا جمع المصنف بين البسملة والحمدلة لما روى ابن ماجة والبيهقي عن
ابي هريرة مرفوعا كل امر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله اقطع وفي رواية لاحمد لا يفتتح
قيل بذكر الله فهو ابتر واقطع قيل المراد الافتتاح بما يدل على المقصود من حمد الله
والثناء عليه لان الحمد متعين لان القدر الذي يجمع ذلك هو ذكر الله وقد حصل بالبسملة
وايضا فليس في الحديث ما يدل على انه يتعين كتابتها مع النطق بها قد يكون المصنف
نطق بذلك في نفسه واتفق العلماء ان الجار والمجرور متعلق بمحذوف قدره الكو
فيون فعلا مقدما والتقدير ابدء وقدره البصريون اسما مقدما والتقدير
ابتدائي كائن او مستقر فالجار والمجرور في موضع نصب على الاول وعلى الثاني
في موضع رفع وذكر ابن كثير ان القولين متقاربان قال وكل قد روي به القرآن
اما من قدره باسم تقديره باسم الله ابتدائي فلقوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله
مجراها ومرساها ومن قدره بالفعل امرا او خبرا نحو ابدء باسم الله او ابتدئ
باسم الله فلقوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق وكلاهما صحيح فان الفعل لا بد له
من مصدر فكأنه ان تقدر الفعل ومصدره وذلك بحسب الفعل الذي سمية قبله ان كان
قياما او قعودا او اكلا او شربا او قراءة او وضوءا او صلاة فالمشروع ذكر اسم الله تعالى

في ذلك كله تبركا وتيمنا واستعانة على الأتمام والتقبل وقدره الزمخشري فعلا موخرا
اي باسم الله اقرا واتلو الان الذي يتلوه مقروء وكل فاعل يبدا في فعله باسم الله كان
مضمرا فاجعل التسمية مبدا له كما ان المسافر اذا حل وارتحل فقال بسم الله كان المعنى بسم الله
احل وبسم الله ارتحل وهذا اولى من ان يضمر ابدء لعدم مايطابقه ويدل عليه او
ابتدي لزيادة الاضمار فيه وانما قدم المحذوف متاخرا اوقدم المعمول لانه اهم وادل
على الاختصاص وادخل في التعظيم واوقع للوجود فان اسم الله تعالى مقدم على القراءة
كيف وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يعتد به شرعا مالم يصدر باسمه تعالى
واما ظهور فعل القراءة في قوله اقرء بسم ربك فلان الاهم تتمة القراءة ولذا قدم
الفعل فيها على متعلقه بخلاف البسملة فان الاهم فيها الابتداء قاله البيضاوي
وهذا القول احسن الأقوال واظهه اختيار شيخ الاسلام وقد الم به ابن كثير الا انه
جعل المحذوف مقدرا قبل البسملة وذكر ابن القيم لحذف العامل في بسم الله فوائد عديدة
منها انه موطن لا ينبغي ان يتقدم فيه سوى ذكر الله تعالى فلو ذكرت الفعل وهو لا يستغني
عن فاعله كان ذلك منافضا للمقصود وكان في حذفه مشاكلة اللفظ للمعنى ليكون
المبدوء به اسم الله كما تقول في الصلاة الله اكبر ومعناه من كل شيء ولكن لا تقول
هذا القدر ليكون اللفظ مطابقا للمقصود الجنان وهو ان لا يكون في القلب ذكر الا الله
وحده فكما تجرد ذكره في قلب المصلي تجرد ذكره في لسانه ومنها ان الفعل اذا حذف
صح الابتداء بالبسملة في كل عمل وقول وحركة وليس فعل اولى بها من فعل فكان الحذف
اعم من الذكر فاي فعل ذكر منه كان المحذوف اعم منه الله علم على الرب تبارك وتعالى
ذكر سيبويه انه اعرف المعارف ويقال انه الاسم الاعظم لانه يوصف بجميع الصفات
كما قال تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله
الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الى اخر
السورة فاجرى الأسماء الباقية كلها صفات له واختلفوا هل هو اسم جامد او مشتق

على قولين اصحهما انه مشتق قال ابن جرير فانه على ما روي لنا عن ابن عباس قال الله ذو الالوهية والعبودية على خلقه اجمعين وذكر سيبويه عن الخليل ان اصله اله مثل فعال فادخلت الألف واللام بدلا من الهمزة قال سيبويه مثل الناس اصله اناس وقال الكسائي والفراء اصله الاله حذفوا الهمزة وادغموا اللام الاولى في الثانية وعلى هذا فالصحيح انه مشتق من اله الرجل اذا تعبد كما قرا ابن عباس ويذرك والهتك اي عبادتك واصله الاله اي المعبود فحذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة والتقت اللام التي هي عينها مع اللام التي للتعريف فادغمت احداهما في الاخرى فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة وفخمت تعظيما فقيل الله قال ابن القيم القول الصحيح ان الله اصله الاله كما قال سيبويه و
وجمهور اصحابه الا من شذ منهم وان اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الاسماء الحسنى
والصفات العلى قال وزعم الخليل وشيخه ابو بكر ابن العربي ان اسم الله غير مشتق لان
الأشتقاق يستلزم مادة يشتق منها واسمه تعالى قديم والقديم لا مادة له فيستحيل
الأشتقاق ولا ريب انه ان اريد بالأشتقاق هذا المعنى وانه متمحض من اصل اخر فهو
باطل ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى ولا الم بقلوبهم وانما ارادوا
انه دل على صفة له تعالى وهي الألهية كسائر اسمائه الحسنى كالعليم والقدير والغفور
والرحيم والسميع والبصير فان هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة
والقديم لا مادة له فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسم
الله تعالى ثم الجواب عن الجميع انا لا نعني بالأشتقاق الا انها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى
لا انها متولدة منه تولد الفرع من اصله وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه اصلا وفرعا
ليس معناه ان احدهما تولد من الاخر وانما هو باعتبار ان احدهما يتضمن الأخر وزيادة
وذكر ابن القيم لهذا الاسم الشريف عشر خصائص لفظية ثم قال واما خصائصه المعنوية
فقد قال فيها اعلم الخلق به صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
وكيف تحصر خصائص اسم لمسماه كل كمال على الاطلاق وكل مدح وكل حمد وكل ثناء وكل

مجد وكل جلال وكل اكرام وكل عز وكل جمال وكل خير واحسان وجود وبر وفضل فله ومنه
تماذكر هذا الاسم في قليل الا كثره ولا عند خوف الا ازاله ولا عند كرب الا كشفه ولا عند هم
وغم الا فرجه ولا عند ضيق الا وسعه ولا تعلق به ضعيف الا افاده القوة ولا ذليل الا اناله
العز ولا فقير الا اصاره غنيا ولا مستوحش الا انسه ولا مغلوب الا ايده ونصره ولا مضطر
الا كشف ضره ولا شريد الا اواه فهو الاسم الذي تكشف به الكربات وتستنزل به البركات
وتجلب به الدعوات وتنال به العثرات وتستدفع به السيئات وتستجلب به الحسنات
وهو الاسم الذي قامت به السموات والارض وبه انزلت الكتب وبه ارسلت الرسل وبه
شرعت الشرائع وبه قامت الحدود وبه شرع الجهاد وبه انقسمت الخليقة الى السعداء والاشقياء وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة وبه وضعت الموازين القسط ونصب الصراط
وقام سوق الجنة والنار وبه عبد رب العالمين وحمد وبحقه بعثت الرسل وعند السؤال
في المعاد ويوم البعث والنشور وبه الخصام واليه المحاكمة وفيه الموالات والمعاداة
وبه سعد من عرفه وقام بحقه وبه شقي من جهله وترك حقه فهو سر الخلق والامر وبه
قاما وثبتا واليه انتهيا فالخلق والامر به واليه ولاجله فما وجد خلق ولا امر ولا ثواب
ولا عقاب الا مبتدءا منه منتهيا اليه وذلك موجبه ومقتضاه ربنا ما خلقت هذا باطلا
سبحانك فقنا عذاب النار الى اخر كلامه رضي الله عنه **الرحمن الرحيم** قال ابن كثير اسمان
مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ورحمان اشد مبالغة من رحيم قال ابن عباس هما اسمان
رقيقان احدهما ارق من الاخر اي اوسع رحمة وقال ابن المبارك الرحمن اذا سئل اعطى والرحيم
اذا لم يسئل يغضب قلت كان فيه اشارة الى معنى كلام ابن عباس لان رحمته تعالى تغلب
غضبه وعلى هذا فالرحمن اوسع معنى من الرحيم كما يدل عليه زيادة البناء قال ابو علي الفا
رسي الرحمن اسم عام في جميع انواع الرحمة يختص به الله تعالى والرحيم انما هو من جهة المؤمنين
قال الله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما ونحوه قال بعض السلف ويشكل عليه قوله ان الله
بالناس لرؤوف رحيم وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث رحمان الدنيا والاخرة ورحيمها

فالصواب

فالصواب انه كما قاله ابن القيم ان الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم
دال على ان الرحمة صفته والثاني دال على انه يرحم خلقه برحمة واذا اردت فهم هذا
فتامل قوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما انه بهم رؤوف رحيم ولم يجيء قط رحمان بهم
فعلم ان رحمان هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته والرحمن الرحيم نعتان
لله تعالى وعورض بورود اسم الرحمن غير تابع لاسم قبله قال تعالى الرحمن على العرش
استوى فهو علم كيف ينعت به والجواب ما قاله ابن القيم ان اسماء الرب تعالى
هي اسماء ونعوت فانها دالة على صفات كماله فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية
فالرحمن اسمه تعالى ووصفه لا ينافي اسميته من حيث هو صفة جرى تابعا لاسم الله تعالى
من حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع بل ورد الا اسم العلم ولما كان هذا الاسم
مختصا به سبحانه حسن مجيئه مفردا غير تابع للمجيء اسم الله وهذا لا ينافي دلالته
على صفة الرحمة كاسم الله فانه دال على صفة الالوهية ولم يجيء قط تابعا لغيره
بل متبوع وهذا بخلاف العليم والقدير والسميع والبصير ونحوها ولهذا لا تجيء هذه
مفردة بل تابعة قلت قوله عن اسم الله ولم يجيء قط تابعا لغيره بل قد جاء في قوله
تعالى الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض على قراءة الجر وجواب
ذلك من كلامه المتقدم فيقال فيه ما قاله في اسم الرحمن **كتاب التوحيد**
الكتاب مصدر كتب يكتب كتابا وكتابة وكتبا ومدار المادة على الجمع ومنه تكتب
بنو فلان اذا اجتمعوا والكتيبة لجماعة الخيل والكتابة بالقلم لاجتماع الكلمات
والحروف وسمي الكتاب كتابا لجمعه ما وضع له ذكره غير واحد وسمي دين الاسلام
توحيدا لان مبناه على ان الله واحد في ملكه وافعاله لا شريك له وواحد في ذاته
وصفاته لا نظير له وواحد في الهيته وعبادته لا ند له والى هذه الانواع الثلاثة
ينقسم توحيد الانبياء والمرسلين الذي جاء وا به من عند الله وهي متلازمة كل
نوع منها لا ينفك عن الاخر فمن اتى بنوع منها ولم يات بالاخر فما ذاك الا لانه

دال على تعلقها بالمرحوم فالاول للوصف والثاني للفعل فالاول صح دال على ان الرحمة صفته

والتوحيد مصدر وحد يوحد توحيدا اي جعله واحدا اهـ

لهيات به على وجه الكمال المطلوب وان شئت قلت التوحيد نوعان توحيد في المعرفة
والأثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات وتوحيد في الطلب والقصد
وهو توحيد الالهية والعبادة ذكره شيخ الاسلام وابن القيم وذكر معناه غيرهما
النوع الاول توحيد الربوبية والملك وهو الاقرار بان الله تعالى رب كل شيء
ومالكه وخالقه ورازقه وانه المحيي المميت النافع الضار المتفرد باجابة الدعاء عند
الاضطرار الذي له الامر كله وبيده الخير كله القادر على ما يشاء ليس له في ذلك
شريك ويدخل في ذلك الايمان بالقدر وهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول
الأسلام بل لابد ان يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الالهية لان الله تعالى حكى
عن المشركين انهم مقرون بهذا التوحيد لله وحده قال تعالى قل من يرزقكم
من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون وقال تعالى ولئن سألتهم
من خلقهم ليقولن الله وقال ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض
من بعد موتها ليقولن الله وقال تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه الاية فهم كانوا
يعلمون ان جميع ذلك لله وحده لا شريك له ولم يكونوا بذلك مسلمين بل قال تعالى
وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون قال مجاهد في الاية ايمانهم بالله قولهم خلقنا
ورزقنا وميتنا فهذا ايمان مع شركهم بعبادتهم غيره رواه ابن جرير وابن ابي حاتم
وعن ابن عباس وعطاء والضحاك نحو ذلك فتبين ان الكفار يعرفون الله ويقرون
بربوبيته وملكه وقهره وكانوا مع ذلك يعبدونه ويخلصون له انواعا من العبادات
كالحج والصدقة والذبح والنذر والدعاء وقت الاضطرار ونحو ذلك ويدعون
انهم على ملة ابراهيم عليه السلام فانزل الله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وبعضهم يؤمن بالبعث والحساب
وبعضهم يؤمن بالقدر كما قال زهير يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب او يعجل

فينتقم

فينتقم وقال غيره ياعمرو بن هند مهلا ان كان ربي في السماء قضاها
ومثل هذا يوجد في اشعارهم فوجب على كل من عقل عن الله تعالى ان ينظر ويبحث
عن السبب الذي اوجب سفك دماءهم وسبي نسائهم واباحة اموالهم مع هذا
الاقرار والمعرفة وما ذاك الا لاشراكهم في توحيد العبادة الذي هو معنى لا اله
الا الله النوع الثاني توحيد الأسماء والصفات وهو الاقرار بان الله بكل شيء عليم
وهو على كل شيء قدير وانه الحي القيوم الذي لا تاخذه سنة ولا نوم له المشيئة النافذة
والحكمة البالغة وانه سميع بصير راوف رحيم على العرش استوى وعلى الملك
احتوى وانه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان
الله عما يشركون الى غير ذلك من الاسماء الحسنى والصفات العلى وهذا ايضا لا يكفي في
حصول الأسلام بل لابد مع ذلك من الاتيان بلازمه من توحيد الربوبية والا
لهية والكفار يقرون بجنس هذا النوع وان كان بعضهم قد ينكر بعض ذلك
اما جهلا واما عنادا كما قالوا لا نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة فانزل الله فيهم وهم
يكفرون بالرحمن قال الحافظ ابن كثير والظاهر ان انكارهم هذا انما هو جحود
وعناد وتعنت في كفرهم فانه قد وجد في بعض اشعار الجاهلية تسمية الله بالرحمن قال الشاعر وما شاء الرحمن يعقد ويطلق وقال الاخر الا قضب الرحمن بريه
وليها وهما جاهليان وقال زهير فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم
الله يعلم قلت ولم يعرف عنهم انكار شيء من هذا التوحيد الا في اسم الرحمن خاصة
ولو كانوا ينكرونه لردوا على النبي صلى الله عليه وسلم ذلك كما ردوا عليه توحيد
الالهية فقالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب لا سيما والسور المكية
مملوءة بهذا التوحيد النوع الثالث توحيد الالهية المبني على اخلاص التاله لله
تعالى من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والدعاء لله وحده لا شريك له
ويبني على ذلك اخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له

لا يجعل فيها شيئا لغير الله لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلا عن غيرهما وهذا
التوحيد هو الذي تضمنه قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين وقوله تعالى
فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون وقوله تعالى فان تولوا فقل
حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقوله تعالى
رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له
سميا وقوله تعالى عليه توكلت واليه انيب وقوله تعالى وتوكل على الحي الذي
لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا وقوله واعبد ربك حتى يا
تيك اليقين وهذا التوحيد هو اول الدين واخره وباطنه وظاهره وهو
اول دعوة الرسل واخرها وهو معنى قول لا اله الا الله فان الالهة هو المالوه
المعبود بالمحبة والخشية والاجلال والتعظيم وجميع انواع العبادة ولاجل هذا
التوحيد خلقت الخليقة وارسلت الرسل وانزلت الكتب وبه افترق الناس الى
مؤمنين وكفار وسعداء اهل الجنة واشقياء اهل النار قال الله تعالى يا ايها الناس
اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون فهذا اول امر في القران
وقال تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
فهذا اول دعوة الرسل بعد حدوث الشرك وقال هود لقومه اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره وقال صالح لقومه اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقال شعيب لقومه
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقال ابراهيم عليه السلام لقومه اني وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وقال تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال تعالى واسئل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون وقال تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وقال هرقل لابي سفيان لما سأله عن النبي صلى الله
عليه وسلم ما يقول لكم قال يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول
اباؤكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ انك تاتي قوما اهل كتاب فليكن اول

من قبلك من رسول الا نو
حي اليه انه لا اله الا انا فا
عبدون وقال تعالى و
اسئل من ارسلنا
محم

ما

ما تدعوهم اليه شهادة ان لا اله الا الله وفي رواية الى ان يوحدوا الله وهذا التوحيد
هو اول واجب على المكلف لا النظر ولا القصد الى النظر ولا شك في الله كما هي
اقوال لمن لم يدر ما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من معاني الكتاب و
الحكمة فهو اول واجب واخر واجب واول ما يدخل به في الاسلام واخر ما يخرج به
من الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة حديث
صحيح وقال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
متفق عليه وقد افصح القران عن هذا النوع كل الافصاح وابدا فيه واعاد وضرب
لذلك الامثال بحيث ان كل سورة في القران فيها الدلالة على هذا التوحيد ويسمى
هذا النوع توحيد الالهية لانه مبني على اخلاص التالة وهو اسم المحبة لله وحده
وذلك يستلزم اخلاص العبادة لذلك وتوحيد الارادة لانه مبني على ارادة وجه ٢ وتوحيد العبادة ٢ ص
الله بالاعمال وتوحيد القصد لانه مبني على اخلاص القصد المستلزم لاخلاص العبادة
لله وحده وتوحيد العمل لانه مبني على اخلاص العمل لله وحده قال الله تعالى فاعبد الله
الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص وقال قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له
الدين وامرت لان اكون اول المسلمين قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم
من دونه الى قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل
يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون الى قوله قل ارايتم ما تدعون من دون
الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات
رحمته الاية الى قوله ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل او لو كانوا لا يملكون شيئا
ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا الاية الى قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل
ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون الى قوله افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون
ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من
الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين الى اخر السورة فكل هذه السورة في
الدعاء الى هذا التوحيد والامر به والجواب عن الشبهات والمعارضات وذكر

واعد الله لاهله من النعيم المقيم وما اعد لمن خالفه من العذاب الاليم وكل سور القران
بل كل اية في القران فهي داعية الى هذا التوحيد شاهدة به متضمنة له لان القران
اما خبر عن الله تعالى واسمائه وصفاته وافعاله وهو توحيد الربوبية وتوحيد الصفات
وذلك مستلزم لهذا متضمن له واما دعاء الى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما
يعبد من دونه او امر بانواع من العبادات ونهي عن المخالفات فهذا هو توحيد
الالهية والعبادة وهو مستلزم للنوعين الاولين متضمن لهما ايضا واما خبر
عن اكرامه لاهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الاخرة
فهو جزاء توحيده واما خبر عن اهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما
يحل بهم في العقبى من الوبال فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد وهذا التوحيد
هو حقيقة دين الاسلام الذي لا يقبل الله من احد سواه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة
وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت رواه البخاري ومسلم فاخبر ان دين
الاسلام مبني على هذه الاركان الخمسة وهي اعمال فدل على ان الاسلام هو عبادة
الله وحده لا شريك له بفعل المامور وترك المحظور والاخلاص لله في ذلك وقد
تضمن ذلك جميع انواع العبادة فيجب اخلاصها لله فمن اشرك بين الله تعالى وبين غيره
في شيء فليس بمسلم فمنها المحبة فمن اشرك بين الله تعالى وبين غيره في المحبة التي
لا تصلح الا لله فهو مشرك كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا
يحبونهم كحب الله الى قوله وما هم بخارجين من النار ومنها التوكل فلا يتوكل على
غير الله فيما لا يقدر عليه الا الله قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وعلى
الله فليتوكل المؤمنون والتوكل على غير الله فيما يقدر عليه شرك اصغر ومنها الخوف
فلا يخاف خوف السر الا من الله ومعنى خوف السر هو ان يخاف العبد من غير الله تعالى
ان يصيبه بمكروه بمشيئته وقدرته وان لم يباشره فهذا شرك اكبر لانه اعتقاد

لنفع والضر في غير الله قال الله تعالى فاياي فارهبون وقال تعالى فلا تخشوا الناس و
اخشوني وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله
يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم ومنها الرجا فيما لا يقدر عليه
الا الله كمن يدعو الاموات او غيرهم رجاء حصول مطلوبه من جهتهم فهذا شرك
اكبر قال الله تعالى ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون
رحمة الله وقال علي رضي الله عنه لا يرجون عبد الا ربه ومنها الصلوة والركوع والسجود
قال الله تعالى فصل لربك وانحر وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا
ربكم الاية ومنها الدعاء فيما لا يقدر عليه الا الله سواء كان طلبا للشفاعة او غيرها من
المطالب قال الله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم وقال تعالى
وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين
وقال تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين
وقال تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا
يعقلون قل لله الشفاعة جميعا الاية ومنها الذبح قال الله تعالى قل ان صلاتي ونسكي
ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له الاية والنسك هو الذبح ومنها النذر قال
الله تعالى وليوفوا نذورهم وقال يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا
ومنها الطواف فلا يطاف الا بالبيت الله قال الله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق ومنها
التوبة فلا يتاب الا الى الله قال الله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله وقال تعالى وتوبوا
الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون ومنها الاستعاذة فيما لا يقدر عليه الا الله
قال الله تعالى قل اعوذ برب الفلق وقال قل اعوذ برب الناس ومنها الاستغاثة فيما
لا يقدر عليه الا الله قال الله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم فمن اشرك بين الله
وبين مخلوق فيما يختص بالخالق تعالى من هذه العبادات او غيرها فهو مشرك وانما

ذكرنا هذه العبادات خاصة لان عباد القبور صرفوها للأموات من دون الله
او شركوا بين الله تعالى وبينهم فيها والافكل نوع من انواع العبادة من صرفه لغير الله
او شرك بين الله تعالى وبين غيره فيه فهو مشرك قال الله تعالى واعبدوا الله ولا
تشركوا به شيئا وهذا الشرك في العبادة هو الذي كفر الله به المشركين واباح
دماءهم واموالهم ونساءهم والا فهم يعلمون ان الله هو الخالق الرازق المدبر
ليس له شريك في ملكه وانما كانوا يشركون به في هذه العبادات ونحوها وكانوا
يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك فا
تاهم النبي صلى الله عليه وسلم بالتوحيد الذي هو معنا لا اله الا الله الذي مضمونه
ان لا يعبد الا الله لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهما فقالوا اجعل الالهة
الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وكانوا يجعلون من الحرث والانعام نصيبا لله وللآلهة
مثل ذلك فاذا صار شيء من الذي لله الى الذي للآلهة تركوه لها وقالوا الله غني واذا
صار شيء من الذي للالهة الى الذي لله تعالى ردوه وقالوا الله غني والالهة فقيرة
فانزل الله وجعلوا لله مما ذرء من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم
وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم
ساء ما يحكمون وهذا بعينه يفعله عباد القبور بل يزيدون على ذلك فيجعلون
للاموات نصيبا من الاولاد اذا تبين هذا فاعلم ان الشرك ينقسم ثلاثة اقسام
بالنسبة الى انواع التوحيد وكل منها قد يكون اكبر واصغر مطلق وقد يكون اكبر
بالنسبة الى ما هو اصغر منه ويكون اصغر بالنسبة الى ما هو اكبر منه **القسم الأول**
الشرك في الربوبية وهو نوعان احدهما شرك التعطيل وهو اقبح انواع الشرك
كشرك فرعون اذ قال وما رب العالمين ومن هذا شرك الفلاسفة القائلين بقدم العالم
وابديته وانه لم يكن معدوما اصلا بل لم يزل ولا يزال والحوادث باسرها مستندة
عندهم الى اسباب ووسائط اقتضت ايجادها يسمونها العقول والنفوس ومن هذا

شرك طائفة اهل وحدة الوجود كابن عربي وابن سبعين والعفيف التلمساني
وابن الفارض ونحوهم من الملاحدة الذين كسوا الالحاد حلية الاسلام ومزجوا بشيء
من الحق حتى راج امرهم على خفافيش البصائر ومن هذا شرك من عطل اسماء الرب
تعالى واوصافه من غلاة الجهمية والقرامطة **النوع الثاني** شرك من جعل
معه الها اخر ولم يعطل اسماءه وصفاته وربوبيته كشرك النصارى الذين جعلوا
ثالث ثلاثة وشرك المجوس القائلين باسناد حوادث الخير الى النور وحوادث الشر
الى الظلمة ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها مدبرة لامر
هذا العالم كما هو مذهب مشركي الصابئة وغيرهم قلت ويلتحق به من وجه شرك
غلاة عباد القبور الذين يزعمون ان ارواح الاولياء تتصرف بعد الموت فيقضون
الحاجات ويفرجون الكربات وينصرون من دعاهم ويحفظون من التجا اليهم ولا
يجاهم فان هذه خصائص الربوبية كما ذكره بعضهم في هذا النوع **القسم الثاني**
الشرك في توحيد الأسماء والصفات وهو اسهل مما قبله وهو نوعان احدهما تشبيه
الخالق بالمخلوق كمن يقول يد كيدي وسمع كسمعي وبصر كبصري واستواء كاستوائي
وهو شرك المشبهة **الثاني** اشتقاق اسماء للآلهية الباطلة من اسماء الله الحق
قال الله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه
سيجزون ما كانوا يعملون قال ابن عباس يلحدون في اسمائه يشركون وعنه
سموا اللات من الاله والعزى من العزيز **القسم الثالث** الشرك في توحيد الالهية
والعبادة قال القرطبي اصل الشرك المحرم اعتقاد شريك لله تعالى في الالهية وهو
الشرك الاعظم وهو شرك الجاهلية ويليه في الرتبة اعتقاد شريك لله تعالى في
الفعل وهو قول من قال ان موجودا ما غير الله يستقل باحداث فعل وايجاده وان
لم يعتقد كونه الها هذا كلام القرطبي وهو نوعان احدهما ان يجعل لله ندا يدعو
كما يدعو الله ويساله السفاعة كما يسئل من الله ويرجوه كما يرجو الله ويحبه كما يحب
الله

ويخشاه كما يخشى الله وبالجملة فمعنى ان يجعل لله ندا يعبده كما يعبد الله وهذا هو
الشرك الاكبر وهو الذي قال فيه واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وقال ولقد بعثنا في كل
امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى ويعبدون من دون
الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله
بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وقال تعالى الله الذي
خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه
من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون والايات في النهي عن هذا الشرك وبيان بطلانه كثيرة
جدا الثاني الشرك الاصغر كيسير الرياء والتصنع للمخلوق وعدم الاخلاص لله تعالى
في العبادة بل يعمل لحظ نفسه تارة ولطلب الدنيا تارة ولطلب المنزلة والجاه عند الخلق
تارة فكل من عمل ليصيب ولغيره منه نصيب يتبع هذا النوع الشرك بالله في الالفاظ
كالحلف بغير الله وقول ما شاء الله وشئت ومالي الا الله وانا في حسب الله وحسبك
ونحوه وقد يكون شركا اكبر بحسب حال قائله ومقصده هذا حاصل كلام ابن القيم
وغيره وقد استوفى المصنف رحمه الله بيان جنس العبادة التي يجب اخلاصها لله بالتنبيه
على بعض انواعها وبيان ما يضادها من الشرك بالله تعالى في العبادات
والارادات والالفاظ كما سيمر بك ان شاء الله مفصلا في هذا الكتاب فالله تعالى
يرحمه ويرضاه عنه فان قلت هذا اتى المصنف رحمه الله بخطبة تنبئ عن مقصوده
كما صنع غيره قيل كانه والله اعلم اكتفى بدلالة الترجمة الاولى على مقصوده فانه
صدره بقوله كتاب التوحيد وبالايات التي ذكرها وما يتبعها مما يدل على مقصوده
فكانه قال قصدت جميع انواع توحيد الالهية التي وقع اكثر الناس في الاشراك فيها
وهم لا يشعرون وبيان شيء مما يضاد ذلك من انواع الشرك فاكتفى بالتلويح عن
التصريح والالف واللام في التوحيد للعهد الذهني قوله وقول الله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون يجوز في قول الله الرفع والجر وهذا حكم ما يرد بعد من هذا الباب قال شيخ الاسلام

العبادة هي طاعة الله بامتثال ما امر به على السنة الرسل وقال ايضا العبادة اسم
جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة قال ابن
القيم ومدارها على خمس عشرة قاعدة من كملها كمل مراتب العبودية وبيان ذلك
ان العبادة منقسمة على القلب واللسان والجوارح والاحكام التي للعبودية خمسة واجب
ومستحب وحرام ومكروه ومباح وهن لكل واحد من القلب واللسان والجوارح
وقال القرطبي اصل العبادة التذلل والخضوع وسميت وظائف الشرع على المكلفين
عبادات لانهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى وقال ابن
كثير العبادة في اللغة من الذلة يقال طريق معبد وبعير معبد اي مذلل وفي الشرع
عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف وهكذا ذكر غيرهم من العلماء ومعنى
الاية ان الله تعالى اخبر انه ما خلق الانس والجن الا لعبادته فهذا هو الحكمة في
خلقهم ولم يرد منهم ما يريد السادة من عبيدهم من الاعانة لهم بالرزق والاطعام
بل هو الرزاق ذو القوة المتين الذي يطعم ولا يطعم كما قال تعالى قل اغير الله اتخذ
وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم الاية وعبادته هي طاعته بفعل
المامور وترك المحظور وذلك هو حقيقة دين الاسلام لان معنى الاسلام هو الاء
ستسلام لله المتضمن غاية الانقياد في غاية الذل والخضوع قال علي ابن ابي
طالب رضي الله عنه في الاية الا لامرهم ان يعبدون وادعوهم الى عبادتي وقال
مجاهد الا لامرهم وانهاهم اختاره الزجاج وشيخ الاسلام قال ويدل على هذا
قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى قال الشافعي لا يؤمر ولا ينهى وقوله قل ما
يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم اي لولا عبادتكم له وقال في القرآن في غير موضع اعبدوا
ربكم اتقوا ربكم فقد امرهم بما خلقوا له وارسل الرسل الى الجن والانس بذلك
وهذا المعنى قصد بالاية قطعا وهو الذي يفهم جماهير المسلمين ويحتجون بالاية عليه
ويقرون ان الله انما خلقهم ليعبدوه العبادة الشرعية وهي طاعته وطاعة رسله

لا ليضيعوا حقه الذي خلقهم له قال وهذه الاية تشبه قوله تعالى ولتكملوا العدة
ولتكبروا الله على ما هداكم وقوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ثم قد
يطاع وقد يعصى وكذلك ما خلقهم الا للعبادة ثم قد يعبدون وقد لا يعبدون و
هو سبحانه وتعالى لم يقل انه فعل الاول وهو خلقهم ليفعل بهم كلهم الثاني وهو
عبادته ولكن ذكر الاول ليفعلوا هم الثاني فيكونوا هم الفاعلين له فيحصل لهم
بفعله سعادتهم ويحصل ما يحبه ويرضاه منهم ولهم انتهى والاية دالة على وجوب
اختصاص الخالق تعالى بالعبادة لانه سبحانه هو الذي ابتدأك بخلقك والانعام
عليك بقدرته ومشيئته ورحمته من غير سبق مثال اصلا وما فعله بك لا يقدر
عليه غيره ثم اذا احتجت اليه في جلب رزق او دفع ضر فهو الذي يأتي بالرزق
لا يأتي به غيره وهو الذي يدفع الضر لا يدفعه غيره كما قال تعالى امن هذا الذي هو
جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا في غرور امن هذا الذي
يرزقكم ان امسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور وهو سبحانه ينعم عليك ويحسن اليك
بنفسه فان ذلك موجب ما اتصف به ووصف به نفسه اذ هو الرحمن الرحيم الودود
المجيد وهو قادر بنفسه وقدرته من لوازم ذاته وكذلك رحمته وعلمه وحكمته لا
يحتاج الى خلقه بوجه من الوجوه بل هو الغني عن العالمين من شكر فانما يشكر لنفسه ومن
كفر فان الله غني كريم فالرب سبحانه غني بنفسه وما يستحقه من صفات الكمال ثابت له
بنفسه واجب له من لوازم ذاته لا يفتقر في شيء من ذلك الى غيره فتعلقه واحسانه وجوده
من كماله لا يفعل شيئا لحاجة الى غيره بوجه من الوجوه بل كل ما يريد يفعله فانه فعال
لما يريد وهو سبحانه بالغ امره فكل ما يطلبه فهو يبلغه ويناله ويصل اليه وحده
لا يعينه احد ولا يعوقه احد لا يحتاج في شيء من اموره الى معين وماله من المخلوقين
من ظهير وليس له ولي من الذل قاله شيخ الاسلام قال وقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان
اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت قالوا الطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد

وقد فسره

وقد فسره السلف ببعض افراده قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الطاغوت الشيطان وقال
جابر رضي الله عنه الطواغيت كهان كانت تنزل عليهم الشياطين رواهما ابن ابي حاتم وقال
مجاهد الطاغوت الشيطان في صورة الانسان يتحاكمون اليه وهو صاحب امرهم وقال
مالك الطاغوت كل من عبد من دون الله قلت وهو صحيح لكن لا بد فيه من التنازع من لا
يرضى بعبادته وقال ابن القيم الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود او متبوع او
مطاع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون اليه غير الله ورسوله او يعبدونه من دون الله
او يتبعونه على غير بصيرة من الله او يطيعونه فيما لا يعلمون انه طاعة لله فهذه طواغيت
العالم اذا تاملتها وتاملت احوال الناس معها رايت اكثرهم ممن اعرض عن
عبادة الله الى عبادة الطاغوت وعن طاعته ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم الى طا
عة الطاغوت ومتابعته واما معنى الاية فاخبر تعالى انه بعث في كل امة اي في كل طائفة و
قرن من الناس رسولا بهذه الكلمة ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت اي اعبدوا الله
وحده واتركوا عبادة ما سواه فلهذا خلقت الخليقة وارسلت الرسل وانزلت الكتب
كما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال
تعالى قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه ماب وهذه الاية
هي معنى لا اله الا الله فانها تضمنت النفي والاثبات كما تضمنته لا اله الا الله ففي قوله
اعبدوا الله الاثبات وقوله اجتنبوا الطاغوت النفي فدلت الاية على انه لا بد في
الاسلام من النفي والاثبات فيثبت العبادة لله وحده وينفي عبادة ما سواه وهو التو
حيد الذي تضمنته سورة قل يا ايها الكافرون وهو معنى قوله من يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لانفصام لها والله سميع عليم قال ابن
القيم وطريقة القرآن في مثل هذا ان يقرن النفي بالاثبات فينفي عبادة من سوى الله
ويثبت عبادته وهذا هو حقيقة التوحيد والنفي المحض ليس بتوحيد وكذلك الاثبات
بدون النفي فلا يكون التوحيد الا متضمنا للنفي والاثبات وهذا حقيقة لا اله الا الله

ن استثنا

ن شيئا

انتهى ودلت الآية على ان الحكمة في ارسال الرسل عبادة الله وحده وترك عبادة ما
سواه وان اصل دين الانبياء واحد وهو الاخلاص في العبادة لله وان اختلفت
شرائعهم كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ويدخل في الكفر بالطاغوت بغضه
وكراهته وعدم الرضا بعبادته بوجه من الوجوه وانه لابد في الايمان من العمل ردا
على المرجئة قال وقوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا
هكذا ثبت في بعض الاصول لم يذكر الآية بتمامها قال مجاهد وقضى بمعنى وصى وكذلك
قرا ابي ابن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم وروى ابن جرير عن ابن عباس في
قوله وقضى ربك يعني امر وقوله ان لا تعبدوا الا اياه ان هي المصدرية وهي في
محل جر بالباء والمعنى ان تعبدوه ولا تعبدوا غيره ممن لا يملك ضرا ولا نفعا
بل هو اما فقير محتاج الى رحمة ربه يرجوها كما ترجوها واما جماد لا يستجيب لمن دعاه
وقوله وبالوالدين احسانا اي وقضى ان تحسنوا بالوالدين كما قضى بعبادته وحده
لا شريك له وعطف حقهما على حق الله تعالى دليل على تاكد حقهما وانه اوجب الحقوق
بعد حق الله وهذا كثير من القرآن يقرن بين حقه عز وجل وبين حق الوالدين كقوله
ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وقال واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون
الا الله وبالوالدين احسانا ولم يخص تعالى نوعا من انواع الاحسان ليعم انواع
الاحسان وقد تواترت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم بالامر ببر الوالدين
والحث على ذلك وتحريم عقوقهما كما في القرآن ففي صحيح البخاري عن ابن مسعود
قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم اي الاعمال احب الى الله قال الصلوة على وقتها
قلت ثم اي قال بر الوالدين قلت ثم اي قال الجهاد في سبيل الله حدثني بهن ولو
استزدته لزادني وعن ابي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم
باكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا
فجلس فقال الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت

رواه البخاري ومسلم وعن ابي هريرة قال قال رجل يا رسول الله من احق الناس
بحسن صحابتي قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من
قال ابوك اخرجاه وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رضى الرب في رضى الوالدين وسخطه في سخط الوالدين رواه الترمذي وصححه
ابن حبان والحاكم وعن ابي اسيد الساعدي قال بينا نحن جلوس عند النبي صلى الله
عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي من بر ابوي شيء
ابرهما به بعد موتهما فقال نعم الصلوة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما
من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما واكرام صديقهما رواه ابو داود وابن
ماجة وابن حبان في صحيحه والاحاديث في هذا كثيرة قد افردوها العلماء بالتصنيف
وذكر البخاري منها شطرا صالحا في كتاب الادب المفرد قال وقوله قل تعالوا اتل
ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا قال ابن كثير يقول الله تعالى لنبيه ور
سوله محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله و
حرموا ما رزقهم الله وقتلوا اولادهم وكل ذلك فعلوه بآرائهم الفاسدة و
تسويل الشيطان لهم تعالوا اي هلموا واقبلوا اتل ما حرم ربكم عليكم اي اقص عليكم
واخبركم بما حرم ربكم عليكم حقا لا تخرصا ولا ظنا وحيث صه وامر من عنده الا تشر
كوا به شيئا قال وكان في الكلام محذوف دل عليه السياق وتقديره وصاكم الا
تشركوا به شيئا وبهذا قال في آخر الآية ذلكم وصاكم به قلت ابتدأ تعالى هذه الآيات
المحكمات بتحريم الشرك والنهي عنه فحرم علينا ان نشرك به شيئا فشمل ذلك كل شرك
به وكل مشرك فيه من انواع العبادات فان شيئا نكرة في سياق النفي فيعم جميع الاشياء ولا ابا
تعالى لعباده ان يشركوا به شيئا فان ذلك اظلم الظلم واقبح القبيح ولفظ الشرك
والشريك يدل على ان المشركين كانوا يعبدون الله ولكن يشركون به غيره
من الاوثان والصالحين والاصنام فكانت الدعوة واقعة على ترك عبادة ما سواه

وافراد الله بالعبادة وكانت لا اله الا الله تضمنت لهذا المعنى فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم
لا الاقرار بها نطقا وعملا واعتقادا ولهذا اذا سئلوا عما يقول لهم قالوا يقول اعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول اباءكم كما قال ابو سفيان وقوله وبالوالدين
احسانا قال القرطبي الاحسان الى الوالدين برهما وحفظهما وصيانتهما واحتمال امرهما
وازالة الرق عنهما وترك السلطنة عليهما واحسانا نصب على المصدر وناصبه فعل مضمر
من لفظه تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا وقوله ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم
واياهم الأملاق الفقر اي لا تئدوا اباناكم حشية العيلة والفقر فاني ارزقكم واياهم
وكان منهم من يفعل ذلك بالاناث والذكور حشية الفقر ذكره القرطبي وفي الصحيحين
عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا
وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك حشية ان يطعم معك قلت ثم اي قال
ان تزاني حليلة جارك ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين لا يدعون مع الله الها
اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما
ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال ابن عطية نهي عام عن جميع انواع
الفواحش وهي المعاصي وظهر وبطن حالتان تستوفيان اقسام ما جعلت له من
الأشياء وفي التفسير المنسوب الى ابي علي الطبري من الحنفية وهو تفسير عظيم
ولا تقربوا الفواحش اي القبائح وعن ابن عباس والضحاك والسدي ان من الكفار
من كان لا يرى بالزنا باسا اذا كان سرا وقيل الظاهر ما بينك وبين الخلق والبا
طن ما بينك وبين الله انتهى وفي الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعا لا احد اغير
من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي
حرم الله الا بالحق قال ابن كثير هذا ما نص تعالى على النهي عنه تاكيدا والا فهو داخل
في النهي عن الفواحش وفي الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعا لا يحل دم امرئ مسلم
يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس

بالنفس

ن
تئدوا

بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة وعن ابن عمر مرفوعا من قتل معاهدا
لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاما رواه البخاري
ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون قال ابن عطية ذلكم اشارة الى هذه المحرمات
والوصية الأمر المؤكد المقرر لعلكم تعقلون ترجع الى الاضافة الينا اي من
سمع هذه الوصية يرجى وقوع اثر العقل بعدها قلت هذا غير صحيح والصوا
ان لعل هنا للتعليل اي ان الله وصانا بهذه الوصايا لتعقلها عنه ونعمل بها
كما قال وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة
ويؤتوا الزكوة وفي تفسير الطبري الحنفي ذكرا ولا تعقلون ثم تذكرون ثم تتقون
لانهم اذا عقلوا تذكروا فاذا تذكروا خافوا واتقوا المهالك ولا تقربوا مال اليتيم
الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده قال ابن عطية هذا نهي عن القرب الذي يعم وجوه
التصرف وفيه سد الذريعة ثم استثنى ما يحسن وهو التثمير والسعي في
نمائه قال مجاهد التي هي احسن التجارة لمن كان من الناظرين له مال يعيش به
فالاحسن اذا ثمر مال يتيم ان لا ياخذ منه نفقة ولا اجرة ولا غيرها ومن كان من
الناظرين لا مال له ولا ينفق له نظر الابان ينفق على نفسه من ربح نظره ولا دعت
الضرورة الى ترك مال اليتيم دون النظر فالاحسن ان ينظر ويا كل بالمعروف
قاله ابن زيد وقوله حتى يبلغ اشده قال مالك وغيره هو الرشد وزوال
السفه مع البلوغ قال ابن عطية وهو اصح الاقوال واليقها بهذا الموضع قلت و
روي نحوه عن زيد ابن اسلم والشعبي وربيعة وغيرهم ويدل عليه قوله تعالى وابتلوا
اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم فاشترط
تعالى للدفع اليهم ثلاثة شروط الاول ابتلاؤهم وهو اختبارهم وامتحانهم بما
يظهر به معرفتهم لمصالح انفسهم وتدبير اموالهم والثاني البلوغ والثالث
الرشد واوفوا الكيل والميزان بالقسط قال ابن كثير يامر تعالى باقامة العدل

في الأخذ والاعطاء كما توعد عليه في قوله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا
على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الى قوله يوم
يقوم الناس لرب العالمين وقد اهلك الله امة من الامم كانوا يبخسون المكيال
والميزان وقال عز وجل اقسطوا العدل وقد روى الترمذي باسناد ضعيف
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحاب الكيل والميزان
انكم وليتم امرا هلكت فيه الامم السالفة قبلكم وروى عن ابن عباس موقوفا
باسناد صحيح لا نكلف نفسا الا وسعها قال ابن كثير اي من اجتهد في اداء الحق
واخذه فان اخطا بعد استفراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه وقد
روى ابن مردويه عن سعيد ابن المسيب مرفوعا اوفوا الكيل والميزان با
لقسط لا نكلف نفسا الا وسعها قال من اوفى على يده في الكيل والميزان والله
يعلم صحة نيته بالوفاء فيما لم يواخذ وذلك تاويل وسعها قال هذا مرسل
غريب قلت وفيه رد على القائلين بجواز تكليف ما لا يطاق واذا قلتم فاعدلوا
ولو كان ذا قربى هذا امر بالعدل في القول والفعل على القريب والبعيد قال
الحنفي العدل في القول في حق الولي والعدو لا يتغير بالرضا والغضب بل يكون
على الحق والصدق وان كان ذا قربى فلا يميل الى الحبيب ولا الى القريب ولا يجر منكم
شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى وبعهد الله اوفوا
قال ابن جرير يقول وبوصية الله التي وصاكم بها فاوفوا وانفاذ والذلك بان
تطيعوه فيما امركم به وتنتهوا عما نهاكم عنه وتعملوا بكتابه وسنة رسوله وذلك هو الوفاء
بعهد الله وكذا قال غيره قلت وهو حسن ولكن الظاهر ان الاية فيما هو اخص
كالبيعة والذمة والامان والنذر ونحو ذلك وهذه الاية كقوله واوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم فهذا هو المقصود بالاية وان كانت شاملة لها قالوا
بطريق العموم ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون يقول تعالى هذا وصاكم وامركم به

والكم

والكم فيه لعلكم تذكرون اي تتعضون وتنتهون عما كنتم فيه وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله قال القرطبي هذه الاية عظيمة عطفها على
ما تقدم فانه لما نهى وامر حذر عن اتباع غير سبيله وامر فيها باتباع طريقه على ما
بينته الاحاديث الصحيحة واقاويل السلف وان في موضع نصب اي واتلو ان
هذا صراطي عن الفراء والكسائي قال الفراء ويجوز ان يكون خفضا اي وصاكم به وبان
هذا صراطي قال والصراط الطريق الذي هو دين الاسلام مستقيما نصب على الحال
ومعنا مستويا قويما لا عوج فيه فامر باتباع طريقه الذي طرقه على لسان محمد صلى الله
عليه وسلم وشرعه ونهايته الجنة وتشعبت منه طرق فمن سلك الجادة نجا ومن خرج الى
تلك الطرق افضت به الى النار قال الله تعالى ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
اي تميل انتهى وروى احمد والنسائي والدارمي وابن ابي حاتم والحاكم وصححه عن
ابن مسعود قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال هذا سبيل الله
مستقيما ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال وهذه السبل ليس
منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه ثم قرا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا
تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وعن النواس ابن سمعان مرفوعا قال ضرب الله
مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط ستوران فيهما ابواب مفتحة وعلى الابواب
ستور مرخاة وعلى الصراط داع يقول يا ايها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا
وداع يدعو من جوف الصراط فاذا اراد الانسان ان يفتح شيئا من تلك الابواب
قال ويحك لا تفتحه فانك ان تفتحه تلجه فالصراط الاسلام والستوران حدود الله والابواب
المفتحة محارم الله وذلك الداعي على راس الصراط كتاب الله والداعي من فوق الصراط
واعظ الله في قلب كل مسلم رواه احمد والترمذي والنسائي وابن جرير وابن ابي حاتم
وعن مجاهد في قوله ولا تتبعوا السبل قال البدع والشبهات ورواه ابن جرير وابن
ابي حاتم وهذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة القبور وسائر اهل

الملل والاوثان والبدع والضلالات من اهل الشذوذ والاهواء والتعمق في الجدل و
الخوض في الكلام فاتباع هذه من اتباع السبل التي تذهب بالانسان عن الصراط المستقيم
الى من افقده اصحاب الجحيم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه
مردود وفي رواية كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد حديث صحيح وقال ابن مسعود تعلموا
العلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب اهله الا واياكم والتنطع والتعمق والبدع وعليكم
بالعتيق رواه الدارمي قلت العتيق هو القديم يعني ما كان عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه من الهدى دون ما حدث بعدهم فالهرب الهرب والنجا النجا والتمسك
بالطريق المستقيم والسنن القويم وهو الذي كان عليه السلف الصالح وفيه المنهج
الراجح قاله القرطبي قال سهل بن عبد الله عليكم بالاثر والسنة فاني اخاف انه سيأتي
على قليل زمان اذا ذكر انسان النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء به في جميع احواله
ذموه ونفروا عنه وشمروا هنه واذلوه واهانوه قلت رحم الله سهلا ما اصدق
فراسته فلقد كان ذلك واعظم وهو ان يكفر الانسان بتجريد التوحيد
والمتابعة والامر باخلاص العبادة لله وترك عبادة ماسواه والامر بطاعة رسوله
صلى الله عليه وسلم وتحكيمه في الدقيق والجليل قال ابن القيم رحمه الله تعالى ولنذكر
في الصراط المستقيم قولا وجيزا فان الناس قد تنوعت عبارتهم عنه وترجمتهم
عنه بحسب صفاته ومتعلقاته وحقيقته شيء واحد وهو طريق الله الذي نصبه
لعباده موصلا لهم اليه ولا طريق اليه سواه بل الطرق كلها مسدودة عن الخلق
الا طريقه الذي نصبه على السن رسله وجعله موصلا لعباده اليه وهو افراده بالعبودية
وافراد رسله بالطاعة فلا يشرك به احدا في عبودية ولا يشرك برسله احدا في طاعته
فيجرد التوحيد ويجرد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا معنى قول بعض العا
رفين ان السعادة كلها والفلاح كله مجموع في شيئين صدق محبة وحسن معاملة
وهذا كله مضمون شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ففي شيء فسر به الصراط المستقيم

فهو داخل

فهو داخل في هذين الأصلين ونكتته ذلك ان تحبه بقلبك كله وترضيه بجهدك
كله فلا يكون في قلبك موضع لا معمور بحبه ولا يكون لك ارادة الا متعلقة بمر
ضاته فالاول يحصل بتحقيق شهادة ان لا اله الا الله والثاني يحصل بتحقيق
شهادة ان محمدا رسول الله وهذا هو الهدى ودين الحق وهو معرفة الحق والعمل به
وهو معرفة ما بعث الله به رسوله والقيام به فقل ما شئت من العبارات التي هذا
احراها وقطبها رحاها قوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا هكذا اثبت في نسخة
بخط شيخنا ولم يذكر الاية قال ابن كثير يامر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك
له فانه الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الحالات فهو المستحق منهم
ان يوحدوه ولا يشركوا به شيئا من مخلوقاته قلت هذا اول امر في القرآن وهو الأمر
بعبادته وحده لا شريك له والنهي عن الشرك كما في قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم
الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون وتامل كيف امر تعالى بعبادته اي فعلها
خالصة له ولم يخص بذلك نوعا من انواع العبادة لا دعاء ولا صلاة ولا غيرها ليعم
جميع انواع العبادة ونهى عن الشرك به ولم يخص ايضا نوعا من انواع العبادات
بجواز الشرك فيه وفي هذه الاية واللواتي قبلها دليل على ان العبادة هي التوحيد
لان الخصومة فيه والاقوام المشركون يعبدون الله ويعبدون غيره فامروا بالتوحيد وهو عبادة الله وحده وترك عبادة ماسواه وفيهن دليل على ان التوحيد
اول واجب على المكلف وهو الكفر بالطاغوت والايمان بالله المستلزم لعبادته و
حده لا شريك له وان من عبد غيره نوعا من انواع العبادة فقد اشرك سواء كان المعبود
ملكا او نبيا او صالحا او صنما قال ابن مسعود من اراد ان ينظر الى وصية محمد صلى الله
عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرا قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى قوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الاية
مسعود هو عبد الله ابن مسعود ابن غافل بمعجمة وفاء ابن حبيب الهذلي ابو عبد الرحمن صحابي
جليل من السابقين الاولين واهل بدر وبيعة الرضوان ومن كبار العلماء من الصحابة رض

امره عمر على الكوفة ومات سنة اثنين وثلاثين وهذا الاثر رواه الترمذي وحسنه
وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني بنحوه وروى ابو عبيد وعبد ابن حميد عن الربيع ابن
خثيم نحوه قال بعضهم ما معناه اي من اراد ان يخطو الى الوصية التي كانها كتبت وختم
عليها ثم طويت فلم تغير ولم تبدل تشبيها لها بالكتاب الذي كتب ثم ختم عليه فلم
يزد فيه ولم ينقص لان النبي صلى الله عليه وسلم كتبها وختم عليها واوصى بها فان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يوص الا بكتاب الله قلت وقد روى عبادة ابن الصامت قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ايكم يبايعني على هؤلاء الايات الثلاث ثم تلى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم
عليكم حتى فرغ من الثلاث الايات ثم قال من وفى منهن فاجره على الله ومن انتقص منهن
شيئا فادركه الله في الدنيا كانت عقوبته ومن امره الى الآخرة كان امره الى الله ان
شاء اخذه وان شاء عفى عنه رواه ابو بكر في الغيلانيات والحاكم وصححه فهذا يدل على ان النبي
صلى الله عليه وسلم يعني بهن ويبالغ في الحث على العمل بهن وعن معاذ ابن جبل قال كنت
رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا معاذ اتدري ما حق الله على العباد وما
حق العباد على الله قلت الله ورسوله اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا
به شيئا وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا قلت يا رسول الله افلا
ابشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا اخرجاه في الصحيحين هذا الحديث في الصحيحين
وبعض رواياته نحو ما ذكر المصنف رحمه الله تعالى ومعاذ هو ابن جبل ابن عمرو ابن اوس الانصاري
الخزرجي ابو عبد الرحمن صحابي مشهور من اعيان الصحابة شهد بدرا وما بعدها
وكان اليه المنتهى في العلم بالاحكام والقرآن رضي الله عنه مات سنة ثمان عشرة بالشام
قوله كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فيه جواز الارداف على الدابة وفضيلة لمعاذ
من ركوبه خلف النبي صلى الله عليه وسلم قوله على حمار في رواية اسمه عفير بعين مهملة
مضمومة ثم فاء مفتوحة قال ابن الصلاح وهو الحمار الذي كان له صلى الله عليه وسلم قيل انه
مات في حجة الوداع وفيه تواضعه صلى الله عليه وسلم للارداف ولركوب الحمار خلف ما عليه

اهل الكبر قوله الله بدي ما حق الله على العباد الدراية هي المعرفة واخرج السؤال بصيغة
الاستفهام ليكون اوقع في النفس وابلغ في فهم المتعلم فان الانسان اذا سئل عن
مسئلة لا يعلمها ثم اخبر بها بعد الامتحان بالسؤال عنها فان ذلك ادعى لفهمها و
حفظها وهذا من حسن ارشاده وتعليمه صلى الله عليه وسلم وحق الله على العباد هو ما
يستحقه عليهم ويجعله محتما وحق العباد على الله معناه انه متحقق لا محالة لانه قد
وعدهم ذلك جزاء لهم على توحيده ووعده حق ان الله لا يخلف الميعاد وقال شيخ الاسلام
كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق انعام وفضل ليس هو استحقاق معاوضة كما
يستحق المخلوق على المخلوق ومن الناس من يقول لا معنى للاستحقاق لانه اخبر بذلك ووعده صدق ولكن اكثر الناس يثبتون استحقاقا اذا اعلمهم كما دل عليه
الكتاب والسنة قال الله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين لكن اهل السنة يقولون
هو الذي كتب على نفسه الرحمة واوجب هذا الحق على نفسه لم يوجبه عليه مخلوق والمعتزلة
يدعون انه واجب عليه بالقياس على الخلق وان العباد هم الذين اطاعوه بدون ان
يجعلهم مطيعين له وانهم يستحقون الجزاء بدون ان يكون هو الموجب وغلطوا في
ذلك وهذا الباب غلطت فيه القدرية الجبرية اتباع جهم والقدرية النافية قوله
فقلت الله ورسوله اعلم فيه حسن ادب المتعلم وانه ينبغي لمن سئل عما لا يعلم ان يقول
ذلك بخلاف الاكثر المتكلفين قوله ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا اي يوحدوه
بالعبادة وحده ولا يشركون به شيئا وفائدة هذه الجملة بيان ان التجرد من الشرك
لا بد منه في العبادة والا فلا يكون العبد اتيا بعبادة الله بل مشركا وهذا معنى قول
المصنف رحمه الله تعالى ان العبادة هي التوحيد لان الخصومة فيه وفيه معرفة حق الله
على العباد وهو عبادته وحده لا شريك له فيا من حق سيده الاقبال عليه والتوجه
بقلبه اليه لقد صائك وشرفك عن اذلال قلبك ووجهك لغيره فما هذه الاساءة القبيحة
في معاملته مع هذا التربية والصيانة فهو يعظك ويدعوك الى الاقبال وانت تابى

الابرار به بقبائح الافعال في بعض الاشعار الالهية اني والجن والانس في نبأ عظيم
اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر سواي خيري الى العباد نازل وشرهم الي صاعد
اتحبب اليهم بالنعم ويتبغضون الي بالمعاصي وكيف يعبده حق عبادته من صرف
سؤله ودعائه وتذلل لله واضطراره وخوفه ورجاءه وثق كله وانابته وذبحه
ونذره لمن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا من ميت رميم
في التراب او بناء مشيد من القباب فضلا عما هو شر من ذلك قوله وحق العباد
على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا قال الخطابي تقديره ان لا يعذب من يعبده
ولا يشرك به شيئا والعبادة هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي لان مجرد عدم
الاشراك لا يقتضي نفي العذاب وقد علم ذلك من القرآن والاحاديث الواردة في تهديد
الظالمين والعصاة وقال الحافظ اقتصر على نفي الاشراك لانه يستدعي التوحيد بالأ
قتضاء ويستدعي اثبات الرسالة باللزوم اذ من كذب رسول الله فقد كذب الله ومن
كذب الله فهو مشرك وهو مثل قول القائل من توضأ صحت صلاته اي مع سائر الشرو
فالمراد من مات حال كونه مؤمنا بجميع ما يجب الايمان به قلت وسيأتي تقرير هذا
في الباب الذي بعده قوله افلا ابشر الناس فيه استحباب بشارة المسلم بما يسره
وفيه ما كان عليه الصحابة من الاستبشار بمثل هذا بنية عليه المصنف رحمه الله قوله
لا تبشرهم فيتكلوا وفي رواية اني اخاف ان يتكلوا اي يعتمدوا على ذلك فيتركوا
التنافس في الاعمال الصالحة وفي رواية فاخبر بها معاذ عند موته تاثما اي تحرجا
من الاثم قال الوزير ابو المظفر لم يكن يكتمها الا عن جاهل يحمله جهله على سوء الادب
بترك الخدمة في الطاعة فاما الاكياس الذين اذا سمعوا بمثل هذا ازدادوا في الطاعة
ورأوا ان زيادة النبي مندوب زيادة الطاعة فلا وجه لكتمانها عنهم وقال الحافظ دل
هذا على ان النهي عن التبشير ليس على التحريم والا لما اخبر به اصلا او انه ظهر له ان
المنع انما هو من الاخبار عنها فبادر قبل موته فاخبر بها خاصا من الناس وفي

قوله

قوله

قوله

وفي الباب من الفوائد غير ما تقدم التنبيه على عظمة حق الوالدين وتحريم عقوقهما
والحث على اخلاص العبادة لله تعالى وانها لا تنفع مع الشرك بل لا تسمى عبادة شرعا
والتنبيه على عظمة الايات المحكمات في سورة الانعام ذكره المصنف رحمه الله تعالى
وجواز كتمان العلم للمصلحة ولا سيما احاديث الرجا التي اذا سمعها الجهال ازدادوا
من الاثام كما قال بعضهم فاكثر ما استطعت من الخطايا اذا كان القدوم على كريم
وتخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض وفضيلة معاذ ومنزلته من العلم لكونه
خص بما ذكروا سيذكر ان المتعلم في اشاعة ما خص به من العلم والخوف من الاتكال على
سعة رحمة الله وان الصحابة لا يعرفون مثل هذا الا بتعليمه صلى الله عليه وسلم ذكره المصنف

قوله اخرجاه في الصحيحين اي اخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وانما اضمرهما للعلم بهما
والبخاري هو الامام محمد ابن اسمعيل ابن ابراهيم الجعفي مولاهم الحافظ الكبير صاحب
الصحيح والتاريخ والادب المفرد وغير ذلك من مصنفاته روى عن الامام احمد بن حنبل
والحميدي وابن المديني وطبقتهم وروى عنه مسلم والترمذي والنسائي والفربري راوي
الصحيح وغيرهم ولد سنة اربع وتسعين ومايه ومات سنة ستة وخمسين ومايتين
ومسلم هو ابن الحجاج ابن مسلم ابو الحسين القشيري النيسابوري صاحب الصحيح والعلل
والوحدان وغير ذلك روى عن الامام احمد بن حنبل ويحيى ابن معين وابي خيثمة وابن ابي
شيبة وطبقتهم روى عنه الترمذي وابراهيم ابن محمد ابن سفيان راوي الصحيح وغيرهما
ولد سنة اربع ومايتين ومات سنة احدى وستين ومايتين بنيسابور رحمه الله تعالى

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب باب خبر مبتدا محذوف تقديره هذا باب بيان
فضل التوحيد وبيان تكفير من الذنوب وما يجوز ان تكون موصولة اي وبيان ما يكفره
ويجوز ان تكون مصدرية اي وبيان تكفيره للذنوب وهذا ارجح لان الاول يوهم ان ثم
ذنوبا لا يكفرها التوحيد وليس بمراد ولما ذكر معنى التوحيد ناسب ذكر فضله وتكفيره للذنوب
ترغيبا فيه وتحذيرا من الضد قال وقول الله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم او

لعله
ما

لهم الأمن وهم مهتدون قال بعض الحنفية في تفسيره هذا ابتداء قال ابن زيد
وابن اسحق هذا من الله على فصل القضاء بين ابراهيم وقومه قال الزجاج سأل ابراهيم
واجاب بنفسه وعن ابن مسعود قال لما نزلت هذه الاية قالوا فاينا لم يظلم قال عليه
السلام ان الشرك لظلم عظيم وكذا عن ابي بكر الصديق انه فسره بالشرك فيكون
الامن من ثابيد العذاب وقال الحسن والكلبي اولئك لهم الامن في الاخرة وهم
مهتدون في الدنيا انتهى وانما ذكرته لان فيه شاهد الكلام شيخ الاسلام الآتي
والحديث الذي ذكره حديث صحيح في الصحيح والمسند وغيرهما وفي لفظ لاحمد عن عبد الله
قال لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله فاينا لا يظلم نفسه قال انه ليس الذي تعنون الم
تسمعوا ما قال العبد الصالح يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم انما هو الشرك
قال شيخ الاسلام والذي شق ذلك عليهم ظنوا ان الظلم المشروط هو ظلم العبد لنفسه
وانه لا امن ولا اهتداء الا لمن لم يظلم نفسه فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما دلهم على
ان الشرك ظلم في كتاب الله وحينئذ فلا يحصل الامن والاهتداء الا لمن لم يلبس ايمانه
بهذا الظلم فمن لم يلبس ايمانه به كان من اهل الامن والاهتداء كما كان من اهل الاصطفاء
في قوله ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه الاية وهذا
لا ينفي ان يوخذ احدهم بظلمه لنفسه بذنب اذا لم يتب كما قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقد سال ابو بكر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فقال يا رسول الله وانا وانا لم يعمل سوءا فقال يا ابا بكر الست تنصب الست تحزن اليس
يصيبك اللاواء فذلك ما تجزون به فبين ان المؤمن اذا مات دخل الجنة قد يجزى بسيئاته
في الدنيا بالمصائب التي تصيبه قال فمن سلم من اجناس الظلم الثلاثة يعني الظلم الذي
هو الشرك وظلم العباد وظلمه لنفسه بما دون الشرك كان له الامن التام والاهتداء التام
ومن لم يسلم من ظلم نفسه كان له الامن والاهتداء مطلقا بمعنى انه لا بد ان يدخل الجنة

كما وعد بذلك في الاية الاخرى وقد هداه الله الى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته
فيه الى الجنة ويحصل له من نقص الامن والاهتداء بحسب ما نقص من ايمانه بظلمه لنفسه
ليس مراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله انما هو الشرك ان من لم يشرك الشرك الاكبر يكون له
الامن التام والاهتداء التام فان احاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين ان اهل
الكبائر معرضون للخوف لم يحصل لهم الامن التام والاهتداء التام الذي يكونون
به مهتدين الى الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من غير عذاب يحصل لهم
بل معهم اصل الاهتداء الى هذا الصراط ومعهم اصل نعمة الله عليهم ولا بد لهم من دخول
الجنة وقوله انما هو الشرك ان اراد به الاكبر فمقصوده ان من لم يكن من اهله فهو امن
مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة وهو مهتد الى ذلك وان كان مراده جنس
الشرك فيقال ظلم العبد نفسه كبخله لحب المال ببعض الواجب هو شرك اصغر وحبه
ما يبغض الله حتى يقدم هواه على محبة الله شرك اصغر ونحو ذلك فهذا فانه من الا
والاهتداء بحسبه ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار
انتهى ملخصا وبه تظهر مطابقة الاية للترجمة فدلت على فضل التوحيد وتكفيره
للذنوب لان من اتى به تاما فله الامن التام والاهتداء التام ودخل الجنة بلا عذاب
ومن اتى به ناقصا بالذنوب التي لم يتب منها فان كانت صغائر كفرت باجتناب
الكبائر لاية النساء والنجم وان كانت كبائر فهو في حكم المشيئة ان شاء الله غفر له وان شاء
عذبه ثم مآله الى الجنة عن عبادة ابن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله
ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة
على ما كان من العمل اخرجاه ش عبادة هو ابن الصامت ابن قيس الانصاري الخزرجي ابو
الوليد احد النقباء بدري مشهور من جلة الصحابة مات بالرملة سنة اربع وثلاثين
وله اثنتان وسبعون سنة وقيل عاش الى خلافة معاوية قوله من شهد ان لا اله الا الله

اي من تكلم بهذه الكلمة عارفا لمعناها عاملا بمقتضاها باطنا وظاهرا كما دل عليه قوله
فاعلم انه لا اله الا الله وقوله الا من شهد بالحق وهم يعلمون اما النطق بها من غير معرفة
لمعناها ولا عمل بمقتضاها فان ذلك غير نافع بالاجماع وفي الحديث ما يدل على هذا
وهو قوله من شهد ان لا اله الا الله اذ كيف يشهد وهو لا يعلم ومجرد النطق بشيء لا
يسمى شهادة به قال بعضهم اداة الحصر قصر الصفة على الموصوف قصر افراد لان
معنا الالوهية منحصرة في الله الواحد في مقابلة من يزعم اشتراك غيره معه وقال
النووي هذا حديث عظيم جليل الموقع وهو جامع او من اجمع الاحاديث المشتملة
على العقائد فانه صلى الله عليه وسلم جمع فيه ما يخرج من مالل الكفر على اختلاف عقائدهم
وتباعدهم فاقتصر صلى الله عليه وسلم في هذه الاحرف على ما يباين به جميعهم انتهى
ومعنى لا اله الا الله اي لا يعبود حق الا اله واحد وهو الله وحده لا شريك له كما قال
تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون مع قوله
تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فصح ان معنى الاله
هو المعبود ولهذا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم للكفار قريش قولوا لا اله الا الله قالوا اجعل
الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وقال قوم هود اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان
يعبد اباؤنا وهو انما دعاهم الى لا اله الا الله فهذا هو معنى لا اله الا الله وهو عبادة
الله وترك عبادة ما سواه وهو الكفر بالطاغوت والايمان بالله فتضمنت هذه الكلمة
العظيمة انما سوى الله ليس بالٍه وان الهيته ما سواه ابطل الباطل واثباتها اظلم الظلم فلا
يستحق العبادة سواه كما لا تصلح الالهية لغيره فتضمنت نفي الالهية عما سواه واثباتها
لله وحده لا شريك له وذلك يستلزم الامر باتخاذه الها وحده والنهي عن اتخاذ غيره
معه الها وهذا يفهم المخاطب من هذا النفي والاثبات كما اذا رايت رجلا يستفتي او
يستشهد من ليس اهلا لذلك وسمع من هو اهل له فتقول هذا ليس بمفت ولا شاهد
المفتي فلان والشاهد فلان هذا امر منه ونهي وقد دخل في الالهية جميع انواع العبادة

العبادة

الصادرة عن تاله القلب لله بالحب والخضوع والانقياد له وحده لا شريك له فيجب افراد
الله تعالى بها كالدعاء والخوف والمحبة والتوكل والانابة والتوبة والذبح والنذر والسجود
وجميع انواع العبادة فيجب صرف جميع ذلك لله وحده لا شريك له فمن صرف شيئا
مما لا يصلح الا لله من العبادات لغير الله فهو مشرك ولو نطق بلا اله الا الله او لم يعمل
بما تقتضيه من التوحيد والاخلاص ذكر نصوص العلماء في معنى الاله قال ابن عباس
ذو الالوهية والعبودية على خلقه اجمعين رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وقال
ابو المظفر في الانصاف قوله شهادة ان لا اله الا الله يقتضي ان يكون الشاهد عالما
بان لا اله الا الله كما قال عز وجل فاعلم انه لا اله الا الله وينبغي ان يكون الناطق بها شاهدا
بها فقد قال الله عز وجل ما اوضح به ان الشاهد بالحق اذا لم يكن عالما بما شهد به
فانه غير بالغ من الصدق به مع من شهد من ذلك بما يعلمه في قوله تعالى الا من شهد
بالحق وهم يعلمون قال واسم الله تعالى مرتفع بعد الا من حيث انه الواجب له الالهية
فلا يستحقها غيره سبحانه قال واقتضى الاقرار بها ان تعلم ان كل ما فيه اشارة للحدث فانه
لا يكون الها فاذا قلت لا اله الا الله فقد اشتمل نطقك هذا على ان ما سوى الله ليس
بالٍه فيلزمك افراده سبحانه بذلك وحده قال وجملة الفائدة في ذلك ان تعلم ان هذه
الكلمة هي مشتملة على الكفر بالطاغوت والايمان بالله وقال ابو عبد الله القرطبي في التفسير
لا اله الا هو اي لا معبود الا هو وقال الزمخشري في الاله من اسماء الاجناس كالرجل
والفرس اسم يقع على كل معبود بحق او بباطل ثم غلب على المعبود بحق وقال شيخ الاسلام
الاله هو المعبود المطاع وقال ايضا في لا اله الا الله اثبات انفراده بالالهية والالهية
تتضمن كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته فيلزم اثبات احسانه الى العباد فان الاله هو
المالوه والمالوه هو الذي يستحق ان يعبد وكونه يستحق ان يعبد هو بما اتصف به
من الصفات التي تستلزم ان يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع
وقال ابن القيم رحمه الله تعالى الاله هو الذي تالهه القلوب محبة واجلالا وانابة واكراما

والايمان ظ

وتعظيما وذلا وخضوعا وخوفا ورجاء وتوكلا وقال ابن رجب رحمه الله تعالى الأله هو
الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالا ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا عليه وسؤاله منه
ودعاءه ولا يصلح ذلك كله الا لله عز وجل فمن اشرك مخلوقا في شيء من هذه الامور
التي من خصائص الالهية كان ذلك قدحا في اخلاصه في قول لا اله الا الله ونقصا
في توحيده وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك وهذا كله من فروع
الشرك وقال البقاعي لا اله الا الله اي انتفى انتفاء عظيما ان يكون معبود بحق
غير الملك الأعظم فان هذا العلم هو اعظم الذكر في النجية من اهوال الساعة وانما يكون
على اذا كان نافعا وانما يكون نافعا اذا كان مع الاذعان والعمل بما تقتضيه والا فهو
جهل صرف وقال القرطبي الاله فعال بمعنى مفعول كالكتاب بمعنى المكتوب من اله الهة اي
عبد عبادة وهذا كثير جدا في كلام العلماء وهو اجماع منهم ان الأله هو المعبود خلافا لما
يعتقده عباد القبور واشباههم في معنى الأله انه الخالق القادر على الاختراع او نحو هذه
العبارات ويظنون انهم اذا قالوها بهذا المعنى فقد اتوا من التوحيد بالغاية القصوى
ولو فعلوا ما فعلوه من عبادة غير الله كدعاء الأموات والاستغاثة بهم في الكربات
وسؤالهم قضاء الحاجات والنذر لهم في الملمات وسؤالهم الشفاعة عند رب الارض
والسموات الى غير ذلك من انواع العبادات وما شعروا ان اخوانهم من كفار العرب يشاركونهم
في هذا الاقرار ويعرفون ان الله هو الخالق الرازق القادر على الاختراع ويعبدونه
بانواع من العبادات فليهن اذا جهل واذا هب ومن تبعهما الاسلام بحكم عباد
القبور وليهن ايضا اخوانهم عباد ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر اذ جعل هؤلاء
دينهم هو الاسلام المدون ولو كان معناها ما زعمه هؤلاء الجهال لم يكن بين الرسول
صلى الله عليه وسلم وبينهم نزاع بل كانوا يبادرون الى اجابته ويلبون دعوته اذ يقول
لهم قولوا لا اله الا الله بمعنى انه لا قادر على الاختراع الا الله فكانوا يقولون سمعنا
واطعنا قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض

ليقولن

ليقولن خلقهن العزيز العليم قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والأبصار
الاية الى غير ذلك من الايات لكن القوم اهل اللسان العربي يعلمون انها تهدم عليهم
دعاء الاموات والاصنام من الأساس وتكذب بنا سؤال الشفاعة من غير الله وصرف
الألهية لغيره لام الراس فقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى هؤلاء شفعاءنا
عند الله اجعل الألهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب فتبا لمن كان ابو جهل ورؤوس
الكفر من قريش وغيرهم اعلم منه بلا اله الا الله قال تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا
الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركو الهتنا لشاعر مجنون فعرفوا انها تقتضي ترك
عبادة ما سوى الله وافراد الله بالعبادة وهكذا يقول عباد القبور اذا طلبت منهم اخلاص
الدعوة والعبادة لله وحده اتترك ساداتنا وشفعاءنا في قضاء حوائجنا فيقال لهم
نعم وهذا الشرك والاخلاص هو الحق كما قال تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين فلا اله
الا الله اشتملت على نفي واثبات فنفت الالهية عن كل ما سوى الله تعالى فكل ما سواه
من الملائكة والانبياء فضلا عن غيرهم فليس بالله ولا له من العبادة شيء واثبتت الالهية
لله وحده بمعنى ان العبد لا يأله غيره اي لا يقصده بشيء من التأله وهو تعلق القلب
الذي يوجب قصده بشيء من انواع العبادة كالدعاء والذبح والنذر وغير ذلك وبالجملة
فلا اله الا الله اي يعبد الا هو فمن قال هذه الكلمة عارفا لمعناها عاملا بمقتضاها
من نفي الشرك واثبات الوحدانية لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به
فهذا هو المسلم حقا فان عمل به ظاهرا من غير اعتقاد فهو المنافق وان عمل بخلافها من الشرك
فهو الكافر ولو قالها الا ترى ان المنافقين يعلنون بها ظاهرا وهم في الدرك الأسفل من النار
واليهود يقولونها وهم على ما هم عليه من الشرك والكفر فلم تنفعهم وكذلك من ارتد
عن الاسلام بانكار شيء من لوازمها وحقوقها فانها لا تنفعه ولو قالها مائة الف
فكذلك من يقولها ممن يصرف انواع العبادة لغير الله كعباد القبور والاصنام فلا تنفعهم
ولا يدخلون في هذا الحديث الذي جاء في فضلها وما اشبهه من الاحاديث وقد بين النبي

صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله وحده لا شريك له تنبيها على ان الانسان قد يقولها وهو
مشرك كاليهود والمنافقين وعباد القبور لما راوا ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى
قول لا اله الا الله ظنوا انما دعاهم الى النطق بها فقط وهذا جهل عظيم وهو عليه السلام
انما دعاهم اليها ليقولوها ويعملوا بمعناها ويتركوا عبادة غير الله ولهذا قالوا ائنا لتا
ركوا الهتنا لشاعر مجنون وقالوا اجعل الآلهة الها واحدا فلهذا ابوا عن النطق بها والا فلو
قالوها وبقوا على عبادة اللات والعزى ومناة لم يكونوا مسلمين ولقاتلهم عليه السلام
حتى يخلعوا الانداد ويتركوا عبادتها ويعبدوا الله وحده لا شريك له وهذا امر معلوم
بالاضطرار من الكتاب والسنة والاجماع واما عباد القبور فلم يعرفوا معنا هذه الكلمة
ولا عرفوا الالهية المنفية عن غير الله الثابتة لله وحده لا شريك له بل لم يعرفوا من معناها
الا ما اقر به المؤمن والكافر واجتمع عليه الخلق كلهم من ان معناها لا قادر على الاختراع
ولا خالق الا الله وان معنى الاله هو الغني عما سواه الفقير اليه كل ما عداه ونحو ذلك فهذا
حق هو من لوازم الألهية ولكن ليس هو المراد بمعنا لا اله الا الله فان هذا القدر قد عرفه
الكفار واقروا به ولم يدعوا في الهتهم شيئا من ذلك بل يقرون بفقرهم وحاجتهم الى الله
وانما كانوا يعبدونهم على معنى انهم وسائط وشفعاء عند الله في تخليص المطالب
ونجاح المآرب والا فقد سلموا الخلق والملك والرزق والاحياء والاماتة والأمر
كله لله وحده لا شريك له وقد عرفوا ايضا معنى لا اله الا الله وابوا عن النطق والعمل
بها فلم ينفعهم توحيد الربوبية مع الشرك في الألهية كما قال تعالى وما يؤمن اكثرهم
بالله الا وهم مشركون وعباد القبور نطقوا بها وجهلوا معناها وابوا عن الاتيان
به فصاروا كاليهود الذين يقولونها ولا يعرفون معناها ولا يعملون به فتجد احدهم
يقولها وهو يأله غير الله بالحب والاجلال والتعظيم والخوف والرجاء والتوكل والدعاء
عند الكرب ويقصده بانواع العبادة الصادرة عن تأله قلبه لغير الله مما هو اعظم مما
يفعله المشركون الاولون ولهذا اذا توجهت على احدهم اليمين بالله تعالى اعطاك ما شئت

من الايمان صادقا او كاذبا ولو قيل له احلف بحياة الشيخ فلان او بتربته ونحو ذلك
لم يحلف ان كان كاذبا وما ذاك الا لان المدفون في التراب اعظم في قلبه من رب
الارباب وما كان الاولون هكذا بل كانوا اذا اراد والتشديد في اليمين حلفوا
بالله تعالى كما في قصة القسامة التي وقعت في الجاهلية وهي في صحيح البخاري وكثير منهم
او اكثرهم يرى ان الاستغاثة بالله الذي يعبده عند قبره او غيره انفع وانجع
من الاستغاثة بالله في المسجد ويصرحون بذلك والحكايات عنهم بذلك فيها
طول وهذا امر ما بلغ اليه شرك الاولين وكلهم اذا اصابتهم الشدائد اخلصوا
للمدفونين في التراب وهتفوا باسمائهم ودعوهم ليكشفوا ضر المصاب في البر والبحر
والسفر والاياب وهذا امر ما فعله الاولون بل هم في هذه الحال يخلصون للكبير
المتعال فاقرءوا قوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الاية وقوله
ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون
وكثير منهم قد عطلوا المساجد وعمروا القبور والمشاهد فاذا قصد احدهم القبر
الذي يعظمه اخذ في دعاء صاحبه باكيا خاشعا ذليلا خاضعا بحيث لا يحصل له ذلك
في الجمعة والجماعات وقيام الليل وادبار الصلوات فيسألونهم مغفرة الذنوب وتفريج
الكروب والنجاة من النار وان يحطوا عنهم الاوزار فكيف يظن عاقل فضلا عن
عالم ان التلفظ بلا اله الا الله مع هذه الامور تنفعهم وهم انما قالوها بالسنتهم
وخالفوها باعتقادهم واعمالهم ولا ريب ان لو قالها احد من المشركين ونطق ايضا
بشهادة ان محمدا رسول الله ولم يعرف معنى الاله ولا معنى الرسول وصلى وصام وحج ولا يدري
ما ذلك الا انه راى الناس يفعلونه فتابعهم ولم يفعل شيئا من الشرك فانه لا يشك
احد في اسلامه وقد افتى بذلك فقهاء المغرب كلهم في اول القرن الحادي عشر او قبله
في شخص كان كذلك كما ذكره صاحب الدر الثمين في شرح المرشد المعين من المالكية ثم
قال ما نصه وهذا الذي افتوا به جلي في غاية الجلاء لا يمكن ان يختلف فيه انسان انتهى

ولا ريب ان عباد القبور اشد من هذا لانهم اعتقدوا الالهية في ارباب متفرقين فان قيل قد تبين معنى الأله والالهية فما الجواب عن قول من قال ان معنى الأله هو القادر على الاختراع ونحو هذه العبارة قيل الجواب من وجهين احدهما ان هذا قول مبتدع لا يعرف احد قاله من العلماء ولا من ائمة اللغة وكلام العلماء وائمة اللغة هو معنى ما ذكرنا كما تقدم فيكون هذا القول باطلا الثاني على تقدير تسليمه فهو تفسير باللازم للاله الحق فان اللازم له ان يكون خالقا قادرا على الاختراع ومتى لم يكن كذلك فليس باله حق وان سمي الها وليس مراده ان من عرف ان الاله هو القادر على الاختراع فقد دخل في الاسلام وانى بتحقيق المرام من مفتاح دار السلام فان هذا لا يقوله احد لانه يستلزم ان يكون كفار العرب مسلمين ولو قدر ان بعض المتاخرين اراد ذلك فهو مخطئ يرد عليه بالدلا ئل السمعية والعقلية قوله وان محمدا عبده ورسوله اي وشهد بذلك وهو معطوف على ما قبله فتكون الشهادة واقعة على هذه الجملة وما قبلها وما بعدها فان العامل في المعطوف وما عطف عليه واحد ومعنا العبد هنا المملوك العابد اي انه مملوك لله تعالى عابد له ليس له في الوهية شيء انما هو عبد مقرب عند الله ورسوله اراد سلام الله كما قال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا الآيات قيل وقدم العبد هنا على الرسول ترقيا من الادنى الى الأعلا وجمع بينهما لدفع الافراط والتفريط الذي وقع في شان عيسى عليه السلام وقد اكد النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بقوله لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وذلك يتضمن تصديقه فيما اخبر وطاعته فيما امر والانتهاء عما عنه زجر فلا يكون كاملا الشهادة له بالرسالة من ترك امره واطاع غيره وارتكب نهيه قوله وان عيسى عبد الله ورسوله وفي رواية وابن امته اي خلافا لما يعتقده النصارى انه الله او ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون فيشهد بانه عبد الله اي عابد

مملوك

مملوك لله لا مالك فليس له من الربوبية ولا من الالهية شيء ورسوله صادق خلافا لقول اليهود انه ولد بغي بل يقال فيه ما قال عن نفسه كما قال تعالى قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا الآيات وقال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون قال القرطبي ويستفاد منه ما يلقنه النصارى اذا اسلم قوله وكلمته انما سمي عيسى عليه السلام كلمة الله لصدوره بكلمة كن بلا اب قاله قتادة وغيره من السلف قال الامام احمد فيما املاه في الرد على الجهمية الكلمة التي القاها الى مريم حين قال له كن فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن ولكن بكن كان فكن من الله قول وليس كن مخلوقا وكذب النصارى والجهمية على الله في امر عيسى وذلك ان الجهمية قالت عيسى روح الله وكلمته الا ان الكلمة مخلوقة وقالت النصارى عيسى روح الله من ذات الله وكلمة من ذات الله كما يقال ان هذه الخرقة من هذا الثوب وقلنا نحن ان عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة انتهى يعني به ما قال قتادة وغيره قوله القاها الى مريم قال ابن كثير اي خلقه بالكلمة التي ارسل بها جبريل عليه السلام الى مريم فنفخ فيها من روحه باذن الله له عز وجل فكان عيسى باذن الله عز وجل وصارت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الاب للام والجميع مخلوق لله عز وجل ولهذا قيل لعيسى انه كلمة الله وروح منه لانه لم يكن له اب تولد منه وانما هو شيء عن الكلمة التي قال له كن فكان والروح التي ارسل بها جبريل عليه السلام قوله وروح منه قال ابي ابن كعب عيسى روح من الارواح التي خلقها الله عز وجل واستنطقها بقوله الست بربكم قالوا بلى بعثه الله الى مريم فدخل فيها رواه عبد ابن حميد وعبد الله بن احمد في زوائد المسند وابن جرير وابن ابي حاتم وغيرهم وقال ابو اويس وروح منه اي نفخة منه اذ هي من جبريل بامره وسمي روحا لانه حدث من نفخة جبريل عليه السلام وقال الامام احمد وروح منه يقول من امره كان الروح فيه كقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه يقول من امره وقال شيخ الاسلام

المضاف الى الله تعالى اذا كان معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات وجب ان
يكون صفة لله تعالى قائما بها واستنع ان تكون اضافة اضافة مخلوق مربوب وان كان
المضاف عينا قائمة بنفسها كعيسى وجبريل عليهما السلام والارواح بني ادم امتنع ان
تكون صفة لله تعالى لان ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره لكن الاعيان المضافة الى الله
تعالى على وجهين احدهما ان تكون تضاف اليه لكونه خلقها وابدعها فهذا شامل لجميع المخلوقات
كقولهم سماء الله وارض الله ومن هذا الباب فجميع المخلوقين عبيد الله وجميع الاموال مال الله
وجميع البيوت والنوق لله الوجه الثاني ان يضاف اليه لما خصه به من معنى يحبه ويامر به
ويرضاه كما خص البيت العتيق بعبادة فيه لا تكون في غيره وكما يقال عن مال الفيء
والخمس هو مال الله ورسوله ومن هذا الوجه فعباد الله هم الذين عبدوه واطاعوا امره
فهذه اضافة تتضمن الوهيته وشرعه ودينه وتلك اضافة تتضمن ربوبيته وخلقه انتهى
ملخصا والمقصود منه ان اضافة روح عيسى الى الله هو من الوجه الثاني والله اعلم قوله
والجنة حق والنار حق اي وشهد ان الجنة التي اخبر الله في كتابه انه اعدها لمن امن به
وبرسله حق ثابتة لا شك فيها وشهد ان النار التي اخبر الله بها في كتابه انه اعدها
للكافرين به وبرسله حق كذلك كما قال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
كعرض السماء اعدت للذين امنوا بالله ورسله الاية وقال فاتقوا النار التي وقودها الناس
والحجارة اعدت للكافرين وفيهما دليل على ان الجنة والنار مخلوقات الان خلافا لاهل
البدع الذين قالوا لا يخلقان الا يوم القيمة وفيه دليل على المعاد وحشر الاجساد قوله
ادخله الله الجنة على ما كان من العمل هذه الجملة جواب الشرط وفي رواية على ما كان عليه من عمل
وفي رواية ادخل الله الجنة من اي ابواب الجنة الثمانية شاء قال القاضي عياض وما ورد
في حديث عبادة يكون خصوصا لمن قال ما ذكره صلى الله عليه وسلم وقرن بالشهادتين
حقيقة الايمان والتوحيد الذي ورد في حديثه فيكون له من الاجر ما يرجح على سيئاته
ويوجب له المغفرة والرحمة ودخول الجنة لاول وهلة قال ولهما في حديث عتبان فان الله

حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله ش قوله ولهما اي للبخاري ومسلم
في صحيحيهما وهذا الحديث طرف من حديث طويل اخرجه الشيخان كما قال المصنف وعتبان
بكسر المهملة بعدها مثناة فوقية موحدة ابن مالك ابن عمرو ابن عجلان الانصاري
من بني سالم ابن عوف صحابي شهير مات في خلافة معاوية قوله فان الله حرم على النار
الحديث اعلم انه قد ورد احاديث ظاهرها ان من اتى بالشهادتين حرم على النار
كهذا الحديث وحديث انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ ردفه على الرحل
فقال يا معاذ فقال لبيك يا رسول الله وسعديك قال ما من عبد يشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله الا حرمه الله على النار قال يا رسول الله الا اخبر بها الناس
فيستبشروا قال اذا يتكلوا فاخبر بها معاذ عند موته تاثما اخرجاه ولمسلم عن عبادة
مرفوعا من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله حرم الله عليه النار وورد
احاديث فيها ان من اتى بالشهادتين دخل الجنة وليس فيها انه يحرم على النار منها
حديث عبادة الذي تقدم قبل هذا وحديث ابي هريرة انهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك الحديث وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله
واني رسول الله لا يلقى الله عبد بهما غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة رواه مسلم وحديث
ابي ذر في الصحيحين مرفوعا ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل
الجنة الحديث واحسن ما قيل في معناه ما قاله شيخ الاسلام وغيره ان هذه الاحاديث
انما هي فيمن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة وقالها خالصا من قلبه مستيقنا بها
قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين فان حقيقة التوحيد انجذاب الروح الى الله جملة
فمن شهد ان لا اله الا الله خالصا من قلبه دخل الجنة لان الاخلاص هو انجذاب القلب
الى الله بان يتوب من الذنوب توبة نصوحا فاذا مات على تلك الحال نال ذلك فانه
قد تواترت الاحاديث بانه يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما
يزن شعيرة وما يزن خردلة وما يزن ذرة وتواترت بان كثيرا ممن يقول لا اله الا الله

يدخل النار ثم يخرج منها وتواترت بان الله حرم على النار ان تاكل اثر السجود من بني
ادم فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله وتواترت بانه يحرم على النار من قال
لا اله الا الله ومن شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله لكن جاءت مقيدة
بالقيود الثقال واكثر من يقولها لا يعرف الاخلاص ولا اليقين ومن لا يعرف ذلك
يخشى عليه ان يفتن عنها عند الموت فيحال بينه وبينها واكثر من يقولها
انما يقولها تقليدا وعادة ولم يخالط الايمان بشاشة قلبه وغالب من يفتن
عند الموت وفي القبور امثال هؤلاء كما في الحديث سمعت الناس يقولون شيئا
فقلته وغالب امثال هؤلاء انما هو تقليد ولقد ابتلاهم وهو اقرب الناس من قوله
انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون وحينئذ فلا منافاة
بين الاحاديث فانه اذا قالها باخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحالة
مصرا على ذنب اصلا فان كمال اخلاصه ويقينه يوجب ان يكون الله احب اليه من
كل شيء فلا يبقى في قلبه ارادة لما حرم الله ولا كراهة لما امر الله وهذا هو
الذي يحرم على النار وان كانت له ذنوب قبل ذلك فان هذا الايمان
وهذه التوبة هذا الاخلاص وهذه المحبة وهذا اليقين لا يتركون له
ذنبا الا محي عنه كما يمحي الليل النهار فانه اذا قالها على وجه الكمال المانع من الشرك
الاكبر والاصغر فهذا غير مصر على ذنب اصلا فيغفر له ويحرم على النار وان قالها
على وجه خلص به من الشرك الاكبر دون الاصغر ولم يات بعدها بما ينقض ذلك
فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات فترجح بها ميزان الحسنات كما في حديث
البطاقة فيحرم على النار ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه وهذا بخلاف
من رجحت سيئاته على حسناته ومات مصرا على ذلك فانه يستوجب النار وان
قال لا اله الا الله وخلص بها من الشرك الاكبر لكنه لم يمت على ذلك بل الى بعد
ذلك بسيئات رجحت على حسنة توحيده فانه في حال قولها كان مخلصا لكنه الى

بقيته

ان العمل لا ينفع الا اذا كان خالصا لله تعالى قال وعن ابي سعيد الخدري عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قال موسى يا رب علمني شيئا اذكرك وادعوك به
قال قل يا موسى لا اله الا الله قال كل عبادك يقولون هذا قال يا موسى لو ان
السموات السبع وعامرهن غيري والارضون السبع في كفة ولا اله الا الله في كفة
مالت بهن لا اله الا الله رواه ابن حبان والحاكم وصححه ابو اسعيد اسمه سعد ابن مالك
ابن سنان ابن عبيد الانصاري الخزرجي صحابي جليل وابوه ايضا كذلك استصغر
ابو سعيد باحد ثم شهد ما بعدها مات بالمدينة سنة ثلاث او اربع او خمس وستين
وقيل سنة اربع وسبعين قوله اذكرك هو بالرفع خبر مبتدا محذوف اي انا اذكرك
وقيل بل هو صفة وادعوك معطوف عليه اي اثني عليك واحمدك به وادعوك اي
اتوسل به اليك او ادعوتك قوله قل يا موسى لا اله الا الله فيه ان الذاكر بها يقولها
كلها ولا يقتصر على لفظ الجلالة كما يفعله جهال المتصوفة ولا يقول ايضا هو كما يقوله
غلاة جهالهم فاذا اراد والدعا قالوا ياهو فان ذلك بدعة وضلالة وقد صنف جهما
لهم في المسئلتين وصنف ابن عربي كتابا باسماه كتاب الهو قوله كل عبادك يقولون هذا
هكذا اثبت بخط المصنف يقولون بالجمع مراعاة لمعنى كل والذي في الاصول يقول بالافراد
مراعاة للفظها دون معناها لكن قد روى الامام احمد عن عبد الله بن عمرو هذا
الحديث بهذا اللفظ الذي ذكره المصنف اطول منه وفي سنن النسائي والحاكم وشرح
السنة بعد قوله كل عبادك يقولون هذا انما اريد شيئا تخصني به اي بذلك الشيء من
بين عموم عبادك فان من طبع الانسان لا يفرح فرحا شديدا الا بشيء يختص به
دون غيره كما اذا كانت عنده جوهرة ليست موجودة عند غيره مع ان من رحمة الله
سبحانه المطردة ان ما اشتدت اليه الحاجة والضرورة كان اكثر وجودا كالبر والملح
والماء ونحو ذلك دون الياقوت واللؤلؤ ولما كان بالناس بل بالعالم كلهم من الضرورة
الى لا اله الا الله ما لا نهاية في الضرورة فوقه كانت اكثر الاذكار وجودا وايسرها

حصولا واعظمها معنى والعوام والجهال يعدلون عنها الى الأسماء الغريبة والدعوات
المبتدعة التي لا اصل لها في الكتاب والسنة كالاحزاب والاوراد التي ابتدعها جهال المتصوفة
قوله وعامرهن غيري هو بالنصب عطف على السموات اي لوان السموات السبع ومن
فيهن من العمار غيره والارضين السبع ومن فيهن وضعوا في كفة الميزان ولا اله الا الله
في الكفة الأخرى مالت بهن لا اله الا الله وروى الامام احمد عن عبد الله ابن عمرو عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان نوحا عليه السلام قال لابنه عند موته امرك بلا اله الا الله فان
السموات السبع والارضين السبع لو وضعت في كفة ولا اله الا الله في كفة رجحت بهن
لا اله الا الله ولوان السموات السبع والارضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا اله
الا الله وفيه دليل على ان الله تعالى فوق السموات قوله في كفة بكسر الكاف وتشديد
الفاء من كفة الميزان قال بعضهم ويطلق لكل مستدير قوله مالت بهن لا اله الا الله
اي رجحت عليهن وذلك لما اشتملت عليه من التوحيد لله الذي هو افضل الاعمال
واساس الملة وراس الدين من قالها باخلاص ويقين وعمل بمقتضاها ولوازمها و
استقام على ذلك فهو من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما قال تعالى ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة
التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي
انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم والحديث يدل على ان لا اله الا الله
افضل الذكر كما في حديث عبد الله ابن عمرو مرفوعا خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت
انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل
شيء قدير رواه احمد والترمذي وعند ايضا مرفوعا يصاح برجل من امتي على رؤوس الخلائق
يوم القيمة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقال اتنكر من هذا شيئا
فيقول لا يا رب فيقال الك عذر او حسنة فيهاب الرجل فيقال لا فيقول بلى ان لك عندنا
حسنات وانه لا ظلم عليك فيخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده

ورسوله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة رواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وقال الذهبي في تلخيصه صحيح قال ابن القيم فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وانما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب فتكون صورة العمل واحدة وبينهما من التفاضل كما بين السماء والارض قال تامل حديث البطاقة التي توضع في كفة ويقابلها تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر فتثقل البطاقة وتطيش السجلات فلا يعذب ومعلوم ان كل موحد له هذه البطاقة وكثير منهم يدخل النار بذنوبه وعن ابي هريرة مرفوعا ما قال عبد لا اله الا الله مخلصا قط الا فتحت له ابواب السماء حتى تفضي الى العرش ما اجتنبت الكبائر رواه الترمذي وحسنه والنسائي والحاكم وقال على شرط مسلم قوله رواه ابن حبان والحاكم ابن حبان اسمه محمد ابن حبان بكسر المهملة وتشديد الموحدة ابن احمد ابن حبان كذلك ابن معاذ ابو حاتم التميمي البستي الحافظ صاحب التصانيف كالصحيح والتاريخ والضعفاء والثقات وغير ذلك قال الحاكم كان من اوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال مات سنة اربع وخمسين وثلاثمائة بمدينة بست بالمهملة واما الحاكم فاسمه محمد ابن عبد الله ابن محمد الضبي النيسابوري ابو عبد الله الحافظ ويعرف بابن البيع ولد سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وصنف التصانيف كالمستدرك وتاريخ نيسابور وغيرهما ومات سنة خمس واربعمائة قال وللترمذي وحسنه عن انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن ادم لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة الترمذي محمد ابن عيسى ابن سورة بفتح المهملة ابن موسى ابن الضحاك السلمي ابو عيسى صاحب الجامع واحد الائمة الحفاظ كان ضرير البصر روى عن قتيبة وهناد والبخاري وخلق ومات سنة تسع وسبعين ومائتين وانس هو ابن مالك ابن النضر

الانصاري الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم خدمه عشر سنين ودعا له النبي صلى الله
عليه وسلم فقال اللهم اكثر ماله وولده وادخله الجنة ومات سنة ثنتين وقيل ثلاث
وتسعين وقد جاوز المائة والحديث قطعة من حديث رواه الترمذي من طريق كثير ابن
فايد حدثنا سعيد ابن عبيد سمعت بكر ابن عبد الله المزني يقول حدثنا انس ابن مالك
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني
غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم
استغفرتني غفرت لك يا ابن ادم لو اتيتني بقراب الارض الحديث قال ابن رجب واسناده
لا باس به وسعيد ابن عبيد هو الهنائي ذكره ابن حبان في الثقات وقال الدارقطني تفرد
به كثير ابن فايد عن سعيد ابن عبيد مرفوعا قال ابن رجب وتابعه على رفعه ابو سعيد
مولى بني هاشم فرواه عن سعيد ابن عبيد مرفوعا وقد رواه الامام احمد من حديث ابي
ذر بمعناه واخرجه الطبراني من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه مسلم
من حديث ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله من تقرب مني شبرا تقربت منه
ذراعا الحديث وفيه ومن لقيني بقراب الارض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بقرابها مغفرة
قوله لو اتيتني بقراب الارض قراب الارض بضم القاف وقيل بكسرها والضم اشهر
وهو ملؤها او ما يقارب ملأها قوله ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا شرط ثقيل في
الوعد بحصول المغفرة وهو السلامة من الشرك كثيره وقليله صغيره وكبيره ولا يسلم من
ذلك الا من سلم الله وذلك هو القلب السليم كما قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون
الا من اتى الله بقلب سليم قال ابن رجب من جاء مع التوحيد بقراب الارض خطايا
لقيه الله بقرابها مغفرة لمن هذا مع مشيئة الله عز وجل فان شاء غفر له وان شاء
واخذه بذنوبه ثم كان عاقبته ان لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة فان
كمل توحيد العبد واخلاصه لله تعالى فيه وقام بشروطه بقلبه ولسانه وجوارحه او بقلبه
ولسانه عند الموت اوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار

بالكلية فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه اخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيما واجلالا
ومهابة وخشية وتوكلا وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد
البحر وربما قلبتها حسنات فان هذا التوحيد هو الاكسير الاعظم فلو وضع منه ذرة
على جبال الذنوب والخطايا لقلبتها حسنات وقال شيخ الاسلام الشرك نوعان اكبر
واصغر فمن خلص منهما وجبت له الجنة ومن مات على الاكبر وجبت له النار ومن خلص
من الاكبر وحصل له بعض الاصغر مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة فان تلك
الحسنات توحيد كثير مع يسير من الشرك الاصغر ومن خلص من الاكبر ولكن كثر
الاصغر حتى رجحت به كبيرة دخل النار فالشرك يواخذ به العبد اذا كان اكبر او
كان كثير الاصغر والاصغر القليل في جانب الاخلاص الكثير لا يواخذ به وفي هذه
الاحاديث كثرة ثواب التوحيد وسعة كرم الله وجوده ورحمته حيث وعد عباده
ان العبد لو اتاه بملء الارض خطايا وقدمات على التوحيد فانه يقابله با
المغفرة الواسعة التي تسع ذنوبه والرد على الخوارج الذين يكفرون المسلم با
الذنوب وعلى المعتزلة الذين يقولون بالمنزلة بين المنزلتين وهي منزلة الفا
سق فيقولون ليس بمؤمن ولا كافر ويخلد في النار والصواب في ذلك قول
اهل السنة انه لا يسلب عنه اسم الايمان على الاطلاق ولا يعطاه على الاطلاق بل
يقال هو مؤمن ناقص الايمان او مؤمن عاص او مؤمن بايمانه فاسق بكبيرته وعلى
هذا يدل الكتاب والسنة واجماع سلف الامة وقال المصنف تامل الخمس اللواتي في حد
يث عبادة فانك اذا جمعت بينه وبين حديث عتبان تبين لك معنى قول
لا اله الا الله وتبين لك خطا المغرورين وفيه ان الانبياء يحتاجون للتنبيه
على معنى قول لا اله الا الله وفيه التنبيه لوجهها بجميع المخلوقات مع ان كثيرا ممن
يقولها يخفى عليه انه وفيه انك اذا عرفت حديث انس عرفت ان قوله في حديث
عتبان ان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله انه ترك

قوله دخل النار
اي الا ان يعفو الله تعالى
فانه تبارك وتعالى واسع
المغفرة اهـ

الشرك ليس قولها باللسان انتهى ملخصا باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب
اي ولا عذاب وتحقيق التوحيد هو معرفته والاطلاع على حقيقته والقيام بها علما
وعملا وحقيقة ذلك هو انجذاب الروح الى الله محبة وخوفا وانابة وتوكلا ودعاء واخلاصا
واجلالا وهيبة وتعظيما وعبادة وبالجملة فلا يكون في قلبه شيء لغير الله ولا ارادة لما
حرم الله ولا كراهة لما امر الله وذلك هو حقيقة لا اله الا الله فان الاله هو المالوه
المعبود وما احسن ما قال ابن القيم فلو لم يكن واحد اتي ولد اعنى سبيل الحق والا
يمان وذلك هو حقيقة الشهادتين فمن قام بهما على هذا الوجه فهو من السبعين الفا
الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب قوله وقال تعالى ان ابراهيم كان امة
قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين مناسبة الاية للترجمة من جهة ان الله تعالى
وصف ابراهيم عليه السلام في هذه الاية بهذه الصفات الجليلة التي هي اعلا درجات
تحقيق التوحيد ترغيبا في اتباعه في التوحيد وتحقيق العبودية باتباع الاوامر و
ترك النواهي فمن اتبعه في ذلك فانه يدخل الجنة بغير حسابا ولا عذاب كما يدخلها ابرا
هيم عليه السلام الاولى انه كان امة اي قدوة واماما معلما للخير واماما يقتدى به
روي معناه عن ابن مسعود وما كان كذلك الا لتكميله مقام الصبر واليقين الذين
بهما تنال الامامة في الدين كما قال تعالى وجعلنا هم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا او
كانوا يايات يوقنون الثانية انه كان قانتا اي خاشعا مطيعا دائما على عبادته
وطاعته قال شيخ الاسلام القنوت في اللغة دوام الطاعة والمصلي اذا طال قيامه او
ركوعه او سجوده فهو قانت في ذلك كله قال تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا
وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه فجعله قانتا في حال السجود والقيام انتهى
فوصفه في هاتين الصفتين بتحقيق العبودية في نفسه اولا علما وعملا وثانيا دعوة
وتعليما واقتداء به وما كان يقتدى به الا لعلمه به في نفسه ووصفه في الثانية بالا
ستقامة على ذلك كما قال تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني

من المسلمين فتضمنت العلم والعمل والاستقامة والدعوة الثالثة انه كان حنيفا والحنيف
المايل اي مائلا ممن فاقصدا عن الشرك الى التوحيد كما قال تعالى حكاية عن ابي وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وقال تعالى فاقم
وجهك للدين حنيفا الاية الرابعة انه ما كان من المشركين اي هو موحد خالص
من شوائب الشرك مطلقا فنفى عنه الشرك بحيث لا ينسب اليه
شيء وان قل تكذيبا للكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابراهيم عليه السلام وقال
المصنف في الكلام على هذه الاية ان ابراهيم كان امة لئلا يستوحش سالك الطريق
من قلة السالكين قانتا لله لا للمملوك ولا للتجار المترفين حنيفا لا يميل يمينا ولا
شمالا كفعل العلماء المفتونين ولم يك من المشركين خلافا لمن كثر سوادهم وزعم
انه من المسلمين قلت وهو من احسن ما قيل في تفسير هذه الاية لكنه نبه بالادنى على الا
على وقوله لئلا يستوحش تنبيه على بعض معنى الامة وهو المنفرد وحده في الخير وقد
رواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس في قوله ان ابراهيم كان امة قانتا كان على الاسلام
ولم يكن في زمانه من قومه احد على الاسلام غيره فلذلك قال الله كان امة قانتا ولا
تنافي بينه وبين كلام ابن مسعود المتقدم قوله وقال والذين هم بربهم لا يشركون
مناسبة الاية للترجمة من جهة ان الله تعالى وصف المؤمنين السابقين الى الجنات
بصفات اعظمها الثناء عليهم بانهم بربهم لا يشركون اي شيء من الشرك في وقت من
الاوقات فان الايمان النافع مطلقا لا يوجد الا بترك الشرك مطلقا ولما كان
المؤمن قد يعرض له ما يقدح في ايمانه من شرك جلي او خفي نفى عنهم ذلك ومن كان
كذلك فقد بلغ من تحقيق التوحيد النهاية وفاز باعظم التجارة ودخل الجنة بلا
حساب ولا عذاب قال ابن كثير والذين هم بربهم لا يشركون اي لا يعبدون معه
غيره بل يوحدونه ويعلمون انه لا اله الا هو احد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا
وانه لا نظير له قال الحصين ابن عبد الرحمن قال كنت عند سعيد ابن جبير فقال ايكم راى

الكوكب الذي انقض البارحة قلت انا ثم قلت اما اني لم اكن في صلاة ولكني لدغت
قال فما صنعت قلت ارقيت قال فما حملك على ذلك قلت حديث حدثناه الشعبي
قال وما حدثكم الشعبي قلت حدثنا عن بريدة ابن الحصيب انه قال لا رقية الا من عين
او حمة فقال قد احسن من انتهى الى ما سمع ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال عرضت على الامم فرايت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان
والنبي وليس معه احد اذ رفع لي سواد عظيم فظننت انهم امتي فقيل لي هذا موسى وقومه
فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة
بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في اولئك فقال بعضهم
فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في
الاسلام فلم يشركوا بالله شيئا وذكروا اشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه
فقال هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام
عكاشة ابن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم
ثم قام رجل اخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة هكذا اورد
المصنف هذا الحديث غير معزو وقد رواه البخاري مختصرا ومطولا ومسلم واللفظ له و
الترمذي والنسائي قوله عن حصين ابن عبد الرحمن هو السلمي ابو الهذيل الكوفي ثقة ه
تغير حفظه في الاخر مات سنة ست وثلاثين ومايه وله ثلاث وتسعون سنة وسعيد ابن جبير
هو الامام الفقيه من جلة اصحاب ابن عباس روايته عن عائشة وابي موسى مرسلة وهو
كوفي مولى لبني اسد قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين قوله انقض
هو بالقاف والضاد المعجمة اي سقط والبارحة هي اقرب ليلة مضت قال ابو العباس
ثعلب يقال قبل الزوال رايت الليلة وبعد الزوال رايت البارحة وهكذا قال غيره
وهي مشتقة من برح اذا زال قوله اما اني لم اكن في صلاة القائل هو حصين خاف
ان يظن الحاظ انه ما راى النجم الا انه يصلي فاراد ان ينفي عن نفسه ايهام العبادة وانه

يصلي مع انه لم يكن فعل ذلك وهذا يدل على فضل السلف الصالح وحرصهم على الاخلاص
وشدة ابعادهم عن الرياء بخلاف من يقول فعلت وفعلت ليوهم الاعمال انه من الاولياء وربما علق السبحة في عنقه او اخذها في يده يمشي بها بين الناس اعلاما للناس انه
يسبح عدد ما فيها من الخرز وقد قال الامام محمد ابن وضاح حدثنا اسد عن جرير ابن
حازم عن الصلت ابن بهرام قال مر ابن مسعود بامراة معها تسبيح تسبح به فقطعه
والقاه ثم مر برجل يسبح بحصا فضربه برجله ثم قال لقد جئتم ببدعة ظلما او لقد
غلبتم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علما قوله ولكني لدغت هو بضم اوله وكسر ثانيه
مبني لما لم يسم فاعله اي لدغتني عقرب او نحوها قوله قلت ارقيت لفظ مسلم ا
سترقيت اي طلبت من يرقيني قوله فما حملك على ذلك فيه طلب الحجة على صحة المذ
هب قوله حديث حدثناه الشعبي اي حمل عليه حديث حدثناه الشعبي واسمه عامر
ابن شراحيل الهمداني بسكون الميم ولد في خلافة عمر وهو من الثقات التابعين وحفا
ظهم وفقهاءهم مات سنة ثلاث ومئة قوله عن بريدة بضم اوله وفتح ثانيه تصغير
بردة ابن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين ابن عبد الله ابن الحارث الاسلمي صحا
بي شهير مات سنة ثلاث وستين قاله ابن سعد قوله لا رقية الا من عين او حمة
روي هذا موقوفا وقد رواه احمد وابن ماجة عنه مرفوعا ورواه احمد وابو داود والتر
مذي عن عمران ابن حصين به مرفوعا قال الهيثمي رجال احمد ثقات والعين هي
اصابة العين غيره بعينه والحمة بضم المهملة وتخفيف الميم سم العقرب وشبهها قال
الخطابي ومعنا الحديث لا رقية اشفى او اولى من رقية العين والحمة وقد رقى النبي
صلى الله عليه وسلم ورقي قلت وسياتي ما يتعلق بالرقى ان شاء الله تعالى قوله قد احسن
من انتهى الى ما سمع اي من اخذ بما بلغه من العلم وعمل به فقد احسن لانه ادى ما وجب
عليه وعمل بما بلغه من العلم بخلاف من يعمل بجهل او لا يعمل بما يعلم فانه مسيء اثم وفيه
فضيلة علم السلف وحسن ادبهم وهديهم وتلطفهم في تبليغ العلم وارشادهم من اخذ

العائن

بشيء وان كان مشروعا الى ما هو افضل منه وان عمل بما بلغه عن الله وعن رسوله فقد
احسن ولا يتوقف العامل به على معرفة كلام اهل المذهب او غيرهم قوله ولكن حدثنا
ابن عباس هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم دعا له
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وكان كذلك وقال
عمر لولد ابن عباس اسكتا فما عشر منا احد اي فبلغ عشرة في العلم مات
بالطائف سنة ثمان وستين قال المصنف فيه رمي علم السلف لقوله قد احفظ من انتهى
الي ما سمع ولكن كذا وكذا فاعلم ان الحديث الاول لا يخالف الثاني قوله عرضت علي
الامم في رواية الترمذي والنسائي من رواية عنبسة ابن القاسم عن حصين ابن عبد
الرحمن ان ذلك كان ليلة الاسرى ولفظه لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم جعل يمر بالنبي
ومعه الواحد قال الحافظ فان كان ذلك محفوظا كانت فيه قوة لمن ذهب الى تعدد الاسراء
سرى به وقع بالمدينة ايضا غير الذي وقع بمكة كذا قال وليس بظاهر بل قد يكون
راى ذلك ليلة الاسرى ولم يحدث به الا في المدينة وليس في الحديث ما يدل على انه حدث
به قبيل ان العرض عليه قوله فرايت النبي ومعه الرهط هو الجماعة دون العشرة قاله
الجوهري قوله والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه احد فيه ان الانبياء متفاوتون في عدد اتباعهم وان بعضهم لا يتبعه احد وفيه الرد على من احتج بالاكثر وزعم
ان الحق محصور فيهم وليس كذلك بل الواجب اتباع الكتاب والسنة مع من كان
وان كان قوله اذ رفع لي سواد عظيم السواد ضد البياض والمراد هنا الشخص الذي
من بعيد اي رفع الي اشخاص كثيرة قوله فظننت انهم امتي استشكل الاسماعيلي
كونه صلى الله عليه وسلم لم يعرف امته حتى ظن انهم امة موسى عليه السلام وقد ثبت من حديث
ابي هريرة كيف تعرف من لم تر من امتك فقال انهم غر محجلون من اثار الوضوء واجاب
بان الاشخاص التي راها في الافق لا يدرك منها الا الكثرة من غير تمييز لاعيانهم واما
ما في حديث ابي هريرة فمحمول على ما اذا قربوا منه ذكره الحافظ قوله فقيل لي هذا موسى

ن
محجلون

وقومه اي موسى ابن عمران كليم الرحمن وقومه الذين اتبعوه وفيه فضيلة موسى وقومه
قوله فنظرت فاذا سواد عظيم لفظ مسلم بعد قوله هذا موسى وقومه ولكن انظر الى
الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي انظر الى الافق الاخر فنظرت فاذا سواد عظيم
فقيل لي هذه امتك قوله ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب
اي لتحقيقهم التوحيد قال الحافظ المراد بالمعية المعونة للعصبة فان السبعين
الفا المذكورون من جملة امته لكن لم يكونوا في الذين عرضوا ذلك فاريد الزيادة
في تكثير امته باضافة السبعين الفا اليهم قلت وما قاله ليس بظاهر فان رواية
فضيل وبد خول الجنة من هؤلاء من امتك سبعون الفا وقد ورد في حديث ابي
هريرة في الصحيحين وصف السبعين الفا بانهم تضيء وجوههم اضاءة القمر ليلة
البدر وفيهما عنه مرفوعا اول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر والذين على اثارهم
كاحسن كوكب دري في السماء اضاءة وقد جاء في احاديث اخر ان مع السبعين الفا
زيادة عليهم فروى احمد والبيهقي في البعث حديث ابي هريرة في السبعين الفا فذكره
وزاد قال فاستزدت ربي فزادني مع كل الف سبعين الفا قال الحافظ واسناده جيد
وفي الباب عن ابي ايوب عند الطبراني وعند حذيفة عند احمد وعن انس عند البزار
وعن ثوبان عند ابن ابي عاصم قال فهذه طرق يقوي بعضها بعضا قلت وجاء في
احاديث اخر اكثر من ذلك فاخرج الترمذي وحسنه والطبراني وابن حبان في صحيحه
من حديث ابي امامة رفعه وعدني ربي ان يدخل الجنة من امتي سبعين الفا مع كل
الف سبعين الفا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربي وروى
احمد وابو يعلى من حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعطيت سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر
وقلوبهم على قلب رجل واحد فاستزدت ربي عز وجل فزادني مع كل واحد سبعين
الفا قال الحافظ وفي سنده راويان احدهما ضعيف الحفظ والاخر لم يسم قلت وفيه

ان كل امة تحشر مع نبيها قوله ثم نهض اي قام قوله فخاض الناس في اولئك قال
النووي هو بالخاء والضاد المعجمتين اي تكلموا وتناظروا قال وفي هذا اباحة المنا
ظرة في العلم والمباحثة في نصوص الشرع على جهة الاستفادة واظهار الحق وفيه عمق
علم السلف لمعرفتهم انهم لم يبالوا ذلك الا بعمل وفيه حرصهم على الخير ذكره المصنف قوله
فقال هم الذين لا يسترقون هكذا ثبت في الصحيحين وفي رواية مسلم التي ساقها المصنف
هنا زيادة ولا يرقون وكان المصنف اختصرها كغيرها لما قيل انها معلولة قال شيخ الا
سلام هذه الزيادة وهم من الراوي لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لا يرقون لان الراقي
محسن الى اخيه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الرقا من استطاع منكم ان ينفع
اخاه فلينفعه وقال لا باس بالرقا ما لم تكن شركا قال وايضا فقد رقى جبريل النبي صلى
الله عليه وسلم ورقى النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه قال والفرق بين الراقي والمسترقي ان
المسترقي سائل مستعط ملتفت الى غير الله بقلبه والراقي محسن قال وانما المراد وصف
السبعين الفا بتمام التوكل فلا يسالون غيرهم ان يرقيهم ولا يكويهم ولا يتطيرون وكذا
قال ابن القيم ولكن اعترضه بعضهم بان قال تغليط الراوي مع امكان تصحيح الزيادة
لا يصار اليه والمعنى الذي حمله على التغليط موجود في المرقي لانه اعتل بان الذي لا يطلب
من غيره ان يرقيه تام التوكل فكذا يقال والذي يفعل به غيره ذلك ينبغي ان لا يمكنه منه
لاجل تمام التوكل وليس في وقوع ذلك من جبريل عليه السلام دلالة على المدعي ولا في فعل
النبي صلى الله عليه وسلم ايضا دلالة لانه في مقام التشريع وتبيين الاحكام كذا قال هذا
القائل وهو خطا من وجوه الاول ان هذه الزيادة لا يمكن تصحيحها الا بحملها على وجوه
لا يصح حملها عليها كقول بعضهم المراد لا يرقون بما كان شركا او احتمله فانه ليس في الحديث
ما يدل على هذا اصلا وايضا فعلى هذا لا يكون للسبعين مزية على غيرهم فان جملة المؤمنين
لا يرقون بما كان شركا الثاني قوله فكذا يقال الى اخره لم يصح هذا القياس فانه من افسد
القياس وكيف يقاس من سال وطلب على من لم يسئل مع انه قياس مع وجود الفارق

الشرعي

الشرعي فهو فاسد الاعتبار لانه تسوية بين ما فرق الشارع بينهما بقوله من اكتوا
او استرقى فقد برء من التوكل رواه احمد والترمذي وصححه وابن ماجة وصححه ابن
حبان والحاكم ايضا وكيف يجعل ترك الاحسان الى المخلوق سببا للسبق الى الجنان
وهذا بخلاف من رقى او رقي من غير سؤال فقد رقى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم
ولا يجوز ان يقال انه عليه السلام لم يكن متوكلا في تلك الحال الثالث قوله
ليس في وقوع ذلك من جبريل عليه السلام الى اخره كلام غير صحيح بل هما سيد المتوكلين
فاذا وقع ذلك منهما دل على انه لا ينافي التوكل فاعلم ذلك قوله ولا يكتوون اي لا يسا
لون غيرهم ان يكووهم كما لا يسئلون غيرهم ان يرقيهم استسلاما للقضا وتلذذا
بالبلا اما الكي في نفسه فجائز كما في الصحيح عن جابر ابن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث الى ابي ابن كعب طبيبا فقطع له عرقا وكواه وفي صحيح البخاري عن انس انه كوي
من ذات الجنب والنبي صلى الله عليه وسلم حي وروى الترمذي وغيره عن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم كوى سعد بن زرارة من الشوكة وفي صحيح البخاري عن ابن عباس مرفوعا الشفا
في ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية نار واما انهى عن الكي وفي لفظ وما احب ان اكتوي
قال ابن القيم فقد تضمنت احاديث الكي اربعة انواع احدها فعله والثاني عدم محبته له
والثالث الثنا على من تركه والرابع النهي عنه ولا تعارض بينها بحمد الله فان فعله لا يدل
على جوازه وعدم محبته له لا يدل على المنع منه واما الثنا على تاركيه فيدل على ان تركه اولى
وافضل واما النهي عنه فعلى سبيل الاختيار والكراهة قوله ولا يتطيرون اي لا يتشاء
مون بالطيور ونحوها وسياتي بيان الطيرة وما يتعلق بها في بابها ان شاء الله تعالى
قوله وعلى ربهم يتوكلون ذكر الاصل الجامع الذي تفرعت عنه هذه الافعال وهو
التوكل على الله وصدق الالتجاء اليه والاعتماد بالقلب عليه الذي هو خلاصة التعريد
ونهاية تحقيق التوحيد الذي يثمر كل مقام شريف من المحبة والخوف والرجاء والرضى به
ربا والها والرضا بالقضا بل ربما اوصل العبد الى التلذذ بالبلاء وعده من النعم فسبحان

من يتفضل على من يشاء بما شاء والله ذو الفضل العظيم واعلم ان الحديث لا يدل على انهم
لا يباشرون الأسباب اصلا كما يظنه الجهلة فان مباشرة الأسباب في الجملة امر فطري
ضروري لا انفكاك لاحد عنه حتى الحيوان البهيم بل نفس التوكل مباشرة لاعظم الاسباب
كما قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه انما المراد انهم يتركون الامور
المكروهة مع حاجتهم اليها توكلا على الله كالاسترقاء والاكتواء فتركهم له ليس لكونه
سببا لكن لكونه سببا مكروها لا سيما والمريض يلتبس فيما يظنه سببا الشفاء بخيط
للعنكبوت اما نفس مباشرة الاسباب والتداوي على وجه لا كراهة فيه فغير قادح
في التوكل فلا يكون تركه مشروعا كما في الصحيحين عن ابي هريرة مرفوعا ما انزل الله من
داء الا انزل له شفاء وعن اسامة ابن شريك قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم
وجاءت الاعراب فقالوا يا رسول الله انتداوى قال نعم يا عباد الله تداووا فان الله
عز وجل لم يضع داء الا وضع له شفاء غير داء واحد قالوا ما هو قال الهرم رواه احمد قال
ابن القيم فقد تضمنت هذه الاحاديث اثبات الاسباب والمسببات وابطال قول
من انكرها والامر بالتداوي وانه لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش
والحر والبرد باضدادها بل لا تتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب التي نصبها الله
مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا وان تعطيلها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الأمر
والحكمة ويضعفه من حيث يظن معطلها ان تركها اقوى من التوكل فان تركها عجز ينافي
التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ودفع
ما يضره في دينه ودنياه ولا بد من هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب والا كان معطلا
للحكمة والشرع فلا يجعل العبد عجزه توكلا ولا توكله عجزا وقد اختلف العلماء في التداوي
هل هو مباح وتركه افضل او مستحب او واجب فالمشهور عن احمد الاول لهذا الحديث
وفي معناه ولكن على ما تقدم لا يتم الاستدلال بمعنى ذلك والمشهور عند الشافعية
الثاني حتى ذكره النووي في شرح مسلم انه مذهبهم ومذهب جمهور السلف وعامة الخلف

واختاره

يغفر ان يشرك به اي لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به ويغفر ما دون ذلك اي من
الذنوب لمن يشاء من عباده قلت فتبين بهذا ان الشرك اعظم الذنوب
لان الله تعالى اخبر انه لا يغفره اي الا بالتوبة منه وما عداه فهو داخل تحت مشيئة
الله ان شاء غفره بلا توبة وان شاء عذب به وهذا يوجب للعبد شدة الخوف
من هذا الذنب الذي هذا شانه عند الله وانما كان كذلك لانه اقبح القبيح واظلم
الظلم اذ مضمونه تنقيص رب العالمين وصرف خالص حقه لغيره وعدل غيره به
كما قال تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ولانه مناقض للعبودية بالخلق والامر
منافاة له من كل وجه وذلك غاية المعاندة لرب العالمين والاستكبار عن طاعته
والذل له والانقياد لاوامره الذي لا صلاح للعالم الا بذلك فمتى خلا منه خرب وقامت
القيامة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله
رواه مسلم ولان الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق تعالى وتقدس في خصائص الالهية
من ملك الضر والنفع والعطاء والمنع الذي يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء
والتوكل وانواع العبادة كلها بالله وحده فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق
وجعل من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فضلا عن
غيره شبيها بمن له الخلق كله وله الملك كله وبيده الخير كله واليه يرجع الأمر كله
فازمة الامور كلها بيده سبحانه ومرجعها اليه فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن
لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع الذي اذا فتح للناس رحمة فلا ممسك لها وما
يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم فاقبح التشبيه تشبيه العاجز
الفقير بالذات بالقادر الغني بالذات ومن خصائص الالهية الكمال المطلق من جميع
الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب ان تكون العبادة كلها
وحده والتعظيم والاجلال والخشية والدعاء والرجاء والانابة والتوكل والتوبة
والاستعانة وغاية الحب مع غاية الذل كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة ان يكون

سوحده ويمتنع عقلا وشرعا وفطرة ان يكون لغيره فمن فعل شيئا من ذلك
لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثل له ولا ند وذلك اقبح التشبيه وابطله
فلهذه الامور وغيرها اخبر سبحانه انه لا يغفره مع انه كتب على نفسه الرحمة هذا معنى
كلام ابن القيم وفي الاية رد على الخوارج المكفرين بالذنوب وعلى المعتزلة القائلين
بان اصحاب الكبائر مؤبدين خلود النار ولا بد ولا يخرجون منها وهم اصحاب المنزلة
بين المنزلتين ووجه ذلك ان الله تعالى جعل مغفرة ما دون الشرك معلقة بالمشيئة
ولا يجوز ان يحمل هذا على التائب فان التائب لا فرق في حقه بين
الشرك وغيره كما قال تعالى في الاية الاخرى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فهنا عمم واطلق لان المراد
به التائب وهناك خص وعلق لان المراد به من لم يتب قاله شيخ الاسلام قوله
وقال الخليل عليه السلام رب اجنبني وبني ان نعبد الأصنام الصنم ما كان مخوتا
على صورة البشر والوثن ما كان منحوتا على غير ذلك ذكره الطبري عن مجاهد والظاهر
ان الصنم ما كان مصورا على اي صورة والوثن بخلافه كالحجر والبنية وان كان
الوثن قد يطلق على الصنم ذكر معناه غير واحد ويروى عن بعض السلف ما يدل عليه
قوله واجنبني اي اجعلني وبني في جانب عن عبادة الاصنام وباعد بيني وبينها قيل
واراد بذلك بنيه وبناته من صلبه ولم يذكر البنات لدخولهم تبعا في البنين
وقد استجاب الله دعاءه وجعل بنيه انبياء وجنبهم عبادة الاصنام وانما دعى
ابراهيم عليه السلام بذلك لان كثيرا من الناس افتتنوا بها كما قال رب انهن اضللن
كثيرا من الناس فخاف من ذلك ودعا الله ان يعافيه وبنيه من عبادتها فاذا
كان ابراهيم عليه السلام يسئل الله ان يجنبه وبنيه عبادة الاصنام فما ظنك
بغيره كما قال ابراهيم التيمي ومن يامن البلاء بعد ابراهيم رواه ابن جرير وابن ابي حاتم
وهذا يوجب للقلب الحي ان يخاف من الشرك لا كما يقول الجهال ان الشرك لا يقع في

٢ اجعل هذا البلد امنا وجيه

هذه

هذه الامة ولهذا امنوا الشرك فوقعوا فيه وهذا وجه مناسبة الاية للترجمة قال
وفي الحديث اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر فسئل عنه فقال الرياء هكذا
اورد المصنف هذا الحديث مختصرا غير معزو وقد رواه الامام احمد والطبراني وابن ابي
الدنيا والبيهقي في الزهد وهذا لفظ احمد قال حدثنا يونس حدثنا ليث عن يزيد
يعني ابن الهاد عن عمرو عن محمود ابن لبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف
ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله
يوم القيمة اذا جزى الناس باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل
تجدون عندهم جزاء قال المنذري ومحمود ابن لبيد راى النبي صلى الله عليه وسلم ولم
يصح له منه سماع فيما روى وذكر ابن ابي حاتم ان البخاري قال له صحبة قال وقال
ابي لا نعرف له صحبة ورجح ابن عبد البر والحافظ ان له صحبة وقال جل روايته عن الصحابة
وقد رواه الطبراني باسناد جيد عن محمود ابن لبيد عن رافع ابن خديج وقيل ان حديث
محمود هو الصواب دون ذكر رافع مات محمود سنة ست وتسعين وقيل سنة سبع ولد
تسع وتسعون سنة قوله ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر هذا من رحمته صلى الله
عليه وسلم لامته وشفقته عليهم وتحذيره مما يخاف عليهم فانه ما من خير الا دلهم عليه
وامرهم به وما من شر الا واخبرهم به وحذرهم عنه كما قال صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه
ما بعث الله من نبي الا كان حقا عليه ان يدل امته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما
يعلمه لهم ولما كانت النفوس مجبولة على محبة الرياسة والمنزلة في قلوب الخلق الا من سلم
الله كان هذا اخوف ما يخاف على الصالحين لقوة الداعي الى ذلك والمعصوم من عصم الله
وهذا بخلاف الداعي الى الشرك الاكبر فانه اما معدوم في قلوب المؤمنين الكاملين ولهذا
يكون الالتجاء في النار اسهل عندهم من الكفر واما ضعيف هذا مع العافية واما مع البلا
فيثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين
ويفعل الله ما يشاء فلذلك صار خوفه صلى الله عليه وسلم على اصحابه من الرياء اشد لقوة

الداعي وكثرته دون الشرك الاكبر لما تقدم مع انه اخبر انه لابد من وقوع عبادة الاوثان
في امته فدل ذلك على انه ينبغي للانسان ان يخاف على نفسه الشرك الاكبر اذا كان
الاصغر محوفا على الصالحين من الصحابة مع كمال ايمانهم فينبغي للانسان ان يخاف
الاكبر لنقصان ايمانه ومعرفته بالله فهذا وجه ايراد المصنف له هنا مع ان الترجمة
تشمل النوعين قال المصنف وفيه ان الرياء من الشرك وانه من الاصغر وانه اخوف
ما يخاف على الصالحين وفيه قرب الجنة والنار والجمع بين قربهما في حديث واحد
على عمل واحد متقارب في الصورة وقال عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من مات وهو يدعو لله ندا دخل النار رواه البخاري قال ابن
القيم الند الشبه يقال فلان ند فلان هو نديده اي مثله وشبهه انتهى وهذا
كما قال تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون وقال تعالى وجعل لله اندادا ليضل
عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار اي من مات وهو يدعو لله
ندا اي يجعل له ندا فيما يختص به تعالى ويستحقه من الربوبية والالهية دخل النار
لانه مشرك فان الله تعالى هو المستحق للعبادة لذاته لانه المالوه المعبود الذي تالهه
القلوب وترغب اليه وتفزع اليه عند الشدائد وما سواه فهو مفتقر اليه متعبد ربما
العبودية له تجري عليه اقداره واحكامه طوعا وكرها فكيف يصلح ان يكون ندا قال
الله تعالى وجعلوا لله من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين وقال ان كل من في
السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا الايتين وقال تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء
الى الله والله هو الغني الحميد فبطل ان يكون له نديد من خلقه تعالى عن ذلك علوا
كبيرا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى
بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون
واعلم ان دعاء الند على قسمين اكبر واصغر فالاكبر لا يغفره الله الا بالتوبة منه
وهو الشرك الاكبر واصغر كيسير الرياء وقول الرجل ما شاء الله وشئت ونحو ذلك

فقد

١ أندادا اصح

فقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له رجل ما شاء الله وشئت قال اجعلتني
لله ندا بل ما شاء الله وحده رواه ابن ابي شيبة والبخاري في الادب المفرد والنسائي
وابن ماجة وقد تقدم حكمه في باب فضل التوحيد قال ولمسلم عن جابر ان رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم قال من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه
يشرك به شيئا دخل النار جابر هو ابن عبد الله ابن عمرو بن حرام بهملتين الانصاري ثم
السلمي بفتحتين صحابي جليل مكثر ابن صحابي له ولابيه مناقب مشهورة رضي الله عنهما
مات بالمدينة بعد السبعين وقد كف بصره وله اربع وتسعون سنة قوله من لقي الله
لا يشرك به شيئا قال القرطبي اي من لم يتخذ معه شريكا في الالهية ولا في الخلق ولا في
العبادة ومن المعلوم من الشرع المجمع عليه عند اهل السنة ان من مات على ذلك
فلا بد له من دخول الجنة وان جرت عليه قبل ذلك انواع من العذاب والمحنة وان
مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة ويخلد في النار ابد الآبدين
من غير انقطاع عذاب ولا تصور امادوهذا معلوم ضروري من الدين مجمع عليه
بين المسلمين وقال النووي اما دخول المشرك النار فهو على عمومه فيه خلودها ويخلد
فيها ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي والنصراني وبين عبدة الاوثان وسائر
الكفرة ولا فرق عند اهل الحق بين الكافر عنادا وغيره ولا بين من خالف ملة الاسلام
وبين من انتسب اليها ثم حكم بكفره وبجحده وغير ذلك واما دخول من مات
غير مشرك الجنة اولا وان كان صاحب كبيرة مات مصرا عليها فهو تحت المشيئة فان
عفي عنه دخل الجنة اولا والا عذب في النار ثم اخرج الى الجنة وقال غيره اقتصر على نفي
الشرك لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء واستدعائه اثبات الرسالة باللزوم اذ
من كذب رسل الله فقد كذب الله ومن كذب الله فهو مشرك وهو كقولك من توضا
صحت صلاته اي مع سائر الشروط فالمراد من مات حال كونه مؤمنا بجميع ما يجب
الايمان به اجمالا في الاجمالي وتفصيلا في التفصيلي قلت قد تقدم بعض ما يتعلق

٢ فهو مقطوع له به لكن ان لم يكن صاحب كبيرة مات مصرا عليها دخل الجنة ح

بذلك في باب فضل التوحيد قال المصنف وفي تفسير لا اله الا الله كما ذكره البخاري في
صحيحه يعني ان معنى لا اله الا الله ترك الشرك وافراد الله بالعبادة كما بينه الحديث
وفيه فضيلة من سلم من الشرك ﴿باب الدعا الى شهادة ان لا اله الا الله﴾ لما بين المصنف
رحمه الله الامر الذي خلقت له الخليقة وفضله وهو التوحيد وذكر الخوف من ضده الذي
هو الشرك والذي يوجب لصاحبه الخلود في النار بنى عليه بهذه الترجمة على ان لا ينفع لمن
عرف ذلك ان يقتصر على نفسه كما يظن الجهال ويقولون اعمل بالحق واترك الناس
وما يعيبك من الناس بل يدعو الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي
احسن كما كان ذلك شان المرسلين واتباعهم الى يوم الدين وكما جرى للمصنف
واشباهه من اهل العلم والدين والصبر واليقين واذا اراد الدعوة الى ذلك فليبدء
بالدعوة الى التوحيد الذي هو معنى شهادة ان لا اله الا الله اذ لا تصح الاعمال الا به
وهو اصلها الذي بني عليه ومتى لم يوجد لم ينفع العمل بل هو حابط اذ لا تصح العبادة
مع الشرك كما قال تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم
بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون ولان معرفة معنى هذه الشهادة
هو اول واجب على العباد فكان اول ما يبدء به في الدعوة قال وقوله تعالى قل هذه
سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني الآية قال ابن كثير يقول تعالى لرسوله
صلى الله عليه وسلم آمرا له ان يخبر الناس ان هذه سبيله اي طريقته وسنته وهي الدعوة الى
شهادة ان لا اله الا الله يدعو الى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل
من اتبعه يدعو الى الله ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة وبرهان عقلي
شرعي وقوله وسبحان الله اي وانزه الله واجل واعظم عن ان يكون له شريك او نديد
تبارك وتعالى عن ذلك علوا كبيرا قلت فسبحان وجه المطابقة بين الاية والترجمة قيل
ويظهر ذلك اذا كان قوله ومن اتبعني عطفا على الضمير في ادعو الى الله فهو دليل على ان
اتباعه هم الدعاة الى الله وان كان عطفا على الضمير المنفصل فهو صريح في ان اتباعه

هم الدعاة الى الله وان كان عطفا على اهل البصيرة فيما جاء به دون من عداهم
والتحقيق ان العطف يتضمن المعنيين فاتباعه هم اهل البصيرة الذين يدعون
الى الله وفي الآية مسائل بنى عليها المصنف منها التنبيه على الاخلاص لان كثيرا
ولو دعى الى الحق فهو يدعو الى نفسه ومنها ان البصيرة من الفرائض ووجه ذلك
ان اتباعه صلى الله عليه وسلم واجب وليس اتباعه حقا الا اهل البصيرة فمن لم يكن
منهم فليس من اتباعه فتعين ان البصيرة من الفرائض ومنها من دلائل حسن التوحيد
انه تنزيه لله عن المسبة ومنها ان من قبح الشرك كونه مسبة لله ومنها ابعاد
المسلم عن المشركين لا يصير معهم ولو لم يشرك وكل هذه الثلاث في قوله
سبحان الله الآية قال وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
بعث معاذا الى اليمن قال انك تاتي قوما من اهل الكتاب فليكن اول ما
تدعوهم اليه شهادة ان لا اله الا الله وفي رواية الى ان يوحدوا الله فان هم
اطاعوك لذلك فاعلمهم ان الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة
فان اطاعوك لذلك فاعلمهم ان الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم
فترد على فقرائهم فان هم اطاعوك لذلك فاياك وكرائم اموالهم واتق
دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب اخرجاه قوله لما بعث معاذا الى
اليمن قال الحافظ كان بعث معاذا الى اليمن سنة عشر قبل حج النبي صلى الله عليه وسلم كما
ذكره المصنف يعني البخاري في اواخر المغازي وقيل كان ذلك في اواخر سنة تسع عند منصرفه
صلى الله عليه وسلم من تبوك رواه الواقدي باسناده الى كعب ابن مالك واخرجه ابن
سعد في الطبقات عن شيوخه عن ابن سعد انه كان في ربيع الاخر سنة عشر وقيل
بعد عام الفتح سنة ثمان واتفقوا على انه لم يزل على اليمن الى ان قدم في عهد ابي بكر
ثم توجه الى الشام فمات بها واختلف هل كان معاذ واليا او قاضيا فجزم ابن عبد البر
بالثاني والنسائي بالاول قلت الظاهر انه كان واليا قاضيا قوله انك تاتي

قوما من اهل الكتاب قال القرطبي يعني به اليهود والنصارى لانهم كانوا في اليمن اكثر من مشركي العرب واغلب وانما نبهه على هذا ليتهيا لمناظرتهم ويعد الادلة لامتحانهم لانهم اهل علم سابق بخلاف المشركين وعبدة الاوثان قال الحافظ هو كالتوطئة للوصية ليجمع همته عليها ثم ذكر معنا كلام القرطبي قلت وفيه ان مخاطبة العالم ليست كمخاطبة الجاهل والتنبيه على انه ينبغي للانسان ان يكون على بصيرة في دينه لئلا يتسلل بمن يحاول ان يورد عليه شبهة من علماء المشركين ففيه التنبيه على الاحتراس من التشبيه والحرص على طلب العلم قوله فليكن اول ما تدعوهم اليه شهادة ان لا اله الا الله يجوز رفع اول مع نصب شهادة وبالعكس قوله وفي رواية الى ان يوحدوا الله هذه الرواية في التوحيد من صحيح البخاري وبعض الروايات فادعهم الى شهادة ان لا اله الا الله وفي رسول الله وفي بعضها ان محمدا رسول الله واكثر الروايات فيها ذكر الدعوة الى الشهادتين واشار المصنف بايراد هذه الرواية الى التنبيه على معنا شهادة ان لا اله الا الله اذ معناها توحيد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه فلذلك جاء الحديث مرة بلفظ شهادة ان لا اله الا الله ومرة الى ان يوحدوا الله ومرة فليكن اول ما تدعوهم اليه عبادة الله فاذا عرفوا الله فاخبرهم ان الله افترض عليهم خمس صلوات وذلك هو الكفر بالطاغوت والايمان بالله الذي قال الله فيه فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لانفصام لها ومعنى الكفر بالطاغوت هو خلع الانداد والالهة التي تدعى من دون الله من القلب وترك الشرك بهما رأسا وبغضه وعداوته ومعنى الايمان بالله هو افراده بالعبادة التي تتضمن غاية الحب بغاية الذل والانقياد لامره وهذا هو الايمان بالله المستلزم للايمان بالرسل عليهم السلام المستلزم لاخلاص العبادة لله تعالى وذلك هو توحيد الله تعالى ودينه الحق المستلزم للعلم النافع والعمل الصالح وهو حقيقة شهادة ان لا اله الا الله وحقيقة المعرفة بالله وحقيقة عبادته وحده لا شريك له فلله ما افقه من روى هذا الحديث بهذه الالفاظ

المختلفة

المختلفة لفظا المتفقة معنى فعرفوا ان المراد من شهادة ان لا اله الا الله هو الاقرار بها علما ونطقا وعملا اخلافا لما يظنه الجهال ان المراد من هذه الكلمة هو مجرد النطق بها او الاقرار بوجود الله وملكه لكل شيء من غير شريك فان هذا القدر قد عرفه عباد الاوثان واقروا به فضلا عن اهل الكتاب ولو كان كذلك لم يحتاجوا الى الدعوة اليه وفيه دليل على ان التوحيد الذي هو اخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه هو اول واجب فلهذا كان اول ما دعت اليه الرسل عليهم السلام كما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وقال ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت قال شيخ الاسلام وقد علم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم واتفقت عليه الامة ان اصل الاسلام واول ما يؤمر به الخلق شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فبذلك يصير الكافر مسلما والعدو وليا والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال ثم ان كان ذلك من قلبه فقد دخل في الايمان وان قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الاسلام دون باطن الايمان وفيه البداءة في الدعوة والتعليم بالاهم فالاهم واستدل به من قال من العلماء انه لا يشترط في صحة الاء سلام النطق بالشهادتين من كل دين يخالف دين الاسلام لان اعتقاد الشهادتين يستلزم ذلك وفي ذلك تفصيل وفيه انه لا يحكم باسلام الكافر الا بالنطق بالشهادتين قال شيخ الاسلام فاما الشهادتان اذا لم يتكلم بهما مع القدرة فهو كافر بالنفاق المسلمين وهو كافر باطنا وظاهرا عند سلف الامة وايمتها وجماهير علمائها قلت هذا والله اعلم فيمن لا يقر بهما او باحدهما اما من كفر مع الاقرار بهما ففيه بحث والظاهر ان اسلامه هو توبته عما كفر به وفيه ان الانسان قد يكون قاريا عالما وهو لا يعرف معنى لا اله الا الله او يعرفه ولا يعمل به نبه عليه المصنف وقال بعضهم هذا الذي امر به النبي صلى الله عليه وسلم معاذا هو الدعوة قبل القتال التي كان يوصيها النبي صلى الله عليه وسلم امراءه قلت فعلى هذا فيه استحباب الدعوة قبل القتال لمن بلغته الدعوة اما من لم تبلغه فتجب دعوته قوله فانهم اطاعوك

لذلك اي شهدوا وانقادوا لذلك قوله فاعلمهم ان الله افترض عليهم خمس صلوات فيه
ان الصلاة بعد التوحيد والاقرار بالرسالة اعظم الواجبات واوجبها واستدل به على
ان الكفار غير مخاطبين بالفروع حيث دعاهم اولا الى التوحيد فقط ثم دعوا الى العمل ورتب
ذلك عليها بالفاء وايضا فان قوله فانهم اطاعوك لذلك فاخبرهم يفهم منه انهم لو لم
يطيعوا لم يجب عليهم شيء قال النووي وهذا استدلال ضعيف فان المراد علمهم انهم مطا
لبون بالصلوة وغيرها في الدنيا والمطالبة في الدنيا لا تكون الا بعد الاسلام ولا يلزم من
ذلك ان لا يكونوا مخاطبين بها ويزاد في عذابهم بسببها في الآخرة قال ثم اعلم ان المختار ان
الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المامور به والمنهي عنه هذا قول المحققين والاكثرين قلت
ويدل عليه قوله تعالى قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين الايات وفيه دليل على ان
الوتر ليس بفرض اذ لو كان فرضا لكان صلاة سادسة لا سيما وهذا في آخر الامر قوله
فانهم اطاعوك لذلك اي امنوا بان الله افترضها عليهم وفعلوها قوله فاعلمهم ان الله
افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم فيه دليل على ان الزكاة اوجب الا
ركان بعد الصلاة وانها تؤخذ من الاغنياء وتصرف الى الفقراء وانما خص النبي صلى الله عليه وسلم
الفقراء بالذكر مع انها تدفع الى المجاهد والعامل ونحوهما وان كانوا اغنياء لان الفقراء وان
اعلم اكثر من تدفع اليهم ولان حقهم اكد وفيه ان الامام هو الذي يتولى قبض الزكوة و
صرفها اما بنفسه او نائبه فمن امتنع عن ادائها اليه اخذت منه قهرا قيل وفيه دليل على انه يكفي
اخراج الزكوة في صنف واحد كما هو مذهب مالك واحمد وعلى ما تقدم لا يكون فيه دليل وفيه
انه لا يجوز دفعها الى غني ولا كافر وان الفقير لا زكاة عليه وان من ملك نصابا لا يعطى من
الزكاة من حيث انه جعل المأخوذ منه غنيا وقابلا بالفقير ومن ملك النصاب فالزكاة ما
خوذة منه فهو غني والغنى مانع من اعطاء الزكاة الا من استثني وان الزكاة واجبة في مال
الصبي والمجنون كما هو قول الجمهور لعموم قوله من اغنيائهم قوله فاياك وكرائم اموالهم
هو منصب كرائم على التحذير والكرائم جمع كريمة اي نفيسة قال صاحب المطالع هي جامعة الكمال

المكن في حقها من غزارة لبن وجمال صورة او كثرة لحم وصوف ذكره النووي وفيه انه
يحوم على العامل اخذ كرائم المال في الزكاة بل ياخذ الوسط ويحوم على صاحب المال اخراج
شر المال بل يخرج الوسط فان طابت نفسه باخراج الكريمة جاز قوله واتق دعوة المظلوم
اي احذر دعوة المظلوم واجعل بينك وبينها وقاية بفعل العدل وترك الظلم لئلا يدعوا
عليك المظلوم وفيه تنبيه على المنع من جميع انواع الظلم والنكتة في ذكر عقب المنع من
اخذ الكرائم اشارة الى ان اخذها ظلم ذكره الحافظ قوله فانه اي الشان ليس بينها وبين
الله حجاب اي لا تحجب عن الله تعالى بل ترفع اليه فيقبلها وان كان عاصيا كما في حديث ابي
هريرة عند احمد مرفوعا دعوة المظلوم مستجابة وان كان فاجرا ففجوره على نفسه واسناده
حسن قاله الحافظ وقال ابو بكر ابن العربي هذا وان كان مطلقا فهو مقيد بالحديث الآخر
ان الداعي على ثلاث مراتب اما ان يعجل له ما طلب واما ان يدخر له افضل منه واما يدفع
عنه من السوء مثله وهذا كما قيد مطلق قوله امن يجيب المضطر اذا دعاه بقوله تعالى
فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وفي الحديث ايضا قبول خبر اولي العدل ووجوب العمل به
وان الامام يبعث العمال لجباية الزكاة وانه يبعث عماله وولاته ويامرهم بتقوى الله تعالى
ويعلمهم ما يحتاجون اليه وينهاهم عن الظلم ويعرفهم قبيح عاقبته والتنبيه على التعليم بالتد
ريج ذكره المصنف واعلم انه لم يذكر في هذا الحديث ونحوه الصوم والحج مع ان بعث معاذ
كان في آخر الامر كما تقدم فاشكل ذلك على كثير من العلماء قال شيخ الاسلام اجاب بعض
الناس ان الرواة اختصر بعضهم الحديث وليس الامر كذلك فان هذا طعن في الرواة لان
هذا انما يقع في الحديث الواحد مثل حديث عبد القيس حيث ذكر بعضهم الصيام وبعضهم لم
يذكره فاما الحديثان المنفصلان فليس الامر فيهما كذلك ولكن عن هذا اجوبة احدها
ان ذلك بحسب نزول الفرائض واول ما فرض الله الشهادتين ثم الصلوة فانه امر بالصلاة
في اول اوقات الوحي ولهذا لم يذكر وجوب الحج في عامة الاحاديث انما جاء في الاحاديث
المتاخرة قلت وهذا من الاحاديث المتاخرة ولم يذكر فيها الجواب الثاني اذ كان

ظ
الواحد العدل وو
جوب العمل به

يذكر في مقام ما يناسبه فيذكر تارة الفرايض التي يقاتل عليها كالصلوة والزكاة ويذكر
تارة الصلوة والصيام لمن لم يكن عليه زكاة ويذكر تارة الصلوة والزكوة والصيام فاما
ان يكون قبل فرض الحج كما في حديث عبد القيس ونحوه واما ان يكون المخاطب بذلك لا حج
عليه واما الصلوة والزكوة فلهما شان ليس لسائر الفرايض ولهذا ذكرا سبحانه وتعالى في كتابه
القتال عليهما لانهما عبادتان ظاهرتان بخلاف الصوم فانه امر باطن وهو مما يتمن عليه
الناس فهو جنس الوضوء والاغتسال من الجنابة ونحو ذلك مما يؤتمن عليه العبد فان الانسان
يمكنه ان لا ينوي الصوم وان يأكل سرا كما يمكنه ان يكتم حدثه وجنابته بخلاف الصلوة
والزكوة وهو صلى الله عليه وسلم يذكر في الاعلام والاعمال الظاهرة التي يقاتل الناس عليها
ويصيرون مسلمين بفعلها فلهذا علق ذلك بالصلوة والزكاة دون الصيام وان كان
واجبا كما في اتي برائة نزلت بعد فرض الصيام باتفاق الناس وكذلك لما بعث معاذ
بن جبل الى اليمن لم يذكر في حديثه الصيام لانه تبع وهو باطن ولا ذكر الحج لان وجوبه
خاص ليس بعام وهو لا يجب في العمر الا مرة واحدة انتهى ملخصا بمعناه قوله اخرجاه اي
البخاري ومسلم في الصحيحين واخرجه ايضا احمد وابو داود والترمذي والنسائي وابن
ماجة قال ولهما عن سهل ابن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر
لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه
فبات الناس يدوكون ليلتهم ايهم يعطاها فلما اصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم كلهم يرجو ان يعطاها فقال اين علي ابن ابي طالب فقيل هو يشتكي عينيه
قال فارسلوا اليه فبصق في عينيه ودعا له فبرء حتى كان لم يكن به وجع فاعطاه الراية
وقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب
عليهم من حق الله تعالى فيه فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم
يدوكون اي يخوضون قال شيخ الاسلام هذا الحديث اصح ما روي لعلي رضي الله عنه من
الفضائل اخرجاه في الصحيحين من غير وجه قوله عن سهل ابن سعد اي ابن مالك ابن خالد

الانصاري

في الاسلام من لم يات بها لم يكن مسلما كاخلاص العبادة له والكفر بما يعبد من
دونه وفيه بعث الامام الدعاة الى الله كما كان النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون
يفعلون وفيه تعليم الامام امرائه وعماله ما يحتاجون اليه قوله فوالله
لان لم يهد الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم ان هي المصدرية واللام قبلها
مفتوحة لانها لام القسم وان وما دخلوا لها مسبوك بمصدر مرفوع على انه مبتدا خبره
خير وحمر بضم المهملة وسكون الميم والنعم بفتح النون والعين المهملة اي خير لك من
الابل الحمر وهي انفس اموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء قيل المراد خير
من ان تكون لك فتصدق بها وقيل تقتنيها وتملكها قلت هذا هو الاظهر والاول
لا دليل عليه اي انكم تحبون متاع الدنيا وهذا خير منه قال النووي وتشبيه امور
الآخرة بامور الدنيا انما هو للتقريب الى الافهام والا فذرة من الآخرة خير من الارض
باسرها وامثالها معها وفيه فضيلة الدعوة الى الله وفضيلة من اهتدى على يديه رجل
واحد وجواز الحلف على الفتيا والقضا والخبر والحلف بغير استحلاف باب تفسير
التوحيد وشهادة ان لا اله الا الله اي تفسير هاتين الكلمتين والعطف لتغاير اللفظين
والا فالمعنى واحد ولما ذكر المصنف في الابواب السابقة التوحيد وفضائله والدعوة
اليه والخوف من ضده الذي هو الشرك فكان النفوس اشتاقت لمعرفة هذا الامر
العظيم الذي خلقت له الخليقة والذي بلغ من شانه عند الله ان من لقيه به غفر له وان
لقيه بملاء الارض خطايا يبتدئ رحمة الله في هذا الباب الله ليس اسما لا معنى له او قولا لا
حقيقة له كما يظنه الجاهلون الذين يظنون ان غاية التحقيق فيه هو النطق بكلمة
الشهادة من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني والحاذق منهم يظن ان معنى الاله هو
الخالق المتفرد بالملك فيكون غاية معرفته هو الاقرار بتوحيد الربوبية وهذا ليس
هو المراد بالتوحيد ولا هو ايضا معنى لا اله الا الله وان كان لا بد منه في التوحيد
بل التوحيد اسم لمعنى عظيم وقول له معنى جليل هو اجل من جميع المعاني وحاصله هو البراءة

من عبادة كل ما سوى الله والاقبال بالقلب والعبادة لله وذلك هو معنى الكفر بالطاغوت
والايمان بالله وهو معنى لا اله الا الله كما قال تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم
وقال تعالى حكاية عن مؤمن ليس ومالي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون أأتخذ من
دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي
ضلال مبين وقال تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له ديني وقال تعالى حكاية
عن مؤمن آل فرعون ويا قوم مالي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني
لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لا جرم انما تدعونني
اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة والايات في هذا المعنى كثيرة تبين ان معنى
لا اله الا الله هو البراءة من عبادة ما سوى الله من الشفعاء والانداد وافراد الله
بالعبادة فهذا هو الهدى ودين الحق الذي ارسل الله به رسله وانزل به كتبه اما
قول الانسان لا اله الا الله من غير معرفة لمعناها ولا عمل به او دعواه انه من اهل التو
حيد بل بها يخلص لغير الله عباداته من الدعاء والخوف والذبح والنذر والتوبة والانابة
وغير ذلك من انواع العبادات فلا يكفي في التوحيد بل لا يكون الا شركا والحالة هذه
كما هو شان عباد القبور ثم ذكر المصنف رحمه الله ايات تدل على هذا فقال وقول الله
تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا قلت يتبين معنى هذه الاية
بذكر الاية التي قبلها وهي قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر
عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون الاية قال ابن كثير يقول تعالى قل للمشركين ادعوا
الذين زعمتم من دونه من الانداد وارغبوا اليهم فانهم لا يملكون كشف الضر عنكم اي بالكلية
ولا تحويلا اي ان يحولوه الى غيركم والمعنى ان الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له
قال العوفي عن ابن عباس في الاية كان اهل الشرك يقولون نعبد الملائكة والمسيح وعزيرا
وهم الذين يدعون يعني الملائكة والمسيح وعزيرا في قوله اولئك الذين يدعون الاية

١٢ الدين وامرت ان
اكون اول المسلمين قل
اني اخاف ان عصيت
ربي عذاب يوم عظيم
قل الله اعبد مخلصا له

٢ وهو لا يعرف التو حيد

روى البخاري عن ابن مسعود في الاية قال ناس من الجن كانوا يعبدون فاسلموا وفي
رواية كان ناس من الانس يعبدون ناسا من الجن فاسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم وقال السدي عن ابي صالح عن ابن عباس في الاية قال عيسى والله وعزير وقال
مغيرة عن ابراهيم كان ابن عباس يقول في هذه الاية هم عيسى وعزير والشمس
والقمر وقال مجاهد عيسى وعزير والملائكة وقوله ويرجون رحمته ويخافون عذابه
لان تم العبادة الا بالخوف والرجاء في التفسير المنسوب الى الطبري والحبق قل للمشركين
يدعون اصنامهم دعاء استغاثة فلا يقدرون كشف الضر عنهم ولا تحويلا الى غيرهم
اولئك الذين يدعون اي الملائكة المعبودة لهم يبتغون الى الله تعالى
فيرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا اي يحذره كل عاقل و
عن الضحاك وعطا انهم الملائكة وعن ابن عباس اولئك الذين يدعون عيسى والله
وعزير قال شيخ الاسلام وهذه الاقوال كلها حق فان الاية تعم من كان معبودا عا
بدا له سواء كان من الملائكة او من الجن او من البشر والسلف في تفسيرهم يذكرون جنس
المراد بالاية على نوع التمثيل كما يقول الترجمان لمن سأله ما معنى لفظ الخبز فيريد غيفا
فيقول هذا فالاشارة الى نوعه لا الى عينه وليس مرادهم بذلك تخصيص نوع دون
نوع مع شمول الاية للنوعين فالاية خطاب لكل من دعي دون الله مدعوا وذلك
المدعو ابتغى الى الله الوسيلة ويرجو رحمة ويخاف عذابه فكل من دعي ميتا او غائبا
من الانبياء والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة او غيرها فقد تناولته هذه الاية
كما تتناول من دعي الملائكة والجن ومعلوم ان هؤلاء كلهم عبيد مربوبون وسائط فيما يقدره
الله بافعالهم ومع هذا فقد نهى الله عن دعائهم وبين انهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين
ولا تحويله لا يوقفونه بالكلية ولا يحولونه من موضع الى موضع كتغيير صفته او قدره ولهذا
قال ولا تحويلا فذكر نكرة تعم انواع التحويل فكل من دعي ميتا او غائبا من الانبياء والصا
لحين او دعي الملائكة او دعي الجن فقد دعي من لا يغيثه ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله

انتهى وبنحو ما تقدم من كلام هؤلاء قال جميع المفسرين فتبين ان معنى التوحيد وشهادة
ان لا اله الا الله هو ترك ما عليه المشركون من دعوة الصالحين والاستشفاع بهم
الى الله في كشف الضر وتحويله فكيف بمن اخلص لهم الدعوة وانه لا يكفي في التوحيد د
عواه والنطق بكلمة الشهادة من غير مفارقة لدينه المشركين وان دعاء الصالحين
لكشف الضر وتحويله هو الشرك الاكبر نبه عليه المصنف قال وقوله واذ قال
ابراهيم لابيه وقومه اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني الاية قال ابن كثير
يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وخليله امام الحنفاء ووالد من بعث بعده من
من الانبياء الذي تنتسب اليه قريش في نسبها ومذهبها انه تبرء من ابيه وقومه
في عبادتهم الاوثان فقال اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين
وجعلها كلمة باقية في عقبه اي هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع
ما سواه من الاوثان وهي لا اله الا الله اي جعلها في ذريته يقتدي به فيها من هداه
الله منهم ذرية ابراهيم عليه السلام لعلهم يرجعون اي اليها قال عكرمة ومجاهد
والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه يعني لا اله
الا الله لا يزال في ذريته من يقولها وقال ابن زيد كلمة الاسلام وهو يرجع الى ما قاله
الجماعة قلت روى ابن جرير عن قتادة في قوله الا الذي فطرني فانه خلقني وعنه اني
براء مما تعبدون الا الذي فطرني قال انهم يقولون ان الله ربنا ولئن سئلتهم من
خلقهم ليقولن الله فلم يبرء من ربه رواه عبد ابن حميد قلت يعني ان قوم ابراهيم يعبدون
الله ويعبدون غيره فتبرء مما يعبدون الا الله كما يظن الجهال ان الكفار لا يعرفون
الله ولا يعبدونه اصلا وروى ابن جرير وابن المنذر عن قتادة وجعلها كلمة باقية في
عقبه قال الاخلاص والتوحيد لا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده فتبين بهذا
ان معنى لا اله الا الله هو البرائة مما يعبدون من دون الله وافراد الله بالعبادة وذلك
هو التوحيد لا مجرد الاقرار بوجود الله وملكه وقدرته وخلقه لكل شيء فان هذا يقربه

الكفار

الكفار وذلك هو معنى قوله اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فاستثنى من المعبودين
ربه وذكر سبحانه ان هذه البرائة وهذه الموالاة هي شهادة ان لا اله الا الله قال المصنف
قال وقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله الآية
الاحبار هم العلماء والرهبان هم العباد وهذه الاية قد فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعدي ابن حاتم وذلك انه لما جاء مسلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرء
هذه الاية قال فقلت انهم لم يعبدوهم فقال بلى انهم حرموا عليهم الحلال وحللوا لهم
الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم اياهم رواه احمد والترمذي وحسنه وعبد ابن حميد
وابن سعد وابن ابي حاتم والطبراني وغيرهم من طرق وهكذا قال جميع المفسرين قال
السدي استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ولهذا قال تعالى وما امروا
الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو اي الذي اذا حرم شيئا فهو الحرام وما احله حل وما
شرعه اتبع سبحانه وتعالى عما يشركون اي تعالى وتقدس عن الشركاء والنظراء والاضداد
والانداد لا اله الا هو ولا رب سواه ومراد المصنف رحمه الله بايراد الاية هنا ان الطاعة
في تحريم الحلال وتحليل الحرام من العبادة المنفية عن غير الله تعالى ولهذا فسرت العبادة بالطاعة
الطاعة وفسر الاله بالمعبود المطاع فمن اطاع مخلوقا في ذلك فقد عبده اذ معنى التوحيد
شهادة ان لا اله الا الله يقتضي افراد الله بالطاعة وافراد الرسول بالمتابعة فان من اطا
ع الرسول صلى الله عليه وسلم فقد اطاع الله وهذا من اعظم ما يبين التوحيد وشهادة ان
لا اله الا الله لانها تقتضي نفي الشرك في الطاعة فمن اطاع بشرك العبادة كالدعاء والاء
ستعانة والتوبة وسؤال الشفاعة وغير ذلك من انواع الشرك في العبادة وسياتي
مزيد لهذا ان شاء الله تعالى في باب من اطاع العلماء والامراء قال وقوله ومن الناس من
يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله الاية قال المصنف رحمه الله في مسائلها ومنها
اي من الامور المبينة لتفسير التوحيد وشهادة ان لا اله الا الله اية البقرة في الكفار الذين
قال الله فيهم وما هم بخارجين من النار ذكر انهم يحبون اندادهم كحب الله فدل على انهم

يحبون الله حبا عظيما ولم يدخلهم في الاسلام فكيف بمن احب الند حبا اكبر من حب الله
فكيف بمن لم يحب الا الند وحده ولم يحب الله قلت مراده ان معنى التوحيد وشهادة
ان لا اله الا الله هو افراد الله باصل المحب الذي يستلزم اخلاص العبادة لله وحده لا شريك
له وعلى قدر التفاضل في هذا الاصل ومايبنى عليه من الاعمال الصالحة يكون تفاضل
الايمان والجزاء عليه في الاخرة من اشرك بالله تعالى في ذلك فهو المشرك لهذه الاية
ولخبر تعالى عن اهل هذا الشرك انهم يقولون لالهتهم وهم في الجحيم تالله ان كنا لفي
ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم انهم ما ساووهم به في الخلق والرزق
وانما ساووهم به في المحبة والالهية والتعظيم والطاعة فمن قال لا اله الا الله وهو مشرك
بالله في هذه المحبة فما قالها حق القول وان نطق بها اذ هو قد خالفها بالعمل كما قال
المصنف فكيف بمن احب الند حبا اكبر من حب الله وسيأتي الكلام على هذه الاية في بابها
ان شاء الله تعالى قال في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله
وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله ش قوله في الصحيح
اي في صحيح مسلم عن ابي مالك الاشجعي عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وابو مالك
اسمه سعد ابن طارق كوفي ثقة مات في حدود الاربعين ومائة وابوه طارق
ابن اشيم بالمعجمة والمثناة التحتية وزن ابن مسعود الاشجعي صحابي له احاديث
قال مسلم لم يرو عنه ابنه قوله من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله اعلم
ان النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث علق عصمة المال والدم بامرين الاول قول
لا اله الا الله والثاني الكفر بما يعبد من دون الله فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى
بل لابد من قولها والعمل بها قال المصنف وهذا من اعظم ما يبين معنى لا اله الا الله
فانه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال بل ولا معرفة معناها مع التلفظ بها
والاقرار بذلك بل ولا كونه لا يدعو الا الله وحده لا شريك له بل لا يحرم دمه وماله
حتى يضيف الى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فان شك او تردد لم يحرم ماله ودمه

فيالها

ظ
م افعل

فيالها من مسئلة ما اجلها وياله من بيان ما اوضحه وحجة ما اقطعها للمنازع قلت
وقد اجمع العلماء على معنى ذلك فلا بد في العصمة من الاتيان بالتوحيد والتزام
احكامه وترك الشرك كما قال تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين
كله لله والفتنة ههنا الشرك فدل انه اذا وجد الشرك فالقتال باق بحاله كما قال
تعالى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة وقال تعالى فاذا انسلخ الاشهر
الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا
لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله
غفور رحيم فامر بقتالهم على فعل التوحيد وترك الشرك واقامة شعائر الدين
الظاهرة فاذا فعلوها خلي سبيلهم ومتى ابوا عن فعلها او فعل شيء منها فا
لقتال باق بحاله اجماعا ولو قالوا لا اله الا الله وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم علق
العصمة بما علقها الله به في كتابه كما في هذا الحديث وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة
مرفوعا امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما
جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله
وفي الصحيحين عنه قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفر من كفر من
العرب فقال عمر ابن الخطاب لابي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا
الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله فقال ابو بكر والله لاقاتلن
من فرق بين الصلوة والزكوة فان الزكوة حق المال والله لو منعوني عقالا كانوا
يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه فقال عمر ابن الخطاب
فوالله ما هو الا ان رايت الله قد شرح صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق لفظا
مسلم فانظر كيف فهم صديق الامة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد مجرد اللفظ بها من
غير التزام لمعناها واحكامها فكان ذلك هو الصواب واتفق عليه الصحابة فلم يختلف

فيه منهم انسان الا ما كان من عمر حتى يرجع الى الحق وكان فيهم الصديق رضي الله عنه هو الموافق
لنصوص القرآن والسنة وفي الصحيحين ايضا عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة فاذا فعلوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها
وحسابهم على الله فهذا الحديث كاية براءة بين فيه ما يقاتل عليه الناس ابتداء
فاذا فعلوه وجب الكف عنهم الا بحقه فان فعلوا بعد ذلك ما ينقض هذا الاقرار
والدخول في الاسلام وجب القتال حتى يكون الدين كله لله بل لو اقروا بالاركان الخمسة
وفعلوها وابوا عن فعل الوضوء للصلاة ونحوه او عن تحريم بعض محرمات الاسلام
كالربا او كالزنا ونحو ذلك وجب قتالهم اجماعا ولم تعصمهم لا اله الا الله ولا ما فعلوه
من الاركان وهذا من اعظم ما يبين معنى لا اله الا الله وانه ليس المراد منها مجرد النطق
فاذا كانت لا تعصم من استباح محرما او ابى فعل الوضوء مثلا بل يقاتل على ذلك حتى يفعل
فكيف تعصم من دان بالشرك وفعله واجبه ومدحه وابتغى على اهله ووالى عليه وعادا على
وابغض التوحيد الذي هو اخلاص العبادة لله وتبرء منه وحارب اهله وكفرهم وصد عن
سبيل الله كما هو شان عباد القبور وقد اجمع العلماء على ان من قال لا اله الا الله وهو
مشرك انه يقاتل حتى ياتي بالتوحيد **ذكر التنبيه على كلام العلماء في ذلك**
فان الحاجة داعية اليه لدفع شبه عباد القبور في تعليقهم بهذه الاحاديث وما في
معناها مع انها حجة عليهم بحمد الله لانهم **قال** ابو سليمان الخطابي في قوله امرت
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله معلوم ان المراد بهذا اهل الاوثان دون
اهل الكتاب لانهم يقولون لا اله الا الله ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف **وقال**
القاضي عياض اختصاص عصم المال والنفس بمن قال لا اله الا الله تعبيره عن الاجابة
الى الايمان وان المراد بذلك مشركو العرب واهل الاوثان ومن لا يوحد منهم كانوا اول
من دعوا الى الاسلام وقوتلوا عليه فاما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكفي في عصمته بقوله

لا اله الا الله وكان يقولها في كفره وهي من اعتقاده فذلك جاء في الحديث الآخر ٢ النووي ٢
ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكوة **وقال** ٢ لا بد مع هذا من الايمان بجميع ما جاء به
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الرواية الاخرى ويؤمنوا بي وبما جئت به
وقال شيخ الاسلام لما سئل عن قتال التتار مع التمسك بالشهادتين ولما
زعموا من اتباع اصل الاسلام فقال كل طائفة ممتنعة عن التزام شرائع الاسلام
الظاهرة المتواترة من هؤلاء القوم او غيرهم فانه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه
وان كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه كما قاتل ابو
بكر والصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة وعلى ذلك اتفق العلماء بعدهم قال
فاي طائفة ممتنعة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات او الصيام او الحج او
عن التزام تحريم الدماء والاموال او الخمر او الميسر او نكاح ذوات المحارم او عن التزام
جهاد الكفار او ضرب الجزية على اهل الكتاب او غير ذلك من التزام واجبات الدين
او محرماته التي لا عذر لاحد في جحودها او تركها التي يكفر الواحد بجحودها فان
الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وان كانت مقرة بها وهذا مما لا اعلم فيه خلافا بين
العلماء والمقصود التنبيه على ذلك ويكفي العاقل المنصف ما ذكره العلماء من كل
مذهب في باب حكم المرتد فانهم ذكروا فيه اشياء كثيرة يكفر بها الانسان ولو اتى
بجميع الدين وهو صريح في كفر عباد القبور ووجوب قتالهم ان لم ينتهوا حتى يكون
الدين كله لله وحده فان كان من التزم شرائع الدين كلها الا تحريم الميسر او
الربا او الزنا يكون كافرا يجب قتاله فكيف بمن اشرك بالله ودعى الى اخلاص الدين
فابى عن ذلك واستكبر وكان من الكافرين **قوله** وحسابه على الله اي الله تبارك
وتعالى هو الذي يتولى حسابه فان كان صادقا من قلبه جازاه بجنات النعيم وان
كان منافقا عذبه العذاب الاليم واما في الدنيا فالحكم على الظاهر فمتى اتى بالتوحيد
والتزم شرائعه ظاهرا وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك واستدل

٢ قال وهو قول عند المحققين من العلماء لسوا بمنزلة البغاة بل هم خارجون عن الاسلام بمنزلة مانعي الزكاة ونظائر هذا كثير في كلام العلماء

الشافعية بالحديث على قبول توبة الزنديق وهو الذي يظهر الاسلام ويسر الكفر و
المشهور في مذهب احمد ومالك انها لا تقبل لقوله تعالى الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا و
الزنديق لا يتبين رجوعه لانه مظهر الاسلام مسر للكفر فاذا اظهر التوبة لم يزد على ما كان
من قبلها والحديث محمول على المشرك ويتفرع على ذلك سقوط القتل وعدمه اما في
الاخرة فان كان صادقا قبلت وفيه وجوب الكف عن الكافر اذا دخل في الاسلام ولو
في حال القتال حتى يتبين منه ما يخالف ذلك وفيه ان الانسان قد يقول لا اله الا الله
ولا يكفر بما يعبد من دون الله وفيه ان شروط الايمان الاقرار بالشهادة مع الكفر بما يعبد
من دون الله مع اعتقاد ذلك واعتقاد جميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه
ان احكام الدنيا على الظاهر وان مال المسلم ودمه حرام الا في حق كالقتل قصاص ونحوه
وتعريف قيمة ما يتلفه **قوله** وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الابواب يعني ان
ما يأتي بعد هذه الترجمة من الابواب شرح للتوحيد وشهادة ان لا اله الا الله
لان معنى التوحيد وشهادة ان لا اله الا الله ان لا يعبد الا الله ولا يعتقد النفع والضر
الا في الله وما بعد هذا من الابواب بيان لانواع من العبادة والاعتقادات التي
يجب اخلاصها لله تعالى وذلك هو معنى التوحيد وشهادة ان لا اله الا الله والله اعلم

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء ودفعه رفع البلاء
ازالته بعد حصوله ودفعه منعه قبله ومن هنا ابتدأ المصنف في تفسير التوحيد
وشهادة ان لا اله الا الله بذكر شيء مما يضاد ذلك من انواع الشرك الاكبر والاصغر
فان الضد لا يعرف الا بضده كما قيل وبضدها تتبين الاشياء فمن لم يعرف الشرك
لم يعرف التوحيد وبالعكس فبدأ بالاصغر الاعتقادي انتقالا من الادنى الى الاعلى

قال وقول الله تعالى قل افرأيتم ما تدعون من دون الله بضر هل هن كاشفات
ضره الاية قال ابن كثير في تفسيرها اي لا تستطيع شيئا من الامر قل حسبي الله اي الله كافي
من توكل عليه وعليه يتوكل المتوكلون كما قال هود عليه السلام حين قال له قومه ان نقول

الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال اني اشهد والله واشهدوا اني بريء مما تشركون
من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة
الا هو اخذ بناصيتها الاية قلت حاصله ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان
يقول للمشركين ارأيتم اي اخبروني عما تدعون من دون الله اي تعبدونهم و
تسألونهم من الانداد والاصنام والالهة المسميات باسماء الاناث اللات اسما
هن على بطلانهن وعجزهن لان الالوهية من باب الدين والرحاوة كاللات
والعزى ان اراد بي الله بضر اي بمرض او فقر او بلاء او شدة هل هن كاشفات
ضره اي لا يقدرون على ذلك اصلا او اراد بي برحمة اي صحة وعافية وخير و
كشف بلاء هل هن ممسكات رحمته قال مقاتل فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم
فسكتوا اي لانهم لا يعتقدون ذلك فيها وانما كانوا يدعونها على معنى انها و
سائط وشفعاء عند الله لا لانهم يكشفون الضر ويجيبون دعاء المضطر فهم
يعلمون ان ذلك لله وحده كما قال تعالى ثم اذا مسكم الضر فاليه تجئرون ثم اذا
كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وقد دخل في ذلك كل من دعى
من دون الله من الملئكة والانبياء والصالحين فضلا عن غيرهم فلا يقدر
احد على كشف ضر ولا امساك رحمة كما قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا
ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم واذا كان كذلك
بطلت عبادتهم ودعوتهم من دون الله واذا بطلت عبادتهم فبطلان دعوى
الالهية والاصنام ابطل وابطل ولبس الحلقة والخيط لرفع البلاء او دفعه كذ
لك فهذا وجه استدلال المصنف بالاية واذا كانت الترجمة في الشرك الاصغر
فان السلف يستدلون بما نزل في الاكبر على الاصغر كما استدل حذيفة وابن عباس
وغيرهما وكذلك من جعل رؤس الحيوان ونحوها في البيت والزرع لدفع العين كما
يفعله اشباه المشركين فانه يدخل في ذلك وقد يحتجون على ذلك بما رواه

ابو داود في المراسيل عن علي ابن الحسين مرفوعا امرنوا فان الحرث صابك والكثروا
فيه من الجاجم وعنه اجوبه احدها انه حديث ساقط مرسل وابو داود [redacted] في
مراسيله جميع المراسيل الصحيحة الاسناد وقد ضعفه السيوطي وغيره [redacted] انه
اختلف في تفسير الجاجم فقيل هي البذر ذكره العزيزي في شرح الجامع وقيل هي الحسبة
التي يكون في رأسها سكة الحرث قاله ابو السعادات وابن الاثير في النهاية وقيل
هي جاجم رؤس الحيوان ذكره العزيزي وغيره وعلى هذا فقيل امر بجعلها لدفع
الطير ذكره العزيزي وغيره وهذا هو الاقرب على هذا القول لو ثبت الحديث
مع انه باطل وقيل بل لدفع العين وفيه حديث ساقط انه امر بالجاجم في الزرع من اجل العين
وهو مع ذلك منقطع ذكره السيوطي وغيره وهذا المعنى هو الذي تعلق به اشباه
المشركين ولا ريب انه معنى باطل لم يرده النبي صلى الله عليه وسلم لو كان الحديث
صحيحا وكيف يريده وقد امر بقطع الاوتار كما في الصحيح وقد من تعلق شيئا
وكل اليه وقال من تعلق ودعة فلا ودع الله له وكانوا يجعلون ذلك من اجل العين
كما سيأتي فهذا ارخص لهم فيه الثالث انه مضاد لدين الاسلام الذي بعث الله به
رسله فان الله تعالى انما ارسل الرسل وانزل الكتب ليعبد وحده لا يشرك به شيء
لا في العبادة ولا في الاعتقاد وهذا من جنس فعل الجاهلية الذين يعتقدون
البركة والنفع والضر فيما لم يجعل الله فيه شيئا من ذلك ويعلقون التمائم والودع
ونحوها على انفسهم لدفع الامراض فيما زعموا فان قيل الفاعل لذلك لم يعتقد النفع
فيه استقلالا فان ذلك لله وحده فهو النافع الضار وانما اعتقد ان الله جعله
سببا لغيره من الاسباب قيل هذا باطل ايضا فان الله لم يجعل ذلك سببا اصلا
وكيف يكون الشرك سببا لجلب الخير ودفع الضر ولو قدر ان فيه بعض النفع فهو
كالخمر والميسر فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما فان قيل كيف
يكون شركا وقد روى ابو داود ذلك في مراسيله وغيره من العلماء يروون

الخبر

الحديث ولم ينكروه قيل اهل العلم يروون الاحاديث الضعيفة والموضوعة لبيان
حالها واسنادها لا للاعتماد عليها والاعتقاد بها وكتب المحدثين مشحونة بذلك
فبعضهم يذكر علة الحديث ويبين حاله وضعفه وان كان ضعيفا او موضوعا وبعضهم يكتفي بايراد الحديث باسناده ويروى انه قد يرى من عهدته اذا
اورده باسناده لظهور حاله رواية كما يفعل ذلك الحافظ ابو نعيم وابو القاسم
ابن عساكر وغيرهما فليس في رواية من رواه وسكوته عنه دليل على انه عنده صحيح
او حسن او ضعيف بل قد يكون موضوعا عنده فلا يدل سكوته عنه على جواز
العمل به عنده وسيأتي في الكلام على حديث قطع الاوتار ما يدل على النهي عن هذا
من كلام العلماء قال عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا في
يده حلقة من صفر فقال ما هذه قال من الواهنة فقال انزعها فانها لا تزيدك
الا وهنا فانك لو مت وهي عليك ما افلحت ابدا رواه احمد بسند لا بأس به
هذا الحديث ذكره المصنف بمعناه اما لفظه فقال الامام احمد حدثنا خلف ابن الوليد
حدثنا المبارك عن الحسن قال اخبرني عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم ابصر
على عضد رجل حلقة قال اراه من صفر فقال ويحك ما هذه قال من الواهنة قال
اما انها لا تزيدك الا وهنا انبذها عنك فانك لو مت وهي عليك ما افلحت
ابدا ورواه ابن ماجة دون قوله انبذها الى آخره وابن حبان في صحيحه وقال فانك
ان مت وكلت اليها والحاكم وقال صحيح الاسناد واقره الذهبي قال المنذري في رواته
كلهم عن مبارك ابن فضالة عن الحسن عن عمران ورواه ابن حبان ايضا بنحوه عن
ابي عامر الخزاز عن الحسن وهذا مسانقة جيده الا ان الحسن اختلف في سماعه عن
عمران قال ابن المديني وغيره لم يسمع منه وقال الحاكم اكثر مشايخنا على انه سمع منه
قلت ورواية الامام احمد ظاهرة في سماعه منه فهو الصواب قوله عن عمران ابن
حصين اي ابن عبيد ابن خلف الخزاعي ابو نجيد بنون وجيم مصغر صحابي ابن صحابي

عند ع

اسلم عام خيبر ومات سنة اثنين وخمسين بالبصرة قوله راى رجلا في رواية الحاكم
دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عضده حلقة من صفر فقال ما هذه
قلت من الواهنة فقال انبذها فانها لا تزيدك الا وهنا فالمبهم في رواية احمد ومن وافقه هو عمران
راوي الحديث قوله فقال ما هذه يحتمل ان الاستفهام للاستفصال هل لبسها
تحليا ام لا ويحتمل ان يكون للانكار فظن اللابس انه ستفصل قوله من الوا
هنة قال ابو السعادات الواهنة عرق ياخذ في المنكب وفي اليد كلها فيرتى
منها وقيل هو مرض ياخذ في العضد وربما علق عليها جنس من الخرز يقال له
خرز الواهنة وهي تاخذ الرجال دون النساء قال وانما نهاه عنها لانه اتخذها
على معنى تعصمه من الالم فكان عنده في معنى التمائم قلت وفيه استفصال للفتيا
واعتبار المقاصد قوله انزعها فانها لا تزيدك الا وهنا لفظ الحديث لفظه
وهو ابلغ اي اطرحها والنزع هو الجذب بقوة والنبذ يتضمن خلاصة وزيادة
وهو الطرح والابعاد امره بطرحها عنه واخبر انها لا تنفعه بل تضره فلا تزيده
الا وهنا اي ضعفا وكذلك كل امر نهي عنه فانه لا ينفع فاعله الصلا وان نفع بعضه
فضرره اكبر من نفعه وفيه النهي عن تعليق الخرز وغيرها على المريض او غيره
والتنبيه على النهي عن التداوي بالحرام ورجح ابو داود باسناد حسن والبيهقي
عن ابي الدرداء مرفوعا في حديث تداووا ولا تداووا بحرام فان قيل كيف
قال صلى الله عليه وسلم لا تزيدك الا وهنا وهي ليست علة قيل هذا والله اعلم
يكون عقوبة له على شركه لانه وضعها لدفع الواهنة فعوقب بنقيض مقصوده
قوله فانك لو مت وهي عليك ما افلحت ابدا اي لانه مشرك والحالة هذه والفلاح
هو الفوز والظفر والسعادة قال المصنف فيه شاهد لكلام الصحابة ان الشرك الاصغر
اكبر من الكبائر وانه لم يعذر بالجهالة والاكثار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك قلت
وفيه ان الصحابي لو مات وهي عليه ما فلح ابدا فكيف بعوام المتزوجين الذين يفعلون

بكونهم من ذرية الصالحين ومن اصحابهم ويظنون انهم يشفعون لهم عند الله
وان فعلوا المعاصي وفيه ان رتب الانكار متفاوتة فاذا كفى الكلام في ازالة
المنكر لم يحتج الى الضرب ونحوه وفيه ان المسلم اذا فعل ذنبا وانكر عليه فتاب منه فا
ن ذلك لا ينقصه وانه ليس من شرط اولياء الله عدم الذنوب قوله رواه احمد
بسند لا باس به هو الامام احمد ابن محمد ابن حنبل ابن هلال ابن اسد الشيباني
ابو عبد الله المروزي ثم البغدادي امام اهل عصره واعلمهم بالفقه والحديث
واشدهم ورعا ومتابعة للسنة روى عن الشافعي ويزيد ابن هارون وابن مهدي
ويحيى القطان وابن عيينة وعفان وخلق وروى عنه ابناه عبد الله وصالح و
البخاري ومسلم وابو داود وابو بكر الاثرم والمروزي وخلق لا يحصون مات
سنة احدى واربعون ومايتين وله سبع وسبعون سنة قال وله عن عقبة ابن عامر
مرفوعا من تعلق تميمة فلا اتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له وفي
رواية من تعلق تميمة فقد اشرك الحديث الاول رواه احمد كما قال المصنف
ورواه ايضا ابو يعلى والحاكم وقال صحيح الاسناد واقره الذهبي وقوله وفي رواية
هذا يوهم ان هذا في بعض روايات الحديث المذكور وليس كذلك بل المراد انه
في حديث اخر رواه الامام احمد ايضا فقال حدثنا عبد الصمد ابن عبد الوارث
حدثنا عبد العزيز ابن مسلم حدثنا يزيد ابن منصور عن دجين الحجري عن عقبة ابن
عامر الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل اليه رهط فبايع تسعة وامسك
عن واحد فقالوا يا رسول الله بايعت تسعة وامسكت عن هذا قال ان عليه تميمة
فادخل يده فقطعها فبايعه وقال من تعلق تميمة فقد اشرك ورواه الحاكم بنحوه
ورواته ثقات وقوله في هذا الحديث فادخل يده فقطعها اي الرجل بينه الحاكم
في روايته قوله عن عقبة ابن عامر هو الجهني صحابي مشهور وكان فقيها فاضلا ولي
امرة مصر لمعاوية ثلاث سنين ومات قريبا من الستين قوله من تعلق تميمة اي

علقها متمسكا بها عليه او على غيره من طفل او دابة ونحو ذلك قال المنذري يقال
انها حرزة كانوا يفعلونها يرون انها تدفع عنهم الافات واعتقاد هذا الراي
جهل وضلال اذ لا مانع ولا دافع غير الله تعالى وقال ابو السعادات التمائم جمع
تميمة وهي خرزات كانت العرب تعلقها على اولادهم يتقون بها العين في زعمهم
فابطل الاسلام قال كانهم كانوا يعتقدون انها تمام الدواء والشفاء قوله
فلا اتم الله له دعا عليه قوله ومن تعلق ودعة بفتح الواو وسكون المهملة قال
في مسند الفردوس شيء يخرج من البحر شبه الصدف يتقون به العين قوله فلا ودع
الله له بتخفيف الدال اي لا جعله في ودعة وسكون وقيل هو لفظ مبني من الودعة
اي لا خفف الله عنه ما يخافه قاله ابو السعادات وهذا دعا عليه وفيه وعيد
شديد لمن فعل ذلك فانه مع كونه شركا فقد دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتنقيض مقصوده قوله من تعلق تميمة فقد اشرك قال ابن عبد البر اذا اعتقد الذي
علقها انها ترد العين فقد ظن انها ترد القدر واعتقاد ذلك شرك وقال ابو السعا
دات انما جعلها شركا لانهم ارادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم وطلبوا دفع الاذى
من غير الله الذي هو دافعه قال ولابن ابي حاتم عن حذيفة انه راى رجلا في يده
خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
هذا الاثر رواه ابن ابي حاتم كما قال المصنف ولفظ حدثنا محمد ابن الحسين ابن ابرا
هيم ابن اشكاب حدثنا يونس ابن محمد حدثنا حماد ابن سلمة عن عاصم الاحول
عن عزرة قال دخل حذيفة على مريض فراى في عضده سيرا فقطعه او انتزعه
ثم قال وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وابن ابي حاتم هو الامام ابو
محمد عبد الرحمن ابن ابي حاتم محمد ابن ادريس الرازي التميمي الحنظلي الحافظ ابن
الحافظ صاحب الجرح والتعديل والتفسير وغيرها مات سنة سبع عشر وثلاثمائة
وحذيفة هو ابن اليماني واسم اليماني حسيل بمهملتين مصغر ويقال حسل بكسر

الى

الحاء وسكون العين بالموحدة حليف الانصار صحابي جليل من السابقين ويقال له
صاحب السر وابوه ايضا صحابي مات حذيفة في اول خلافة علي سنة ست وثلاثين
قوله راى رجلا في يده خيط من الحمى اي من اجل الحمى لدفعها وكان الجهال يعلقون
لذلك التمائم والخيوط ونحوها وروى وكيع عن حذيفة انه دخل على مريض يعوده
فلمس عضده فاذا فيه خيط فقال ما هذا قال شيء رقي لي فيه فقطعه وقال
لو مت وهي عليك ما صليت عليك قوله فقطعه فيه انكار هذا وان كان
يعتقد انه سبب فان الاسباب لا يجوز منها الا ما اباحه الله ورسوله صلى الله
عليه وسلم مع عدم الاعتقاد عليه فكيف بما هو شرك كالتمائم والخيوط والحروز والطلا
سم ونحو ذلك مما يعلقه الجهال وفيه ازالة المنكر باليد بغير اذن الفاعل وان كان
يظن ان الفاعل يزيله وان اتلاف آلات المنكر واللهو جائزه وان لم ياذن صاحبها
قوله وتلا قوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون استدل حذيفة بهذه
الاية على ان تعليق الخيط ونحوه لما ذكر شرك اي اصغر كما تقدم في الحديث فقيد
صحة الاستدلال بما نزل في الاكبر على الاصغر ومعنى الاية ان اخبر عن المشركين
انهم يجمعون بين الايمان بالله اي بوجوده وانه الخالق الرازق المحيي المميت ثم
مع ذلك يشركون في عبادته فسرها بذلك ابن عباس وعطاء ومجاهد والضحاك
وابن زيد وغيرهم باب ما جاء في الرقى والتمائم اي في حكمها ولما كانت الرقى
على ثلاثة اقسام قسم يجوز وقسم لا يجوز وقسم في جوازه خلاف لم يجزم المصنف
بكونها من الشرك لان في ذلك تفصيلا بخلاف لبس الحلقة والخيط ونحوهما لما
ذكر فان ذلك شرك مطلقا قال في الصحيح عن ابي بشير الانصاري انه كان
مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فارسل رسولا ان لا يبقين في ر
قبة بعير قلادة من وتر الا قطعت قوله في الصحيح اي في الصحيحين قوله
عن ابي بشير بفتح اوله وكسر المعجمة الانصاري قيل اسمه قيس ابن عبيد قاله ابن سعد

وقال ابن عبد البر لا يوقف له على اسم صحيح وهو صحابي شهد الخندق ومات بعد الستين
يقال جاوز المائة قوله فارسل رسولا هو زيد ابن الحارثة وروى ذلك الحارث ابن
ابي امامة في مسنده قاله الحافظ قوله ان لا يبقين هو بالمثناة التحتية والقاف
المفتوحتين وفي رواية لا تبقين بحذف ان والمثناة الفوقية والقاف المفتوحتين
ايضا وقلادة مرفوع على انه فاعل والوتر بفتحتين واحد اوتار القوس قوله
او قلادة الاقطعت هو بالرفع قلادة ايضا عطف على الاول ومعناه ان الرا
وي شك هل قال شيخه قلادة من وتر فقيد القلادة بانها من وتر وقال قلادة
واطلق ولم يقيد ويؤيده ما روي عن مالك انه سئل عن القلادة فقال ما سمعت
بكراهتها الا في الوتر وفي رواية ابي داود ولا قلادة بغير شك والاول اصح
لاتفاق الشيخين عليها والرخصة في القلائد الا الاوتار كما روى ابو داود والنسائي
من حديث ابي وهب الجيشاني مرفوعا اربطوا الخيل وقلدوها ولا تقلدوها الاوتار
ولاحمد عن جابر مرفوعا مثله واسناده جيد قال البغوي في شرح السنة تاول
مالك امره عليه السلام بقطع القلائد على انه من اجل العين وذلك انهم كانوا
يشدون بتلك الاوتار والتمائم والقلائد ويعلقون عليها العوذ يظنون
انها تعصمهم من الافات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عنها واعلمهم انها لا ترد
من امر الله شيئا وقال ابو عبيد القاسم ابن سلام كانوا يقلدون الابل الاوتار
لئلا تصيبها العين فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم باز التها اعلاما لهم بان
الاوتار لا ترد شيئا وكذا ابن الجوزي وغيره قال الحافظ ويؤيده حديث
عقبة ابن عامر رفعه من تعلق تميمة فلا اتم الله له رواه ابو داود وهي ما علق
من القلائد خشية العين ونحو ذلك انتهى فعلى هذا يكون تقليد الابل وغيرها
الاوتار وما في معناها لهذا المعنى حراما بل شركا لانه من تعليق التمائم المحرمة ومن
تعلق تميمة فقد اشرك ولم يعب من قال انه مكروه كراهة تنزيه قال وعن

ابن مسعود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرقى والتمائم والتو
له شرك رواه احمد وابو داود الحديث رواه ابو داود كما قال المصنف وفيه قصة
كان المصنف اختصرها ولفظ ابي داود عن زينب امراة عبد الله ابن مسعود ان عبد الله
راى في عنقي خيطا فقال ما هذا قلت خيط رقي لي فيه قالت فاخذه فقطعه ثم قال
انتم ال عبد الله لاغنياء عن الشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرقا
والتمائم والتوله شرك فقلت لم تقول هكذا لقد كانت عيني تقذف وكنت اختلف
الى فلان اليهودي فاذا رقاها سكنت فقال عبد الله انما ذلك عمل الشيطان كان
ينخسها بيده فاذا رقى كف عنها انما كان يكفيك ان تقولي كما كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذهب الباس رب الناس واشف انت الشافي لا شفاء الا شفاءك شفاء
لا يغادر سقما ورواه ابن ماجة وابن حبان والحاكم وقال صحيح واقره الذهبي قوله
ان الرقا قال المصنف الرقى هي التي تسمى العزائم وخص منه الدليل ما خلا من الشرك
فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمة يشير الى ان الرقى الموصوفة
بكونها شركا هي الرقى التي فيها شرك من دعاء غير الله والاستغاثة والاستعاذة
به كالرقى باسماء الملائكة والانبياء والجن ونحو ذلك اما الرقا بالقران واسماء الله
وصفاته ودعائه والاستعاذة به وحده لا شريك له فليست شركا بل ولا ممنوعة
بل مستحبة او جائزة وقوله فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمة
تقدم ذلك في باب من حقق التوحيد وكذلك رخص فيه من غيرها كما في صحيح مسلم
عن عوف ابن مالك قال كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك
فقال اعرضوا علي رقاكم لا باس بالرقى ما لم يكن فيه شرك وفيه عن انس قال رخص
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقية من العين والحمة والنملة وعن عمران ابن حصين
مرفوعا لا رقية الا من عين او حمة او دم رواه ابو داود وفي الباب احاديث كثيرة
قال الخطابي وكان عليه السلام قد رقى ورقي وامر بها واجازها فاذا كانت بالقران

او باسماء الله تعالى هي مباحة او مأمور بها وانما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منها
بغير لسان العرب فانه ربما كان كفرا او قولا يدخله الشرك قال ويحتمل ان يكون
الذي يكره من ذلك ما كان على مذهب الجاهلية التي يتعاطونها وانها تدفع
عنهم الافات ويعتقدون ان ذلك من قبل الجن ومعونتهم قلت ويدل
على ذلك قول علي ابن ابي طالب ان كثيرا من هذه الرقى والتمائم شرك فاجتنبوها
رواه وكيع فهذا يبين معنى حديث ابن مسعود ونحوه وقال ابن التين الرقى
بالمعوذات وغيرها من اسماء الله تعالى هو الطب الرباني فاذا كان على لسان
الابرار من الخلق حصل الشفاء باذن الله تعالى فلما عرف هذا النوع فزع الناس الى
الطب الجسماني وتلك الرقى المنهي عنها التي يستعملها المعزم وغيره ممن يدعي تسخير
الجن له فيأتي بامور مشبهة مركبة من حق وباطل يجمع الى ذكر الله تعالى واسمائه مما
يشوبه من ذكر الشياطين والاستغاثة بهم والتعوذ بهم ويقال ان الحية
لعداوتها الانسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم اعداء بني ادم فاذا عزم
على الحية باسماء الشياطين اجابت وخرجت من مكانها وكذلك اللديغ اذا رقي
بتلك الاسماء سالت سمومها من بدن الانسان ولذلك كره الرقى مالم تكن باياة
الله واسمائه خاصة وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريئا من شوب
الشرك وعلى كراهة الرقى بغير كتاب الله علماء الامة وقال شيخ الاسلام كل اسم مجهول
فليس لاحد ان يرقي به فضلا عن ان يدعو به ولو عرف معناه لانه يكره الدعاء به
بغير العربية وانما يرخص لمن لا يحسن العربية فاما جعل الالفاظ المعجمة شعارا فليس
من دين الاسلام قلت وسئل ابن عبد السلام عن الحروف المقطعة فمنع منها ما لا يعرف
لئلا يكون فيه كفر وقال السيوطي قد اجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة
شروط ان يكون بكلام الله او باسمائه او صفاته وباللسان العربي وبما يعرف
معناه من غيره وان يعتقد ان الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى فتلخص

ان الرقى ثلاثة اقسام وقوله والتمائم تقدم كلام المنذري وابن الاثير في معناها
في الباب قبله وظاهر تخصيص التمائم بما ذكراه وقال المصنف رحمه الله تعالى التمائم شيء
يعلق على الاولاد عن العين وقال الخليلي التمائم جمع تميمة وهي ما يعلق باعناق
الصبيان من خرزات وعظام لدفع العين وهذا منهي عنه لانه لا دافع الا الله ولا يطلب
دفع الموذيات الا بالله واسمائه وصفاته وظاهره ان ما علق لدفع العين وغيرها
فهو تميمة من اي شيء كان وهذا هو الصحيح وقد يقال ان كلام المنذري وابن
الاثير وغيرهما لا يخالفه قال المصنف لكن اذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض
السلف وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه منهم ابن مسعود اعلم ان العلماء
من الصحابة والتابعين ممن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن
واسماء الله وصفاته فقالت طائفة يجوز ذلك وهو قول عبد الله ابن عمرو ابن العاص
وغيره وهو ظاهر ما روي عن عائشة وبه قال ابو جعفر الباقر واحد في رواية
وحملوا الحديث على التمائم الشركية اما التي فيها القرآن واسماء الله وصفاته فكالرقية
به ذلك قلت وهو ظاهر اختيار ابن القيم وقالت طائفة لا يجوز ذلك وبه قال
ابن مسعود وابن عباس وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة ابن عامر وابن حكيم رضي الله
عنهم وبه قال جماعة من التابعين منهم اصحاب ابن مسعود واحد في رواية اختارها
كثير من اصحابه وجزم بها المتأخرون واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه فان ظاهر
العموم لم يفرق بين التي من القرآن وغيره بخلاف الرقى فقد فرق فيها بدليل
ان الصحابة الذين رووا الحديث فهموا العموم كما تقدم عن ابن مسعود وروى ابو داود
عن عيسى ابن حمزة قال دخلت على عبد الله بن عكيم وبه حمرة فقلت الا تعلق تميمة فقال
نعوذ بالله من ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلق شيئا وكل اليه وروى وكيع
عن ابن عباس قال اتعلق بالمعوذتين ولا تعلق واما القياس على الرقية بذلك فقد يقال
بالفرق فكيف يقاس التعليق الذي لا بد فيه من ورق او جلد ونحوهما على ما لا يوجد

ذلك فيه فهذا الى الرقى المركبة من حق وباطل اقرب هذا اختلاف العلماء في تعليق القرآن
واسماء الله وصفاته فما ظنك بما حدث بعدهم من الرقى باسماء الشياطين وغيرها
وتعليقها بل والتعلق عليهم والاستعاذة بهم والذبح لهم وسؤالهم كشف الضر و
جلب الخير مما هو شرك محض وهو غالب على كثير من الناس الا من سلم الله فتامل ما
ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وما كان عليه اصحابه والتابعون وما ذكره العلماء بعدهم
في هذا الباب وغيره من ابواب الكتاب ثم انظر الى ما احدث في الخلوف المتاخرة تبين
لك دين الرسول صلى الله عليه وسلم وغربته الان في كل شيء فالله المستعان قوله
والتولة شرك قال المصنف في شيء يصنعونه يزعمون انه يحبب المراة الى زوجها
والرجل الى امراته وكذا قال غيره وبهذا فسره ابن مسعود راوي الحديث كما في صحيح
ابن حبان والحاكم قالوا يا ابا عبد الرحمن هذه الرقا والتمائم قد عرفنا فما التولة بكسر
المثناة وفتح الواو واللام مخففا شيء كانت المراة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب
من السحر وانما كان ذلك من الشرك لانهم اراد وا دفع المضار وجلب المنافع من عند
غير الله قال وعن عبد الله ابن عكيم مرفوعا من تعلق شيئا وكل اليه رواه احمد
والترمذي ورواه ايضا ابو داود والحاكم قوله عن عبد الله بن عكيم هو بضم المهملة
مصغرا ويكنى ابا معبد الجهني الكوفي قال البخاري ادرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يعرف له سماع صحيح وكذا قال ابو حاتم وقال بعناه ابو زرعة وابن حبان وابن
منده وابو نعيم وقال البغوي يشك في سماعه وقال الخطيب سكن الكوفة وقدم
المدائن في حياة حذيفة وكان ثقة وذكر ابن سعد عن غيره انه مات في ولاية الحجاج
وظاهر كلام هؤلاء الايمة ان الحديث مرسل قوله من تعلق شيئا وكل اليه التعلق
يكون بالقلب ويكون بالفعل ويكون بهما جميعا اي من تعلق شيئا بقلبه او تعلقه
بقلبه وفعله وكل اليه اي وكله الله الى ذلك الشيء الذي تعلقه فمن تعلقت نفسه بالله
تراه واثقا به والتجاء اليه وفوض امره كله اليه كفاه كل مؤنة وقرب اليه كل بعيد

ويسر له

ويسر له كل عسير ومن تعلق بغيره او سكن الى عمله وعلقه ودواه وتمائمه واعتمد
على حوله وقوته وكله الله الى ذلك وخذله وهذا معروف بالنصوص والتجارب قال
تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال الامام احمد حدثنا هاشم ابن القاسم حد
ثنا ابو سعيد المؤدب حدثنا من سمع عطا الخراساني قال لقيت وهب ابن
منبه وهو يطوف بالبيت فقلت له حدثني حديثا احفظه عنك في مقامي هذا
واوجز قال نعم اوحى الله تبارك وتعالى الى داود يا داود اما وعزتي وعظمتي
لا يعتصم بي عبد من عبيدي دون خلقي اعرفه ذلك من نيته فتكيده
السموات والارضون السبع ومن فيهن والارضون السبع ومن فيهن الا جعلت له
من بينهن مخرجا اما وعزتي وعظمتي لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني
اعرف ذلك من نيته الا قطعت اسباب السماء من يده واسخت الارض من
تحت قدميه ثم لا ابالي بأي واد هلك قال وروى الامام احمد عن رويفع
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رويفع لعل الحيوة تطول بك
فاخبر الناس ان من عقد لحيته او تقلد وترا او استنجى برجيع دابة
او عظم فان محمدا بريء منه ش الحديث رواه احمد عن يحيى ابن اسحق والحسن
ابن موسى الاشيب كلاهما عن ابن لهيعة وفيه قصة فاختصرها المصنف وهذا
لفظ الحسن قال حدثنا ابن لهيعة حدثنا عباس ابن عباس عن شييم ابن بيتان
قال حدثنا رويفع ابن ثابت قال كان احدنا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ياخذ جمل اخيه على ان يعطيه النصف مما يغنم ولو النصف حتى احدنا ليصير له النصل والرو
يش والاخر القدح ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رويفع لعل الحيوة
تطول بك فاخبر الناس ان من عقد لحيته او تقلد وترا او استنجى برجيع دابة
فان محمدا بريء منه ثم رواه احمد عن يحيى ابن غيلان حدثنا الفضل ابن عباس ان
بيسم ابن بيتان اخبره انه سمع شيبان القتباني يقول استخلف مسلمة ابن مخلد

رويفع ابن ثابت الانصاري على اسفل الارض قال فسرنا معه فقال قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحديث وفي الاسناد الاول ابن لهيعة وفيه مقال وفي الثاني شيبان
القتباني قيل فيه مجهول وبقية رجالهما ثقات ورواه ابو داود من طريق المفضل
به مطولا وسكت عليه ثم قال حدثنا يزيد ابن خالد انا مفضل عن عياش ان شييم
ابن بيتان اخبره ايضا بهذا الحديث عن ابي سالم الجيشاني عن عبد الله ابن عمرو يذكر
ذلك وهو معه موابط بحصن باب البون قال ابو داود حصن البون بالفسطاط
على جبل قلت وهذا اسناد جيد ورواه النسائي من رواية شييم عن رويفع وصرح
بسماعه منه ولم يذكر شيبان فان كان ذكر شيبان وهما في الاسناد صحيح وحسنه
النووي وصححه بعضهم قال الحافظ ابو زرعة في شرح ابي داود ورواه الطحاوي
مختصرا فذكر منه الاستنجاء برجيع دابة او عظم فقط ورواه محمد ابن الربيع الجيزي
في كتاب من دخل مصر من الصحابة مطولا وفيه ان من عقد لحيته في الصلاة قوله
فاخبر الناس دليل على وجوب اخبار الناس بذلك على رويفع وليس هذا مختصا به
بل كل من كان عنده علم ليس عند غيره مما يحتاج اليه الناس وجب عليه تبليغه للناس
واعلامهم به فان اشترك هو وغيره في علم ذلك فالتبليغ فرض كفاية هذا كلام
ابن زرعة قوله لعل الحيوة تطول بك علم من اعلام النبوة لانه وقع كما اخبر به صلى
عليه وسلم فان رويفعا طالت حياته الى سنة ست وخمسين فمات فيها ببرقة من اعمال
مصر امير عليها وهو من الانصار وقيل مات سنة ثلاث وخمسين قاله ابن يونس
قوله ان من عقد لحيته بكسر اللام لا غير قاله في المشارق والجمع لحي بالكسر والضم قاله
الجوهري قال الخطابي واما نهيه عن عقد اللحية فان ذلك يفسر على وجهين احدهما
ما كانوا يفعلونه من ذلك في الحروب كانوا في الجاهلية يعقدون لحاهم وذلك من
زي بعض الاعاجم يفتلونها ويعقدونها قلت كانهم كانوا يفعلونه تكبرا واعجابا
كما ذكره ابو السعادات قال ثانيهما ان معناه معالجة الشعر ليتعقد ويتجعد

وذلك من فعل اهل التوضيع والتانيث وقال ابو زرعة العراقي والاولى حمله على عقد
اللحية في الصلاة كما دلت عليه رواية محمد ابن الربيع المتقدم ذكرها فهو موافق للحديث
الصحيح في النهي عن كف الشعر والثوب فان عقد اللحية فيه كفها وزيادة قوله
او تقلد وترا اي جعلهم قلادة في عنقه او عنق دابته ونحو ذلك وفي رواية لمحمد ابن
الربيع او تقلد وترا بريد تميمة فهذا يدل على انهم يتقلدون الاوتار من اجل
العين اذ فسره بالتميمة وهي تجعل لذلك قوله او استنجى برجيع دابة او عظم
فان محمدا بريء منه قال النووي اي بريء ممن فعله وقاله بهذه الصيغة ليكون
ابلغ في الزجر قلت فيه النهي عن الاستنجاء برجيع الدواب والعظام وقد ورد في
ذلك احاديث منها ما في صحيح مسلم عن ابن مسعود مرفوعا لا تستنجوا بالروث
ولا بالعظام فانه زاد اخوانكم من الجن وعلى هذا فلا يجزي الاستنجاء بهما كما هو ظا
هر مذهب احمد واختار شيخ الاسلام وجماعة الاجزاء وان كان محرما قالوا لانه
لم ينه عنه لكونهما لا ينقيان بل لافسادهما قلت الاولى لما روى ابن خزيمة والدار
قطني من طريق الحسن ابن الفرات عن ابيه عن ابي حازم الاشجعي عن ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم نهى ان يستنجى بعظم او روث وقال انهما لا يطهران وهذا اسناد
جيد قال وعن سعيد ابن جبير قال قطع تميمة من انسان كان كعدل
رقبة رواه وكيع ش هذا عند اهل العلم له حكم الرفع لان مثل ذلك لا يقال بالراي
فيكون على هذا مرسلا لان سعيدا تابعي وفيه فضل قطع التمائم لانها من الشرك
ووكيع هو ابن الجراح ابن وكيع الكوفي ثقة امام صاحب تصانيف منها الجامع وغيره
روى عنه الامام احمد وطبقته مات سنة سبع وتسعين ومايه قال وله عن ابراهيم
هم كانوا يكرهون التمائم كلها من القران وغيرها القران س ابراهيم هو
الامام ابراهيم ابن يزيد النخعي الكوفي يكنى ابا عمران ثقة امام من كبار فقهاء الكوفة
قال المزي دخل على عائشة ولم يثبت له سماع منها مات سنة ست وتسعين وله خمسون

ونحوها قوله كانوا يكرهون التسمي الى آخره مراده بذلك اصحاب عبد الله ابن مسعود كعلقمة والأسود وابي وايل والحارث ابن سويد وعبيدة السلماني ومسروق والربيع ابن خيثم وسويد ابن غفلة وغيرهم من اصحاب ابن مسعود وهم من سادات التابعين وهذه الصيغة يستعملها ابراهيم في حكاية اقوالهم كما بين ذلك الحافظ كالعراقي وغيره

باب من تبرك بشجر او حجر ونحوها كبقعة وغار وعين وقبر ونحو ذلك مما يعتقد كثير من عباد القبور واشباههم فيه البركة فيقصد ونذر رجاء البركة اي ما حكمه هل هو شرك ام لا ومعنى تبرك اي طلب البركة ورجاءها واعتقادها

قال وقول الله تعالى افرايتم اللات والعزى الايات هكذا ثبت في خط المصنف الأيات يعني الى قوله ولقد جاءهم من ربهم الهدى قال القرطبي لما ذكر الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر من اثار قدرته ما ذكر حاج المشركين اذ عبدوا ما لا يعقل وقيل افرايتم هذه الالهة التي تعبدونها او عين اليكم شيئا كما اوحي الى محمد صلى الله عليه وسلم وكانت اللات لثقيف والعزى لقريش ولبني كنانة ومناة لبني هلال وقال ابن هشام كانت مناة لهذيل وخزاعة **ذكر صفة هذه الاوثان** ليعرف المؤمن كيفية الاوثان وكيفية عبادتها وما هو شرك العرب الذي كانوا يفعلونه حتى يفرق بين التوحيد والاخلاص وبين الشرك والكفر فاما اللات فقراء الجمهور بتخفيف التاء وقرا ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وحميد وابو صالح ورويس عن يعقوب اللات بتشديد التاء فعلى الاولى قال الأعمش سموا اللات من الاله والعزى من العزيز قال ابن جرير وكانوا اشتقوا اسمها من اسم الله تعالى فقالوا اللات مؤنثة منه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا قال وكذا العزى من العزيز قال ابن كثير وكانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له استار وسدنة وحوله فناء معظم عند اهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون به على من عداهم من احياء العرب بعد قريش قال ابن هشام وكانت في موضع مسجد

الطائف

الطائف اليوم فلم يزل كذلك الى ان اسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة ابن شعبة فهدمها وحرقها بالنار وعلى الثانية قال ابن عباس كان رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره اذكره البخاري وقال ابن عباس كان يبيع السويق والسمن عند صخرة ويسيل عليها فلما مات ذلك الرجل عبدة ثقيف تلك الصخرة اعظاما لصاحب السويق وعن مجاهد نحوه وقال فلما مات عبدوه رواه سعيد بن منصور والفاكهي وكذا روى ابن ابي حاتم عن ابن عباس انهم عبدوه وقال ابن جريج كان رجل من ثقيف يلت السويق بالزيت فلما توفي جعلوا على قبره وثنا ونحو هذا قال جماعة من اهل العلم ولا تخالف بين القولين فان من قال انها صخرة لم ينف ان يكون صخرة على القبر او حواليه فحذفت وعبدت تبعا لا قصدا فان العبادة انما ارادوها صاحب القبر فهو الذي عبدوه بالأصالة يدل على ذلك ما روى الفاكهي عن ابن عباس ان اللات لما مات قالوا لهم عمرو ابن لحي انه لم يمت ولكنه دخل الصخرة فعبدوها واتوا عليها بيتا فتامل فعل المشركين مع هذا الوثن وزن بهيئته وبين بناء القباب على القبور والعكوف عندها ودعاءها وجعلها ملاذا عند الشدائد **واما العزى** فقال ابن جرير كانت شجرة عليها بناء واستار بنخلة بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها كما قال ابو سفيان يوم احد لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم وروى النسائي وابن مردويه عن ابي الطفيل قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد ابن الوليد الى نخلة وكانت بها العزى فاتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم البيت الذي كان عليها ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال ارجع فانك لم تصنع شيئا فرجع خالد فلما ابصرته السدنة وهم حجبتها امعنوا في الجبل وهم يقولون يا عزى يا عزى فاتاها خالد فاذا امراة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على راسها فعمها بالسيف حتى قتلها ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاخبره فقال تلك العزى قال ابن هشام وكانوا يسمعون منها الصوت وقال ابو صالح
العزى بنخلة كانوا يعلقون عليها السيور والعهن رواه عبد ابن حميد وابن جرير
فتامل فعل المشركين مع هذا الوثن دول ان بينه وبين ما فعله عباد القبور
من دعائها وتعليق الخيوط والقاء الخرق في ضرائح الاموات ونحو ذلك فالله
المستعان **واما مناة** فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت
خزاعة والاوس والخزرج يعظمونها ويهلون منها للحج الى الكعبة واصل اشتقاقها
من اسم الله المنان وقيل من منى الله الشيء اذا قدره وقيل سميت مناة لكثرة ما
يمنى اي يراق عندها من الدماء للتبرك بها قال ابن هشام فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليا فهدمها عام الفتح قال ابن اسحق في السير وقد كانت العرب
اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب
وتهدي لها كما يهدى للكعبة وتطوف بها وتنحر عندها وهي تعرف فضل الكعبة
عليها لانها كانت قد عرفت انها بيت ابراهيم عليه السلام ومسجده قلت هذا الذي
ذكره ابن اسحق من شرك العرب هو بعينه الذي يفعله عباد القبور بل زادوا على الاول
لين اذ تبين هذا فمعنى الاية كما قال القرطبي ان فيها حذفا فتقديره افرايتم هذه الالهة
هل نفعت او ضرت حتى تكون شركاء لله وقال غيره ومناة الثالثة الاخرى ذم و
هي المتاخرة الوضيعة للمقدار كقوله وقالوا لاخواهم اي وضعاء هم لرؤسائهم **وقوله الكم الذكر وله الانثى** قال ابن كثير اي اتجعلون له ولدا وتجعلون
ولده اناثا وتختارون لكم الذكور وقال غيره يجوز ان يراد اللات والعزى
ومناة اناث وقد جعلتموهن لله شركاء ومن شانكم ان تحتقروا الاناث و
تتشكوا من ان يولدن لكم او ينسبن اليكم فكيف تجعلون هؤلاء الاناث اندادا
لله وتسمونهن الهة قلت ما اقرب هذا القول الى سياق الاية **وقوله تلك اذا**
قسمة ضيزى اي جور وباطلة فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت

بين مخلوقين كانت جورا وسفها فتنزهون انفسكم عن الاناث وتجعلونهن لله
تعالى عن ذلك علوا كبيرا **وقوله ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم** قال
ابن كثير ثم قال منكرا عليهم فيما ابتدعوه واحدثوه من الكذب والافتراء والكفر
من عبادة الاصنام وسميتها الهة ان هي الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم اي من تلقاء
انفسكم **ما انزل الله بها من سلطان** اي من حجة **ان يتبعون الا الظن** اي ليس
لهم مستند الا حسن ظنهم باباءهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم والا حط
انفسهم في رياستهم وتعظيم اباءهم الاقدمين **وقوله ولقد جاءهم من ربهم**
الهدى قال ابن كثير ولقد ارسل الله اليهم الرسل بالحق المبين والحجة القاطعة ومع
هذا ما اتبعوا ما جاؤهم به ولا انقادوا له قلت في هذه الايات من الدلائل القا
طعة على بطلان عبادة هذه الطواغيت واشباهها ما لا مزيد عليه فسبحان من
جعل كلامه شفاء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين منها انها اسماء مؤنثة دالة
على اللين والرخاوة وما كان كذلك فليس بالله ومنها انكم قاسمتم الله بزعمكم
فجعلتم له هذه الاسماء المؤنثة شركاء والدعوتم له الاولاد ثم جعلتموهم بنات
واختصصتم بالذكور فجعلتم له المكروه الناقص ولكم المحبوب الكامل للذين
لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم ومنها انها اسما
سميتموها انتم واباؤكم وابتدعتموها ومنها ما انزل الله بها من سلطان اي حجة
وبرهان ومنها انكم لم تستندوا في تسميتها الى علم ويقين وانما استندتم في ذلك
الى الظن والهوى الذين هما اصل الهلاك دنيا واخرى ومنها ولقد جاءهم من ربهم
الهدى بابطال عبادتها وما كان كذلك فهو عين المحال البين البطلان وكل
واحد من هذه الادلة كاف شاف في بطلان عبادتها **فان قيل** فاين دليل التر
جمة من الايات **قيل** هو بين بحمد الله لانه ان كان التبرك بالشجر والقبور والاء
حجار من الاكبر فواضح وان كان من الاصغر فالسلف يستدلون بما نزل في الاكبر

على الأصغر قال وعن ابي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون
بها أسلحتهم يقال لها ذات انواط فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط
كما لهم ذات انواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر انها السنن
والذي نفسي بيده قلتم كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم
الهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم رواه الترمذي وصححه
الحديث رواه الترمذي كما قال المصنف لفظ حدثنا سعيد ابن عبد الرحمن المخزومي
حدثنا سفيان عن الزهري عن سنان ابن ابي سنان عن ابي واقد الليثي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما خرج الى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات انواط
يعلقون عليها اسلحتهم فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط
فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم
الهة والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم هذا حديث حسن صحيح وابو واقد
قد الليثي اسمه الحارث ابن عوف وفي الباب عن ابي سعيد وابي هريرة هذا لفظ
الترمذي في بعوفه وفيه مخالفة لما في الكتاب لفظا ومعنى وقد اتفقت اللفظان
على المقصود هنا وقد رواه احمد وابو يعلى وابن ابي شيبة والنسائي وابن جرير
وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني نحوه وروى ابن ابي حاتم وابن مردويه و
الطبراني من طريق كثير بن عبد الله ابن عمرو ابن عوف كما قال الترمذي عن ابيه
عن جده بنحوه ايضا قوله عن ابي واقد الليثي اسمه الحارث ابن عوف كما قال الترمذي
وقيل الحارث ابن مالك صحابي مشهور مات سنة ثمان وستين وله خمس وثمانون
سنة قوله خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين في حديث عمرو ابن عوف
قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ونحن الف وبيننا حتى اذا كنا
بين حنين والطائف ولا مخالفة بينهما في المعنى فان غزوة الفتح وحنين كانتا

في سفر واحد قوله ونحن حدثاء عهد بكفر اي قريبو عهد بكفر ففيه دليل على
ان غيرهم لا يجهل هذا وان المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يأمن ان
يكون في قلبه بقية من تلك العبادة الباطلة ذكره المصنف قوله يعكفون
عندها الاعتكاف هو الاقامة على الشيء بالمكان ولزومها ومنه قوله ما هذه
التماثيل التي انتم لها عاكفون وكانوا يعكفون عند هذه السدرة تبركا بها و
في حديث عمرو ابن عوف قال كان يناط بها السلاح فسميت ذات انواط وكانت
تعبد من دون الله فلما راها رسول الله صلى الله عليه وسلم صرف عنها في يوم صائف
الى ظل هو ادنى منها الحديث فيجمع بينهما بان عبادتها هي العكوف عندها رجاء
لبركتها قوله وينوطون بها اسلحتهم اي يعلقونها عليها للبركة قوله
يقال لها ذات انواط جمع نوط وهو مصدر سمي به المنوط قوله فقلنا يا رسول الله
اجعل لنا ذات انواط اي شجرة مثلها نعلق عليها ونعكف حولها ظنوا ان هذا
امر محبوب عند الله فقصدوا التقرب الى الله بذلك والا فهم اجل قدرا وان كانوا
حديثي عهد بكفر عن قصد مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم الله اكبر هكذا في بعض
الروايات وفي رواية الترمذي سبحان الله والمقصود باللفظين واحد لان المراد
تعظيم الله وتنزيهه عن الشرك والتقرب به اليه وفيه تكبير الله وتنزيهه عند
التعجب او ذكر الشرك خلافا لمن كرهه قوله انها السنن بضم السين اي الطرق
قوله قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الها الى اخره
اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الامر الذي طلبوه منه وهو اتخاذ شجرة للعكوف
عندها وتعليق السلاح بها تبركا لامر الذي طلبه بنو اسرائيل من موسى عليه
السلام حيث قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة فاذا كان اتخاذ الله مع الله مع انهم
لا يعبدونها ولا يسئلونها مما الظن بما حدث من عباد القبور من دعاء الاموات
والاستغاثة بهم والذبح والنذر لهم والطواف بقبورهم وتقبيلها وتقبيل اعتابها

فقال النبي صلى الله عليه وسلم

لعله اسلحتهم

ه وجدرانها والتمسح بها والعكوف عندها وجعل السدنة والحجاب لها اي بنسبة ه
بين هذا وبين تعليق الأسلحة على شجرة بتركا قال الامام ابو بكر الطرطوشي من
ايمة المالكية فانظروا رحمكم الله ايما وجد ثم سدرة او شجرة يقصدها الناس
ويعظمونها ويرجون البرء والشفا من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فهي
ذات انواط فاقطعوها وقال الحافظ ابو محمد عبد الرحمن ابن اسمعيل الشافعي
المعروف بابي شامة في كتاب البدع والحوادث ومن هذا القسم ايضا ما قد عم
الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وسرج مواضع
مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حال انه راى في منامه بها احدا ممن شهر بالصلاح
ولو لاية فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله تعالى
وسنته ويظنون انهم متقربون بذلك ثم يتجاوزون هذا الى ان يعظم وقع ه
تلك الاماكن في قلوبهم فيعظمونها ويرجون الشفا لمرضاهم وقضاء حوائجهم
بالنذر لهم وهي من بين عيون وشجر وحائط وحجر وفي مدينة دمشق صلى الله
من ذلك مواضع متعددة كعوينة الحما خارج باب توما والعمود المخلق داخل
باب الصغير والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق
سهل الله قطعها واجتثاثها من اصلها فما اشبهها بذات انواط الواردة في الحديث
ثم ذكر الحديث المتقدم وكلام الطرطوشي الذي ذكرنا ثم قال ولقد اعجبني ما
صنعه الشيخ ابو اسحق الجنبياني رحمه الله تعالى في احد الصالحين ببلاد فريقية في
المائة الرابعة حكى عنه صاحبه ابو عبد الله محمد ابن ابي العباس المؤدب انه كان
الى جانبه عين تسمى عين العافية كان العامة قد افتتنوا بها يأتونها من الا
فاق من تعذر عليها نكاح او ولد قالت افضوا بي الى العافية فتعرف بها الفتنة
قال ابو عبد الله فاتاني في السحر ذات ليلة اذ سمعت اذان ابي اسحق نحوها فخرجت
فوجدت قد هدمها واذن وصلى الصبح عليها ثم قال اللهم اني هدمتها لك فلا ترفع

لها راسا قال فما رفع لها راس الى الآن قلت ابو اسحق الذي هدمها امام مشهور
من ايمة المالكية زاهد اسمه ابراهيم ابن احمد ابن علي ابن مسلم وكان الامام ابو محمد
ابن ابي زيد يعظم شانه ويقول طريق ابي اسحق خالية لا يسلكها احد في الوقت
وكان القابسي يقول الجنبياني امام يقتدى به مات سنة تسع وستين وثلاثمائة وذكر ابن القيم نحو ما ذكره ابو شامة ثم قال فما اسرع اهل الشرك الى
اتخاذ الاوثان من دون الله ولو كانت ما كانت ويقولون ان هذا الحجر وهذه
الشجرة وهذه العين تقبل النذر اي تقبل العبادة من دون الله فان النذر
عبادة وقربة يتقرب بها الناذر الى المنذور له وسيأتي شيء يتعلق بهذا الباب
عند قوله اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وفي هذه الجملة من الفوائد ان ما
يفعله من يعتقد في الاشجار والقبور والاحجار من التبرك بها والعكوف عندها
والذبح لها هو الشرك ولا يعتبر بالعوام والطغام ولا يستبعد كون هذا شركا
ويقع في هذه الامة فاذا كان بعض الصحابة ظنوا ذلك حسنا وطلبوه من النبي
صلى الله عليه وسلم حتى بين لهم ان ذلك كقول بني اسرائيل اجعل لنا الها فكيف
بغيرهم مع غلبة الجهل وبعد العهد بآثار النبوة وفيها ان الاعتبار في الاحكام
بالمعاني لا بالاسماء ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم طلبتهم كطلبة بني اسرا
ئيل ولم يلتفت الى كونهم سموها ذات انواط فالمشرك وان سمى شركه باسماء
كثيرة يسمي دعاء الاموات والذبح لهم والنذر ونحو ذلك تعظيما ومحبة فان
ذلك هو الشرك وان سماه باسماء وقس على ذلك وفيها ان معنى الاله
هو المعبود وان من اراد ان يفعل الشرك جهلا فنهي عن ذلك فانتهى لا
يكفر وان لا اله الا الله تنفي هذا الفعل مع دقته وخفائه على اولئك الصحابة
ذكره المصنف فكيف بما هو اعظم منه ففيه رد على الجهال الذين يظنون ان معنا
ها الاقرار بان الله خالق كل شيء وان ما سواه مخلوق ونحو ذلك من العبادات

والأغلاظ على من وقع منه ذلك جهلا قوله لتركبن بضم الموحدة اي لتتبعن
انتم ايها الأمة سنن من كان قبلكم بضم السين اي طرقهم ومناهجهم وافعالهم
ويجوز فتح السين وهذا خبر صحيح وجد كما اخبر صلى الله عليه وسلم ففيه دليل
على شهادة ان محمدا رسول الله وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم النهي عن
التشبيه باهل الجاهلية من اهل الكتاب والمشركين وانه مقرر عندهم
ان العبادات مبناها على الامر فصار فيها التنبيه على مسائل القبر اما من
ربك فواضح واما من نبيك فمن اخباره بأنباء الغيب واما ما دينك فمن
قولهم اجعل لنا الها آخر قاله المصنف وفيه ان الشرك لا بد ان يقع في هذه
الأمة كما وقع في من قبلها ففيه رد على من قال ان الشرك لا يقع في هذه
الامة وفيه سد الذرائع والغضب عند التعليم وان ما ذم الله به اليهود والنصارى فانه لنا التحذير ذكر ذلك المصنف رحمه الله تنبيه زاد بعض المتأخرين ان التبرك بآثار الصالحين مستحب كشرب سؤرهم والتمسح بهم او بشيابهم
وحمل المولود الى احد منهم ليحنكه بتمرة حتى يكون اول ما يدخل جوفه ريق الصالحين
والتبرك بعرقهم ونحو ذلك وقد اكثر من ذلك ابو زكريا النووي في شرح مسلم
في الاحاديث التي فيها ان الصحابة فعلوا شيئا من ذلك مع النبي صلى الله عليه وسلم
وظن ان بقية الصالحين في ذلك كالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وهذا خطاء
صريح لوجوه منها عدم المقاربة فضلا عن المساواة للنبي صلى الله عليه وسلم
في الفضل والبركة ومنها عدم تحقق الصلاح فانه لا يتحقق الا بصلاح القلب
وهذا امر لا يمكن الاطلاع عليه الا بنص الصحابة الذين اثنى الله عليهم ورسوله
او ائمة التابعين او من شهر بصلاح ودين كالائمة الاربعة ونحوهم من الذين
شهد لهم الامة بالصلاح وقد عدم اولئك اما غيرهم فغاية الامر ان نظن
انهم صالحون فنرجو لهم ومنها انا لو ظننا صلاح شخص فلانا من ان يختم له

بخاتمة

بخاتمة سوء والأعمال بالخواتيم فلا يكون اهلا للتبرك باثاره ومنها ان الصحابة
لم يكونوا يفعلون ذلك مع غيره لا في حياته ولا بعد موته ولو كان خيرا لكانوا
لسبقونا اليه فهلا فعلوه مع ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم من الذين
شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وكذلك التابعون هلا فعلوه مع
سعيد ابن المسيب وعلي ابن الحسين واويس القرني والحسن البصري ونحوهم
ممن يقطع بصلاحهم فدل ان ذلك مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنها
ان فعل هذا مع غيره صلى الله عليه وسلم لا يؤمن ان يفتنه وتعجبه نفسه
فيورثه العجب والكبر والرياء فيكون هذا كالمدح في الوجه بل اعظم

باب ما جاء في الذبح لغير الله اي من الوعيد وهل يكون شركا ام لا
قال وقول الله تعالى قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب
العالمين لا شريك له الآية قال ابن كثير يامره تعالى ان يخبر المشركين الذين
يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه وحده لا شريك له وهذا كقوله فصل
لربك وانحر اي اخلص له صلاتك وذبيحتك فان المشركين يعبدون الاصنام
ويذبحون لها فامره الله بخلافهم والانحراف عما هم فيه والاقبال بالقصد
والنية والعزم على الاخلاص لله تعالى قال مجاهد في قوله صلاتي ونسكي قال
نسكي الذبح في الحج والعمرة وقال الثوري عن السدي عن سعيد ابن جبير ونسكي
ذبحي وكذا قال الضحاك وقال غيره ومحياي ومماتي اي وما اتيه في حياتي
واموت عليه من الايمان والعمل الصالح لرب العالمين خالصة لوجهه لا شريك
له وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي
متقدم لاسلام امته كما قال قتادة وانا اول المسلمين اي من هذه الامة
قال ابن كثير وهو كما قال فان جميع الانبياء قبله كلهم كانت دعوتهم الى الاسلام
وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول

الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون واخبر تعالى عن نوح عليه السلام انه قال
لقومه فان تولليتم فما سالتكم من اجر ان اجري الا على الله وامرت ان اكون من
المسلمين وذكرايات في هذا المعنى قلت وفي الاية دلائل متعددة على ان
على الذبح لغير الله شرك كما هو بين عند التامل وفيها بيان العبادة وان
التوحيد ضاف للشرك مضاد له قال وقوله فصل لربك وانحر قال
شيخ الاسلام امر الله ان يجمع بين هاتين العبادتين وهما الصلاة والنسك
الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين و
طمانينة القلب الى الله والى عدته عكس حال اهل الكبر والنفرة واهل الغنا
عن الله الذين لا حاجة لهم في صلاتهم الى ربهم يسالونه اياها والذين لا
يحزون له خوفا من الفقر ولهذا جمع بينهما في قوله قل ان صلاتي ونسكي
الاية والنسك الذبيحة لله تعالى ابتغاء وجهه فانهما اجل ما يتقرب به الى
الله فانه اتى فيهما بالفاء الدالة على السبب لان فعل ذلك سبب للقيام
بشكر ما اعطاه الله من الكوثر واجل العبادات البدنية الصلاة واجل العبا
دات المالية النحر وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها كما عرفه
ارباب القلوب الحية وما يجتمع له في النحر اذا قارنه الايمان والاخلاص من
قوة اليقين وحسن الظن امر عجيب وكان صلى الله عليه وسلم كثير الصلاة كثير
النحر وقال غيره فاعبد ربك الذي اعزك باعطائه وشرفك وصانك من
منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجهه وباسمه
اذا نحرت مخالفا لهم في النحر للاوثان انتهى وهذا هو الصحيح في تفسيرها
واما ما رواه الحاكم عن علي ابن ابي طالب قال لما نزلت هذه السورة على النبي
صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذه النحيرة الذي امرني بها ربي قال انها ليست
بنحيرة ولكن يامرك اذا تحرمت للصلاة ان ترفع يديك اذا كبرت واذا ركعت

واذا رفعت راسك من الركوع الحديث فهو حديث منكر جدا في اسناده اسرائيل ابن
حاتم قال ابن حبان يروي عن مقاتل ابن حيان الموضوعات وعن غيره من الثقات
الاوابد والطامات يروي عن مقاتل ابن حيان ما وضعه عليه عمر ابن صبح
كان يسرقها منه روى عن مقاتل عن الاصبغ ابن نباتة عن علي لما نزلت
فصل لربك وانحر الحديث قال عن علي ابن ابي طالب قال حدثني رسول الله
صلى الله عليه وسلم باربع كلمات لعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من
لعن والديه ولعن الله من اوى محدثا ولعن الله من غير منار الارض
رواه مسلم الحديث رواه مسلم من طرق بمعنى ما ذكر المصنف وفيه قصة رواه
الامام احمد كذلك وعلي ابن ابي طالب هو الامام ابو الحسن الهاشمي ابن عم
النبي صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة الزهراء واسم ابي طالب عبد مناف
ابن عبد المطلب ابن هاشم القرشي كان من السابقين الاولين في الاسلام
ومن اهل بدر وبيعة الرضوان واحد العشرة المشهود لهم بالجنة ورابع الخلفاء
الراشدين ومناقبه كثيرة رضي الله عنه قتله ابن ملجم الخارجي في رمضان
سنة اربعين قوله لعن الله قالوا اللعنة البعد من غفران الرحمة ومواطنها
قيل واللعين والملعون من حقت عليه اللعنة او دعي عليه بها قال ابو السعادات
اصل اللعن الطرد والابعاد من الله ومن الخلق السب والدعاء قوله من ذبح
لغير الله قال النووي المراد به ان يذبح باسم غير الله كمن يذبح للصنم او للصليب
او لموسى او لعيسى صلى الله عليهما وسلم او للكعبة ونحو ذلك وكذا هذا حرام ولا تحل
هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلما او نصرانيا او يهوديا نص عليه الشافعي
واتفق عليه اصحابنا فان قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة
له كان ذلك كفرا فان كان الذابح مسلما قبل ذلك صار بالذبح مرتدا ذكره
في شرح مسلم ونقله غير واحد من الشافعية وغيرهم وقال شيخ الاسلام قوله

تعالى ما اهل به لغير الله ظاهره انه ما ذبح لغير الله صلى ان يقال هذا ذبيحة
لكذا وان كان هذا هو المقصود فسو لفظ به اولم يلفظ به وتحريم هذا ظهر
من تحريم ما ذبح للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه كما ان ما ذبحناه متقربين
به الى الله كان ازكى واعظم مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله فان
عبادة الله بالصلاة له والنسك له اعظم من الاستعانة باسمه في فواتح
الامور فكذلك الشرك بالصلاة لغيره والنسك لغيره اعظم من الاستعا
نة باسمه في فواتح الامور فاذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح اولزهرة فلان
يحرم ما قيل فيه لاجل المسيح والزهرة اوقصد به ذلك اولى فان العبادة لله
لغير الله اعظم كفرا من الاستعانة بغير الله وعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقربا
اليه به لحرم وان قال فيه بسم الله كما يفعل طائفة من منافقي هذه الامة الذين
يتقربون الى الكواكب بالذبح والنحر ونحو ذلك وان كان هؤلاء مرتدين
لاتباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع في الذبيحة مانعان ومن هذا الباب
ما يفعله الجاهلون بمكة من الذبح للجن ولهذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه نهى عن ذبائح الجن قلت هذا الحديث رواه البيهقي عن الزهري مرسلا
وفي اسناده عمر وابن هارون وهو ضعيف عند الجمهور الا ان احمد ابن سيار
روى عن قتيبة انه كان يوثقه ورواه ابن حبان في الضعفاء من وجه اخر
عن عبد الله ابن ادينة عن ثور ابن يزيد عن الزهري عن حميد بن عبد الر
حمن عن ابي هريرة مرفوعا قال ابن حبان وعبد الله يروي عن ثور ما ليس
من حديثه قال الزمخشري كانوا اذا اشتروا دارا او بنوها او استخرجوا عينا
فربما ذبيحة خوفا ان يصيبهم الجن فاضيفت الذبائح اليهم لذلك قال
النووي وذكر الشيخ ابراهيم المروزي من اصحابنا ان ما ذبح عند استقبال
السلطان تقربا اليه افتى اهل بخارى بتحريمه لانه مما اهل به لغير الله قال

الرافع

الرافعي هذا انما يذبح بحرمة استبشارا بقدومه فهو كذبح العقيقة لولادة
المولود قلت ان كانوا يذبح بحرمة استبشارا كما ذكر الرافعي فلا يدخل في
ذلك وان كانوا يذبح بحرمة تقربا اليه فهو داخل في الحديث قوله لعن الله
من لعن والديه قال بعضهم يعني اباه وامه وان عليا في الصحيح ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا
يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل فيسب اباه
ويسب امه فيسب امه فاذا كان حال المتسبب فما ظنك بالمباشر قوله و
لعن الله من اوى محدثا اما آوى فتح الهمزة ممدودة اي ضم اليه وحمى
وقال ابو السعادات يقال آويت الى المنزل وآويت غيري واويته ولذكر
بعضهم المقصود المتعدي وقال الازهري هي لغة فصيحة واما محدثا فقال
ابو السعادات يروى بكسر الدال وفتحها على الفاعل والمفعول فمعنى الكسر
من نصر جانيا واواه واجاره من خصمه وحال بينه وبين ان يقتص منه والفتح
هو الامر المبتدع نفسه ويكون معنى الايواء فيه الرضا به والصبر عليه فانه اذا
رضي بالبدعة واقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد اواه قلت الظاهر انه على الرواية
الاولى يعم المعنيين لان المحدث اعم من ان يكون بجناية او بدعة في الدين بل
المحدث بالبدعة في الدين شر من المحدث بالجناية فاواه اعظم اثما ولهذا عده
ابن القيم في كتاب الكبائر وقال هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب
المحدث في نفسه فكلما كان المحدث في نفسه اكبر كانت الكبيرة اعظم قوله ولعن
الله من غير منار الارض بفتح الميم علامات حدودها والمعنى واحد قيل وتغييرها
ان يقدمها او يؤخرها فيكون هذا من ظلم الارض الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم
من ظلم شبرا من الارض طوقه يوم القيمة من سبع ارضين رواه البخاري ومسلم
وفي الحديث دليل على جواز لعن انواع الفساق لقوله لعن الله اكل الربا وموكله

وكاتبه وشاهديه ونحو ذلك فاما لعن الفاسق المعين ففيه قولان ذكرهما
شيخ الاسلام احدهما انه جائز اختاره ابن الجوزي وغيره والثاني لا يجوز
اختاره ابو بكر عبد العزيز وشيخ الاسلام قال والمعروف عن احمد كراهة
لعن المعين كالحجاج وامثاله وان يقول كما قال الله تعالى الا لعنة الله على
الظالمين قال وعن طارق ابن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب قالوا وكيف ذلك
يا رسول الله قال مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه احد حتى يقرب
له شيئا فقالوا لاحدهما قرب قال ما عندي شيء قالوا قرب ولو ذباب
فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار وقالوا للاخر قرب قال ما كنت لا
قرب لاحد شيئا دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة رواه احمد ش
هذا الحديث ذكره المصنف معزوا لاحمد واظنه تبع ابن القيم في عزوه لاحمد قال
ابن القيم قال الامام احمد حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن سليمان ابن
ميسرة عن طارق ابن شهاب يرفعه قال دخل الجنة رجل في ذباب الحديث
وقد طالعت المسند فما رأيته فيه فلعل الامام رواه في كتاب الزهد او غيره
قوله عن طارق ابن شهاب اي البجلي الاحمسي ابو عبد الله راى النبي صلى الله
عليه وسلم وهو رجل ويقال انه لم يسمع منه شيئا قال البغوي ونزل الكوفة قال
ابو حاتم ليست له صحبة والحديث الذي رواه مرسل وقال ابو داود راى النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئا قال الحافظ اذا ثبت انه لقي النبي صلى الله
عليه وسلم فهو صحابي على الراجح واذا ثبت انه لم يسمع منه فروايته عنه مرسل
صحابي وهو مقبول على الراجح وقد اخرج له النسائي عدة احاديث وذلك
مصير منه الى اثبات صحبته وكانت وفاته على ما جزم به ابن حبان سنة
ثلاث وثمانين قوله دخل الجنة رجل في ذباب اي من اجل ذباب قوله

قالوا

قالوا وكيف ذلك يا رسول الله سالوا عن هذا الامر العجيب لانهم قد علموا
ان الجنة لا يدخلها احد الا بالاعمال الصالحة كما قال تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم
تعملون وان النار لا يدخلها احد الا بالاعمال السيئة وكانهم تقالوا ذلك
وتعجبوا واحتقروه فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما صير هذا الامر الحقير عندهم
عظيما يستحق هذا عليه الجنة ويستحق الاخر عليه النار ولعل هذين الرجلين
من بني اسرائيل فان النبي صلى الله عليه وسلم يحدثهم عن بني اسرائيل كثيرا قوله
فقال مر رجلان على قوم لهم صنم الصنم ما كان منحوتا على صورة قوله لا
يجاوزه اي لا يمر به ولا يتعداه احد حتى يقرب له شيئا وان قل قوله قالوا قرب
ولو ذبابا فقرب ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار في هذا بيان عظمة الشرك
ولو في شيء قليل وانه يوجب النار الا ترى الى هذا ما قرب هذا الصنم ارد الحيوان
واخسه وهو الذباب كان جزاءه النار لاشراكه في عبادة الله اذ الذبح على سبيل
القربة والتعظيم عبادة وهذا مطابق لقوله تعالى انه من يشرك بالله فقد حرم
الله عليه الجنة وماواه النار وفيه الحذر من الذنوب وان كانت صغيرة في
الحسبان كما قال انس انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات رواه البخاري قال المصنف
ما معناه وفيه انه دخل النار بسبب لم يقصده بل فعله تخلصا من شرهم وفيه
ان الذي دخل النار مسلم لانه لو كان كافرا لم يقل دخل النار في ذباب وفيه
ان عمل القلب هو المقصود الاعظم حتى عند عبدة الاوثان قوله وقالوا للاخر
قرب قال ما كنت لاقرب لاحد شيئا دون الله عز وجل الى اخره في هذا بيان
فضيلة التوحيد والاخلاص قال المصنف وفيه معرفة قدر الشرك في قلوب
المؤمنين كيف صبر على القتل ولم يوافقهم على طلبهم مع كونهم لم يطلبوا الا العمل
الظاهر وفيه شاهد للحديث الصحيح الجنة اقرب الى احدكم من شراك نعله والنار

مثل ذلك قلت وفيه التنبيه على سعة مغفرة الله وشدة عقوبته وان الاعمال
بالخواتيم **باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله** اي ان ذلك لا يجوز
لما سيذكره المصنف **قال وقول الله تعالى لا تقم فيه ابدا الآية** حاصل كلام
المفسرين في الآية ان الله نهى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقوم في مسجد الضرار
في الصلاة فيه ابدا والامة تبع له في ذلك ثم حثه على الصلاة في مسجد
قبا الذي اسس من اول يوم بني فيه على التقوى وهي طاعة الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم وجمعا لكلمة المؤمنين ومعقلا ومنزلا للاسلام واهله بقوله
لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه والسياق انما هو في
مسجد قبا ولهذا جاء الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
صلاة في مسجد قبا كعمرة وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يزور قبا راكبا وماشيا وقد صرح بان المسجد المؤسس على التقوى
هو مسجد قبا جماعة من السلف منهم ابن عباس وعروة وعطية والشعبي والحسن
وغير واحد وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لحديث ابي سعيد
قال تمارى رجلان في المسجد الذي اسس على التقوى من اول يوم فقال
رجل هو مسجد قبا وقال الآخر هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مسجدي هذا رواه مسلم وهو قول عمر وابنه
وزيد ابن ثابت وغيرهم قال ابن كثير وهذا صحيح ولا منافات بين الآية وبين
هذا لانه اذا كان مسجد قبا اسس على التقوى من اول يوم فمسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بطريق الاولى وهذا بخلاف مسجد الضرار الذي اسس على
معصية الله تعالى كما قال تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا
بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا
الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون فلهذه الامور نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم

عن

عن القيام فيه بالصلاة وكان المنافقون الذين بنوه جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم
قبل خروجه الى تبوك فسألوه ان يصلي فيه ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وذكروا
انهم انما بنوه للضعفاء واهل العلة في الليلة الشاتية فعصمه الله من الصلاة
فيه فقال انا على سفر ولكن اذا رجعنا ان شاء الله فلما قفل عليه السلام
راجعا الى المدينة ولم يبق بينه وبينها الا يوم او بعض يوم نزل الوحي
بخبر المسجد فبعث اليه فهدمه قبل قدومه الى المدينة ووجه الدلالة من الاية
على الترجمة من جهة القياس لانه اذا منع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن القيام لله تعالى في هذا المسجد الموسس على هذه المقاصد الخبيثة مع انه
لا يقوم فيه الا لله فكذلك المواضع المعدة للذبح لغير الله لا يذبح فيها لله
لانها قد اسست على معصية الله والشرك به يؤيده حديث ثابت ابن الضحاك
الآتي **قوله** فيه رجال يحبون ان يتطهروا روى الامام احمد وابن خزيمة
والطبراني والحاكم عن عويم ابن ساعدة الانصاري ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتاهم في مسجد قبا فقال ان الله قد احسن عليكم الثناء الطهور في قصة
مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به فقالوا والله يا رسول الله ما نعلم
شيئا الا انه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون ادبارهم من الغائط
فغسلنا كما غسلوا وفي رواية عن جابر وانس مرفوعا هو ذاك فعليكموه رواه
ابن ماجة وابن ابي حاتم والدارقطني والحاكم **قوله** والله يحب المطهرين
اي الذين يتنزهون من القاذورات والنجاسات بعدما يتنزهون من اوضار الشرك واقذاره قال ابو العالية ان الطهور بالماء لحسن ولكنهم المتطهرون
من الذنوب قال ابن كثير وفيه دليل على استحباب الصلاة مع الجماعة الصالحين المتنزهين من ملابسة القاذورات المحافظين على اسباغ الوضوء قلت
وفيه اثبات المحبة **قال عن ثابت ابن الضحاك قال نذر رجل ان ينحر ابلا ببوانة**

فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل كان فيكم وثن من اوثان الجاهلية يعبد
قالوا لا قال فهل كان فيها عيد من اعيادهم قالوا لا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما
لا يملك ابن آدم رواه ابو داود واسناده على شرطهما ش هذا الحديث رواه
ابو داود فقال حدثنا داود ابن رشيد قال حدثنا شعيب ابن اسحق عن
الاوزاعي قال حدثني يحيى ابن ابي كثير قال حدثني ابو قلابة قال حدثني ثا
بت ابن الضحاك قال نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينحر
ابلا ببوانة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني نذرت ان انحر ابلا ببوانة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل كان فيها وثن الحديث وهذا اسناد جيد وروى
ابو داود ايضا عن عمرو ابن شعيب عن ابيه عن جده ان امراة اتت النبي صلى
الله عليه وسلم فقالت اني نذرت ان اذبح بمكان كذا وكذا اكان يذبح فيه
اهل الجاهلية قال الصنم قالت لا قال لوثن قالت لا قال اوف بنذرك
مختصر ومعنى قوله الصنم الى آخره اي هل يذبح فيه لصنم او وثن فيكون
كحديث ثابت قوله عن ثابت ابن الضحاك اي ابن خليفة الاشهلي صحابي
مشهور روى عنه ابو قلابة وغيره مات سنة اربع وستين قوله فنذر
رجل ان يكون هو كردم ابن سفيان والد ميمونة لما روى ابو داود وغيره ان
له خرجت مع ابي في حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالت فدنى اليه ابي فقال يا رسول الله اني نذرت ان ولد لي ولد ذكر
ان انحر على راس بوانة في عقبة في الشا ياعدة من النعم قال لا اعلم الا انها
لها خمسين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بها من هذه الاوثان شيء
قال لا قال فاوف بما نذرت له وذكر الحديث قوله ان ينحر ابلا في حديث
ميمونة قال فاوف بما نذرت له قال فجمعها فجعل يذبحها فانفلتت منه شاة

فطلبها

فطلبها وهو يقول اللهم اوف بنذري فظفر بها فذبحها فيحتمل ان يكون
نذر ابلا وغنما ويحتمل ان يكون ذلك قصتين قوله ببوانة بضم الباء و
قيل بفتحها قال البغوي موضع في اسفل مكة دون يلملم وقال ابو السعادات
هضبة من وراء ينبع قوله فقال هل كان فيها وثن من اوثان الجاهلية يعبد
قال في عروة المفتاح الصنم هو ما له صورة والوثن ما ليس له صورة قلت
هذا هو الصحيح في الفرق بينهما وقد جاء عن السلف ما يدل على ذلك وفيه
المنع من الوفاء بالنذر اذا كان في المكان وثن من اوثانهم ولو بعد زواله
ذكره المصنف قوله هل كان فيها عيد من اعيادهم قال شيخ الاسلام العيد
اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد اما يعود السنة او يعود
الاسبوع او الشهر ونحو ذلك والمراد به هنا الاجتماع المعتاد من اجتماع الجا
هلية فالعيد يجمع امورا منها يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة ومنها
اجتماع فيه ومنها اعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات وقد يختص
العيد بمكان بعينه وقد يكون مطلقا وكل من هذه الامور قد يسمى
عيدا فالزمان كقول النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة ان هذا يوم جعله
الله للمسلمين عيدا والاجتماع والاعمال كقول ابن عباس شهدت العيد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمكان كقوله لا تتخذوا قبري قبرا ولا تجعلوا
قبري عيدا وقد يكون لفظ العيد اسما لمجموع اليوم والعمل فيه وهو الغالب كقول النبي
صلى الله عليه وسلم دعها يا ابا بكر فان لكل يوم عيدا انتهى وفيه استفصال
المفتي والمنع من الوفاء بالنذر اذا كان في المكان عيد من اعياد الجاهلية
ولو بعد زواله والحذر من مشابهة المشركين في اعيادهم ولو لم يقصده
ذكره المصنف قوله فاوف بنذرك هذا يدل على ان الذبح لله في المكان
الذي يذبح فيه المشركون لغيره او في محل اعيادهم معصية لان قوله فاوف

بنذرك تعقيب للوصف بالحكم بحرف الفاء وذلك يدل على ان الوصف لسبب الحكم
فيكون سبب الامر بالوفاء وجود النذر حاليا عن هذين الوصفين فيكونان
مانعين من الوفاء ولو لم يكن معصية لجاز الوفاء به ولانه عقبه بقوله فانه لا وفاء
لنذر في معصية الله فدل ان الصورة المسؤول عنها مندرجة في هذا اللفظ العام
لان العام اذا ورد على سبب فلا بد ان يكون السبب مندرجا فيه ولانه لو كان
الذبح فيما ذكر جائزا لسوغه صلى الله عليه وسلم للناذر الوفاء به كما سوغ لمن نذرت
الضرب بالدف ان تضرب به لانه عليه السلام استفصل فلما قالوا لا قال اوف
بنذرك وهذا يقتضي ان كون البقعة مكانا لعيدهم او بها وثن من اوثانهم مانع
من الذبح بها وان نذر والام يحسن الاستفصال هذا معنى كلام شيخ الاسلام وفيه
ان تخصيص البقعة بالنذر لا باس به اذا خلا من الموانع قوله فانه لا وفاء لنذر في
معصية الله دليل على ان هذا نذر معصية لا يجوز الوفاء به لما تقدم وعلى ان نذر
المعصية لا يجوز الوفاء به وقد اجمع العلماء على ذلك لهذا الحديث وحديث عائشة
الاتي وما في معناهما واختلفوا هل تجب فيه كفارة يمين على قولين هما روايتان
عن احمد احدهما تجب وهو المذهب المشهور عن احمد وروي عن ابن مسعود وابن عباس
وبه قال ابو حنيفة واصحابه لحديث عائشة مرفوعا لا نذر في معصية وكفارته
كفارة يمين رواه احمد واهل السنن واحتج به احمد واسحق والثاني لا كفارة
عليه روي ذلك عن مسروق والشعبي والشافعي لحديث الباب وحديث عائشة
الاتي ولم يذكر فيهما كفارة وجوابه ان عدم ذكر الكفارة لا يدل على عدم وجوبها
قوله ولا فيما لا يملك ابن ادم قال في شرح المصابيح يعني اذا اضاف النذر الى معين لا
يملكه بان قال ان شفى الله مريضي فلله علي ان اعتق عبد فلان او التصدق بثوبه و
نحو ذلك فاما اذا التزم في الذمة شيئا لا يملكه فيصح نذره مثاله ان شفى الله مريضي فلله
علي ان اعتق رقبة وهو في ذلك الحال لا يملك رقبة ولا قيمتها فيصح نذره واذا شفي

ثبت النذر في ذمته قوله رواه ابو داود واسناده على شرطهما اي شرط البخاري
ومسلم واضمرهما للعلم بذلك وابو داود اسمه سليمان ابن الاشعث ابن
اسحق ابن بشير ابن شداد الازدي السجستاني صاحب الامام احمد وهو
مصنف السنن ثقة امام حافظ من كبار العلماء مات سنة خمس وسبعين
ومايتين باب من الشرك النذر لغير الله اي لانه من العبادة فيكون
صرفه لغير الله شركا فاذا نذر طاعة وجب عليه الوفاء بها وهو عبادة و
قربة الى الله ولهذا مدح الله الموفين به فان نذر لمخلوق تقربا اليه ليشفع
له عند الله ويكشف ضره ونحو ذلك فقد اشرك في عبادة الله تعالى
غيره ضرورة كما ان من صلى لله وصلى لغيره فقد اشرك كذلك هذا قال لقو
له تعالى يوفون بالنذر وجه الدلالة من الاية على الترجمة ان الله تعالى مدح
الموفين بالنذر والله تعالى لا يمدح الا فعل واجب او مستحب او ترك محرم لا يمدح
على فعل المباح المجرد وذلك هو العبادة فمن فعل ذلك لغير الله متقربا به اليه
فقد اشرك قال وقوله وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله
يعلمه وجه الدلالة من الاية على الترجمة ان الله تعالى اخبر بان ما انفقناه من
نفقة او نذرناه من نذر متقربين بذلك اليه انه يعلمه ويجازينا عليه
فدل ذلك انه عبادة وبالضرورة يدري كل مسلم ان من صرف شيئا من العبا
دة لغير الله فقد اشرك قال ابن كثير يخبر تعالى بانه عالم بجميع ما يعمله العبا
ملوك من الخيرات من النفقات والمنذورات وتضمن ذلك مجازاته على ذ
لك او قر الجزا للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده اذا علمت
ذلك فهذه النذور الواقعة من عباد القبور واشباههم لمن يعتقدون
فيه نفعا او ضرا فيتقرب اليه بالنذر ليقضي حاجته او ليشفع له كل ذلك
شرك في العبادة وهو شبيه بما ذكر الله عن المشركين في قوله وجعلوا لله

مما ذرء من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما
كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركاءهم ساء ما
يحكمون روى ابن ابي حاتم في الاية يعني جزءا ومن الحرث لله ولشركائهم و
لاوثانهم جزءا مما ذهبت به الريح مما سموا لله الى جزوا اوثانهم الى جزوا الله
اخذوه وعباد القبور يجعلون لله جزءا من اموالهم بالنذر والصدقة
وللأموات والطواغيت جزءا كذلك وقد نص غير واحد من العلماء على
ان النذر لغير الله شرك قال شيخ الاسلام واما نذره لغير الله كالنذر
للاصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك فهو بمنزلة ان يحلف بغير الله
من المخلوقات والحالف بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا كفارة وكذلك
الناذر للمخلوق ليس عليه وفاء ولا كفارة فان كلاهما شرك والشرك
ليس له حرمة بل عليه ان يستغفر الله من هذا العقد ويقول ما قال النبي صلى الله
عليه وسلم حيث قال من حلف باللات والعزى فليقل لا اله الا الله وقال ايضا
فيمن نذر للقبور ونحوها دهنا لتسوريه ويقول انها تقبل النذر كما يقوله
بعض الظالمين هذا النذر معصية فاتفاق العلماء لا يجوز الوفاء به وكذلك
اذا نذر مالا من النقد او غيره للسدنة او المجاورين العاكفين بتلك البقعة
فان هؤلاء السدنة فيهم شبه من السدنة التي كانت للات والعزى ومناة
ياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والمجاورون هنا
لك فيهم شبه من العاكفين الذين قال فيهم ابراهيم الخليل عليه السلام ما
هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون والذي اتخذ بهم موسى عليه السلام
وقومه قال تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على
اصنام لهم فالنذر لاولئك السدنة والمجاورين في هذه البقاع التي لا
فضل للشريعة في المجاورة فيها نذر معصية وفيه شبه من النذر لسدنة

الصلبان

الصلبان المجاورين عندها او لسدنة الاوثاد التي في الهند المجاورين
عندها ثم هذا المال اذا صرفه في جنس تلك العبادة من المشروع مثلا
ان يصرفه في عمارة المساجد او الصالحين من فقراء المسلمين يستعينون
بالمال على عبادة الله كان حسنا وقد تقدم كلام ابن القيم في قوله
ويقولون انها تقبل النذر اي تقبل العبادة من دون الله فان النذر
عبادة الى اخره وقال الامام الاذرعي في شرح منهاج النووي واما النذر
للمشاهد التي بنيت على قبر ولي او شيخ او على اسم من حلها من الاولياء
او تردد في تلك البقعة من الانبياء والصالحين فان قصد الناذر بذ
لك وهو الغالب او الواقع من قصود العامة تعظيم البقعة والمشهد والزوا
ية
او تعظيم من دفن بها او نسبت اليه او بنيت على اسمه فهذا النذر باطل
غير منعقد فان معتقدهم ان لهذه الاماكن خصوصات لانفسها ويرون
انها مما يدفع به البلاء ويستجلب به النعماء ويستشفى بالنذر لها من الاء
دوى حتى انهم ينذرون لبعض الاحجار لما قيل انه جلس اليها او استند اليها
عبد صالح وينذرون لبعض القبور السرج والشموع والزيت ويقولون القبر
الفلاني او المكان الفلاني يقبل النذر يعنون بذلك انه يحصل به بعض الغرض
المامول في شفاء مريض وقدوم غائب وسلامة مال وغير ذلك من انواع
نذر المجازات فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه بل نذر الزيت
والشمع ونحوهما للقبر باطل مطلقا من ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها
لقبر الخليل عليه السلام ولقبر غيره من الانبياء والاولياء فان الناذر لا
يقصد بذلك الا الايقاد على القبر تبركا وتعظيما ضانا ان ذلك قربة فهذا
مما لا ريب فيه في بطلانه والايقاد المذكور محرم سواء انتفع به هناك منتفع
ام لا الى اخر كلامه وقال الشيخ قاسم الحنفي في شرح درر البحار النذر الذي يذره

اكثر العوام على ما هو مشاهد كان يكون لانسان غائب او مريض او له حاجة
ضرورية فيأتي الى بعض الصلحاء ويجعل على راسه شيء ويقول ياسيدي فلان
ان رد الله غائبي او عوفي مريضي او قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا ه
او من الفضة كذا او من الطعام كذا او من الماء كذا او من الشمع والزيت كذا
فهذا النذر باطل بالاجماع لوجوه منها انه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق
لا يجوز لانه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق ومنها ان المنذور له ميت
والميت لا يملك ومنها انه ظن ان الميت يتصرف في الامور دون الله واعتقاد
ذلك كفر الا ان قال اذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت و
غيرها ويحمل الى ضرائح الاولياء تقربا اليهم فهذا حرام باجماع المسلمين نقله
عنه ابن نجيم في البحر الرائق في اخر كتاب الصوم ومنه نقله المرشد في ايضا في
تذكرته ونقله غيرهما عنه ايضا وزاد وقد ابتلي الناس بهذا لا سيما في مولد احمد
البدوي وقال الشيخ ضياء الله الخليلي الحنفي في الرد على من اجاز الذبح والنذر للاولياء
واثبت الاجر في ذلك فهذا الذبح والنذر ان كان اسم فلان وفلان فهو لغير الله
فيكون باطلا وفي التنزيل وما اكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قل ان صلاتي
ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له اي صلاتي وذبحي لله
كما فسر به قوله فصل لربك وانحر وفي الحديث لا نذر في معصية الله رواه ابو
داود وغيره والنذر لغير الله اشراك مع الله الى ان قال فالنذر لغير الله كالذ
بح لغيره وقال الفقهاء خمسة لغير الله شرك الركوع والسجود والنذر والذبح
واليمين قال والحاصل ان النذر لغير الله محرم فمن اين تحصل لهم الاجور
انتهى ملخصا وقال القاضي ابو بكر ابن العربي المالكي قد نهى عن النذر وندب
الى الدعاء والسبب فيه ان الدعاء عبادة عاجلة ويظهر به التوجه الى الله والتضرع
له وهذا بخلاف النذر فان فيه تاخير العبادة الى حين الحصول وترك

العمل

العمل الى حين الضرورة فقد نقض ابو بكر على ان الدعاء والنذر عبادتان ولا
يمتري مسلم ان من عبد غير الله فقد اشرك ولكن كما قال تعالى وما تغني الايات
والنذر عن قوم لا يؤمنون قال وفي الصحيح عن عائشة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من نذر ان يطيع الله فليطعه ومن نذر ان يعصي الله
فلا يعصه قوله في الصحيح اي صحيح البخاري قوله عن عائشة ام المؤمنين
زوج النبي صلى الله عليه وسلم وبنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما تزوجها
النبي صلى الله عليه وسلم وهي بنت سبع سنين ودخل بها وهي بنت تسع سنين
وهي افقه النساء مطلقا وافضل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم الاحاديث فيها
خلاف كثير ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح قاله الحافظ قوله
من نذر ان يطيع الله فليطعه اي فليفعل ما نذره من طاعة الله وقد
اجمع العلماء على ان من نذر طاعة بشرط يرجوه كقوله ان شفا الله مريضي ه
فعلي ان اتصدق بكذا ونحو ذلك وجب عليه ان يوفي بها مطلقا اذا حصل
الشرط الا انه حكي عن ابي حنيفة انه لا يلزمه الوفاء بل لا اصل له في الوجوب
كالاعتكاف وعيادة المريض والحديث حجة عليه لانه لم يفرق بين ماله اصل
في الوجوب وما لا اصل له فان نذر ابتداء كقوله لله علي صوم شهر فالحكم
ايضا كذلك في قول الاكثرين وعن بعضهم انه لا يلزم والحديث حجة عليه ايضا
لانه لم يفرق بين ما علقه على شرط وبين ما نذره ابتداء قوله ومن نذر
ان يعصي الله فلا يعصه زاد الطحاوي وليكفر عن يمينه قال ابن القطان عندي
شك في رفع هذه الزيادة اي لا يفعل المعصية التي نذرها وقد اجمع ه
العلماء على انه لا يجوز له الوفاء بنذر المعصية قال الحافظ في الفتح واتفقوا
على تحريم النذر في المعصية وتنازعوا هل ينعقد موجبا للكفارة ام لا وقد تقدم
ذلك في الباب قبله وقد يستدل بقوله ومن نذر ان يعصي الله فلا يعصه بصحة

النذر في المباح كما هو مذهب احمد وغيره يؤيده ما رواه ابو داود عن عمرو
ابن شعيب عن ابيه عن جده ورواه احمد والترمذي عن بريدة ان امراة
قالت يا رسول الله اني نذرت ان اضرب على راسك بالدف فقال
اوفي بنذرك واذا صمتها فحكمه حكم الحلف على فعله فيخير بين فعله و
كفارة يمين وامانذر اللجاج والغضب فهو يمين عند احمد فيخير بين
فعله وكفارة يمين لحديث عمران ابن حصين مرفوعا لا نذر في غضب
وكفارته كفارة يمين رواه سعيد واحمد والنسائي وله طرق وفيه
كلام فان نذر مكروها كالطلاق استحب ان يكفر ولا يفعله باب
من الشرك الاء ستعاذة بغير الله الأستعاذة الألتجا والأعتصام
والتحرز وحقيقتها الهرب من شيء تخافه الى من يعصمك منه ولهذا يسمى
المستعاذ به معاذا او ملجا ووزرا فالعائذ بالله قد هرب مما يوذيه
او يهلكه الى ربه ومالكه وفر اليه والقى نفسه بين يديه واعتصم به واستجار
به والتجاء اليه وهذا تمثيل وتفهيم والا فما يقوم بالقلب من الألتجاء الى
الله والاعتصام به والانطراح بين يدي الرب تعالى والأفتقار اليه و
التذلل بين يديه امر لا تحيط به العبارة هذا معنى كلام ابن القيم وقال
ابن كثير الاستعاذة هي الألتجاء الى الله والألتصاق بجنابه من شر كل ذي
شر والعياذ يكون لدفع الشر واللياذ لطلب الخير وهذا معنى كلام غيرهما
من العلماء فتبين بهذا ان الأستعاذة بالله عبادة الله ولهذا امر الله بها
الأستعاذة به في غير اية وتواترت السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
قال الله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع
عليم وقال وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان
يحضرون وقال فاستعذ بالله انه هو السميع البصير وقال قل اعوذ برب

الفلق

الفلق من شر ما خلق وقال تعالى قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس
فاذا كان تعالى هو ربنا ومالكنا والهنا فلا مفزع لنا في الشدائد سواه
ولا ملجا لنا منه الا اليه ولا معبود لنا غيره فلا ينبغي ان يدعى ولا يخاف
ولا يرجى ولا يحب غيره ولا يذل ولا يخضع لغيره ولا يتوكل الا عليه لان
من تخافه وترجوه وتدعوه وتتوكل عليه اما ان يكون ربك والقيم
بامرك ومتولي شانك فهو ربك فلا رب لك سواه او تكون مملوكه
وعبده الحق فهو ملك الناس حقا وكلهم عبيده ومماليكه او يكون معبودك
والهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين بل حاجتك اليه اعظم من حاجتك
الى حياتك ورزقك فهو اله الحق اله الناس فمن كان ربهم وملكهم و
الههم فهم جدير ون ان لا يستعيذ وا بغيره ولا يستنصروا بسواه ولا
يلجا الى غير حماه فهو كافيهم وحسبهم وناصرهم وواليهم ومتولي امرهم
جميعا بربوبيته وملكه والهيته لهم فكيف لا يلتجي العبد عند النوازل ونزول
عدوه به الى ربه وملكه والهه وهذه طريقة القران يحتج عليهم باقرارهم
بهذا التوحيد على توحيد الالهية هذا معنى كلام ابن القيم فاذا تحقق العبد
بهذه الصفات الرب والملك والاله واستقل امر الله واستعاذ به فلا
ريب ان هذا عبادة من اجل العبادات بل هو من حقائق توحيد الالهية
فان استعاذ بغيره فهو عابد لذلك الغير كما ان من صلى لغير الله وصلى لغيره يكون
عابد الغير الله كذلك في الأستعاذة ولا فرق الا ان المخلوق يطلب منه
ما يقدر عليه ويستعاذ به فيه بخلاف ما لا يقدر عليه الا الله فلا استعاذ
فيه الا بالله كالدعاء فان الاء ستعاذة من انواعه قال وقول الله تعالى
وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ش
المعنى والله اعلم على قول ان الانس زادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا

اي اثما وطغيانا وشرا فضمير الفاعل على هذا للعائذين من الانس وضمير
المفعول للمستعاذ بهم من الجن وعلى القول الثاني بالعكس وزيادتهم للانس
رهقا باغوائهم وضلالهم وذلك ان الرجل من العرب كان اذا امسى في واد
فقيل في بعض مسايره وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء
قومه يريد الجن وكبيرهم قال مجاهد كانوا يقولون اذا هبطوا واديا نعوذ
بعظيم هذا الوادي فزادوهم رهقا قال زادوا الكفار طغيانا اراده عبد
ابن حميد وابن المنذر والاثار بذلك عن السلف مشهورة ووجه الاستدلال
بالاية على الترجمة ان الله حكى عن مؤمني الجن انهم لما تبين لهم دين الرسول
صلى الله عليه وسلم وامنوا به ذكروا اشياء من الشرك كانوا يعتقدونها في
الجاهلية من جملتها الاستعاذة بغير الله وقد اجمع العلماء على انه لا تجوز
الاستعاذة بغير الله ولهذا نهوا عن الرقى التي لا يعرف معناها خشية ان يكون
فيها شيء من ذلك قال ملا علي قاري الحنفي ولا تجوز الاستعاذة بالجن
فقد ذم الله الكافرين على ذلك فقال وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن فزادوهم رهقا الى ان قال وقال تعالى ويوم يحشرهم جميعا
يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع
بعضنا ببعض الاية فاستمتاع الانسي بالجني في قضاء حوائجه وامتثال
اوامره واخباره بشيء من المغيبات واستمتاع الجني بالانسي تعظيمه اياه
واستعاذته به واستغاثته وخضوعه له وفيه ان يكون الشيء يحصل به
منفعة دنيوية من كف شر وجلب نفع لا يدل على انه ليس من الشرك ذكره
المصنف قال وعن خولة بنت حكيم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من نزل منزلا فقال اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم
يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك رواه مسلم ش قوله عن خولة بنت

حكيم اي ابن امية السلمية يقال لها ام شريك ويقال لها خويلة بالتصغير ويقال
انها هي الواهبة وكانت قبل تحت عثمان ابن مظعون قال ابن عبد البر وكانت
صالحة فاضلة قوله اعوذ بكلمات الله التامات هذا شرعه الله لاهل الاسلام ان يستعيذوا به بدلا عما يفعله اهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن فشرع الله للمسلمين ان يستعيذوا به او بصفاته قال القرطبي في المفهم قيل معناه الكاملات اللاتي لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر وقيل معناه الشافية الكافية وقيل الكلمات هنا القران فان الله اخبر عنه بانه هدى وشفاء وهذا الامر على جهة الارشاد الى ما يدفع به الاذى ولما كان ذلك استعاذة بصفات الله تعالى والتجأ اليه كان ذلك من باب المندوب اليه المرغب فيه وعلى هذا فحتى المتعوذ بالله تعالى وباسمائه وصفاته ان يصدق الله في التجائه اليه ويتوكل في ذلك عليه ويحضر ذلك في قلبه فمتى فعل ذلك وصل الى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه وقال غيره وقد اتفق العلماء على ان الاستعاذة بالمخلوق لا تجوز واستدلوا بحديث حولة وقالوا فيه دليل على ان كلمات الله غير مخلوقة ورد وا به على الجهمية والمعتزلة في قولهم بخلق القران قالوا فلو كانت كلمات الله مخلوقة لم يامر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة بها لان الاستعاذة بالمخلوق شرك وقال شيخ الاسلام وقد نص الائمة كاحمد وغيره على انه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق وهذا مما استدلوا به على ان كلام الله غير مخلوق قالوا لانه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه استعاذ بكلمات الله وامر بذلك ولهذا نهى العلماء عن التعاويذ والتعاويذ التي لا يعرف معناها خشية ان يكون فيها شرك وقال ابن القيم ومن ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرب اليه بما يحب فقد عبده وان لم يسم ذلك عبادة وبسببه استحذا من الشيطان له فيصير من

خدم الشيطان وعابديه وبذلك يخدمه الشيطان لكن خدمة الشيطان له ليست
خدمة عبادة فان الشيطان لا يخضع له ويعبده كما يفعل هو به **قوله** من شر
ما خلق اي من كل شر في اي مخلوق قام به الشر من حيوان او غيره انسيا كان
او جنيا او هامة او دابة او ريحا او صاعقة اي نوع كان من انواع البلا في
الدنيا والاخرة وما ههنا موصولة ليس الا وليس المراد بها العموم الأطلا
في بل المراد التقييد الوضعي والمعنى من شر كل مخلوق فيه شر لا من شر كل ما
خلقه الله تعالى فان الجنة والملائكة والانبيا ليس فيهم شر هذا معنى كلام
ابن القيم قال والشر يقال على شيئين على الالم وعلى ما يفضي اليه **قوله**
لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك قال القرطبي هذا خبر صحيح وقول
صادق علمناه صدقه دليلا وتجربة فاني منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه
فلم يضرني شيء الى ان تركته فلدغتني عقرب بالمهدية ليلا فتفكرت في نفسي
فاذا اني قد نسيت ان اتعوذ بتلك الكلمات قال المصنف فيه فضيلة هذا الدعا
مع اختصاره **باب من الشرك ان يستغيث بغير الله او يدعو اغيره** قال
شيخ الأسلام الاستغاثة هي طلب الغوث وهو ازالة الشدة كالاستنصار
طلب النصر والاستعانة طلب العون وقال غيره الفرق بين الاستغاثة والدعا
ان الاستغاثة لا تكون الا من المكروب كما قال تعالى فاستغاثه الذي من
شيعته على الذي من عدوه وقال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم والدعا
اعم من الأستغاثة لانه يكون من المكروب وغيره ففعل هذا عطف الدعا على
الأستغاثة من عطف العام على الخاص وقال ابو السعادات الاعانة الأعانة
فعل هذا تكون الاستغاثة هي الأستعانة ولا ريب ان من استغاثك فاغثته
فقد اعنته الا ان لفظ الاستغاثة مخصوص بطلب الغوث في حالة الشدة
بخلاف الاستعانة **وقوله** او يدعو اغيره المراد بالدعاء هنا هو دعاء المسئلة

من الايات **وعلم** ان الدعا نوعان دعاء عبادة ودعاء مسئلة كما
حققه غير واحد منهم شيخ الاسلام وابن القيم وغيرهما ويراد به في القران
هذا تارة وهذا تارة ويراد به مجموعهما وهما متلازمان فدعاء المسئلة
هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع او كشف ضر فالمعبود لا بد وان
يكون مالكا للنفع والضر ولهذا انكر الله تعالى على من عبد من دونه مالا يملك ضرا
ولا نفعا وهو السميع العليم وقوله ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا
ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وذلك كثير في القران يبين
ان المعبود لا بد وان يكون مالكا للنفع والضر فهو يدعى للنفع والضر دعاء
عبادة مستلزم لدعاء المسئلة وكل دعاء مسئلة متضمن لدعاء العبادة و
بهذا التحقيق يندفع عنك ما يقوله عباد القبور اذا احتج عليهم بما ذكر
الله في القران من الامر باخلاص الدعا له قالوا المراد به العبادة فيقولون
في مثل قوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اي لا تعبدوا
فيقال لهم وان اريد به دعاء العبادة فلا ينفي ان يدخل دعاء المسئلة في
العبادة لان دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسئلة كما ان دعاء المسئلة متضمن
لدعاء العبادة هذا لو لم يرد في دعاء المسئلة بخصوصه من القران الا الايات
التي ذكرنا فيها دعاء العبادة فكيف وقد ذكره الله في القران في غير موضع قال
الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال تعالى وادعوه
خوفا وطمعا وقال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا
الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله وقال تعالى واسئلوا
الله من فضله وقال تعالى قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة
اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون

اليه اشاء وتنسون ما تشركون وقال تعالى له دعوة الحق والذين يدعون
من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه
وما دعاء الكافرين الا في ضلال وقال تعالى عن ابراهيم عليه السلام
ان ربي لسميع الدعاء وقال عنه ايضا واعتزلكم وما تدعون من دون الله
وادعو ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون
من دون الله الاية وقال تعالى ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون ثم اذا
كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وقال تعالى قل ادعوا
الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا وقال تعالى
واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم
وكان الانسان كفورا وقال تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايما تدعوا
فله الاسماء الحسنى وقال تعالى عن زكريا عليه السلام قال رب اني وهن
العظم مني واشتعل الراس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا وقال تعالى
وقل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم الاية وقال تعالى فاذا ركبوا
في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
فكفى بهذه الاية نجاة وحجة وبرهانا في الفرق بين التوحيد والشرك عموما
وفي هذه المسئلة خصوصا وقال تعالى فابتغوا عند الله الرزق وقال
تعالى واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان
يدعو اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا
انك من اصحاب النار وقال تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من
قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة
يكفرون بشرككم وقال تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون
عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وغير ذلك من الايات وفي الاحاديث

عن النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يحصى منها قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن ربه
تبارك وتعالى قال يا عبادي كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم
يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي كلكم
ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي انكم تخطئون بالليل
والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم رواه مسلم
وقوله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا
حين يبقى ثلث الليل الاخر يقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني
فاعطيه من يستغفرني فاغفر له رواه البخاري ومسلم وقوله ليس شيء
اكرم على الله من الدعاء رواه احمد والترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم
وصححه وقوله من لم يدع الله يغضب عليه رواه احمد وابن ابي شيبة والحاكم
وقوله سلوا الله من فضله فان الله يحب ان يسئل رواه الترمذي وقوله
الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض رواه الحاكم وصححه
وقوله الدعاء هو العبادة رواه احمد والترمذي وفي حديث اخر الدعاء مخ
العبادة رواه الترمذي وقوله لما سئل اي العبادة افضل قال دعاء
المرء لنفسه رواه البخاري في الادب وقوله لن ينفع حذر من قدر ولكن
الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم بالدعاء يا عباد الله رواه احمد
وقوله سلوا الله كل شيء حتى الشسع اذا انقطع فانه ان لم ييسره الله لم
ييسر رواه ابو يعلى باسناد صحيح وقوله ليسئل احدكم ربه حاجته كلها
حتى يسئله شسع نعله اذا انقطع وحتى يسئله الملح رواه البزار باسناد صحيح
وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه اني لاحمل هم للاجابة ولكن هم الدعا فاذا
الهمت الدعاء علمت ان الاجابة معه وقال ابن عباس رضي الله عنهما افضل العبادة
الدعاء وقرا وقال ربكم ادعوني استجب لكم رواه ابن المنذر والحاكم وصححه وقال

مطرق تذكرت ماجاء الخير فاذا الخير كثير الصلاة والصيام واذا هو في يد الله تعالى
واذا انت لاتقدر على ما في يد الله الا ان تسئله فيعطيك رواه احمد والاحاديث
والاشارة في ذلك كثيرة لايحيط بها الا الله تعالى فثبت بهذا ان الدعاء عبادة
من اجل العبادات قل هو اكرمها على الله كما تقدم فان لم يكن الاشراك فيه شركا
فليس في الارض شرك وان كان في الارض شرك فالشرك في الدعاء اولى ان
يكون شركا من الاشراك في غيره من انواع العبادات بل الاشراك في الدعا
هو اكبر شرك المشركين الذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم
يدعون الانبياء والصالحين والملائكة ويتقربون اليهم ليشفعوا لهم عند
الله وهذا يخلصونه في الشدائد لله ويتركون ما يشركون حتى جاءتهم اذا جا
تهم الشدائد في البحر يخلصون اصنامهم في البحر ويقولون يا الله يا الله لعلمهم
ان الهتهم لاتكشف الضر ولا تجيب المضطر قال تعالى امن يجيب المضطر
اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض اءله مع الله قليلا ما تذكرون
فهم كانوا يعلمون ان ذلك لله وحده وان الهتهم ليس عندها شيء من ذلك
ولهذا احتج سبحانه وتعالى عليهم بذلك على انه هو الاله الحق وعلى بطلان
الهة ماسواه وقال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما
نجاهم الى البر اذا هم يشركون فهذه حال المشركين الاولين واما عباد
القبور اليوم فلا اله الا الله كم ذا بينهم وبين المشركين الاولين من التفاوت
العظيم في الشرك فانهم اذا اصابتهم الشدائد برا وبحرا اخلصوا الهتهم واو
ثانهم التي يدعونها من دون الله واكثرهم قد اتخذ ذكر الهة وشيخه وديدانه
وهجيراه ان قام وان قعد واذا عثر هذا اكثر يقول يا علي وهذا يقول
يا عبد القادر وهذا يقول يا ابن علوان وهذا يدعوا البدوي وهذا يدعوا
العيدروس وبالجملة ففي كل بلد في الغالب اناس يدعونهم ويسئلونهم

قضاء الحاجة

قضاء الحاجات وتفريج الكربات بل بلغ الامر الى ان سئلوهم مغفرة الذ
نوب وترجيح الميزان ودخول الجنة والنجاة من النار والتثبيت عند الموت
والسؤال وغير ذلك من انواع المطالب التي لاتطلب الا من الله وقد يسئلون
ذلك من اناس يدعون الولاية وينصبون انفسهم لهذه الامور وغيرها
من انواع النفع والضر التي هي خواص الالهية ويلفقون لهم من الاكاذيب
في ذلك عجائب منها انهم يدعون انهم يخلصون من التجا اليهم ولاذ بجاههم
من النار والعذاب فيقول احدهم انه يقف عند النار ولا يدع احد
ممن يرتجيه ويدعوه يدخلها ونحو هذا وقد قال تعالى لسيد المرسلين
صلى الله عليه وعليهم اجمعين امن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ
من في النار فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لايقدر على تخليص احد من
النار فكيف بغيره بل كيف من يدعي لنفسه انه هو يفعل ذلك ومنها
ان اكثرهم يلفق حكايات في ان بعض الناس استغاث ببلان فاغاثه
او دعا الولي الفلاني فاجابه او في كربة ففرج عنه وعند عباد القبور من
ذلك شيء كثير من جنس ما عند عباد الاصنام الذين استولت عليهم الشيا
طين ولعبوا بهم لعب الصبيان بالكرة ويوجد شيء من ذلك في اشعار الماد
حين لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم الذين جاوزوا الحد في مدحه صلى الله
عليه وسلم وعصوه في نهيه عن الغلو فيه واطرائه كما اطرت النصارى ابن
مريم وصار حظهم منه صلى الله عليه وسلم هو مدحه بالاشعار والقصائد
والغلو الزائد مع عصيانهم له في امره ونهيه فتجد هذا النوع من اعصى
الخلق له صلوات الله عليه وسلامه ويقع ذلك كثيرا في مدح غيره فان
عباد القبور لايقتصرون على بعض من يعتقدون فيه الضر والنفع بل
كل من ظنوا فيه ذلك بالغوا في مدحه وانزلوه منزلة الربوبية وصرفوا له

خالص العبودية حتى انهم اذا جاءهم رجل وادعى انه راى رؤيا مضمونها
انه دفن في المحل الفلاني رجل صالح بادروا الى المحل وبنوا عليه قبة وزخرفوها بانواع الزخارف وعبدوها بانواع من العبادات واما القبور
المعروفة او المتوهمة فافعالهم معها وعندها لا يمكن حصرها فكثير
منهم اذا راوا القباب التي يقصد بها كشفوا الرؤس ونزلوا
عن الاكوار فاذا انتهوا طافوا بها واستلموا اركانها وتمسحوا بها
وصلوا عندها ركعتين وحلقوا عندها الرؤس ووقفوا باكين
متذللين متضرعين سائلين لمطالبهم وهذا هو الحج وكثير منهم
يسجدون لها اذا راوها ويعفرون وجوههم في التراب تعظيما
لها وخضوعا لمن فيها فان كان للانسان منهم حاجة من شفاء مريض
او غير ذلك نادى صاحب القبر يا سيدي فلان جئتك قاصدا من مكان
بعيد لا تخيبني وكذلك اذا قحط المطر او عقرت المراة عن الولد او د
همهم عدو وجواد فزعوا الى صاحب القبر وبكوا عنده فاذا جرى المقدور
بحصول شيء مما يريدون استبشروا وفرحوا ونسبوا ذلك الى صاحب
القبر فان لم يقيس شيء من ذلك اعتذروا عن صاحب القبر بانه اما غائب
في مكان اخر او ساخط لبعض اعمالهم او ان اعتقادهم في الولي ضعيف
او انهم لم يعطوه نذره ونحو هذه الخرافات ومن بعض اشعارهم الما
دحين لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم قول البوصيري ۞ يا اكرم
الخلق مالي من الوذ به ۞ سواك عند حلول الحادث العمم ۞ ولن يضيق
رسول الله جاهك بي ۞ اذا الكريم تحلى باسم منتقم ۞ فان لي ذمة
منه بتسميتي ۞ محمد وهو اول الخلق بالذمم ۞ ان لم يكن في معادي اخذ بيدي ۞
فضلا والا فقل يا زلة القدمي ۞ فتامل في هذه الابيات من السطوك

هذا

منها انه تمنى ان يكون له ملاذا اذا حلت به الحوادث الا النبي صلى الله عليه وسلم
وليس ذلك الا الله وحده لا شريك له فهو الذي ليس للعباد ملاذا الا هو ۞
الثاني انه دعاه وسماه بالتضرع واظهار الفاقة والاضطرار اليه ۞
وسال منه هذه المطالب التي لا تطلب الا من الله وذلك هو الشرك
في الالهية الثالث سؤاله منه ان يشفع له في قوله ولن يضيق رسول الله
البيت وهذا هو الذي اراده المشركون ممن عبدوه وهو الجاه والشفاعة
عند الله وذلك هو الشرك وايضا فالشفاعة لا تكون الا بعد اذن الله
فلا معنى لطلبها من غيره فان الله هو الذي ياذن للشافع ان يشفع
لان الشافع يشفع ابتداء الرابع قوله فان لي ذمة الى اخره كذب على
الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم فليس بينه وبين من اسمه محمد ذمة
الا بالطاعة لا بمجرد الاشتراك في الاسم مع الشرك قوله ان لم يكن
في معادي اخذ بيدي البيت تناقض عظيم وشرك ظاهر فانه
طلب اولا ان لا يضيق به جاهه ثم طلب هنا ان ياخذ بيده فضلا واحسانا
والا فيا هلاكه فيقال كيف طلب منه اولا الشفاعة ثم طلبت منه هنا
ان يتفضل عليك فان كنت تقول ان الشفاعة لا تكون الا بعد
اذن الله فكيف تدعو النبي صلى الله عليه وسلم وترجو وتساله الشفاعة
فهلا سالتها من له الشفاعة جميعا الذي له ملك السموات والارض الذي
لا تكون الشفاعة الا من بعد اذنه فهذا يبطل عليك طلب الشفاعة من
غير الله وان قلت ما اريد الا جاهه وشفاعته قيل فكيف سالته
ان يتفضل عليك وياخذ بيدك في يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس
شيئا والامر يومئذ لله فهذا مضاد لقوله تعالى وما ادريك ما يوم الدين
ثم ما ادريك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله

فكيف يجمع في قلب عبد الايمان بهذا وهذا وان قلت سالته ان ياخذ
بيدي ويتفضل علي بجاهه وشفاعته قيل عاد الامر الى طلب الشفاعة من
غير الله وذلك هو محض الشرك السادس في هذه الابيات من التبريزي من
الخالق تعالى وتقدس والاعتماد على المخلوق من حوادث الدنيا والاخرة
ما لا يخفى على مؤمن فاين هذا من قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين
وقوله تعالى فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب
العرش العظيم وقوله وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به
بذنوب عباده خبيرا وقوله تعالى قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا
قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله
ورسالاته فان قيل هو لم يساله ان يتفضل عليه وانما اخبر انه ان لم يدخل
في عموم شفاعته فيا هلاكه قيل المراد بذلك سؤاله وطلب الفضل والاء
حسان بصيغة الشرط والدعاء والسؤال كما يكون بصيغة الطلب يكون بصيغة
الشرط كما قال نوح عليه السلام وان لا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين
ومن شعر البرعي قوله ماذا تقاسي يا شمس النبوة من اضحى اليك من الاعـ
ـداء شلوف في كبدي فامنع جواب صريخ لا صريخ له نائي المزار غريب الدار
مبتعدي خليف ودك واه الصبر منتظر لغارة منك يا ركني ويا عضدي
اسير ذنبي وزلاتي ولا عمل ارجو النجاة به ان انت لم تجدي وجوى في
شركه ان قال وحل عقدة كربي يا محمد من هم على خطرات القلب مطردي
ارجوك في سكرت الموت تشهدني كيما يهون اذا الانفاس في صعدي
وان نزلت ضريحا لا انيس به فكن انيس وحيد فيه منفردي وارحم
مؤلفها عند الرحيم ومن يليه من اجله وانفسه وافتقدي وان دعا فا
جبه وارحم جانبه من حاسد شامت او ظالم نكدي وقوله من اخرى

يا رسول الله

يا رسول الله يا ذا الفضل يا بهجة الحشر جاها ومقاما عد على عبد الرحيم
الملتجي بجاهك يا غوث اليتامى واقلني عثرتي يا سيدي في اكتساب
الذنب في خمسين عاما وقوله يا سيدي يا رسول الله يا املي يا مؤيلي
يا ملاذي يوم يلقاني هبني بجاهك ما قدمت من زلل جودا ورجح بفضل
منك ميزاني واسمع دعائي واكشف ما يسا ورني من الخطوب وتقس
كل احوالي فانت اوتب من ترجى عواطفه عندي وان بعدت
داري واوطاني الي دعوتك من نيا بتي سرع وانت اسمع من يدعو ذوا شان
فامنع جنابي واكرمني وصل نسبي برحمة وكرامات وغفراني لقد انسانا هذا ما قبله وهذا بعينه هو الذي ادعته النصارى
في عيسى عليه السلام الا ان اولئك اطلقوا عليه اسم الاله وهذا لم يطلقه
ولكن اتى بالباب دعواهم وخلاصتها وترك الاسم اذ في الاسم نوع تمييز
فراى الشيطان ان الاتيان بالمعنى دون الاسم اقرب الى ترويج الباطل و
قبوله عند ذوي العقول السخيفة اذ كان من المقرر عند الامة المحمدية
ان دعوى النصارى في عيسى عليه السلام كفر فلو اتاهم بدعوى النصارى
اسما ومعنى لردوه وانكروه فاخذ المعنى واعطاه البرعي واضرابه وترك
الاسم للنصارى والاثم عليهم ماذا بقي هذا المتكلم الخبيث للخالق تعالى
وتقدس من سؤال مطلب او تحصيل مارب فالله المستعان وهذا كثير جدا
في اشعار المادحين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حجة اعداء دينه الذين
يجوزون الشرك بالله ويحتجون باشعار هؤلاء ولم يقتصروا ايضا على
طلب ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم بل يطلبون مثل ذلك من غيره كما
حدث بعض الثقات انه راى في بعض ابيات صاحب مشهد من المشاهد هذه
رايه البحر الشاهية استغيث او استجير وابا اعوذ من النار وقال

بعضهم في قصيدة في بعض الهتهم ۞ ياسيدي ياصفي الدين ياسندي ۞
۞ ياعمدي بل وياذخري ومفتخري ۞ انت الملاذ لما اخشى ضرورته ۞
۞ وانت لي ملجأ من حادث الدهر ي ۞ الى ان قال ۞ وامنن علي بتوفيق
وعافية ۞ وحسن خاتمة مهما انقضى عمري ۞ وكف عنا اكف الظالمين ۞
۞ اذا سدت بسوء والمونكرة ۞ فاني عبدك الراجي بودك عما ۞
۞ املته ياصفي السادة الغرر ۞ قال بعض العلماء فلا ندري اي معنى
اختص به الخالق تعالى بهذه المنزلة وماذا ابقى هذا المتكلم الخبيث
لمخالفة من الامر فان المشركين اهل الاوثان ما يؤهلون من عبدوه
لشيء من هذا انتهى وكثير من عباد القبور ينادون الميت من مسافة
شهر واكثر هم يسئلونه حوائجهم ويعتقدون انه يسمع دعاءهم و
يستجيب لهم ويسمع عندهم حال ركوب البحر واضطرابه من دعاء الاموات
والاستغاثة بهم ما لا يخطر على بال وكذلك اذا اصابتهم الشدائد من
مرض او كسوف او ريح شديدة او غير ذلك فالولي في ذلك نصب
اعينهم والاستغاثة به هي ملاذهم ولو ذهبنا نذكر ما يشبه هذا الطال
الكلام اذا عرفت هذا فقد تقدم ذكر دعاء المسئلة واما دعاء العبادة
فهو عبادة الله تعالى بانواع العبادات من الصلاة والذبح والنذر والصيام
والحج وغيرها خوفا وطمعا يرجوا رحمته ويخاف عذابه وان لم يكن في ذلك
صيغة سؤال وطلب العابد الذي يريد الجنة ويهرب من النار هو سائل
راغب راهب يرغب في حصول مراده ويرهب من فواته وهو سائل لما يطلبه
بامتثال الامر في فعل العبادة وقد فسر قوله تعالى ادعوني استجب لكم
بهذا وهذا قيل اعبدوني وامتثلوا امري استجب لكم وقيل سلوني
اعطكم وعلى هذا القول تدل الاحاديث والاثار اذا تبين ذلك فاعلم ان العلماء
يجمعوا

اجمعوا على ان من صرف شيئا من نوع الدعاء لغير الله فهو مشرك ولو قال
لا اله الا الله محمد رسول الله وصلى وصام اذ شرط الاسلام مع التلفظ بـ
الشهادتين ان لا يعبد الا الله فمن اتى بالشهادتين وعبد غير الله فما اتى بهما
حقيقة وان تلفظ بهما كاليهود الذين يقولون لا اله الا الله وهم مشركون
ومجرد التلفظ بهما لا يكفي في الاسلام بدون العمل بمعناهما واعتقاده اجما
عا ذكر شيء من كلام العلماء في ذلك وان كنا غنيين بكتاب ربنا وسنة
نبينا صلى الله عليه وسلم عن كل كلام الا انه قد صار بعض الناس منتسبا
الى طائفة معينة فلو اتيته بكل اية من كتاب الله وكل سنة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يقبل ذلك حتى تاتيه بشيء من كلام العلماء او شيء من
كلام طائفته التي ينتسب اليها قال الامام ابو الوفا علي ابن عقيل الحنبلي
صاحب كتاب الفنون الذي الفه في نحو اربع مائة مجلد وغيره من التصانيف
قال في الكتاب المذكور لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن
اوضاع الشرع الى تعظيم اوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت عليهم اذ لم يدخلوا
بها تحت امر غيرهم وهم عندي كفار بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور
وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا والقاء
الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى لعلم غير واحد مقرر بن له راضين
به منهم الامام ابو الفرج ابن الجوزي والامام ابن مفلح صاحب كتاب الفروع
وغيرهما وقال شيخ الاسلام في الرسالة السنية فاذا كان على عهد النبي صلى الله
عليه وسلم من انتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم ان
المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان قد يمرق ايضا من الاسلام
وذلك باسباب منها الغلو الذي ذمه الله في كتابه حيث قال يا اهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم الاية وكذلك الغلو في بعض المشائخ بل الغلو في علي ابن ابي طالب

بل الغلو في المسيح عليه السلام فكل من غلى في نبي او رجل صالح وجعل فيه نوعا
من الالهية مثل ان يقول يا سيدي فلان انصرني او اغثني او ارزقني او
اجبرني او انا في حسبك ونحو هذه الاقوال فكل هذا شرك وضلال ٥
يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان الله انما ارسل الرسل وانزل الكتب
ليعبد وحده لا شريك له ولا يدعى معه اله اخر والذين يدعون مع الله الهة
اخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلا
ئق او تنزل المطر او تنبت النبات وانما كانوا يعبدونهم او يعبدون
قبورهم او يعبدون صورهم يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله رسله تنهى ان يدعى احد
من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة وقد نص الحافظ ابو بكر احمد ابن المقر
يزي صاحب كتاب الخطط في كتاب له في التوحيد على ان دعاء غير الله شرك
وقال شيخ الاسلام من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم
ويسئلهم كفر اجماعا نقله عنه غير واحد مقررين له منهم ابن مفلح في الفروع
وصاحب الانصاف وصاحب الغاية وصاحب الاقناع وشارحه وغيرهم ونقله
صاحب القواطع في كتابه عن صاحب الفروع قلت وهو اجماع صحيح معلوم
بالضرورة من الدين وقد نص العلماء من اهل المذاهب الاربعة وغيرهم
في باب حكم المرتد على ان من اشرك بالله فهو كافر اي عبد مع الله غيره بنوع
من انواع العبادات وقد ثبت بالكتاب والسنة والاجماع ان دعاء الله
عبادة له فيكون صرفه لغير الله شرك وقال الامام ابن النحاس الشافعي
في كتاب الكبائر ومنها ايقادهم السرج عند الاحجار والاشجار والعيون
والآبار ويقولون انها تقبل النذر وهذه كلها بدع شنيعة ومنكرات
قبيحة تجب ازالتها ومحو اثرها فان اكثر الجهال يعتقدون انها تنفع وتضر

وتجلب وتدفع وتشفي المرض وترد الغائب اذا نذر لها وهذا شرك ومحا
دة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم قلت فصرح رحمه الله ان الاعتقاد في
هذه الامور انها تضر وتنفع وتجلب وتدفع وتشفي المرض وترد الغائب
اذا نذر لها ان ذلك شرك واذا ثبت انه شرك فلا فرق في ذلك بين ٥
اعتقاده في الملائكة والنبيين وبين اعتقاده في الأصنام والاوثان اذ لا
يجوز الاشراك بين الله تعالى وبين مخلوق فيما يختص بالخالق سبحانه كما قال
تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ
انتم مسلمون وهذا بعينه هو الذي يعتقده من دعا الانبياء والصالحين ولهذا
يسالونهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات وشفاء ذوي الامراض والعاهات
فثبت ان ذلك شرك وقال الامام ابن القيم رحمه الله تعالى في شرح المنازل ومن ٥
انواعه اي الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه اليهم وهذا
اصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا
لمن استغاث به او ساله ان يشفع له الى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع
عنده فان الله سبحانه لا يشفع عنده احد الا باذنه والله سبحانه لم يجعل سؤال
غيره سببا لاذنه وانما السبب لاذنه كمال التوحيد فجاء هذا الشرك بسبب يمنع الا
ذن والميت محتاج الى من يدعو له كما امرنا النبي صلى الله عليه وسلم اذا زرنا قبور
المسلمين ان نترحم عليهم وندعو لهم ونسئل لهم العافية والمغفرة فعكس المشر
كون هذا وزاروهم زيارة العبادة وجعلوا قبورهم اوثانا تعبد فجمعوا بين
الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعادات اهل التوحيد ونسبتهم الى النقص
بالاموات وهم قد نقصوا الخالق سبحانه بالشرك واولياءه الموحدين بذمهم
ومعاداتهم ونقصوا من اشركوا به غاية النقص اذا ظنوا انهم يراضون منهم
بهذا وانهم امروهم به وهؤلاء هم اعداء الرسل في كل زمان ومكان

وتجلب

واكثر المستجيبين لهم ولد ابراهيم خليله ابراهيم عليه الصلاة والسلام حيث قال
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس وما نجا من شرك
هذا الشرك الاكبر الا من جرد توحيده لله وعادى المشركين في الله وتقرب
بمقتهم الى الله وقال الامام الحافظ ابن عبد الهادي في رده على السبكي ان
المبالغة في تعظيمه اي تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة يريد بها المبا
لغة بحسب ما يراه كل احد تعظيما حتى الحج الى قبره والسجود له والطواف به وه
اعتقاد انه يعلم الغيب وانه يعطي ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله
الضر والنفع وانه يقضي حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين وانه يشفع
فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك
واسلاخ من جملة الدين قلت هذا هو اعتقاد عباد القبور فيمن هو دون الرسول
صلى الله عليه وسلم فضلا عن الرسول صلى الله عليه وسلم كما تقدم بعض ذلك والامر
مر اعظم واطم من ذلك وفي الفتاوي البزازية في كتب الحنفية قال علماءنا
من قال اواح المشائخ حاضرة تعلم يكفر فان اراد بالعلم علماء الشريعة فهو
حكاية للاجماع على كفر معتقد ذلك وان اراد علم الحنفية خاصة فهو حكاية
لاتفاقهم على كفر معتقد ذلك وعلى التقديرين تامل تجده صريحا في كفر من دعى
اهل القبور لانه ما دعاهم حتى اعتقد انهم يعلمون ذلك ويقدرون على اجابة
سوله وقضاء مامول وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في كتابه الذي الفه في
الرد على من ادعى ان للاولياء تصرفا في الحيوة وبعد الممات على سبيل الكرامة
هذا وانه قد ظهر الان فيما بين المسلمين جماعات يدعون ان للاولياء تصرفات
في حيواتهم وبعد الممات ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وهم مهم
تكشف البليات فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين
على ان ذلك منهم كرامات وقالوا منهم ابدال ونقباء واوتاد ونجباء وسبعون وسبعة

واربعون

واربعة والقطب هو الغوث للناس وعليه المدار بلا التباس و
جوزوا لهم الذبائح والنذور واثبتوا لهم فيها الاجور قال وهذا كلام
فيه تفريط وافراط بل فيه الهلاك الابدي والعذاب السرمدي لما فيه من
روائح الشرك المحقق ومضادة الكتاب العزيز المصدق ومخالف لعقائد
الائمة وما اجمعت عليه الامة وفي التنزيل ومن يشاقق الرسول من بعد
ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وسا
ت مصيرا الى ان قال الفصل الاول فيما انتحلوه من الافك الوخيم والشرك
العظيم الى ان قال فاما قولهم للاولياء وتصرفات في حياتهم وبعد الممات
فيرده قوله تعالى اءله مع الله الاله الخالق والامر لله ملك السموات
والارض ونحو من الايات الدالة على انه المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف
والتقدير ولا شيء لغيره في شيء ما بوجه من الوجوه فالكل تحت ملكه وقهره
تصرفا وملكا واحياء واماتة وخلقا وتمدح الرب بانفراده في ملكه بايات
من كتابه كقوله هل من خالق غير الله والذين تدعون من دونه ما يملكون
من قطمير وذكر ايات في هذا المعنى ثم قال فقوله في الايات كلها من دونه
اي من غيره فانه عام يدخل فيه من اعتقدته من ولي وشيطان تسمده فان
من لم يقدر على نصر نفسه كيف يمد غيره الى ان قال فكيف يتصور لغيره من
ممكن ان يتصرف ان هذا من السفاهة لقول وخيم وشرك عظيم الى ان قال
واما القول بالتصرف بعد الممات فهو اشنع وابدع من القول بالتصرف
في الحياة قال جل ذكره انك ميت وانهم ميتون الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت كل نفس ذائقة الموت
كل نفس بما كسبت رهينة وفي الحديث اذا مات ابن ادم انقطع عمله الحديث
فجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت وان ارواحهم

ممسكه وان اعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان فدل ذلك ان ليس للميت
تصرف في ذاته فضلا عن غيره بحركة وان روحه محبوسة مرهونة بعملها من خير
وشر فاذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره فالله سبحانه يخبر ان الارواح
عنده وهؤلاء الملحدون يقولون ان الارواح مطلقة متصرفة قل اءنتم
اعلم ام الله قال واما اعتقادهم ان هذه التصرفات لهم من الكرامات فهو من
المغالطة لان الكرامة شيء من عند الله يكرم بها اولياءه لا قصد لهم فيه ولا تحد في
ولا قدرة ولا علم كما في قصة مريم بنت عمران واسيد ابن حضير وابي مسلم الخولاني
قال واما قولهم يستغاث بهم في الشدائد فهذا اقبح مما قبله وابدع لمضادته
قوله جل ذكره امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض
اءله مع الله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر وذكر ايات في هذا المعنى ثم
قال فانه جل ذكره هو رب الله الكاشف للضر لا غيره وانه المتعين لكشف الشدائد
والكروب وانه المنفرد باجابة المضطرين وانه المستغاث لذلك كله وانه القادر
على دفع الضر والقادر على ايصال الخير فهو المنفرد بذلك فاذا تعين هو جل ذكره
خرج غيره من ملك وبني وولي قال والاستغاثة تجوز في الاسباب الظاهرة
العادية من الامور الحسية في قتال او ادراك عدو او سبع ونحو كقولهم يا زيد
يا قوم يا للمسلمين كما ذكروا ذلك في كتب النحو بحسب الاسباب الظاهرة بالفعل
واما الاستغاثة بالقوة والتاثير او في الامور المعنوية من الشدائد كالمرض
وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحو من خصائص الله فلا يطلب
فيها غيره قال واما كونهم معتقدين التاثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله
جاهلية العرب والصوفية الجهال وينادونهم ويستنجدون بهم فهذا من
المنكرات الى ان قال من اعتقد ان لغير الله من نبي وولي او روح او غير ذلك
في كشف كربة او قضاء حاجة تاثيرا فقد وقع في وادي جهل خطير فهو على شفا

حفرة من السعير واما كونهم مستدلين على ان ذلك منهم كرامات فحاشا الله ان
تكون اولياء الله بهذه المثابة فهذا طن اهل الاوثان كذا اخبر الرحمن هم شفعاؤنا
عند الله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اءتخذ من دونه الهة ان يردن
الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون فان ذكر ما ليس من شانه
النفع ولا دفع الضر من نبي وولي وغيره على وجه الامداد منه اشراك مع الله اذ
لا قادر على الدفع غيره ولا خير الا خيره قال واما ما قالوه من ان منهم ابدالا ونقبا
واوتادا ونجباء وسبعين وسبعة واربعين واربعة والقطب هو الغوث للناس
فهذا من موضوعات افكهم كما ذكره القاضي المحدث ابن العربي في سراج المريدين
وابن الجوزي وابن تيمية انتهى بحتصار ومثل هذا يوجد في كلام غيرهم من العلماء
والمقصود ان اهل العلم ما زالوا ينكرون هذه الامور ويبينون انها شرك
وان كان بعض المتاخرين ممن ينتسب الى العلم والدين ممن اصيب في عقله ودينه
قد يرخص في بعض هذه الامور وهو مخطئ في ذلك ضال مخالف لكتاب الله
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع المسلمين فكل احد ما خوذ من قوله ومتروك
الا قول ربنا وقول رسوله صلى الله عليه وسلم فان ذلك لا يتطرق اليه الخطا بحال
بل واجب على الخلق اتباعه في كل زمان على انه لو اجمع المتاخرون على جواز هذا
لم يعتد باجماعهم المخالف لكلام الله وكلام رسوله في محل النزاع لانه اجماع غير
معصوم بل هو من زلة العالم التي حذرنا من اتباعها واما الاجماع المعصوم فهو اجماع
الصحابة والتابعين وما وافقه وهو السواد الاعظم الذي ورد الحث على اتباعه
وان لم يكن عليه الا الغرباء الذين اخبرهم صلى الله عليه وسلم في قوله بدء الاسلام
غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء رواه مسلم لا ما كان عليه العوام والطغام
والخلف المتاخرون الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون
قال وقول الله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك

فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو الاية قال ابن عطية معناه قيل لي ولا تدع هو عطف على اقم وهذا الامر والمخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم اذا كانت هكذا فاحرى ان يحذر من ذلك غيره فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجاز فانك اذا من الظالمين اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سال عن بشعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم قلت حاصل كلام المفسرين ان الله تعالى نهى رسوله عليه الصلاة والسلام ان يدعوا من دونه ما لا ينفعه ولا يضره والمراد به كل ما سوى الله فانهم لا ينفعون ولا يضرون وسواء في ذلك الانبياء والصالحون كما قال تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس اذا سالت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رواه الترمذي وقال حسن صحيح وفي الاية تنبيه على ان المدعو لا بد وان يكون مالكا للنفع والضر حتى يعطي من دعاه او يبطش بمن عصاه وليس ذلك الا لله وحده فتعين ان يكون هو المدعو دون ما سواه والاية شاملة لنوعي الدعاء قوله فان فعلت فانك اذا من الظالمين اي المشركين وهذا كقوله ولا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين وقوله ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين وقوله في الانبياء ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون فاذا كان هذا الامر لم يصدر من الانبياء وحاشاهم من ذلك لم يكونوا انفسهم من عذاب الله فما ظنك بغيرهم فلم يبق شيء يقرب

الى الله ويباعد من سخطه الا توحيده والعمل بما يرضاه لا الاعتماد على شخص او قبر او صنم او وثن او مال او غير ذلك من الاسباب ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون والاية نص في ان دعاء غير الله والاستغاثة به شرك اكبر ولهذا قال وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله لانه المتفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع ولازم ذلك افراده بتوحيد الالهية لانهما متلازمان وافراده بسؤال كشف الضر وجلب الخير لانه لا يكشف الضر الا هو ولا يجلب الخير الا هو ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم فتعين ان لا يدعى لذلك الا هو وبطل دعاء من سواه ممن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عن غيره وهذا ضد ما عليه عباد القبور فانهم يعتقدون ان الاولياء والطواغيت الذين يسمونهم الجاذب ينفعون ويضرون ويمسون بالضر ويكشفونه وان لهم التصرف المطلق في الملك اما على سبيل الكرامة وهذا فوق شرك كفار العرب واما على سبيل الوساطة بينهم وبين الله بالشفاعة وهذا شرك الذين قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي الاية دليل ان اصلح الناس لو يفعل ارضاء لغيره صار من الظالمين ذكره المصنف قوله يصيب به من يشاء من عباده فلا يرده عنه راد لانه العزيز الذي لا يغالب ولا يمانع ولا راد لقضاءه ولا معقب لحكمه فاي فائدة في دعاء غيره لشفاعة او غيرها فانه تعالى فعال لما يريد لا يشفيه عنه شفيع ولا غيره بل لا يتكلم احد عنده الا باذنه ولا يشفع احد الا باذنه ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون وقوله وهو الغفور الرحيم اي لمن تاب اليه واقبل عليه حتى ولو كان من الشرك قال وقوله فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه الاية امر الله تعالى بابتغاء الرزق عنده لا عند غيره

ممن لا يملك رزقا من الاوثان والاصنام وغيرها كما قال في اول الاية انما تعبدون
من دون الله اوثانا وتخلقون افكا قال ابن كثير وهذا ابلغ في الحصر كقوله اياك
نعبد واياك نستعين رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ولهذا قال فابتغوا عند الله
الرزق اي لا عند غيره لانه المالك له وغيره لا يملك شيئا من ذلك واعبدوه اي
اخلصوا له العبادة وحده لا شريك له واشكروا له اي على ما انعم عليكم واليه
ترجعون اي فيجازي كل عامل بعمله قلت في الاية الرد على المشركين الذين
يدعون غير الله ليشفعوا لهم عنده في جلب الرزق فما ظنك بمن دعاهم انفسهم
واستغاث بهم ليرزقوه وينصروه كما هو الواقع من عباد القبور قال المصنف
وفيه ان طلب الرزق لا ينبغي الا من الله كما ان الجنة لا تطلب الا منه قال وقوله
ومن اضل ممن يدعو امن دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة الاية تين
حاصل كلام المفسرين ان الله تعالى حكم بانه لا اضل ممن يدعو من دون الله لادعاء
عبادة ولا دعاء مسئلة واستغاثة من هذه حاله ومعنى الاستفهام فيه انكار
ان يكون في الضلال كلهم ابلغ ضلالا ممن عبد غير الله ودعاه حتى يتركون
دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه
من لا يستجيب لهم ولا قدرة بهم على استجابة احد منهم ما دام في الدنيا والى
ان تقوم القيمة كما قال تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون
لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا
في ضلال وقوله وهم عن دعائهم غافلون اي لا يشعرون بدعاء من دعاهم
لانهم اما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم كالملائكة واما اموات كالانبياء
والصالحين واما اصنام واوثان وقوله واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء اي
اذا قامت القيمة وحشر الناس للحساب عادوهم وكانوا بعبادتهم الدعاء وغيره
من انواع العبادات كافرين كما قال تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا

لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا فليسوا في الدارين
الا على انكد ومضرة لا تتولاهم بالاستجابة في الدنيا وتجحد عبادتهم في الاخرة
احوج ما كانوا اليها وفي الايتين مسائل نبه عليها المصنف احدها انه لا اضل
ممن دعا غير الله الثانية انه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه الثالثة ان
تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له الرابعة تسمية تلك
الدعوة عبادة للمدعو الخامسة كفر المدعو بتلك العبادة السادسة ان هذه
الامور هي سبب كونه اضل الناس قال وقوله امن يجيب المضطر اذا دعاه
ويكشف السوء يقرر تعالى انه الاله الواحد الذي لا شريك له ولا معبود سواه
بما يشترك في معرفته المؤمن والكافر لان القلوب مفطورة على ذلك فمتى
جاء الاضطرار رجعت القلوب الى الفطرة وزال ما ينازعها فالتجأت اليه
وانابت اليه وحده لا شريك له كما قال تعالى ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون ثم اذا
كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وقال تعالى واذا مس الانسان
ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل
لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار ومثل
هذا كثير في القرآن يبين تعالى ان المدعو عند الشدائد الكاشف للسوء وحده
فيكون هو المعبود وحده وكذا قال في هذه الاية امن يجيب المضطر اذا دعاه
ويكشف السوء اي من هو الذي لا يلجأ المضطر الا اليه والذي لا يكشف ضر المضطرين
سواه ومن المعلوم ان المشركين كانوا يعلمون انه لا يقدر على هذه الامور
الا الله وحده واذا جاءتهم الشدائد اخلصوا الدعاء لله وحده كما قال تعالى
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
فتبين ان من اعتقد في غير الله انه يكشف السوء ويجيب دعوة المضطر او دعاه
لذلك فقد اشرك شركا اكبر من شرك العرب كما هو الواقع من عباد القبور

قال وروى الطبراني انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يوذي
المؤمنين فقال بعضهم قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم
من هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يستغاث بي وانما يستغاث
بالله قوله روى الطبراني هو الامام الحافظ الثقة سليمان ابن احمد ابن ايوب
ابن مطير اللخمي الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة وغيرها روي عن النسائي واسحق
ابن ابراهيم الديبري وخلق كثير مات سنة ستين وثلاثمائة وقد بيض المصنف
لاسم الراوي وكانه والله اعلم نقله عن غيره او كتبه من حفظه والحديث عن عبادة
ابن الصامت رضي الله عنه قوله انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يوذي
المؤمنين هذا المنافق لم اقف على تسميته ويحتمل ان يكون هو عبد الله ابن ابي
فانه معروف بالاذى للمؤمنين بالكلام في اعراضهم ونحو ذلك اما اذاهم بنحو
ضرب او زجر فلا نعلم منافقا بهذه الصفة قوله قال بعضهم اي بعض
المؤمنين وهذا البعض القائل لذلك يحتمل ان يكون واحدا وان يكون جماعة
والظاهر انه واحد واطن في بعض الروايات انه ابو بكر الصديق رضي الله عنه قوله
قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستغاثة به فيما يقدر عليه
بكف المنافق عن اذاهم بنحو ضرب او زجر لا الاستغاثة به فيما لا يقدر عليه
الا الله قوله انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله قال بعضهم فيه التصريح
بانه لا يستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم في الامور وانما يستغاث بالله والظاهر
ان مراده صلى الله عليه وسلم ارشادهم الى التادب مع الله في الالفاظ لان استغاثة
تتضمن به صلى الله عليه وسلم من المنافق من الامور التي يقدر عليها اما بزجره او
تعزيره ونحو ذلك فظهر ان المراد بذلك الارشاد الى حسن اللفظ والحماية منه
صلى الله عليه وسلم لجناب التوحيد وتعظيم الله تبارك وتعالى فاذا كان هذا كلامه
صلى الله عليه وسلم في الاستغاثة به فيما يقدر عليه فكيف بالاستغاثة به او بغيره

في الامور

في الامور المهمة التي لا يقدر عليها الا الله كما هو جار على السنة كثير من الشعراء
وغيرهم وقل من يعرف ان ذلك منكر فضلا عن معرفة كونه شركا فان قيل
ما الجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى فاستغاثه الذي من شيعته
على الذي من عدوه فان ظاهر الحديث المنع من اطلاق لفظ الاستغاثة
على المخلوق فيما يقدر عليه وظاهر الاية جوازه قيل يحمل الاية على الجواز
والحديث على الادب والاولى والله اعلم وقد تبين بما ذكر في هذا الباب وشرحه
من الايات والاحاديث واقوال العلماء ان دعاء الميت والغائب والحاضر
فيما لا يقدر عليه الا الله والاستغاثة بغير الله في كشف الضر وتحويله هو
الشرك الاكبر بل هو اكبر انواع الشرك لان الدعاء مخ العبادة ولان من
خصائص الالهية افراد الله بسؤال ذلك اذ معنى الاله هو الذي يعبد
لاجل هذه الامور ولان الداعي انما يدعو الهته عند انقطاع امله مما سواه
وذلك هو خلاصة التوحيد وهو انقطاع الامل مما سوى الله فمن صرف
شيئا من ذلك لغير الله فقد ساوى بينه وبين الله وذلك هو الشرك ولهذا
يقول المشركون لالهتهم وهم في الجحيم تالله ان كنا لفي ضلال القديم حين
اذ نسويكم برب العالمين ولكن لعباد القبور على هذا شبهات ذكر المصنف كثيرا منها
في كشف الشبهات ونحن نذكر هنا مما لم يذكره منها ذلك انهم احتجوا بحديث
رواه الترمذي في جامعه حيث قال حدثنا محمود ابن غيلان حدثنا عثمان
حدثنا شعبة عن ابي جعفر عن عمارة ابن خزيمة ابن ثابت عن عثمان ابن حنيف
ان رجلا ضرير البصر اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافيني
قال ان شئت دعوت وان شئت صبرت فهو خير لك قال فادعه فامره ان
يتوضا ويحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم اني اسئلك واتوجه
اليك بنبيي محمد نبي الرحمة اني توجهت به الى ربي في حاجتي هذه لتقضى اللهم

فشفعه في قال هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من رواية ابي جعفر وهو
غير الخطمي هكذا رواه الترمذي ورواه النسائي وابن شاهين والبيهقي كذلك
في بعض الروايات يا محمد اني اتوجه الى اخره وهذه اللفظة هي التي تعلق بها
المشركون وليست عند هؤلاء الائمة قالوا فلو كان دعاء غير الله شركا لم يعلم
النبي صلى الله عليه وسلم الاعمى هذا الدعاء الذي فيه نداء غير الله **والجواب من وجوه**
الأول ان هذا الحديث من اصله وان صححه الترمذي فان في ثبوته نظرا لان
الترمذي يتساهل في التصحيح كالحاكم لكن الترمذي احسن نقدا كما نص على ذلك
الائمة ووجه عدم ثبوته انه قد نص ان ابا جعفر الذي عليه مدار هذا الحديث
هو غير الخطمي فاذا كان غيره فهو لا يعرف ولعل عمدة الترمذي في تصحيحه ان
شعبة لا يروي الا عن ثقة وهذا فيه نظر فقد قال عاصم ابن علي سمعت شعبة
يقول لو لم احدثكم الا عن ثقة لم احدثكم عن ثلاثة وفي نسخة عن ثلاثين
ذكره الحافظ العراقي وهذا اعتراف منه بانه يروي عن الثقة وغيره فينظر
في حاله ويتوقف الاحتجاج به على ثبوت صحته **الثاني** انه غير محل النزاع فان
طلب الأعمى من النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو له ويتوجه بدعائه مع حضوره
من دعاء الاموات والسجود لهم ولقبورهم والتوكل عليهم والالتجاء اليهم
في الشدائد والنذر والذبح لهم وحط الرحال بالحوائج من الاماكنة البعيدة يا
سيدي يا مولاي افعل لي كذا فحديث الاعمى شيء ودعاء غير الله تعالى والاستغاثة به شيء اخر فليس في حديث الاعمى شيء غير انه طلب من النبي صلى الله
عليه وسلم ان يدعو له ويشفع له فهو توسل بدعائه وشفاعته ولهذا قال
في اخره اللهم شفعه في فعلم انه شفع له وفي اوله انه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم
ان يدعو له فدل الحديث على انه صلى الله عليه وسلم شفع له بدعائه وان النبي
صلى الله عليه وسلم امره هو ان يدعو الله ويسئله قبول شفاعته فهذا من اعظم

الأدلة على ان دعاء غير الله شرك لان النبي صلى الله عليه وسلم امره ان يسأل الله
قبول شفاعته فدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدعى ولانه صلى الله عليه وسلم
لم يقدر على شفاعته الا بدعاء الله له فاين هذا من تلك الطوام والكلام انما هو في
سؤال الغائب او سؤال المخلوق فيما لا يقدر عليه الا الله اما ان تاتي شخصا
يخاطبك فتسلم ان يدعو الله فلا انكار في ذلك على ما في حديث الاعمى
فالحديث سواء كان صحيحا او لا وسواء ثبت قوله فيه يا محمد او لا يدل على سؤال
الغائب ولا على سؤال المخلوق فيما لا يقدر عليه الا الله بوجه من الوجوه الدلالات
ومن الدعى ذلك فهو مفتر على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم لانه ان كان
سال النبي صلى الله عليه وسلم نفسه فهو لم يسئل منه الا ما يقدر عليه وهو ان
يدعو له وهذا لا انكار فيه وان كان توجه به من غير سؤال نفسه فهو لم يسئل
منه وانما سئل من الله به سواء كان متوجها بدعائه كما هو نص اول الحديث
وهو الصحيح او كان متوجها بذاته على قول ضعيف فان التوجه بذوات
المخلوقين والاقسام بهم على الله بدعة منكرة لم تات عن النبي صلى الله عليه وسلم
ولا عن احد من الصحابة والتابعين لهم باحسان ولا الأئمة الاربعة ونحوهم
من ائمة الدين قال ابو حنيفة لا ينبغي لاحد ان يدعو الله الا به وقال
ابو يوسف اكره ان يقول بحق فلان وبحق انبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام
وقال العز في المسئلة بحق المخلوق لا يجوز فلا يقول اسئلك بفلان
او بملائكتك او انبياءك ونحو ذلك لانه لا حق للمخلوق على الخالق واختاره
العز ابن عبد السلام الا في حق النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ان ثبت الحديث
يشير الى حديث الأعمى وقد تقدم انه على تقدير ثبوته ليس فيه الا التوسل
بدعائه لا بذاته وقد ورد في ذلك حديث رواه الحاكم في مستدركه فابعد
النجعة من طريق عبد الرحمن ابن زيد ابن اسلم لما اذنب ادم الذنب الذي

اذنبه رفع راسه الى العرش فقال اسئلك بحق محمد الاغفرت لي الحديث وهو حديث
ضعيف بل موضوع لانه مخالف للقران قال تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان
لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فهذا هو الذي قاله ادم قال الذهبي
في هذا الحديث اظنه موضوعا وعبد الرحمن ابن زيد متفق على ضعفه قال
ابن معين ليس حديثه بشيء الثالث ان قوله يا محمد اني اتوجه الخ لم يثبت
في اكثر الروايات وبتقدير ثبوتها لا يدل على جواز دعاء غير الله لان هذا
خطاب لحاضر معين يراه ويسمع كلامه ولا انكار في ذلك فان الحي يطلب منه الدعا
كما يطلب منه ما يقدر عليه فاين هذا من دعاء الغائب والميت لو كان اهل البدع
والشرك يعلمون واحتجوا ايضا بحديث رواه ابو يعلى وابن السني في عمل اليوم
والليلة قال حدثنا ابن السني ابو يعلى حدثنا الحسن ابن عمرو بن شقيق حدثنا
معروف بن حسان حدثنا ابو معاذ السمرقندي عن سعيد عن قتادة عن ابي
بريدة عن ابيه عن عبد الله ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا انفلتت دابة احدكم بارض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا هكذا في كتاب
ابن السني وفي جامع الصغير فان لله عز وجل في الارض حاضرا سيحبسه عليكم
والجواب ان هذا الحديث مداره على معروف ابن حسان وهو ابو معاذ السمرقندي
وقوله في الاصل حدثنا ابو معاذ السمرقندي خطا اظنه من الناسخ قال ابن عدي
منكر الحديث وقال الذهبي في الميزان قال ابن عدي منكر الحديث قد روي عن عمر
ابن ذر نسخة طويلة كلها غير محفوظة وقال السيوطي حديث ضعيف واقول
بل هو باطل اذ كيف يكون عند سعيد عن قتادة ثم يغيب عن اصحاب سعيد الحفاظ
الاثبات مثل يحيى القطان واسمعيل ابن علية وابي اسامة وخالد ابن الحارث
وابي خالد الاحمر وسفيان وشعبة وعبد الوارث وابن المبارك والانصاري و
غندر وابن ابي عدي ونحوهم حتى ياتي به هذا الشيخ المجهول المنكر الحديث

فهذا من اقوى الادلة على وضعه وبتقدير ثبوته لا دليل فيه لان هذا من دعاء الحاضر
فيما يقدر عليه كما قال فان الله في الارض حاضر سيحبسه عليكم واحتجوا ايضا بحد
يث رواه الطبراني في المعجم الكبير فقال حدثنا طاهر ابن عيسى ابن قيرس المصري
حدثنا اصبغ ابن الفرج حدثنا ابن وهب عن ابي سعيد المكي عن روح ابن القاسم
عن ابي جعفر الخطمي المديني عن ابي اسامة ابن سهل ابن حنيف ان رجلا كان يختلف
الى عثمان ابن عفان في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته فلقي
ابن حنيف فشكا اليه ذلك فقال له عثمان ابن حنيف ائت الميضاة فتوضأ ثم
ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل اللهم اني اسئلك واتوجه اليك بنبينا محمد
نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ليقضي حاجتي الحديث والجواب من وجوه
الاول ان رواية طاهر بن عيسى ممن لا يعرف بالعدالة بل هو مجهول قال
الذهبي طاهر ابن عيسى ابن قيرس ابو الحسين المصري المؤدب عن سعيد ابن ابي
مريم ويحيى ابن بكير واصبغ ابن الفرج وعنه الطبراني توفي سنة اثنين وتسعين
ومائتين ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا وهو اذا مجهول الحال لا يحتج
بخبره لا سيما فيما يخالف نصوص الكتاب والسنة الثاني قوله عن ابي سعيد
المكي اشد جهالة من الاول فان مشائخ ابن وهب المكيين معروفون كداود ابن
عبد الرحمن وربيعة ابن صالح وابن عيينة وطلحة ابن عمرو الحضرمي وابن جريج وعمر
ابن قيس ومسلم ابن خالد الزنجي وليس فيهم من يكنى ابا سعيد فتبين انه مجهول
الثالث بتقدير ثبوته فليس فيه دليل على دعاء الميت والغائب غاية ما فيه
انه توجه به في دعائه فاين هذا من دعاء الميت فان التوجه بالمخلوق سؤال
به لا سؤال منه والكلام انما هو في سؤال المخلوق نفسه ودعائه والاستغاثة
به فيما لا يقدر عليه الا الله وكل احد يفرق بين سؤال الشخص وبين السؤال به
فانه في السؤال به قد اخلص الدعاء لله ولكن توجه على الله بذاته او بدعائه

واما في سؤاله نفسه مالا يقدر عليه الا الله فقد جعله شريكا لله في عبادة الدعا
فليس في حديث الأعمى وحديث ابن حنيف هذا الاخلاص الدعاء لله كما هو صريح
فيه الاقول يا محمد اني اتوجه بك وهذا ليس فيه المخاطبة لميت فيما لا يقدر عليه
انما فيه مخاطبة مستحضر اله في ذهنه كما يقول المصلي السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته الرابع انهم زعموا انه دليل على دعاء كل غائب وميت من الصا
لحين فخرجوا عما فهموا من الحديث بفهمهم الفاسد الى انه دليل على دعاء كل
غائب وميت صالح ولا دليل فيه اصلا على دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته
ولا في حياته فيما لا يقدر عليه ثم لو كان فيه دليل على ذلك دعا ذلك لم يكن فيه
دليل على دعاء الغائب والميت مطلقا لان هذا قياس مع وجود الفارق و
هو باطل بالاجماع اذ ما ثبت للنبي صلى الله عليه وسلم من الفضائل والكرامات
ما لا يساويه فيه احد فلا يجوز قياس غيره عليه وايضا فالقياس انما يجوز
للحاجة ولا حاجة الى قياس غيره عليه عند عباد القبور فبطل قياسهم بنفس
مذهبهم هذا غاية ما احتجوا به مما هو موجود في بعض الكتب المعروفة وما
سوى هذه الاحاديث الثلاثة فهو مما وضعوه بانفسهم كقولهم اذا اعيتكم الأ
مور فعليكم باصحاب القبور وقوله لواحد احكم ظنه بحجر لنفعه قال ابن القيم
وهو من وضع المشركين عباد الاوثان **باب قول الله تعالى ايشركون**
ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا الاية المراد بهذه
الترجمة بيان حال المدعوين من دون الله انهم لا ينفعون ولا يضرون وسواء في
ذلك الملائكة والانبياء والصالحون والاصنام فكل من دعي من دون الله فهذا
حاله كما قال تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله
لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف
الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز ويكفيك في

الرد

ذلك قوله تعالى لاكرم الخلق قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني
من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته وقال
قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون وقال واتخذوا من
دونه الهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا
ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا ومن المعصوم انهم كانوا قد عبدوا الملا
ئكة والانبياء والصالحين ولهذا اخبر سبحانه وتعالى عن الملائكة يتبرؤن
منهم يوم القيمة كما قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم
كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن
اكثرهم بهم مؤمنون اذا تبين ذلك فحاصل كلام المفسرين على الاية المترجم لها
ان قوله تعالى ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون وليس فيها ما تستحق به
العبادة من الخلق والرزق والنصر لانفسهم او لمن عبدهم وهم مع ذلك مخلوقون
محدثون ولهم خالق خلقهم وان خرج الكلام مخرج الاستفهام فالمراد به ما ذكرنا
وقوله ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون اي ويشركون به ويعبد
ون من هذه حاله لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه بان يدفع عن نفسه من
اراد به الضر ومن هذه حاله فهو في غاية العجز فكيف يكون الها معبودا وجميع
الانبياء والملائكة والصالحين وغيرهم داخلون في هذه الاوصاف فلا يقدر
احد منهم ان يخلق شيئا ولا يستطيعون لمن عبدهم نصرا ولا ينصرون انفسهم
واذا كان كذلك بطلت دعوتهم من دون الله قال وقوله تعالى والذين تدعون
من دونه ما يملكون من قطمير الاية حاصل كلام المفسرين كابن كثير وغيره
ان الله تعالى يخبر عن حال المدعوين من دونه من الملائكة والانبياء والاصنام
وغيرها بما يدل على عجزهم وضعفهم وانهم قد انتفت عنهم الشروط التي

لابد ان تكون في المدعو وهي الملك وسماع الدعاء والقدرة على اجابته فنفى عدم
شرط بطلان يكون مدعوا فكيف اذا عدمت كلها فنفى عنهم الملك بقوله ما يملكون
من قطمير قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء والحسن وقتادة القطمير اللفافة
التي تكون على نواة التمرة اي لا يملكون من السموات والارض شيئا ولا بمقدار
هذا القطمير كما قال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من
السموات والارض شيئا ولا يستطيعون وقال قل ادعوا الذين زعمتم من دون
الله مثال ذرة في السموات ولا في الارض الاية فمن كان هذه حاله فكيف يدعى
من دون الله ونفى عنهم سماع الدعاء بقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم يعني
ان الالهة التي تدعونها لا يسمعون دعاءكم لانهم اموات او ملائكة مشتغلون
باحوالهم مسخرون لما خلقوا له او جماد فلعل المشرك يقول هذا في الاصنام اما
الملائكة والانبياء والصالحون فيسمعون ويستجيبون فنفى ذلك بقوله
ولو سمعوا ما استجابوا لكم اي لا يقدرون على ما تطلبون منهم وما خص نفي
الاصنام بل عم جميع من يدعى من دونه ومن المعلوم انهم كانوا يعبدون الملائكة
والانبياء والصالحين كما ذكر الله ذلك في كتابه فلم يرخص في دعاء احد منهم لا
استقلالا ولا وساطة بالشفاعة وقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم كقوله واتخذوا
من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا
وهذا نص صريح على ان من دعى غير الله فقد اشرك بشرط وان المدعوين يكفرون به يوم
القيمة ويتبرؤن منهم كقوله تعالى اذ تبرء الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا
العذاب وتقطعت بهم الاسباب فهل على كلام رب العزة استدراك ولهذا
قال ولا ينبئك مثل خبير اي لا يخبرك بعواقب الامور وما لها وما تصير اليه مثل
خبير بها قال قتادة يعني نفسه تبارك وتعالى فانه اخبر بالواقع لا محالة قال
وفي الصحيح عن انس قال شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد فقال كيف

يفلح قوم شجوا نبيهم فنزلت ليس لك من الامر شيء قوله في الصحيحين
فعلقه البخاري عن حميد وثابت عن انس وقال ابن اسحق في المغازي حدثني
حميد الطويل عن انس قال كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وشج وجهه
فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا و
جه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله الاية قوله شج النبي صلى الله عليه وسلم
قال ابو السعادات الشج في الراس خاصة في الاصل وهو ان يضربه بشيء فيجرحه
فيه ويشقه ثم استعمل في غيره من الاعضاء وذكر ابن هشام من حديث ابي سعيد
الخدري ان عتبة ابن ابي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي صلى الله عليه وسلم السفلى
وجرح شفته السفلى وان عبد الله ابن شهاب الزهري هو الذي شجه في جبهته
وان عبد الله بن قمئة جرحه في وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته و
ان مالك ابن سنان مص الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده
فقال له لن تمسك النار وروى الطبراني من حديث ابي امامة قال رمى عبد الله
ابن قمئة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك اقماك الله فسلط الله عليه
تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة قال القرطبي والرباعية بفتح الراء
وتخفيف الياء وهي كل من بعد ثنيته قال النووي وللانسان اربع رباعيات قال
الحافظ والمراد انها كسرت فذهب منها قطعة ولم تقلع من اصلها قلت فظهر بهذا
ان قول بعضهم انه شج في رأسه فيه نظر قال النووي وفي هذا وقوع الاء
سقام والابتلاء بالانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ليناوا جزيل الاء
جر والثواب وليعرف امتهم وغيرهم ما اصابهم ويتاسوا بهم قال
القاضي القرطبي وليعلم انهم من البشر يصيبهم محن الدنيا ويطرا على اجسا
مهم ما يطرا على اجسام البشر ليتيقنوا انهم مخلوقون مربوبون ولا
يفتتن بما ظهر على ايديهم من المعجزات ويلبس الشيطان من امورهم ما البسه

www.alabdulgh...com

على النصارى وغيرهم قوله يوم احد جبل معروف الى الان كانت عنده
الوقعة المشهورة فاضيفت اليه قوله فقال كيف يفلح قوم شجوا نبيهم
زاد مسلم من طريق ثابت عن انس وكسرت رباعيته وادموا وجهه قوله
فانزل الله ليس لك من الامر شيء قال ابن عطية كان النبي صلى الله عليه وسلم
لحقه في تلك الحال ياس من فلاح كفار قريش فمالت نفسه الى ان يستاصلهم الله
ويريح منهم فقيل له بسبب ذلك ليس لك من الامر شيء اي عواقب الامور
بيد الله فامض انت لشانك ودم على الدعاء لربك وقال غيره المعنى ان
الله تعالى مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا
او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مامور بانذا
رهم وجهادهم فعلى هذا يكون قوله ليس لك من الامر شيء اعتراضا بين
المعطوف والمعطوف عليه وقال ابن اسحق اي ليس لك من الحكم شيء في
عبادي الا ما امرتك به فيهم قال وفيه عن ابن عمر انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الاخيرة من
الفجر اللهم العن فلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا
ولك الحمد فانزل الله ليس لك من الامر شيء وفي رواية يدعو على
صفوان ابن امية وسهيل ابن عمرو والحارث ابن هشام فنزلت ليس لك
من الامر شيء قوله وفيه اي في الصحيح والمراد صحيح البخاري ورواه النسائي
قوله عن ابن عمر هو عبد الله ابن عمر ابن الخطاب صحابي جليل من عباد الصحابة
شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاح مات سنة ثلاث وسبعين في
اخرها او التي تليها قوله انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اخره هذا
القنوت على هؤلاء بعد ما شج وكسرت رباعيته يوم احد قوله اللهم العن فلانا
وفلانا قال ابو السعادات اصل اللعن الطرد والابعاد من الله ومن الخلق

السب

السب والدعاء قلت الظاهر انه من الخلق طلب طرد الملعون وابعاده من الله
بلفظ اللعن لا مطلق السب والشتم وقوله فلانا وفلانا يعني صفوان ابن
امية وسهيل بن عمرو والحارث ابن هشام كما بينه في الرواية التي بعدها
وفيه جواز الدعاء على المشركين في الصلاة وتسمية المدعو عليهم ولهم باسماءهم في الصلاة قوله بعد ما يقول سمع الله لمن حمده قال ابو السعادات
اي اجاب حمده وتقبله وقال السهيلي مفعول سمع محذوف لان السمع
متعلق بالاقوال والاصوات دون غيرها فاللام تؤذن بمعنى زائد وهو
استجابته لمن حمده وقال ابن القيم ما معناه عدي سمع الله لمن حمده باللام
لتضمنه معنى استجاب له ولا حذف هناك وانما هو متضمن قوله ربنا ولك الحمد
في بعض روايات البخاري باسقاط الواو وقال النووي لا ترجيح لاحدهما على
الاخر وقال ابن دقيق العيد كان اثباتها دال على معنى زائد لانه يكون التقدير
ربنا استجب ولك الحمد فيشتمل على معنى الدعاء ومعنى الخبر قال شيخ الاسلام والحمد
ضد الذم والحمد يكون على محاسن المحمود مع المحبة له كما ان الذم يكون على مساوي
مع البغض له وكذا قال ابن القيم وفرق بينه وبين المدح بان الاخبار عن
محاسن الغير اما ان يكون اخبارا مجردا عن حب وارادة او مقرونا بحبه وارادته
فان كان الاول فهو المدح وان كان الثاني فهو الحمد اخبار عن محاسن المحمود
مع حبه واجلاله وتعظيمه ولهذا كان خبرا يتضمن الانشاء بخلاف المدح فانه
خبر مجرد فالقائل اذا قال الحمد لله او قال ربنا ولك الحمد تضمن كلامه الخبر
عن كل ما يحمده عليه الله تعالى باسم جامع محيط متضمن لكل فرد من افراد
الجملة المحققة والمقدرة وذلك يستلزم اثبات كل كمال يحمد عليه الرب
تعالى ولهذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه ولا تنبغي الا لمن هذا
شانه وهو الحميد المجيد وفيه التصريح بان الامام يجمع بين التسميع والتحميد

وهذا قول الشافعي واحمد وابي يوسف وخالف في ذلك مالك وابو حنيفة
فقال يقتصر على قوله سمع الله لمن حمده قوله وفي رواية يدعو على صفوان
ابن امية وسهيل ابن عمرو والحارث ابن هشام وانما دعا عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم لانهم رؤساء المشركين يوم احد والسبب في تلك
الافاعيل التي جرت على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم هو وابو اسفيان
ومع ذلك فما استجيب لهم فيهم بل انزل الله عليه ليس لك من الامر شيء
او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون فتاب الله عليهم وامنوا مع انهم
فعلوا اشياء لم يفعلها اكثر الكفار منها عزمهم بنيهم صلى الله عليه وسلم
في بلاده وشجهم له وكسر رباعيته وقتلهم بني عمهم المؤمنين وقتلهم الانصار
والتمثيل بقتلى المسلمين واعلانهم بشركهم وكفرهم ومع هذا كله لم يقدر النبي صلى الله
عليه وسلم ان يدفعهم عن نفسه ولا عن اصحابه كما قال قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا
قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته بل الجا صلى الله عليه وسلم الى ربه المالك القادر على النفع والضر واهلا
كهم ودعا عليهم صلى الله عليه وسلم في الصلوات المكتوبة جهرا وخلفه سادات
الاولياء يؤمنون على دعائه ومع هذا كله ما استجاب الله له فيهم بل تاب
عليهم وامنوا فلو كان عنده صلى الله عليه وسلم من النفع والضر شيء لكان يفعل
بهم ما يستحقونه من هذه الافعال العظيمة ولكن الامر كما قال تعالى هذا بلاغ
للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب فاين
هذا مما يعتقده عباد القبور في الاولياء والصالحين بل في الطواغيت الذين
يسمونهم المجاذيب والفقراء انهم ينفعون من دعائهم وينصرون من لاذ بجاههم
ويدعونهم براد بحر اني في غيبتهم وحضرتهم قال وفيه عن ابي هريرة قال قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزل الله عليه وانذر عشيرتك الاقربين

فر

قال يا معشر قريش او كلمة نحوها اشتروا انفسكم لا اغني عنكم من الله شيئا
يا عباس ابن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا اغني عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سليني من
مالي ما شئت لا اغني عنك من الله شيئا قوله وفيه اي في صحيح البخاري
قوله عن ابي هريرة اختلف الحفاظ في اسمه على اكثر من ثلاثين قولا صحيح
النووي ان اسمه عبد الرحمن بن صخر كما رواه الحاكم في المستدرك عن ابي هريرة
قال كان اسمي في الجاهلية عبد شمس ابن صخر فسميت في الاسلام عبد الرحمن وقال
غيره اسمه عبد الرحمن ابن عمرو وقيل ابن عامر وقال الكلبي اسمه عمير ابن عامر
ويقال كان اسمه في الجاهلية عبد شمس وكنيته ابو الاسود فسماه رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله وكناه ابا هريرة وروى الدولابي باسناده عن ابي
هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سماه عبد الله وهو دوسي من فضلاء الصحابة
وحفاظهم وعلمائهم حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم اكثر ما حفظه غيره و
روي وروي له في كتب في السنة اكثر من خمسة الاف حديثا مات سنة سبع او
ثمان او تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة قوله قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الصحيح من رواية ابن عباس صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا
قوله حين انزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين عشيرة الرجل بنو ابيه الادنون
دنون او قبيلته والاقربين اي الاقرب فالاقرب منهم لانهم احق الناس
ببرك واحسانك الديني والدنيوي كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم
واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الاية وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لمن قال له من ابر قال امك قال ثم من قال ثم ابوك ثم اختك واخاك ولانه اذا
قام عليهم في امر الله كان ادعى لغيرهم الى الانقياد والطاعة له ولئلا ياخذه
ما ياخذ القريب للقريب من الرافة والمحابات فيحابيهم في الدعوة والتخويف

فلذلك امر بانذارهم خاصة وقد امره الله ايضا بالنذارة العامة كما قال لتبشر به
المتقين وتنذر به قوما لدا وقال لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون
ولا تنافي بينهما لان النذارة الخاصة فرد من افراد العامة قوله يا معشر قريش
للعشر كمسكن الجماعة قوله او كلمة نحوها هو بنصب كلمة على انه معطوف على ما قبله
اي او قال كلمة نحو قوله يا معشر قريش اي بمعناها قوله اشتروا انفسكم اي
اي بتوحيد الله واخلاص العبادة له وعدم الاشراك به وطاعته فيما امر والاء
نهاكم عنه زجر فان جميع ذلك من النجاة والخلاص من عذاب الله لا الاعتماد
على الانساب وترك الاسباب فان ذلك غير نافع عند رب الارباب ودفع بقوله
لا اغني عنكم من الله شيئا ما عساه ان يتوهمه بعضهم انه يغني عنهم من الله شيئا
بشفاعته فاذا كان لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا يدفع عن نفسه عذاب ربه
لو عصاه كما قال تعالى قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فكيف يملك
لغيره نفعا او ضرا ويدفع عنه عذاب الله واما شفاعته صلى الله عليه وسلم في بعض
العصاة فهو امر من الله ابتداء فضلا عليه وعليهم لانه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة
من يشاء وفي صحيح البخاري بعد قوله لا اغني عنكم من الله شيئا يا بني عبد مناف لا
اغني عنكم من الله شيئا فلعل المصنف اختصرها قوله يا عباس ابن عبد المطلب بنصب
ابن ويجوز في عباس الرفع والنصب وكذا القول في قوله ويا صفية عمة رسول الله
ويا فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم قوله سليني من مالي ما شئت في رواية
مسلم عن عائشة قالت لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب يا بني عبد المطلب سليني
من مالي ما شئتم فبين صلى الله عليه وسلم انه لا ينجيهم من عذاب الله ولا يدخلهم الجنة
ولا يقربهم الى الله وانما الذي يقرب الى الله ويدخل الجنة وينجي من النار برحمة الله
هو طاعة الله واما ما يقدر عليه صلى الله عليه وسلم من امور الدنيا فلا يبخل بها عنهم

كما قال

كما قال سليني من مالي وكما قال الا ان رحما سأبلها ببلالها رواه احمد وعبد
ابن حميد وابن المنذر وهو عند مسلم في حديث اخر فاذا صرح وهو سيد المر
سلين لاقاربه المؤمنين وغيرهم خصوصا سيدة نساء العالمين وعمه
وعمته وامن الانسان انه لا يقول الا الحق ثم نظر الى ما وقع في قلوب
كثير من الناس من الاعتقاد فيه وفي غيره من الانبياء والصالحين انهم
ينفعون ويضرون ويغنون من عذاب الله حتى يقول صاحب البردة فان
من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم تبين له التوحيد
وعرف غربة الدين فاين هذا من قول صاحب البردة والبرعي واضرابهما
من المادحين له صلى الله عليه وسلم هو يتبرء منه ليلا ونهارا ويبين
اختصاصه بالخالق تعالى وتقدس كما قال تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا
ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء
ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون فماذا بعد الحق الا الضلال فاني
تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون تالله لقد
تاهت عقول تركت كلام ربها وكلام نبيها لوساوس صدورها وما القاه
الشيطان في نفوسها ومن العجب ان الملعين كادهم مكيدة ادرك بها مأموله
فاظهر لهم هذا الشرك في صورة محبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه ومحبة الصا
لحين وتعظيمهم ولعمر الله ان تبريتهم من هذا التعظيم والمحبة هو التعظيم لهم
والمحبة وهو الواجب المتعين واظهر لهم التوحيد والاخلاص في صورة بغض
النبي صلى الله عليه وسلم وبغض الصالحين والتنقص بهم وما شعروا انهم
تنقصوا الخالق سبحانه وتعالى وبخسوا حقه وتنقصوا النبي صلى الله عليه وسلم
والصالحين بذلك اما تنقصهم للخالق تعالى فلانهم جعلوا المخلوق العاجز
مثل الرب القادر في القدرة على النفع والضر واما بخسهم حقه تعالى

فلأن العبادة بجميع انواعها حق لله تعالى فاذا جعلوا شيئا منها لغيره فقد بخسوه
حقه واما نقصهم للنبي صلى الله عليه وسلم وللصالحين فلأنهم ظنوا انهم راضون
منهم بذلك او امروهم به وحاش الله ان يرضوا بذلك او يامروا به قال تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون
وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم جده صلى الله عليه وسلم في هذا الامر
بحيث فعل ما سب به الى الجنون وكذلك لو يفعله مسلم الان قاله المصنف وفيه
دليل على الاجتهاد في الاعمال وترك البطالة والاعتماد على مجرد الانتساب
الى الأشخاص كما يفعله اهل الطيش الحمق ممن ينتسب الى نبي او صالح ونحو ذلك
لانه صلى الله عليه وسلم اذا خاطب بنته وعمه وعمته وقرابته بهذا الخطاب كان
تنبيها لذريتهم ونحوهم على ذلك لانه اذا كان لا يغني عن هؤلاء شيئا كان ذريتهم
اولا ان لا يغني عنهم من الله شيئا وقد قال تعالى لمن اكتفى بالأنتساب الى الانبياء عن متابعتهم تلك الامة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون
عما كانوا يعملون وفيه ان اولى الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم هم اهل طاعته
ومتابعته في محياه ومماته كما قال صلى الله عليه وسلم الا ان آل بني فلان ليسوا لي
باولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين رواه مسلم وروى عبد ابن حميد عن
الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع اهل بيته قبل موته فقال الا ان لي عملي
ولكم عملكم الا اني لا اغني عنكم من الله شيئا الا ان اوليائي منكم المتقون الا
لا اعرفنكم يوم القيمة تاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم وياتي الناس
يحملون الآخرة **باب قول الله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا
لوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير** اراد المصنف رحمه الله بهذه
الترجمة بيان حال الملائكة الذين هم اقوى واعظم من عبد من دون الله فاذا
كان هذا حالهم مع الله تعالى وهيبتهم منه وخشيتهم له فكيف يدعو احد

من

من دون الله وان كانوا لا يدعون مع الله تعالى لاستقلالا ولا وساطة بل
الشفاعة فغيرهم ممن لا يقدر على شيء من الاموات والاصنام وغيرهم اولى
ان لا يدعى ولا يعبد ففيه الرد على جميع فرق المشركين الذين يدعون مع الله
من لا يدانى الملائكة ولا يساويهم في صفة من صفاتهم وقد قال تعالى فيهم و
قالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم
بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم
من خشيته مشفقون فهذه حالهم وصفاتهم وليس لهم من الربوبية والألهية
شيء بل ذلك لله وحده لا شريك له وكذا قال في هذه الاية حتى اذا فزع عن
قلوبهم اي زال الفزع عنها قاله ابن عباس وابو عمر وابو عبد الرحمن السلمي
والشعبي والحسن وغيرهم والضمير عائد على ما عادت عليه الضمائر للغيبة في
لا يملكون وفي مالهم ومالهم منهم وحتى تدل على الغاية وليس في الكلام ما يدل
على ان حتى غاية له فقال ابن عطية في الكلام حذف يدل عليه الظاهر كانه قال
ولا هم شفعاء كما تزعمون انتم بل عبدة مسلمون ابدا يعني منقادون حتى اذا
فزع عن قلوبهم والمراد الملائكة على ما اختاره ابن جرير وغيره قال ابن كثير
وهو الحق الذي لا مرية فيه لصحة الاحاديث فيه والاثار وقال ابو حيان تظا
هرة الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله حتى اذا فزع عن
قلوبهم انما هي في الملائكة اذا سمعت الوحي الى جبريل يامر الله تعالى به سمعت
كجر سلسلة الحديد على الصفوان فتفزع عند ذلك تعظيما وهيبة قال
وبهذا المعنى من ذكر الملائكة في صدور الايات تتسق هذه الاية على الاولى
ومن لم يشعر ان الملائكة مشار اليهم من اول قوله الذين زعمتم لم تتصل له هذه
الاية بما قبلها وقال ابن كثير هذا مقام رفيع في العظمة وهو انه تعالى اذا تكلم با
الوحي فسمع اهل السموات كلامه ارعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي قاله

ابن مسعود ومسروق وغيرهما وقوله قالوا الحق اي قالوا قال الله الحق وذلك
لانهم اذا سمعوا كلام الله وصعقوا ثم افاق احدهم وليتسائلون فيقولون ماذا
قال ربكم فيقولون قال الحق وقوله وهو العلي اي العالي فوق كل شيء وفي
معنى على العرش الذي هو فوق السموات كما قال الرحمن على العرش استوى
قال في الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر
في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان
ينفذهم ذلك حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو
العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق
بعض وصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها
الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن فربما ادركه الشهاب قبل
ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال اليس
قد قال لنا يوم كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السما
قوله في الصحيح اي صحيح البخاري قوله اذا قضى الله الامر في السماء اي اذا
تكلم الله بامره اي الذي قضاه في السما مما يكون كما روى سعيد ابن منصور و
ابو داود وابن جرير عن ابن مسعود قال اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السموات
صلصلة كجر السلسلة على الصفوان وروى ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن
عباس قال لما اوحى الجبار الى محمد صلى الله عليه وسلم دعا الرسول من الملائكة
ليبعثه بالوحي فسمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي فلما كشف عن قلوبهم
سألوا عما قال الله فقالوا الحق وعلموا ان الله لا يقول الا حقا قوله ضربت
الملائكة باجنحتها خضعانا القوله اي لقول الله تعالى قال الحافظ خضعانا
بفتحتين من الخضوع وفي رواية بضم اوله وسكون ثانيه وهو مصدر بمعنى
خاضعين قوله كانه سلسلة على صفوان اي كانه الصوت المسموع سلسلة

على صفوان وهو الحجر الاملس قال الحافظ هو مثل قوله في بدء الوحي صلصلة
كصلصلة الجرس وهو صوت الملك بالوحي وقد روى ابن مردويه من
حديث ابن مسعود رفعه اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السموات صلصلة
كصلصلة السلة على الصفوان الحديث قوله ينفذهم ذلك هو بفتح التحتية
وسكون النون وضم الفاء والذال المعجمة ذلك اي القول والضمير هو في ينفذهم
عائد على الملائكة اي ينفذ الله ذلك القول الى الملائكة اي يلقيه اليهم
وقيل وهو اظهر اي يخلص ذلك القول ويمضي في قلوب الملائكة حتى يفزعوا
من ذلك كما في حديث النواس وفي حديث ابن عباس عن ابن مردويه من
طريق عطا ابن السايب عن سعيد ابن جبير عنه فلا ينزل على اهل سماء الا صعقوا
وفي حديث ابن مسعود عن ابي داود وغيره مرفوعا اذا تكلم الله بالوحي سمع
اهل السماء الدنيا صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون
كذلك حتى يأتيهم جبرئيل الحديث قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم اي ازيل
عنها الخوف والغشي قوله قالوا ماذا قال ربكم اي قال الملائكة بعضهم لبعض
ماذا قال ربكم قوله قالوا الحق اي قالوا قال الله الحق علموا ان الله لا يقول
الا حقا قوله فيسمعها مسترق السمع اي يسمع الكلمة التي قضاها الله
مسترق السمع وهم الشياطين يركب بعضهم بعضا فيسمعون اصوات الملائكة
بالامر يقضيه الله كما قال تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق
السمع فاتبعه شهاب مبين وفي صحيح البخاري عن عائشة مرفوعا ان الملائكة
تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الامر قضي في السماء فتسترق السمع
الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من
عند انفسهم وظاهر هذا انهم لا يسمعون كلام الملائكة الذين في السماء الدنيا
وانما يسمعون كلام الملائكة الذين في السحاب قوله وصف سفيان بكفه اي وصف

ركوب بعضهم فوق بعض وسفيان هو ابن عيينة ابو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي
ثقة حافظ فقيه امام حجة الا انه تغير حفظه باخرة وربما دلس لكن عن الثقات
مات سنة ثمان وتسعين ومايه وله احدى وتسعون سنة قوله فخرفها
بجاء مهملة وراء مشددة وفاء قوله فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته
اي يسمع المسترق الفوقاني الكلمة من الوحي فيلقيها الى الشيطان الذي تحته
ثم يلقيها الاخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر والكاهن وحينئذ يقع
الرجم قوله فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها الشهاب هو النجم الذي يرمى
به اي ربما ادرك المسترق الشهاب اذا رمي به قبل يلقي الكلمة الى من تحته وربما
القاها المسترق قبل ان يدركه الشهاب وهذا يدل على ان الرمي بالنجوم كان
قبل المبعث كما روى احمد ومسلم والترمذي والنسائي عن معمر عن الزهري عن علي
ابن حسين عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر
من اصحابه فرمي بنجم فاستنار فقال ماكنتم تقولون اذا كان هذا في الجاهلية
هلية قالوا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم قال فانها لا يرمى بها لموت
احد ولا لحياته ولكن ربنا اذا قضى امرا سبح حملة العرش ثم سبح اهل السما الذين
يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبرون اهل كل سماء
حتى ينتهي الخبر الى هذه السما وتخطف الجن السمع فيرمون فما جاءوا به على وجهه
فهو حق ولكنهم يحرفونه ويزيدون فيه قال معمر قلت للزهري اكان يرمى بها
في الجاهلية قال نعم قال ارايت وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع
الان يجد له شهابا رصدا قال غلظة وشدد امرها حيث بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفيه الرد على المنجمين الذين ينسبون الخير والشر والاعطا والمنع
الى الكواكب بحسب السعود منها والنحوس وعلى حسب كونها في البروج الموافقة
او المنافرة ونحو ذلك لما في الرمي بها من الدلالة على تسخيرها لما خلقت له

كما قال تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره الا له الخلق والامر تبارك رب العالمين قوله فيكذب معها مئة كذبة
اي يكذب الكاهن او الساحر مع الكلمة التي القاها اليه وليه من الشياطين مئة
كذبة بفتح الكاف وسكون الذال المعجمة او يكذب الشيطان مع الكلمة التي استرقها
مئة كذبة ويخبر بالجميع وليه من الانس فما جاء وابه على وجهه فهو صدق وما
خلط فيه فهو كذب ومع هذا فيفتتن الانس بالانسي الساحر او الكاهن ويفتتنا
بوليهما من الشياطين ويقبلون ما جاء وابه من الصدق والكذب لكونهم قد يصد
قون فيما يأتون به من خبر السماء قوله فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا
هكذا ابيض المصنف في هذا الموضع ولفظ الحديث في الصحيح فيقال اليس قد قال
لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا والمعنى ان الذين يأتون الكهان يصدقونهم في كذبهم
ويستدلون على ذلك بكونهم يصدقون بعض الاحيان فيما سمعوه من الوحي
ويذكرون انه اخبرهم مرة بشيء فوجدوه حقا وتلك الكلمة من الحق كما في الصحيح
عن عائشة قلت يا رسول الله ان الكهان كانوا يحدثوننا بالشيء فنجده حقا
قال تلك الكلمة الحق يخطفها الجني فيقذفها في اذن وليه ويزيد فيها مئة كذبة
وفيه قبول النفوس الباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمئة كذبة ذكره
المصنف وفيه ان الشيء اذا كان فيه نوع من الحق لا يدل على انه حق كله بل لا يدل
على اباحته كما في الكهانة والسحر والتنجيم قوله فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت
من السماء اي يستدلون على صدقه بها قال وعن النواس ابن سمعان قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله تعالى ان يوحي بالامر تكلم بالوحي اخذت
السموات منه رجفة او قال رعدة شديدة خوفا من الله عز وجل فاذا سمع ذلك
اهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول من يرفع راسه جبريل فيكلمه الله

من وجه بما اراد ثم يمر جبرئيل على الملائكة كلما مر بسماء سالة ملائكتها
ماذا قال ربنا يا جبرئيل فيقول جبرئيل قال الحق وهو العلي الكبير قال
فيقولون كلهم مثل ما قال جبرئيل فينتهي بالوحي الى حيث امره الله عز
وجل قوله عن النواس بن سمعان بكسر النون اي ابن خالد الكلابي ويقال
الانصاري صحابي ويقال ان اباه صحابي ايضا قال ابو حاتم الرازي سكن
الشام قوله اذا اراد الله ان يوحي بالامر الى اخره هذا والله اعلم في جميع الامور
التي يقضيها الرب تبارك وتعالى كما يدل عليه عموم اللفظ ويدل على ذلك
ايضا حديث ابي هريرة الذي تقدم وغيره من الاحاديث المتقدمة قوله
اخذت السموات منه رجفة هو برفع رجفة على انه فاعل اي اصاب السموات منه
رجفة اي ارتجفت كما روى ابن ابي حاتم عن عكرمة قال اذا قضى الله امرا تكلم
تبارك وتعالى رجفت السموات والارض والجبال وخرت الملائكة كلهم سجدا
قوله او قال رعدة شديدة يعني ان الراوي شك هل قال النبي صلى الله عليه وسلم
رجفة او قال رعدة وهو بفتح الراء بمعنى الاول قوله خوفا من الله عز وجل
لا ينكر ان السموات والارض ترجف وترتعد خوفا من الله عز وجل فقد قال
تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده
ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا وقال تعالى فقال لها وللأرض
ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وقال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله و
في البخاري عن ابن مسعود قال كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي
حديث ابي ذر ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ في يده حصيات فسمع لهن تسبيحا
كحنين النحل وكذا في يد ابي بكر وعمر وعثمان وهو حديث مشهور في المسانيد
والكتب

وكذلك في الصحيح قصة حنين الجذع الذي كان يخطب عليه النبي صلى الله
عليه وسلم قبل اتخاذ المنبر ومثل هذا كثير قوله صعقوا وخروا لله سجدا
اي يقع منهم الامران الصعق وهو الغشي والسجود والله اعلم ايهما قبل الاخر فان الواو
لا تقتضي ترتيبا قوله فيكون اول من يرفع راسه جبرئيل معنى جبرئيل عبد الله
واسم ميكائيل عبيد الله واسرافيل عبد الرحمن وكل شيء راجع الى ايل فهو معبد
لله عز وجل وفيه دليل على فضيلة جبرئيل عليه السلام كما قال تعالى انه لقول
رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين قال جبرئيل يدخل في سبعين
حجابا من نور بغير اذن وقد ورد في صفة جبرئيل احاديث صحيحة منها
ما رواه احمد باسناد صحيح عن عبد الله ابن مسعود قال رأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم جبرئيل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق
يسقط من جناحه من التهاويل والدر واليواقيت ما الله به عليم قوله ثم
يمر جبرئيل على الملائكة الى اخره معناه ظاهر فاذا كان هذا حال الملائكة الذين
هم اقوى واعظم من عبد من دون الله وشدة خشيتهم من الله وهيبتهم له
مع ما اعطاهم الله من القوة العظيمة التي لا يعلمها الا الله ومع هذا قد نفاعنهم
الشفاعة بغير اذنه كما قال وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا
الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى واخبارهم لا يملكون كشف الضر
عن من دعاهم ولا تحويله فقال قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون
كشف الضر عنكم ولا تحويلا وفي ضمن ذلك النهي عن دعائهم وعبادتهم لشفا
عتهم او غيرها كما قال ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون
شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا فكيف يدعوهم المشرك ويظن انهم
يشفعون له عند الله كما يشفع الوزراء عند الملوك فاذا بطلت دعوتهم
مع انهم احياء ناطقون مقربون عند الله فدعاء غيرهم من الاموات الذين

كما روى ابن جرير وابن ابي حاتم عن علي بن حسين قال اسم جبرئيل عبد الله

لا يستطيعون سمعا ولا يملكون ضرا ولا نفعا اولى بالبطلان ان الذين تدعون
من دون الله عبادامثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين وقال
الذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات غير
احياء وما يشعرون ايان يبعثون الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالاخرة
قلوبهم منكرة وهم مستكبرون قوله ثم ينتهي جبرئيل بالوحي الى
حيث امره الله عز وجل قد بيض المصنف رحمه الله بعد هذا ولعله اراد ان
يكتب تمام الحديث ومن رواه وتمامه الى حيث امره الله عز وجل من السما والارض
رض ورواه ابن جرير وابن خزيمة وابن ابي حاتم والطبراني وفي الحديث من
الفوائد اثبات الكلام خلافا للجهمية واثبات الصوت خلافا لهم وللاشاعرة باب الشفاعة لما كان المشركون في قديم الزمان وحديثه انما
وقعوا في الشرك لتعلقهم باذيال الشفاعة كما قال تعالى ويعبدون من دون
الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقال
تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
ولذلك قطع الله اطماع المشركين منها واخبر انه سبحانه ونزه نفسه عنها ونفى
ان يكون للمخلوق من دونه ولي ولا شفيع كما قال تعالى الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي
ولا شفيع افلا تذكرون اراد المصنف في هذا الباب اقامة الحجة على ان
ذلك هو عين الشرك وان الشفاعة التي يظنها من دعا غير الله ليشفع له
كما يشفع الوزير عند الملك منتفية دنيا واخرى وانما الله هو الذي يأذن
للشافع ابتداء لا يشفع ابتداء كما ظنه اعداء الله فان قلت اذا كان من
اتخذ شفيعا عند الله انما قصده تعظيم الرب تعالى وتقدس ان يتوصل اليه
الا بالشفعاء فلم كان هذا القدر شركا قيل قصده للتعظيم لا يدل على ان

ذلك التعظيم لله تعالى فكم ممن يقصد التعظيم لشخص ينقصه بتعظيمه ولهذا قيل
في المثل المشهور بيض الصديق الجاهل ما لا يضر العدو العاقل فان اتخاذ الشفعاء
والاندادمن دون الله هضم لحق الربوبية ونقص لعظمة الالهية وسوء
ظن برب العالمين كما قال تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات الظانين بالله ظن السوء الاية فانهم ظنوا به ظن السوء حتى اشركوا به ولو احسنوا به الظن لوحدوه حق توحيده ولهذا اخبر سبحانه وتعالى
عن المشركين انهم ما قدروه حق قدره وكيف يقدره حق قدره من
اتخذ من دونه ندا او شفيعا يحبه ويخافه ويرجوه ويدل له ويخضع له و
يهرب من سخطه ويوشر مرضاته ويدعوه ويذبح له وينذر وهذه هي
التسوية التي اثبتها المشركون بين الله وبين الهتهم وعرفوا وهم في النار
انها كانت باطلا وضلالا فيقولون وهم في النار تالله ان كنا لفي ضلال
مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم انهم ما ساووهم به في الذات
والصفات والافعال ولا قالوا ان الهتهم خلقت السموات والارض وانها
تحيي وتميت وانما ساووهم به في المحبة والتعظيم والعبادة كما نرى عليه اهل
الاشراك ممن ينتسب الى الاسلام وانما كان ذلك هضما لحق الربوبية و
نقصا لعظمة الالهية وسوء ظن برب العالمين لان المتخذ للشفعاء والاندا
اما يظن ان الله سبحانه يحتاج الى من يدبر امر العالم معه من وزير او ظهير او عون
وهذا اعظم النقص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته وكل ما سواه فقير اليه
بذاته واما ان يظن ان الله سبحانه لم تتم قدرته بقدرة الشفيع واما ان
يظن انه لا يعلم حتى يعلمه الشفيع او لا يرحم حتى يجعله الشفيع يرحم او لا يكفي
وحده او لا يفعل ما يريد العبد حتى يشفع عنده كما يشفع عند المخلوق او لا
يجيب دعاء عباده حتى يسألوا الشفيع او يرفع حاجاتهم اليه كما هو حال

ملوك الدنيا وهذا اصل شرك الخلق او يظن انه لا يسمع دعاءهم حتى يرفع
الشفيع اليه ذلك او يظن ان للشفيع عليه حقا هو يقسم عليه بجهة ويتوسل اليه
بذلك الشفيع كما يتوسل الناس الى الاكابر والملوك بمن يعز عليهم ولا تمكنهم
مخالفته وكل هذا النقص للرب بهيئة وهضم لحقها ذكر معناه ابن القيم فلهذه
الامور وغيرها اخبر سبحانه وتعالى ان ذلك شرك ونزه نفسه عنه فقال ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل
اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون
فان قلت انما حكم سبحانه وتعالى بالشرك على من عبد الشفعاء اما من دعاءهم للشفا
عة فقط فهو لم يعبدهم فلا يكون ذلك شركا قيل مجرد اتخاذ الشفعاء ملزوم
للشرك والشرك لازم له كما ان الشرك ملزوم للنقص الرب سبحانه وتعالى والنقص
لازم له ضرورة شاء المشرك او ابى وعلى هذا فالسؤال باطل من اصله لا وجود له
في الخارج وانما هو شيء قدره المشركون في اذهانهم فان الدعاء عبادة بل
هو مخ العبادة فاذا دعاهم للشفاعة فقد عبدهم والشرك في عبادة الله شاء
او ابى قال وقول الله عز وجل وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى
ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع الانذار هو الاعلام بموضع المخافة قوله
به قال ابن عباس بالقرآن وقوله الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم اي انذر
يا محمد بالقرآن الذين هم من خشية ربهم مشفقون الذين يخشون ربهم ويخافون
سوء الحساب وهم المؤمنون كما روي ذلك عن ابن عباس والسدي وعن الفضيل ابن
عياض ليس كل خلق عاب انما عاب الذين يعقلون فقال وانذر به الذين يخافون
ان يحشروا الى ربهم اي وهم المؤمنون اصحاب القلوب الواعية فانهم المقصودون
والمنظور اليهم لا اصحاب التجمل والسيادة فان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم
ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع قال الزجاج

موضع ليس نصب على الحال كانه قال متخلين من ولي وشفيع والعامل فيه يخافون
وقال ابن كثير ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع من عذابه ان اراد هم به لعلهم
يتقون فيعملون في هذه الدار عملا ينجيهم الله به من عذابه يوم القيمة قلت
فنفى تعالى عن المؤمنين ان يكون لهم ولي او شفيع من دون الله كما هو دين
المشركين فمن اتخذ من دون الله شفيعا فليس من المؤمنين ولا تحصل له
الشفاعة وليس في الاية دليل على نفي الشفاعة لاهل الكبائر باذن الله كما ادعته
المعتزلة بل فيها دليل على نفي اتخاذ الشفعاء عن المؤمنين وعلى نفيها بغير اذن
الله ولهذا اثبت الشفاعة باذنه في مواضع كما قال ما من شفيع الا من بعد
اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون قال وقوله قل لله الشفا
عة جميعا هكذا اورد ها المصنف وتكلم عليها وعلى الاية التي قبلها ليتضح المعنى
قال الله تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله
الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون فقوله ام اتخذوا اي
بل اتخذوا اي المشركون والهمزة للانكار من دون الله شفعاء اي تشفع لهم عند
الله بزعمهم كما قال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله الاية وقال والذين اتخذوا من دونه اولياء ما
نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله
لا يهدي من هو كاذب كفار فكذبهم وكفرهم بذلك وقال تعالى فلولا نصرهم
الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا
يفترون فهذا هو مقصود المشركين ممن عبدوهم وهو الشفاعة لهم عند الله
وقوله من دون الله اي من دون اذنه وامره والحال انه لا يشفع عنده احد الا
باذنه وان يكون المشفوع له مرتضى وههنا شرطان مفقودان فان الله سبحانه
لم يجعل اتخاذ الشفعاء ودعاءهم من دونه سببا لاذنه ورضاه بل ذلك

قل اولو كانوا

سبب لمنعه وغضبه وقوله قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اي ايشفعون
ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم واموات
كذلك حتى ولا يملكون الشفاعة كما قال قل لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها
كلها فليس لمن يدعونهم منها شيء قال البيضاوي لعله رد لما عسى يجيبون
به وهو ان الشفاعة اشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة
كلها لا يستطيع احد شفاعة الا باذنه ولا يستقل بها وقوله له ملك السموات
والارض تقرير لبطلان اتخاذ الشفعاء من دونه بانه مالك الملك كله لا
يملك احد ان يتكلم في امره دون اذنه ورضاه فاندرج في ذلك ملك الشفا
عة فاذا كان هو مالكها بطل اتخاذ الشفعاء من دونه كائنا ما كان وقوله
ثم اليه ترجعون اي فتعلمون انهم لا يشفعون ويجيب سعيكم في عبادتهم
بل كانوا يكونون عليكم ضدا ويتبرؤن من عبادتكم كما قال تعالى سيكفرون
بعبادتكم ويكونون عليهم ضدا وقال تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول
للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا
تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين قال
وقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه في هذه الاية رد على المشركين الذين
اتخذوا الشفعاء من دون الله من الملائكة والانبياء والاصنام المصورة على
الصالحين وغيرهم وظنوا انهم يشفعون له عنده بغير اذنه فانكر ذلك عليهم وبين
عظيم ملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن
له في الكلام كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقوله يوم يات لا تكلم
نفس الا باذنه قال ابن جرير في هذه الاية نزلت لما قال الكفار ما نعبد
اوثاننا هذه الا ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى له ما في السموات
وما في الارض وتقرر في هذه الاية ان الله ياذن لمن يشاء في الشفاعة وهم

الانبياء

الأنبياء والعلماء وغيرهم والاذن راجع الى الامر فيما نص عليه كمحمد صلى الله عليه وسلم
اذا قيل له اشفع تشفع وكذا قاله غير واحد من المفسرين قال وقوله وكم من ملك
في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن
يشاء ويرضى قال ابو حيان كم خبرية ومعناها التكثير وهي في موضع رفع على الابتداء
والخبر لا تغني والمعنى جلب النفع ودفع الضر بحسب الامر الذي يكون
فيه الغنى وكم لفظها مفرد ومعناها جمع واذا كانت الملائكة المقربون لا تغني
شفاعتهم الا بعد اذن الله ورضاه اي برضاه اهلا للشفاعة فكيف تشفع الا
صنام لمن عبدها قلت في هذه الايات من الرد على من عبد الملائكة والصالحين
لشفاعة او غيرها ما لا يخفى لانهم اذا كانوا لا يشفعون الا باذن من الله ابتداء
فلاي معنى يدعون ويعبدون وايضا فان الله لا ياذن الا لمن ارتضى قوله
وعمله وهو الموحد لا المشرك كما قال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن
له الرحمن ورضي له قولا والله لا يرضى الا التوحيد كما قال ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه فلم يقل اسعد الناس
بشفاعتي من دعاني فان قال المشرك انا اعلم انهم لا يشفعون الا باذن لكن
ادعوهم لياذن الله لهم في الشفاعة لي قيل فان الله لم يجعل الشرك به ودعاء
غيره سببا لاذنه ورضاه بل ذلك سبب لغضبه ولهذا نهى عن دعاء غيره في
غير اية كقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك
اذا من الظالمين فتبين ان دعاء الصالحين من الملائكة والانبياء وغيرهم شرك
كما كان المشركون الاولون يدعونهم ليشفعوا لهم عند الله فانكر الله عليهم ذلك
ولخبره لا يرضاه ولا يامر به كما قال تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
ارباب ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وقال تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من

الذين اتبعوا وراوا العذاب الآية قال ابن كثير تبرئت منهم الملائكة الذين
كانوا يزعمون انهم يعبدونهم في الدنيا فتقول الملائكة تبرئنا منكم اليك
ما كانوا اياانا يعبدون وقال تعالى واذ قال الله يا عيسى ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون ان اقول ما ليس
لي بحق الاية وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون
كشف الضر عنكم ولا تحويلا الاية وروى سعيد ابن منصور والبخاري والنسائي
وابن جرير عن ابن مسعود في الاية قال نفر من الانس يعبدون نفرا من
الجن فاسلم النفر من الجن وتمسك الانسيون بعبادتهم فانزل الله اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة كلاهما بالياء وروى
ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عباس في الاية قال كان اهل الشرك
يعبدون الملائكة والمسيح وعزيرا وفي رواية عند عند هما في قوله
فلا يملكون كشف الضر عنكم قال عيسى والله وعزير وقال تعالى انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون الى قوله ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الاية قال ابن اسحق لما ذكر قصة الزبعري ومخاصمته
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول هذه الاية قال وانزل الله ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون الايتين اي عيسى وعزير ومن
عبد من الاحبار والرهبان الذين مضوا على امر الله فاتخذهم من يعبدهم من
اهل الضلال ارباباً من دون الله وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الايات وروى ابن ابي حاتم عن
الزهري قال نزلت سورة النجم وكان المشركون يقولون لو كان هذا الرجل
يذكر الهتنا بخير اقررناه واصحابه ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود
والنصارى بمثل الذي يذكر الهتنا من السب والشتم والشر وكان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قد اشتد عليه ما نال اصحابه من اذاهم وتكذيبهم واحزنه ضلالتهم
فكان يتمنى هداهم فلما انزل الله سورة النجم قال افرايتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى القى الشيطان عند ها كلمات حين ذكر الطواغيت فقال وانهن
لهن الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترجى وكان ذلك من سجع الشيطان
وفتنته فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة وذلت بها السنتهم
وتباشروا بها وقالوا ان محمدا قد رجع الى دينه الاول ودين قومه فلما بلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر النجم سجد وسجد كل من حضر من مسلم ومشرك
فقست تلك الكلمة في الناس واظهرها الشيطان حتى بلغت ارض الحبشة فانزل
الله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية فلما بين قضاءه وبراه
من سجع الشيطان انقلب المشركون ضلالا لهم وعداوتهم للمسلمين واشتدوا
عليه وهي قصة مشهورة صحيحة مروية عن ابن عباس من طرق بعضها صحيح
ورويت عن جماعة من التابعين باسانيد صحيحة منهم عروة وسعيد ابن جبير و
ابو العالية وابو بكر ابن عبد الرحمن وعكرمة والضحاك وقتادة ومحمد ابن كعب
القرظي ومحمد ابن قيس والسدي وغيرهم وذكرها ايضا اهل السير وغيرهم واصلها
في الصحيحين والمقصود منها قوله وانهن لهن الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترجى فان الغرانيق هي الملائكة على قول وعلى اخر هي الاصنام ولا تنافي بينهما
فان المقصود بعبادتهم الاصنام الملائكة والصالحين كما تقدم عن البيضاوي
فلما سمع المشركون هذا الكلام المقتضي لجواز عبادة الملائكة رجاء شفاعتهم
عند الله ظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله فرضوا عنه وسجدوا معه
وحكموا بانه قد وافقهم على دينهم من دعاء الملائكة والاصنام للشفاعة حتى
طارت الكلمة كل مطار وبلغ المهاجرين الى الحبشة انهم صالحوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعرفت ان الفارق بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم هي مسئلة

الشفاعة لانهم يقولون يريد من الملائكة والاصنام المصورة على صورهم
بزعمهم ان يشفعوا لنا عند الله والرسول صلى الله عليه وسلم فقاتلهم بابطال
ذلك والنهي عنه وتكفير من دان به وتضليلهم وتسفيه عقولهم ولم يرخص
لهم في سؤال الشفاعة من الملائكة ولا من الانبياء ولا من الاصنام بل
اتاهم بقوله تعالى قل لله الشفاعة جميعا وقوله واتخذوا من دونه آلهة ان
يردن الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال
مبين وهذا كثير جدا من تتبعه والمقصود ان المشركين الاولين يدعون
الملائكة والصالحين ليشفعوا لهم عند الله كما تشهد به نصوص القرآن
وكتب التفسير والسير والاثار واضحة بذلك ويكفي العاقل المنصف قوله
تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون
قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم
مؤمنون قال وقوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض الآيتين هذه الاية هي التي قال فيها بعض
العلماء انها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب لمن عقلها قال ابن القيم
في الكلام عليها وقد قطع الله الاسباب التي يتعلق بها المشركون جميعا قطعا
يعلم من تاملها وعرفها ان من اتخذ من دون الله وليا فمثله كمثل العنكبوت اتخذت
بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت فالمشرك انما يتخذ معبوده لما
يحصل له به من النفع والنفع لا يكون الا ممن يكون فيه حصلة من هذه الاربع
اما ان يملك لما يريد عابده منه فان لم يكن مالكا كان شريكا للمالك فان لم يكن
شريكا له كان معينا له وظهيرا فان لم يكن معينا ولا ظهيرا كان شفيعا عنده فنفى
سبحانه المراتب الاربع نفيا مرتبا منتقلا من الاعلى الى ما دونه فنفى الملك و
الشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك واثبت شفاعة لا تطيب

بغير

فيها للمشرك وهي الشفاعة باذنه قال فهو الذي ياذن للشافع وان لم ياذن له
لم يتقدم بالشفاعة بين يديه كما يكون في حق المخلوقين فان المشفوع عنده
يحتاج الى الشافع ومعاونته له فيقبل شفاعته وان لم ياذن له فيها واما
من كل ما سواه فقير اليه بذاته وهو الغني بذاته عن كل ما سواه فكيف يشفع
عنده احد بدون اذنه فكفى بهذه الاية نورا وبرهانا ونجاة وتجريد التوحيد و
قطعا لاصول الشرك ومواده لمن عقلها والقرآن مملوء من امثالها ونظائرها و
لكن اكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له في نوع وقوم قد
خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم
القرآن ولعمر الله ان كان اولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم وشر منهم
وهو نهم وتناول القرآن لهم كتناوله لاولئك ولكن الامر كما قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام من لا
يعرف الجاهلية وهذا لانه اذا لم يعرف الجاهلية والشرك وما عابه القرآن
ذمه وقع فيه واقره ودعا اليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف انه الذي كان
عليه الجاهلية او نظيره او شر منه او دونه فتنقض بذلك عرى الاسلام و
يعود المعروف منكرا والمنكر معروفا والبدعة سنة والسنة بدعة ويكفر الرجل
بمحض الايمان وتجريد التوحيد ويبدع بتجريد متابعة الرسول صلى الله
عليه وسلم ومفارقة هؤلاء والبدع ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا
فالله المستعان وقال تعالى حاكيا عن اسلاف هؤلاء المشركين والذين اتخذوا
اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه
يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار فهذه حال من اتخذ من دون
الله وليا يزعم انه يقربه الى الله تعالى وما اعز من يخلص من هذا بل ما اعز من لا
يعادي من انكره والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم ان الهتهم

تشفع لهم عند الله وهذا عين الشرك وقد انكره الله عليهم في كتابه وابطله
واخبر ان الشفاعة كلها لله وانه لا يشفع عنده الا لمن اذن الله تعالى ان يشفع
له ورضي قوله وعمله وهم اهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله
شفعاء فانه سبحانه يأذن في الشفاعة فيهم لمن يشاء حيث لم يتخذوا هم
شفعاء من دونه فيكون اسعد الناس بشفاعته من يأذن الله تعالى له
صاحب التوحيد الذي لم يتخذ شفيعا من دون الله والشفاعة التي اثبتها
الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم هي الشفاعة الصادرة عن اذنه لمن و
حده والتي نفاها الله تعالى هي الشفاعة الشركية التي في قلوب المشركين
المتخذين من دون الله شفعاء فيعاملون بنقيض مقصودهم من شفاعتهم
ويفوز بها الموحدون انتهى ولكن تامل الاية كيف امرهم تعالى بدعاء الملا
ئكة امر تعجيز والمراد بيان انهم لا يملكون شيئا فلا يدعون لا لشفاعة
ولا غيرها ثم اخبر انهم هم الذين اتخذوهم بزعمهم شفعاء فنسبه الى زعمهم
وافكهم الذي ابتدعوه من غير برهان ولا حجة من الله وهذه الاية نزلت
في دعوة الملائكة ودخول غيرهم فيها من باب الاولى كما روى ابن حاتم عن
السدي في قوله ومالهم منهم من ظهير يقول من عون من الملائكة وكما يدل عليه
قوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم كما تقدم فاذا كان اتخاذ الملائكة شفعاء
من دون الله شركا فكيف باتخاذ الاموات كما يفعله عباد القبور ام كيف با
تخاذ الفجار والفساق اخوان الشياطين من المجاذيب الذين جذبهم ابليس
الى جنابه وطاعته شفعاء واعظم من ذلك اعتقاد الربوبية في هؤلاء الملا
عين مع ما يشاهده الناس منهم من الفجور وانواع الفسوق وترك الصلوات
وفعل المنكرات والمشي في الاسواق عراة كما قال بعض المتاخرين كقوم عراة
في ذرا مصر ما على صورة منهم هناك ثياب يدورون فيها كاشفين لعورة

تواتر هذا الايقال كذاب يعدونهم في مصر فضلاءهم دعاهم فيما يرون
مجاب ومن العجب انهم لم يأتوا بشيء يدل على كون هؤلاء الشياطين من
جملة المسلمين فضلا عن كونهم اولياء فضلا عن كونهم يدعون ويستغاث بهم
الا بشيء من المخاريق والسحر والشعبذة يدعون انها كرامات وانهم اولياء لما
يظهرونه من المخاريق واعلم ان الضلال والكفر انما استولى على اكثر المتاخرين
بسبب نبذهم كتاب الله وراء ظهورهم واحسان الظن بمن سحرهم ودعا الى
نفسه واقتصارهم على القوانين والدعاوي والاوضاع التي وضعوها لانفسهم
والاقل قرؤا كتاب الله وعلموا بما فيه ورجعوا عند الاختلاف اليه لوجدوا فيه
الشفاء والهدى والنور ولكن نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا
فبئس ما يشترون وتقدم الكلام على بقية الآية قال المولف قال ابو العباس
تقي الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى ان يكون لغيره ملك او قسط
منه او يكون عونا لله ولم يبق الا الشفاعة فبين انها لا تنفع الا لمن اذن له
الرب كما قال ولا يشفعون الا لمن ارتضى فهذه الشفاعة التي يظنها المشر
كون هي منتفية يوم القيمة كما نفاها القران واخبر النبي صلى الله عليه وسلم
انه ياتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدء بالشفاعة اولا ثم يقال له ارفع راسك
وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع وقال له ابو هريرة من اسعد الناس
بشفاعتك قال من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه فتلك الشفاعة لاهل
الاخلاص باذن الله ولا تكون لمن اشرك بالله وحقيقته ان الله سبحانه
هو الذي يتفضل على اهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من اذن له ان
يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود فالشفاعة التي نفاها القران ما كان فيها
شرك ولهذا اثبت الشفاعة باذنه في مواضع وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم
انها لا تكون الا لاهل التوحيد والاخلاص انتهى كلامه قوله

قال ابو العباس هو شيخ الاسلام تقي الدين احمد ابن عبد الحليم ابن عبد السلام ابن تيمية
الامام المشهور صاحب المصنفات شهرته واما مته في علوم الاسلام وتفننه تغني
عن الاطناب في وصفه قال الذهبي لم يات قبله بخمسماية سنة مثله وفي رواية
باربع مايه وقال ايضا لو حلفت بين الركن والمقام لحلفت اني لم ار مثله وما
راى بعينيه مثل نفسه وقال ابن دقيق العيد لما اجتمعت بابن تيمية رايت
رجلا اكل العلوم بين عينيه ياخذ ما يشاء ويدع ما يشاء وبالجملة فما الى بعد
عصر الامام احمد له نظير وكانت وفاته سنة ثمان وعشرين وسبعماية

قوله نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون اي ان الله تعالى
نفى في الاية المذكورة قبل ما يتعلق به المشركون من الاعتقاد في غير الله من
الملك والشركة فيه والمعاونة والشفاعة فهذه الامور الاربعة هي التي يتعلق
بها المشركون قوله نفى ان يكون لغيره ملك ودلك في قوله لا يملكون مثقال
ذرة في السموات ولا في الارض ومن لا يملك هذا المقدار فليس باهل ان يدعا
قوله او قسط منه اي من الملك والقسط بكسر القاف هو النصيب من الشيء وذ
لك في قوله وما لهم فيهما من شرك اي ما لمن تدعون من الملائكة وغيرهم فيهما
اي في السموات والارض من شرك ومن ليس بمالك ولا شريك للمالك
فكيف يدعى من دون الله قوله او يكون عونا لله وذلك في قوله وما له منهم من
ظهير اي ما لله ممن تدعونهم عونين قوله ولم يبق الا الشفاعة فبين انها لا تنفع
الا لمن اذن له الرب الخ جملة الشروط التي لا بد وان يكون احدها في الموعو اربعة
حتى يتقدر على اجابة من دعاه الاول الملك فنفاه بقوله لا يملكون مثقال ذرة
في السموات ولا في الارض الثاني اذ لم يكن مالكا كان شريكا للمالك فنفاه بقوله
وما لهم فيهما من شرك الثالث اذ لم يكن او لم يكن مالكا ولا شريكا للمالك فيكون
عونا ووزيرا فنفاه بقوله وما له منهم من ظهير الرابع اذ لم يكن مالكا ولا شريكا

ولا عونا فيكون شفيعا فنفى سبحانه وتعالى الشفاعة عنده الا باذنه فهو الذي
ياذن للشافع ابتداء فيشفع فتنفى هذه الامور بطلت دعوة غير الله اذ ليس عند
غيره من النفع والضر ما يوجب قصده بشيء من العبادة كما قال تعالى واتخذوا
من دونه الهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا
ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما
لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وقال تعالى واتخذوا من دون
الله الهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون
قوله وهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيمة كما نفاها
القران يعني ان الشفاعة التي يطلبها المشركون من الشفعاء والانداد من دو
ن الله منتفية دنيا واخرى كما قال تعالى عن مؤمن ليس اءتخذ من دونه الهة
ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال
مبين وقال تعالى عن مؤمن ال فرعون لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة
في الدنيا ولا في الاخرة وقال تعالى فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربا
الهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون وقال تعالى فما اغنت
عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادوهم
غير تتبيب وقال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خو
لناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد
تقطع بينكم الاية وقال تعالى وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم
ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون فهذا حال كل من دعي من دون الله الشفا
عة او غيرها في الدنيا والاخرة قوله واخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه ياتي فيسجد لربه
ويحمده لا يبدا بالشفاعة اولا الى اخره هذا ثابت في الصحيحين وغيرهما من حديث
انس وغيره عنه صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة قال فاقوم فامشي بين

www.alabdulgader.com

بين سماطين من المؤمنين حتى استاذن على ربي فاذا رايت ربي وقعت له وخررت
ساجدا لربي فيدعني ماشاء الله ان يدعني ثم يقال ارفع محمد قل يسمع واشفع
تشفع وسل تعطه فارفع راسي فاحمده بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا
فادخلهم الجنة ثم اعود اليه الثانية فاذا رايت ربي وقعت له وخررت ساجدا
لربي فيدعني ماشاء الله ان يدعني ثم يقال ارفع محمد قل يسمع فتعطه
واشفع تشفع فارفع راسي فاحمده بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فادخلهم
الجنة ثم اعود الثالثة فاذا رايت ربي وقعت او خررت ساجدا الى ربي فيدعني ما
شاء الله ان يدعني ثم يقال ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فارفع
راسي فاحمده بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فادخلهم الجنة ثم اعود الرا
بعة فاقول يارب ما بقي الا من حبسه القران الحديث فبين صلى الله عليه وسلم
انه لا يشفع الا بعد الاذن في الشفاعة وفي المشفوع فيهم كما قال فيحد لي حدا فا
دخلهم الجنة **قوله** وقال له ابو هريرة من اسعد الناس بشفاعتك الى اخره هذا
الحديث رواه البخاري والنسائي عن ابي هريرة قال قلت يا رسول الله من اسعد
الناس بشفاعتك يوم القيمة فقال لقد ظننت يا ابا هريرة ان لا يسئلني عن
هذا الحديث احد اولى منك لما رايت من حرصك على الحديث اسعد الناس بشفا
عتي يوم القيمة من قال لا اله الا الله خالصا من قبل نفسه رواه احمد من طريق
اخر وصححه ابن حبان وفيه وشفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق
قلبه لسانه ولسانه قلبه قال شيخ الاسلام فجعل اسعد الناس بشفاعته اكملهم
اخلاصا وقال في الحديث الصحيح من سال الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي
يوم القيمة ولم يقل كان اسعد الناس بشفاعتي فعلم ان ما يحصل للعبد
بالتوحيد والاخلاص من شفاعة الرسول وغيرها لا يحصل بغيره من الاع
مال وان كان صالحا كسؤال الوسيلة للرسول فكيف بما امر به من

الاعمال

الأعمال بل نهى عنه فذلك لا ينال به خير الا في الدنيا ولا في الاخرة مثل غلو النصارى
في المسيح فانه يضرهم ولا ينفعهم ونظير هذا في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
لكل نبي دعوة مجابة واني اختبات دعوتي شفاعتي لامتي يوم القيمة فهي
نائلة ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا وكذلك في احاديث الشفاعة كلها
انما يشفع في اهل التوحيد فبحسب توحيد العبد لربه واخلاصه دينه لله تعالى
يستحق كرامة الله بالشفاعة وغيرها وقال ابن القيم ما معناه تامل هذا الحديث
كيف جعل اعظم الاسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد عكس ما عند
المشركين ان الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم من دون
الله فقلب النبي صلى الله عليه وسلم ما في زعمهم الكاذب واخبر ان سبب الشفاعة تجريد
التوحيد فحينئذ ياذن الله للشافع ان يشفع ومن جهل المشرك اعتقاده ان
من اتخذه وليا او شفيعا انه يشفع له وينفعه عند الله كما يكون خواص الملوك
ولولاة شفع من والاهم وليعلم ان الله لا يشفع عنده احدا الا باذنه ولا ياذن
في الشفاعة الا لمن رضي قوله وعمله كما قال تعالى في الفصل الاول من الذي
يشفع عنده الا باذنه وفي الفصل الثاني ولا يشفعون الا لمن ارتضى وبقي
فصل ثالث وهو انه لا يرضى من القول والعمل الا بتوحيده واتباع رسوله
صلى الله عليه وسلم فهذه ثلاثة فصول تقطع شجرة الشرك من قلب من
وعاها وعقلها انتهى ملخصا وقال الحافظ المراد بهذه الشفاعة المنفول
عنها هنا بعض انواع الشفاعة وهي التي يقول صلى الله عليه وسلم امتي امتي
فيقال اخرج من النار من في قلبه وزن كذا من الايمان فاسعد الناس بهذه
الشفاعة من يكون ايمانه اكمل ممن دونه واما الشفاعة العظمى في الاراحة من
كرب الموقف فاسعد الناس بها من يسبق الى الجنة وهم الذين يدخلون بغير حساب
ثم الذين يلونهم وهو من يدخلها بغير عذاب بعد ان يحاسب ويستحق العذاب

ثم من يصيب لفح من النار ولا يسقط **واعلم** ان شفاعته صلى الله عليه وسلم في القيمة
ستة انواع كما ذكره ابن القيم **الأول** الشفاعة الكبرى التي يتاخر عنها اولوا العزم
حتى تنتهي اليه فيقول انا لها وذلك حين يرغب الخلائق الى الانبياء ليشفعوا
لهم الى ربهم ثم يريحهم من مقامهم في الموقف وهذه الشفاعة يختص بها
لا يشركه فيها احد **الثاني** شفاعته لاهل الجنة في دخولها وقد ذكرها ابو هريرة
في حديثه الطويل المتفق عليه **الثالث** شفاعته لقوم من العصاة من امته
قد استوجبوا النار فيشفع لهم ان لا يدخلوها **الرابع** شفاعته في العصاة من
اهل التوحيد الذين دخلوا النار بذنوبهم والاحاديث بها متواترة عن النبي
صلى الله عليه وسلم وقد اجمع عليها الصحابة واهل السنة قاطبة وبدع من انكرها
وصاحوا به من كل جانب ونادوا عليه بالضلال **الخامس** شفاعته لقوم من
اهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم وهذه مما لم ينازع فيها احد
السادس شفاعته في بعض الكفار من اهل النار حتى يخفف عذابه وهذه
خاصة بابي طالب وحده **قوله** وحقيقة اي حقيقة الامر اي امر الشفاعة ان
الله سبحانه هو الذي يتفضل على اهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من اذن
له ان يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود وهذا هو حقيقة الشفاعة لا كما يظن
المشركون والجهال ان الشفاعة هي كون الشفيع يشفع ابتداء فيما شاء فيدخله
الجنة وينجيه من النار ولهذا يسالونها من الاموات وغيرهم اذا زاروهم وذلك
انهم قالوا ان الميت المعظم الذي لروحه قرب ومزية عند الله لا تزال تاتيه الالطاف
من الله وتفيض على روحه الخيرات فاذا علق الزائر روحه به وادناها منه
فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الالطاف بواسطتها كما ينعكس الشعاع
من المراة الصافية والماء ونحوهما على الجسم المقابل له قالوا فتمام الزيارة ان
يتوجه الزائر بروحه وقلبه الى الميت ويعكف بهمته عليه ويوجه قصده كله واقباله

عليه بحيث لا يبقى فيه التفات الى غيره وكل ما كان جمع الهمة والقلب عليه
اعظم كان اقرب الى انتفاعه به وشفاعته له قال ابن القيم وقد ذكر هذه
الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما وصرح بها عباد الكواكب في
عباداتها وقالوا اذا تعلقت النفس الناطقة بالارواح العلوية فاض عليها منها
النور وبهذا السر عبدت الكواكب واتخذت لها الهياكل وصنعت لها الد
عوات واتخذت الاصنام المجسدة لها وهذا بعينه هو الذي اوجب لعباد
القبور اتخاذها اعيادا وتعليق الستور عليها وايقاد السرج عليها وبناء
المساجد عليها وهو الذي قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطاله ومحوه با
لكلية وسد الذرائع المفضية اليه فوقف المشركون في طريقه وناقضوه في
قصده وكان صلى الله عليه وسلم في شق وهؤلاء في شق وهو الذي ذكره
هؤلاء المشركون في زيارة القبور هو الشفاعة التي ظنوا ان الهتهم تنفعهم
بها وتشفع لهم عند الله قالوا فان العبد اذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقر
عند الله وتوجه بهمته اليه وعكف بقلبه عليه صار بينه وبينه اتصال يفيض
به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله وليس هو ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظي
وقرب من السلطان فهو شديد التعلق به بحسب تعلقه به فهذا سر عبادة
الاصنام وهي الذي بعث الله رسله وانزل كتبه بابطاله وتكفير اصحابه ولعنهم
واباح دماءهم واموالهم وسبي ذراريهم واوجب لهم النار والقران من اوله
الى اخره مملوء من الرد على اهله وابطال مذهبهم انتهى **قوله** ويناله المقام
المحمود اي المقام الذي يحمده فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى قال
ابن جرير قال اكثر اهل التاويل ذلك المقام الذي يقومه صلى الله عليه وسلم الشفا
عة للناس ليريحهم ربهم مما هم فيه من شدة ذلك اليوم وقال ابن عباس المقام
المحمود مقام الشفاعة وكذا قال ابن ابي نجيح عن مجاهد وقال قتادة هو اول

فما يحصل للانسان من السلطان بالانعام والاقطاع بالارزاق
التعلق به بهم

من تنشق عنه الارض واول شافع وكان اهل العلم يرون ان المقام المحمود
قوله فالشفاعة التي نفاها القران ما كان فيها شرك يعني ان الشفاعة التي نفاها
الله في القران هي الشفاعة التي فيها شرك بالله من دعاء غير الله وعبادته
ليشفع له عند الله فان الله سبحانه نفى هذه الشفاعة واخبر انها لا تكون فيها
ابدا بل اخبر ان ذلك شرك ونزه نفسه عنه ونفى ان يكون للمؤمنين ولي او
شفيع من دونه مع ان الشفاعة يوم القيمة لهم باذنه لا للمشركين كما قال
يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا فنفى سبحانه
ان تنفع الشفاعة احدا الا من اذن له الرحمن ورضي قوله وعمله وهو المؤمن
المخلص واما المشرك الداعي لغير الله ليشفع له فلا تنفعه الشفاعة ولا يؤذن
لاحد في الشفاعة فيه كما قال فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقال تعالى
وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون
قوله وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم الى آخره تقدم ما يتعلق بذلك والله اعلم
باب قول الله تعالى انك لا تهدي من احببت الآية اراد المصنف رحمه الله
الرد على عباد القبور الذين يعتقدون في الانبياء والصالحين انهم ينفعون
ويضرون فيسالونهم مغفرة الذنوب وتفريج الكروب وهداية القلوب
وغير ذلك من انواع المطالب الدنيوية والاخروية ويعتقدون ان لهم التصرف
بعد الموت على سبيل الكرامة وقد وقفت على رسالة لرجل منهم في ذلك ويحتجون
على ذلك بقوله لهم ما يشاءون عند ربهم ويقول قائلهم في حق الرسول صلى الله
عليه وسلم فان من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم
فاذا عرف الانسان معنى هذه الاية ومن نزلت فيه تبين له بطلان قولهم وفساد
شركهم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الخلق واقربهم من الله واعظمهم جاها
عنده ومع ذلك حرص واجتهد على هداية عمه ابي طالب في حياته وبعد موته

فلم يتيسر

فلم يتيسر ذلك ولم يقدر عليه ثم استغفر له بعد موته فلم يغفر له حتى نهاه الله عن
ذلك ففي هذا اعظم البيان واوضح البرهان على ان الله صلى الله عليه وسلم لا يملك
ضرا ولا نفعا ولا عطاء ولا منعا وان الامر كله بيد الله فهو الذي يهدي من يشاء
ويضل من يشاء ويعذب من يشاء ويرحم من يشاء ويكشف الضر عمن يشاء و
يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم وهو الذي من جوده الدنيا
والاخرة وهو بكل شيء عليم ولو كان عنده صلى الله عليه وسلم من هداية القلوب
ومغفرة الذنوب وتفريج الكروب شيء لكان احق الناس به واولاهم من قام
معه اتم القيام ونصره وحاط من بلوغه ثمان سنين والى ما بعد النبوة بثمان
سنين او اكثر بل قال تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله و
لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير
لقوم يؤمنون وقال تعالى قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا
اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي الاية فهل يجتمع في قلب عبد الاء
يمان بهذه الايات وما اشبهها والايمان بذلك البيت وما اشبهه ولكن
قاتل الله اعداءه الذين جاوزوا الحد في اطرائه والغلو فيه واما معنى الآية
فقال ابن كثير يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم انك يا محمد لا تهدي من
احببت اي ليس لك ذلك انما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء وله الحكمة
البالغة والحجة الدامغة كما قال تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي
من يشاء وقال وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهذه الاية اخص من
هذا كله فانه قال انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو
اعلم بالمهتدين اي اعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية وقد ثبت في
الصحيحين انها نزلت في ابي طالب وقد كان يحوطه وينصره ويقوم في حقه
ويحبه حبا طبيعيا لا حبا شرعيا فلما حضرته الوفاة وحان اجله دعاه رسول الله

صلى الله عليه وسلم الى الايمان والدخول في الاسلام فسبق القدر فيه واختطف من يده
فاستمر على ما كان عليه من الكفر وسد الحجة التامة فان قلت قال الله تعالى وانك
لتهدي الى صراط مستقيم فما الجمع بينهما وبين الاية المترجم لها قيل الهداية التي
تصح نسبتها لغير الله بوجه ما هي هداية الارشاد والدلالة كما قال تعالى وانك
لتهدي الى صراط مستقيم اي ترشد وتبين والهداية المنفية عن غير الله هي هداية
التوفيق وخلق القدرة على الطاعة ذكره بعضهم بمعناه قال في الصحيح عن ابن
المسيب عن ابيه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعنده عبد الله بن امية وابو جهل فقال له يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج
لك بها عند الله فقال له اترغب عن ملة عبد المطلب فاعاد عليه النبي صلى الله
عليه وسلم فاعاد فكان اخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله عز وجل
ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وانزل الله في ابي طالب
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء قوله في الصحيح اي الصحيحين
قوله عن ابن المسيب هو سعيد ابن المسيب ابن حزن ابن ابي وهب ابن عمرو ابن عائذ
ابن عمران ابن مخزوم القرشي المخزومي احد العلماء الاثبات الفقهاء الكبار الحفاظ
العباد اتفقوا على ان مراسيله اصح المراسيل وقال ابن المديني لا اعلم في التابعين
اوسع علما منه مات بعد السنين وقد ناهز الثمانين وابوه المسيب صحابي بنى
الى خلافة عثمان رضي الله عنه وكذلك جده حزن صحابي استشهد باليمامة قوله
لما حضرت ابا طالب الوفاة اي حضرت علامات الوفاة والا فلو كان انتهى الى المعاينة
لم ينفعه الايمان لو امن ويدل على ذلك ما وقع من المراجعة بينه وبينهم ويحتمل ان
يكون انتهى الى تلك الحالة لكن رجا النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا اقر بالتوحيد ولو
في تلك الحالة ان ذلك ينفعه بخصوصه ويسوغ فيه شفاعته صلى الله عليه وسلم

ولهذا

ولهذا قال لاحاجن لك بها واشهدن لك بها واحاج لك بها ويدل على الخصوصية
انه بعد ان امتنع من الاقرار بالتوحيد ومات على الامتناع منه لم يتبرأ النبي
صلى الله عليه وسلم الشفاعة له بل شفع له حتى خفف عنه العذاب بالنسبة الى
غيره وكان ذلك من الخصائص في حقه قوله جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحتمل ان يكون المسيب حضر هذه القصة فان المذكورين من بني مخزوم وهو ايضا
مخزومي وكانوا يومئذ كفارا فمات ابو جهل على كفره واسلم الاخران وقول
بعض الشراح ان هذا الحديث من مراسيل الصحابة مردود وفي هذا جواز
عيادة المشرك اذا رجي اسلامه وجواز حمل العلم اذا كان فيه مصلحة وراجحة على
عدمه قوله يا عم منادى مضاف يجوز فيه اثبات الياء وحذفها قوله
قل لا اله الا الله قل هذه الكلمة عارفا لمعناها معتقدا له في هذه الحال وان
لم تعمل به اذ لا يمكن عند الموت الا ذلك ولا بد مع ذلك من شهادة ان محمدا
رسول الله قوله كلمة قال القرطبي احسن ما تقيد كلمة بالنصب على انه بدل من لا اله
الا الله ويجوز رفعها على احتمال المبتدا قوله احاج لك بها عند الله هو بتشديد
الجيم من المحاجة وهي مفاعلة من الحجة والجيم مفتوحة على الجزم جواب الامر اي
اشهد لك بها عند الله كما في الرواية الاخرى وفيه دليل على ان الاعمال بالخواتيم
لانه لو قالها لنفعته وان من مات على التوحيد نفعته الشفاعة وان لم يعمل شيئا
غير ذلك وان من كان كافرا يجدها اذا قالها عند الموت اجريت عليه احكام الاسلام فان كان صادقا من قلبه نفعته عند الله والا فليس لنا الا الظاهر بخلاف
من كان يتكلم بها في حال كفره قوله فقال له اترغب عن ملة عبد المطلب ذكراه
الحجة الملعونة التي يتعلق بها المشركون من الاولين والاخرين ويردون بها على
الرسل وهي تقليد الاباء والكبراء واخرجا الكلام مخرج الاستفهام مبالغة في الاء
نكار لعظم هذه الحجة في قلوب الضالين ولذلك اكتفيا بها المجادلة مع مبالغته

صلى الله عليه وسلم وتكريره فلاجل عظمتها وضوحها عندهم اقتصر اعليها قال المصنف
وفيه تفسير لا اله الا الله بخلاف ما عليه اكثر من يدعي العلم وفيه ان اباجهل ومن معه
يعرفون مراد النبي صلى الله عليه وسلم اذا قال لرجل قل لا اله الا الله فقبح الله من
ابا جهل اعلم منه باصل الاسلام **قوله** فاعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم مقالته
واعادى عليه مقالتهما مبالغة منه صلى الله عليه وسلم وحرصا على اسلام عمه
ومع ذلك لم يقدر النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك ولا على تخليصه من عذاب الله
بل سبق في القضاء المحتوم واسمر على كفره ليعلم الناس ان لا اله الا الله فلو كان
عند النبي صلى الله عليه وسلم من هداية القلوب وتفريج الكروب شيء لكان
احق الناس بذلك واولاهم عمه الذي فعل معه ما فعل وفيه الحرص في الدعوة
الى الله والصبر على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان رد ذلك على صاحبه
وتكريره وعدم الاكتفاء فيه بمرة واحدة **قوله** لكان اخرما قال هو نصب
اخر على الصرفية اي اخر من تكليمه اياهم ويجوز رفعه **قوله** هو على ملة عبد
المطلب الظاهر ان اباطالب قال انا فغيره الراوي انفة ان يحكي كلام ابي طالب
استقباحا للفظ المذكور وهو من التصرفات الحسنة قاله الحافظ وقد رواه الامام
احمد بلفظ انا فدل على ما ذكرنا **قوله** وابى ان يقول لا اله الا الله قال الحافظ
هذا تاكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من ابي طالب وكانه استند في ذلك
الى عدم سماعه منه في تلك الحال كذا قال وفيه نظر بل نفيه مستند الى اباء ابي طالب
عن قولها بقوله هو على ملة عبد المطلب واسلافه ومضرة اصحاب السوء على الانسان
ومضرة تعظيم الاسلاف والاكابر اي زيادة على المشروع بحيث يجعل اقوالهم
حجة يرجع اليها عند التنازع **قوله** فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك
ما لم انه عنك اقسم صلى الله عليه وسلم ليستغفرن له الا ان ينهى عن ذلك كما
في رواية مسلم اما والله لاستغفرن لك قال النووي وفيه جواز الحلف من غير

الحلاف

واعادها اي اعاد النبي صلى الله عليه وسلم ثم

استحلاف وكان الحلف هنا لتاكيد العزم على الاستغفار وتطييب نفس ابي طالب
وكانت وفاة ابي طالب بمكة قبل الهجرة بقليل قال ابن فارس مات ابو طالب
ولرسول الله صلى الله عليه وسلم تسع واربعون سنة وثمانية اشهر واحد عشر
يوما وتوفيت خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها بعد موت ابي طالب بثمانية
ايام **قوله** فانزل الله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين اي ينبغي
لهم ذلك وهو خبر بمعنى النهي وقد روى الطبراني عن عمر وابن دينار قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم استغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك فلا ازال استغفر لابي
طالب حتى ينهاني عنه ربي فقال اصحابه نستغفر لاباءنا كما استغفر نبينا لعمه
قلت وهذا فيه اشكال لان وفاة ابي طالب كانت بمكة قبل الهجرة اتفاقا وقد
ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى قبر امه لما اعتمر فاستاذن ربه ان يستغفر لها
فنزلت هذه الاية وفيه دلالة على تاخر نزول الاية عن وفاة ابي طالب لكن يحتمل
ان يكون نزول الاية متاخرا وان كان سببها تقدم ويكون نزولها سببان متقدم وهو
امر ابي طالب ومتاخر وهو امر امه ويؤيد تاخر النزول استغفاره صلى الله عليه وسلم
للمنافقين حتى نزل النهي عن ذلك فان ذلك يقتضي تاخر النزول وان تقدم السبب
ويشير الى ذلك ايضا قوله في حديث الباب وانزل الله في ابي طالب انك لا تهدي
من احببت لانه يشعر بان الاية الاولى نزلت في ابي طالب وفي غيره والثانية فيه
وحده ويؤيد تعدد السبب ما اخرج احمد عن علي قال سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله ما كان للنبي
الاية قاله الحافظ وفيه تحريم الاستغفار للمشركين وتحريم موالاتهم ومحبتهم
لانه اذا حرم الاستغفار لهم فموالاتهم ومحبتهم اولى **باب ما جاء ان**
سبب كفر بني ادم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين اما تركهم فهو مجرد

www.alabdulgader.com

عطفا على المضاف اليه ولما ذكر المصنف رحمه الله بعض ما يفعله عباد القبور مع
الأموات من الشرك اراد ان يبين السبب في ذلك ليحذر وهو الغلو مطلقا
لاسيما في الصالحين فانه اصل الشرك قديما وحديثا فالغلو بالصالحين
من النفوس فان الشيطان يظهره في قالب المحبة والتعظيم لهم قال وقول
الله عز وجل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم قال العلماء الغلو هو مجاوزة
الحد في مدح الشيء او ذمه وضابطه تعدي ما امر الله به وهو الطغيان
الذي نهى الله عنه في قوله ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي وكذا قال تعالى في
هذه الاية يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم اي لا تتعدوا ما حد الله لكم
واهل الكتاب هنا هم اليهود والنصارى فنهاهم عن الغلو في الدين ونحن
كذلك كما قال تعالى فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون
بصير والغلو كثير في النصارى فانهم غلوا في عيسى عليه السلام فنقلوه من حيز
النبوة الى ان اتخذوه الها من دون الله يعبدونه كما يعبدون الله بل غلوا في
من زعم انه على دينه من اتباعه فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء
كان حقا او باطلا ونا قضتهم اليهود في امر عيسى عليه السلام فغلوا فيه فحطوه
من منزلته حتى جعلوه ولد بغي قال شيخ الاسلام ومن تشبه من هذه الامة بها
ليهود والنصارى وغلا في الدين بافراط فيه او تفريط وضاهاهم في ذلك
فقد شابههم كالخوارج المارقين من الاسلام الذين خرجوا من خلافة علي ابن
ابي طالب رضي الله عنه وقاتلوا علي المسلمين بامر النبي صلى الله عليه وسلم كما ثبت
ذلك من عشرة اوجه في الصحاح والسانيد وغير ذلك وكذلك من غلا في دينه من
الرافضة والقدرية والجهمية والمعتزلة والاشاعرة وقال ايضا فاذا كان
على عهد النبي صلى الله عليه وسلم من انتسب الى الاسلام وقد مرق منه مع عبادته

العظيمة

العظيمة فليعلم ان المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان قد يمرق ايضا
من الاسلام وذلك باسباب منها الغلو الذي ذمه الله في كتابه حيث قال يا اهل الكتاب
لا تغلوا في دينكم وعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه حرق الغالية من الرافضة فامر
باخاديد حفرت لهم عند باب كندة فقذفهم فيها واتفق الصحابة على قتلهم
لكن ابن عباس كان مذهبه ان يقتلوا بالسيف من غير تحريق وهو قول اكثر
العلماء قال في الصحيح عن ابن عباس في قول الله تعالى وقالوا لا تذرن الهتكم
ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قال هذه اسماء رجال
صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى
مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا ولم
تعبد حتى اذا هلك اولئك ونسي العلم عبدت قوله في الصحيح اي صحيح
البخاري وهذا الاثر اختصره المصنف وقد رواه البخاري عن ابن عباس
ولفظه صارت الاوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد اما ود فكانت
لكلب بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد
ثم لبني غطيف بالجرف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت
لحمير لآل ذي الكلاع اسماء رجال صالحين من قوم نوح الى اخره وكذا روي عن
عكرمة والضحاك وابن اسحق نحو هذا وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا
مهران عن سفيان عن موسى عن محمد ابن قيس ان يغوث ويعوق ونسرا كانوا
قوما صالحين من بني ادم وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال اصحابهم
الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كانوا اشوق لنا الى العبادة اذا ذكرنا
فصوروهم فلما ماتوا وجاء اخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدون
وبهم يسقون المطر فعبدوهم قال سفيان عن ابيه عن عكرمة قال كان

هم

بين ادم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام وروى ابن ابي حاتم عن عروة ابن
الزبير انهم كانوا اولاد ادم لصلبه وكان ودّ اكبرهم وابرهم به وهكذا رواه عمر
ابن شبه في اخبار مكة من طريق محمد ابن كعب القرظي وذكر السهيلي في التعريف
ان يغوث ابن شيث ابن ادم فيما قيل وكذا سواع وما بعده وكانوا يتبركون
بدعائهم وكل ما مات منهم احد مثلوا صورته وتمسحوا بها الى ان من مهلابيل
فعبدوها بتدريج الشيطان لهم ثم صارت سنة في العرب في الجاهلية وللاد
دي من اين سرت تلك الأسماء امن قبل الهند فقد قيل انهم كانوا المبدا في عبادة
الاصنام بعد نوح عليه السلام ام الشيطان الهم العرب ذلك انتهى وقد
روى الفاكهي عن ابن الكلبي قال كان لعمرو ابن ربيعة تراي من الجن فاتاه فقال
اجب اباثامة وادخل بلا ملامه ثم ائت سيف جدة تجد بها اصناما معدة ثم
اوردها تهامه ولا تهب ثم ادع العرب الى عبادتها تجب قال فاتى عمرو ساحل
جده فوجد بها ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا وهي الاصنام التي عبدت
على عهد نوح وادريس ثم ان الطوفان طرحها هناك فسفع عليها الرمل فا
ستثارها عمرو وخرج بها الى تهامه وحضر الموسم ودعا الاعبادتها فاجيب و
عمرو ابن ربيعة هو عمرو ابن لحي قاله الحافظ قلت وهو سيد خزاعة وكان اول
من سيب السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام وكانت العرب قبله على دين
ابيهم ابراهيم حتى نشا فيهم عمرو فاحدث الشرك كما روى ابن جرير عن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاكثم بن الجون يا اكثم رايت عمرو
بن لحي ابن قمعه ابن خندف يجر قصبه في النار فما رايت رجلا اشبه برجل منك
به ولا به منك فقال اكثم اخشى ان يضرني شبهه يا رسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا انك مؤمن وهو كافر انه اول من غير دين ابراهيم وبحر البحيرة

وسيب السائبة وحمى الحامي اسناده حسن وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة نحو
في رواية عمرو ابن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار كان اول من سيب السوائب
قوله ان انصبوا هو بكسر الصاد المهملة قوله انصابا جمع نصب واصله ما نصب
كعوض ونحوه والمراد به هنا الاصنام المصورة على صورهم المنصوبة في مجالسهم
قوله حتى اذا هلك اولئك اي الذين نصبوها ليكون اشوق لهم الى العبادة
وليتذكروا برؤيتها افعال اصحابها قوله ونسي العلم ايزالة المعرفة بحالها
وما قصده من صورها وغلب الجهال الذين لا يميزون بين التوحيد والشرك
وذهب العلماء الذين يعرفون ذلك قوله عبدت تقدم انه دب اليهم ابليس
فقال انما كانوا يعبدونهم ويهم يسقون المطر فعبدوهم وفي رواية انهم قالوا
ما اعظم اولئك هؤلاء الا وهم يرجون شفاعتهم عند الله فعبدوهم فهذا هو
السبب في عبادة هؤلاء الصالحين وهو رجاء شفاعتهم عند الله وكذلك هو
السبب في عبادة صورهم وهذه هي الشبهة التي القاها الشيطان على المشركين
من الاولين والاخرين وقد بين الله ذلك في القرآن بيانا شافيا وتقدم في
هذا الكتاب من الكلام على ذلك ما يكفي لمن هداه الله قال وقال ابن القيم قال
غير واحد من السلف لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال
عليهم الامد فعبدوهم قوله وقال ابن القيم هو الامام العلامة محمد ابن ابي بكر
ابن ايوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن القيم الجوزية تلميذ شيخ الاسلام
وصاحب المصنفات الكثيرة في فنون العلم قال الحافظ السخاوي في حقه العلا
مة الحجة المتقدم في سعة العلم ومعرفة الخلاف وقوة الجنان المجمع عليه بين الموا
فق والمخالف صاحب التصانيف السائرة والمحاسن الجمة مات سنة احدى و
خمسين وسبعمائة قوله قال غير واحد من السلف الا اخره الظاهر ان ابن القيم
ذكر ذلك بالمعنى لا باللفظ وقد روي عن غير واحد من السلف معنى ذلك منهم

ابو جعفر الباقر وغيره وتقدم ما يدل على ذلك قوله ثم طال عليهم الامد فعبدوهم
اي طال عليهم الزمان ونسوا ما قصده الاولون بتصوير صورهم فعبدوهم ثم
فتبين ان مبدا الشرك بالصالحين هو الغلو فيهم كما ان سبب الشرك بالنجوم هو
هو الغلو فيها واعتقاد النحوس فيها والسعود ونحو ذلك وهذا هو الغالب على
الفلاسفة ونحوهم كما ان ذلك هو الغالب على عباد القبور ونحوهم وهو اصل
عبادة الاصنام فانهم عظموا الاموات تعظيما مبتدعا فصوروا صورهم وتبركوا
بها فآل الامر الى ان عبدت صورهم ومن هي صورته وهذا هو اول شرك حدث
في الارض وهو الذي اوحاه الشيطان الى عباد القبور في هذه الازمان فانه
القى اليهم ان البناء على القبور والعكوف عليها من محبة الصالحين وتعظيمهم
وان الدعاء عندها ارجى في الاجابة من الدعاء في المسجد الحرام والمساجد فعتادوها
لذلك فاذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه الى الدعاء به والاقسام على الله به
قال ابن القيم وهذا اعظم من الذي قبله فان شان الله اعظم من ان يقسم عليه او
يسئل باحد من خلقه فاذا تقرر ذلك نقلهم عندهم نقلهم منه الى دعائه وعبا
دته وسؤاله الشفاعة من دون الله واتخاذ قبره وثنا يعكف عليه ويعلق عليه
القناديل والستور ويطاف به ويستلم ويقبل ويحج اليه ويذبح عنده فاذا تقرر
ذلك عندهم نقلهم منه الى دعاء الناس الى عبادته واتخاذه عيدا ومنسكا
وراوا ان ذلك انفع لهم في دنياهم واخراهم وكل هذا مما قد علم بالاضطرار
من دين الاسلام انه مضاد لما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من تجريد
التوحيد لله وان لا يعبد الا الله فاذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه الى ان من نهى
عن ذلك فقد تنقص اهل الرتب العالية وحطهم عن منزلتهم وزعم انهم لا حرمة لهم
ولا قدر وغضب المشركون واشمازت قلوبهم كما قال تعالى واذا ذكر الله وحده
اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه

اذا هم يستبشرون وسرى ذلك في نفوسهم كثير من الجهال والطغام و
كثير ممن ينتسب الى العلم والدين حتى عادوا اهل التوحيد واموهم بالعظائم
ونفروا الناس عنهم ووالوا اهل الشرك وعظموهم وزعموا انهم اولياء الله
وانصار دينه ورسوله ويابى الله ذلك وما كانوا اولياءه ان اولياءه الا
المتقون قلت وفي القصة فوائد نبه المصنف على بعضها منها ان من فهم
هذا الباب وما بعده تبين له غربة الاسلام ورأى من قدرة الله وتقليبه
للقلوب العجب ومنها معرفة ان اول شرك حدث في الارض لشبهة محبة
الصالحين ومنها معرفة اول شيء غير به دين الانبياء ومنها معرفة سبب
قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تنكرها ومنها ان سبب ذلك
كله مزج الحق بالباطل فالاول محبة الصالحين والثاني فعل الناس من اهل
العلم والدين شيئا ارادوا به خيرا فظن من بعدهم انهم ارادوا غيره ومنها
معرفة جهلت الانسان على كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد ومنها
ان فيها شاهدا لما نقل عن بعض السلف ان البدعة سبب للكفر وانها احب
الى ابليس من المعصية لان المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها ومنها
معرفة الشيطان بما يتوصل اليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل ومنها معرفة
القاعدة الكلية والنهي عن الغلو ومعرفة ما يوصل اليه ومنها مضرة العكوف
على القبر لاجل عمل صالح ومنها معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في ازالتها ومنها
معرفة عظم شان هذه القصة وشدة الحاجة اليها مع الغفلة عنها ومنها
وهي اعجب قراءتهم اياها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام
وكون الله حال بين قلوبهم حتى اعتقدوا ان فعل قوم نوح هو افضل العبا
دات واعتدوا ان نهي الله ورسوله هو الكفر المبيح للدم والمال ومنها التصريح
انهم لم يريدوا الا الشفاعة ومنها ظنهم ان العلماء الذين صوروا الصور

ارادوا ذلك ومنها التصريح بانها لم تعبد حتى نسي العلم فيها معرفة قدر وجوده
وضرب فقده ومنها ان سبب فقد العلم موت العلماء انتهى بمعناه ومنها
شدة حاجة الخلق بل ضرورتهم الى الرسالة وان ضرورتهم اليها اشد واعظم
من ضرورتهم الى الطعام والشراب ومنها الرد على من يقدم الشبهات التي
يسميها عقليا على ما جاء من عند الله لان ذلك هو الذي اوقع المشركين
في الشرك ومنها مضرة التقليد وكيف آل باهله الى المروق من الاسلام
قال وعن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تطروني كما اطرت
النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله اخرجاه قوله
عن عمر هو ابن الخطاب ابن نفيل بنون وفاء مصغرا ابن عبد العزى ابن رياح
بتحتانية ابن عبد الله ابن قرط بضم القاف ابن رزاح براء ثم زاء خفيفة
ابن عدي ابن كعب القرشي العدوي امير المؤمنين وافضل الصحابة بعد الصد
يق رضي الله عنهما ولي الخلافة عشر سنين ونصفا فملأت الدنيا عدلا
وفتح في ايامه ممالك كسرى وقيصر واستشهد في ذي الحجة سنة ثلاث و
عشرين قوله لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم الاطراء مجاوزة الحد
في المدح والكذب فيه قاله ابو السعادات وقال غيره لا تطروني بضم التاء
وسكون الطاء المهملة من الاطراء اي لا تمدحوني بالباطل او لا تجاوزوا الحد
في مدحي قوله انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله اي لا تمدحوني فتغلوا في
مدحي كما غلت النصارى في عيسى فادعوا فيه الربوبية وانما انا عبد الله فكلوا
فصفوني بذلك كما وصفني به ربي فقولوا عبد الله ورسوله فاني عباد القبور
الا مخالفة لامره وازدكارا بالنهيه وناقضوا اعظم المناقضة وظنوا انهم
اذا وصفوه بانه عبد الله ورسوله والله لا يدعى ولا يستغاث به ولا يستذر ولا
يطاف بحجرته وانه ليس له من الامر شيء ولا يعلم من الغيب الا ما علمه الله ان في

ذلك هضما لجنابه وغضا من قدره فرفعوه فوق منزلته وادعوا فيه ما ادعته
النصارى في عيسى او قريبا منه فسألوه مغفرة الذنوب وتفريج الكروب
وقد ذكر شيخ الاسلام في كتاب الاستغاثة عن بعض اهل زمانه انه يجوز
الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما يستغاث فيه بالله وصنف
فيه مصنفا وكان يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم مفاتيح الغيب التي
لا يعلمها الا الله وحكى عن اخر من جنسه بياشر التدليس وينسب الى الفتيا
انه كان يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر
الله عليه وان هذا السر انتقل بعده الى الحسن ثم انتقل في ذريته الحسن الى
ابي الحسن الشاذلي وقالوا هذا مقام القطب الغوث الفرد الجامع ومن هؤلاء
من يقول في قول الله تعالى وتحمي بكرة واصيلا ان الرسول صلى الله عليه وسلم
هو الذي يسبح بكرة واصيلا ومنهم من يقول نحن نعبد الله ورسوله فيجعلون
الرسول معبودا قلت وقال البوصيري فان من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم فجعل الدنيا والاخرة من جوده وجزم بانه يعلم
ما في اللوح المحفوظ وهذا هو الذي حكاه شيخ الاسلام عن ذلك المدرس
وكل ذلك كفر صريح ومن العجب ان الشيطان اظهر لهم ذلك في صورة محبته
عليه السلام وتعظيمه ومتابعته وهذا شان اللعين لا بد وان يمزج الحق بالبا
طل ليروج على اشباه الانعام اتباع كل ناعق الذين لم يستضيئوا بنور العلم
ولم يلجؤا الى ركن وثيق لان هذا ليس بتعظيم فان التعظيم محله القلب واللسان
والجوارح وهم ابعد الناس منه فالتعظم بالقلب ما يتبع اعتقاد كونه عبدا رسو
من تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس اجمعين ويصدق هذه المحبة
امران احدهما تجريد التوحيد فانه صلى الله عليه وسلم كان احرص الخلق على تجريده
حتى قطع اسباب الشرك ووسائله من جميع الجهات حتى قال لرجل ما شاء الله

وشئت قال اجعلتني لله ندا بل ما شاء الله وحده ونهى ان يحلف بغير الله و
اخبر ان ذلك شرك ونهى ان يصلي الى قبر او يتخذ مسجدا او عيدا او يوقد
عليه سراج بل مدار دينه على هذا الأصل الذي هو قطب رحى النجاة ولم يقرره
احد ما قرره صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله وسد الذرايع المنافية له فتعظيمه
صلى الله عليه وسلم بموافقته على ذلك لا بمناقضته فيه الثاني تجريد متابعته وتحكيمه
وحده في الدقيق والجليل من اصول الدين وفروعه والرضا بحكمه والانقياد له
والتسليم والاعراض عما خالفه وعدم الالتفات الى ما خالفه حتى يكون وحده
هو الحاكم المتبع المقبول قوله المردود ما خالفه كما كان ربه تعالى وحده هو المعبود
المالوه المخوف المرجو المستغاث به المتوكل عليه الذي اليه الرغبة والرهبة الذي بيده
ملكوته الكشف الشدائد ومغفرة الذنوب الذي من جوده الدنيا والآخرة
الذي خلق الخلق وحده ورزقهم وحده ويبعثهم وحده ويغفر ويرحم ويهدي
ويضل ويسعد ويشقي وحده ليس لغيره من الامر شيء كائنا من كان لا النبي
صلى الله عليه وسلم ولا جبريل عليه السلام ولا غيرهما فهذا هو التعظيم الحق المطا
بق لحال المعظم النافع للمعظم في معاشه ومعاده الذي هو لازم ايمانه وملزومه
واما التعظيم باللسان فهو الثناء عليه بما هو اهله مما اثنى به عليه ربه او اثنى به على
نفسه من غير غلو ولا تقصير كما فعل عباد القبور فانهم غلوا في مدحه الى الغاية
واما التعظيم بالجوارح فهو العمل بطاعته والسعي في اظهار دينه ونصره ما جاء به
وجهاد من خالفه وبالجملة فالتعظيم النافع هو تصديقه فيما اخبر وطاعته فيما امر
والانتهاء عما عنه نهى وزجر والموالاة والمعاداة والحب والبغض لاجله وتحكيمه
وحده والرضا بحكمه وان لا يتحاكم من دونه طاغوت يكون التحاكم الى اقواله فما وا
فقها من قول الرسول صلى الله عليه وسلم قبله وما خالفه رده او تاوله او اعرض عنه
والله سبحانه يشهد وكفى به شهيدا وملائكته ورسله واولياءه ان عباد القبور كما

وخصوم الموحدين ليسوا كذلك والله المستعان قال المصنف قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والغلو فانما اهلك من كان قبلكم الغلو
هكذا ثبت هذا البياض في اصل المصنف وذكره ايضا غير معزو والحديث رواه
احمد والترمذي وابن ماجة عن ابن عباس وهذا لفظ ابن ماجة حدثنا علي ابن
محمد حدثنا ابو اسامة عن عوف عن زياد ابن الحصين عن ابي العالية عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة العقبة وهو على ناقته
القط لي حصا فلقطت له سبع حصيات هن حصى الخذف فجعل ينفضهن في
كفه ويقول امثال هؤلاء فارموا واياكم والغلو في الدين فانما اهلك من كان
قبلكم الغلو في الدين وهذا اسناد صحيح وعوف هو الاعرابي ثقة مشهور قوله
اياكم والغلو الى آخره قال شيخ الاسلام هذا عام في جميع انواع الغلو في الاعتقادات
والاعمال وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار وهو داخل فيه مثل الرمي بالحجارة
الكبار بناء على انه ابلغ من الصغار ثم علله بما يقتضي مجانبته هديهم اي هدي
من كان قبلنا ابعادا عن الوقوع فيما هلكوا به وان المشارك لهم في بعض هديهم
يخاف عليه من الهلاك قال ولمسلم عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال هلك المتنطعون قالها ثلاثا قوله هلك المتنطعون قال
الخطابي المتنطع المتعمق في الشيء المتكلف البحث عنه على مذاهب اهل الكلام الداخلين
فيما يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم وقال ابو السعادات هم المتعمقون
الغالون في الكلام المتكلمون باقاصي حلوقهم ماخوذ من النطع وهو الغار الاعلى
من الحلق ثم استعمل في كل متعمق قولا وفعلا وقال غيره الغالون في عباداتهم
بحيث تخرج عن قوانين الشريعة ويستوسل مع الشيطان في الوسوسة وكل هذه
الاقوال صحيحة فان المتكلفين من اهل الكلام متنطعون وبالجملة فالمتنطع هو
المتعمق في كل قول وفعل كما قال ابو السعادات وقال النووي فيه كراهة التقعر

www.alabdulqader.com

في الكلام بالتشدق وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللغة ودقائق الاعراب في
مخاطبة العوام ونحوهم قوله قالها ثلاثا اي قال هذه الكلمة ثلاث مرات مبالغة
في التحذير والتعليم فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين فما ترك شيئا
يقرب من الجنة ويباعد من النار الا اخبر به وانما ضل الاكثرون بمخالفة هذه
الاحاديث ومعانيها فغلوا وتنطعوا فهلكوا ولو اقتصروا على ما جاءهم من
ربهم على يد رسوله صلى الله عليه وسلم لسلموا وسعدوا قال تعالى اولم يكفهم انا
انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون **باب**
ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف اذا عبده اي عند
القبر او الرجل الصالح ولما كان عباد القبور انما دهوا من حيث ظنوا انهم محسنون
فراوا ان اعمالهم القبيحة حسنة كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا الاية نوع
المصنف التحذير من الفتنتان بالقبور واخرجه في ابواب مختلفة ليكون اوقع في
القلب واحسن في التعليم واعظم في الترهيب فاذا كان قصد قبور الصالحين لعبادة الله عندها فيه من النهي والوعيد ما استمر بك فكيف بعبادة اربابها من دون
الله واعتيادها لذلك في اليوم والاسبوع والشهر مرات كثيرة قال في الصحيح
عن عائشة ان ام سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رانتها بارض
الحبشة وما فيها من الصور فقال اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح او العبد
بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله
فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل قوله في الصحيح
اي الصحيحين قوله ان ام سلمة هي هند بنت ابي امية بن المغيرة ابن عبد الله ابن عمر
ابن مخزوم القرشية المخزومية تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد ابي سلمة سنة اربع
وقيل ثلاث وكانت قد هاجرت مع ابي سلمة الى الحبشة ماتت سنة اثنتين وستين سنة
قوله ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذكر ام سلمة هذه الكنيسة للنبي صلى الله

عليه وسلم في مرض موته كما جاء مبينا في رواية في الصحيح وفي الصحيحين ان ام حبيبة
وام سلمة ذكرتا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوله كنيسة في رواية يقال لها
مارية وهي بفتح الكاف وكسر النون معبد النصارى قوله اولئك بفتح الكاف
وكسرها قوله اذا مات فيهم الرجل الصالح او العبد الصالح هذا والله اعلم شك
من بعض رواة الحديث هل قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا او هذا ففيه التحري في
الرواية وجواز رواية الحديث بالمعنى قوله بنوا على قبره مسجدا اي موضعا للعبا
دة وان لم يسم مسجدا كالكنائس والمشاهد قوله وصوروا فيه تلك الصور
الاشارة بتلك الصور الى ما ذكرت ام سلمة وام حبيبة من التصاوير التي في
الكنيسة كما في بعض الفاظ الحديث فذكرتا من حسنها وتصاويرها قوله
اولئك شرار الخلق عند الله مقتضى هذا تحريم ما ذكر لاسيما وقد ثبت اللعن عليه
قال البيضاوي لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الانبياء تعظيما
لشانهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها ويتخذونها اوثانا
لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم ومنع المسلمين عن مثل ذلك قال القرطبي وانما صوروا
اوائلهم الصور ليتأنسوا بها ويتذكروا افعالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم
ويعبدون الله عند قبورهم ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشيطان
ان اسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فحذر النبي صلى الله عليه
وسلم عن مثل ذلك سدا للذريعة المؤدية الى ذلك قوله فهؤلاء جمعوا بين
الفتنتين الى اخره هذا من كلام شيخ الاسلام ذكره المصنف عنه يعني ان الذين
بنوا هذه الكنيسة جمعوا فيها فتنتين ضل بهما كثير من الخلق الاولى فتنة القبور
لانهم افتتنوا بقبور الصالحين وعظموها بتعظيما مبتدعا فآل بهم الى الشرك
وهي اعظم الفتنتين بل هي مبدا الفتنة الثانية وهي فتنة التماثيل اي الصور
فانهم لما افتتنوا بقبور الصالحين وعظموها وبنوا عليها المساجد وصوروا فيها

فيها الصور للمقصد الذي ذكره القرطبي فآل الامر الى ان عبدت الصور ومن هي صورته
من دون الله وهاتان الفتنتان هما سبب عبادة الصالحين قال شيخ الاسلام
وهذه العلة هي التي لاجلها نهى الشارع عن اتخاذ المساجد على القبور هي او قعت
كثيرا من الامم اما في الشرك الاكبر او فيما دونه من الشرك فان النفوس قد اشر
كت بتماثيل القوم الصالحين وتماثيل يزعمون انها طلاسم للكواكب ونحو ذلك
فان الشرك بغير الرجل الذي يعتقد صلاحه اقرب الى النفوس من الشرك بخشبة
او حجر ولهذا تجد اهل الشرك يتضرعون عندها ويخشعون ويخضعون ويعبدون
بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر ومنهم من يسجد لها
واكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعا ما لا يرجونه في المساجد
فلاجل هذه المفسدة حسم النبي صلى الله عليه وسلم مادتها حتى نهى عن الصلاة
في المقبرة مطلقا وان لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته
بركة المساجد كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها لانها اوقات
يقصد المشركون فيها الصلاة للشمس فنهى امته عن الصلاة حينئذ وان لم
يقصد ما قصده المشركون سد الذريعة قال واما اذا قصد الرجل الصلاة
عند القبور متبركا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ورسوله
والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله فان المسلمين قد اجمعوا على ما
علموا بالاضطرار من دين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصلاة عند القبور
منهي عنها وانه لعن من اتخذها مساجد من اعظم المحدثات واسباب الشرك
الصلاة عندها واتخاذها مساجد وبناء المساجد عليها فقد تواترت النصوص
عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه وقد صرح عامة الطوائف
بالنهي عن بناء المساجد عليها متابعة منهم للسنة الصحيحة الصريحة وصرح
اصحاب احمد وغيرهم من اصحاب مالك والشافعي بتحريم ذلك وطائفة اطلقت الكراهة

والذي ينبغي ان تحمل على كراهة التحريم لاحسانا للظن بالعلماء وان لا يظن بهم
ان يجوزوا فعل ما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن فاعله والنهي عنه قالت
ولهما عنها قالت لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له
على وجهه فاذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصا
رى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا ولولا ذلك ابرز قبره
غير انه خشي او يتخذ مسجدا اخرجاه هكذا ثبت في اول هذا الحديث ولهما
وفي آخره اخرجاه بخط المصنف واحد اللفظين يغني عن الآخر لان المراد صاحب
الصحيحين قوله لما نزل هو بضم النون وكسر الزاء اي نزل به ملك الموت
والملائكة الكرام عليهم السلام قوله طفق بكسر الفاء وفتحها والكسر
افصح وبه جاء القرآن ومعناه جعل قوله خميصة بفتح المعجمة كساء له اعلام
قوله فاذا اغتم بها كشفها اي اذا احتبس نفسه عن الخروج كشفها عن وجهه قوله
لعن الله اليهود والنصارى الى آخره لعنهم صلى الله عليه وسلم على هذا الفعل بعينه
وهو اتخاذ قبور الانبياء والصالحين مساجد اي كنائس وبيعا يتعبدون
فيها ويسجدون فيها لله وان لم يسموها مساجد فان الاعتبار بالمعنى لا بالاسم
ومثل ذلك القباب والمشاهد المبنية على قبور الانبياء والصالحين فانها
هي المساجد الملعون من بناها على قبورهم وان لم يسمها من بناها مساجد
وفيه رد على من اجاز البناء على قبور العلماء والصالحين تمييزا لهم عن غيرهم
فاذا كان صلى الله عليه وسلم لعن من بنا المساجد على قبور الانبياء فكيف بمن
بناها على قبور غيرهم قوله يحذر ما صنعوا الظاهر ان هذا من كلام عائشة
رضي الله عنها اي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن اليهود والنصارى
على ذلك تحذيرا لامته ان تصنع ما صنعوا قال القرطبي وكل ذلك لقطع الذريعة
المؤدية الى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الاصنام قوله ولولا ذلك

اي لولا تحذير النبي صلى الله عليه وسلم ما صنعوا ولعن من فعل ذلك قوله لابرز
قبره اي لدفن خارج بيته وصه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما
بارز الناس اي جالسا خارج بيته قوله غير انه خشي ان يتخذ مسجدا روي
بفتح الخاء وضمها بالبنا للفاعل والمفعول قالوا فاما رواية الفتح فانها
تقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي امرهم بذلك واما رواية الضم فيحتمل
ان تكون عائشة هي التي خشيت كما في لفظ اخر غير اني اخشى او هي ومن معها
من الصحابة قلت وهذا اظهر ورواية غير اني اخشى لا تخالفه قال القرطبي و
لهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاعلوه حيطان
رتبة وسدوا المداخل اليها وجعلوها محدقة بقبره صلى الله عليه وسلم ثم
خافوا ان يتخذ موضع قبره قبلة اذا كان مستقبل المصلين فتقصدوا الصلاة
اليه بصورة العبادة فبنوا جدارين من زكني القبر الشماليين وحرفوهما حتى
التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن احد من استقبال قبره
قلت وفي الحديثين مسائل نبه المصنف على بعضها منها ما ذكر الرسول صلى الله
عليه وسلم في من بنى مسجدا يعبد الله فيه على قبر رجل صالح ولو صحت نية الفاعل
ومنها النهي عن التماثيل بتغليظ الامر ومنها نهيه عن فعله عند قبره قبل ان يوجد
القبر ومنها انه من سنن اليهود والنصارى في قبور انبيائهم ومنها لعنه اياهم
على ذلك ومنها مراده بذلك تحذيره اياانا عن قبره ومنها العلة في عدم ابرازنا
قبره ومنها ما يلي به صلى الله عليه وسلم من شدة النزع قلت ومنها التنبيه على
علة تحريم ذلك وعلة لعن من فعله قال ولمسلم عن جندب ابن عبد الله قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يموت بخمس وهو يقول اني ابرء الى الله ان
يكون لي خليلا فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت
متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا الا وان من كان قبلكم كانوا
يتخذون قبور انبيائهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد اني انهاكم عن
ذلك فقد نهى عنه وهو في اخر حياته ثم انه لعن وهو في السياق من فعله والصلاة
عندها من ذلك وان لم يبن مسجد وهو قولها خشي ان يتخذ مسجدا فان الصحابة
لم يكونوا يبنون حول قبره مسجدا وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ
مسجدا بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا كما قال صلى الله عليه وسلم جعلت لي الا
رض مسجدا وطهورا قوله عن جندب ابن عبد الله اي ابن سفيان البجلي
ابو عبد الله وينسب الى جده صحابي مشهور مات بعد الستين قوله اني ابرء
الى الله ان يكون لي منكم خليل اي امتنع من هذا وانكره والخليل هو المحبوب غاية
المحبة مشتق من الخلة بفتح الخاء وهي تخليل المودة في القلب كما قال الشاعر
قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا هذا هو الصحيح
في معناه كما ذكره شيخ الاسلام وابن القيم وابن كثير وغيرهم قال القرطبي وانما
كان ذلك لان قلبه صلى الله عليه وسلم قد امتلاء من محبة الله وتعظيمه ومعرفته
فلا يسع لمحالة غيره قوله فان الله قد اتخذني خليلا فيه التصريح بان الخلة
اكمل من المحبة قال ابن القيم واما ما يظنه بعض الغالطين من ان المحبة اكمل من
الخلة وان ابراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله ومن جهلهم فان المحبة عامة والخلة
خاصة وهي نهاية المحبة قال وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد اتخذه
خليلا ونفى ان يكون له خليل غير ربه مع اخباره بحبه لعائشة ولابيها ولعمر
ابن الخطاب وغيرهم وايضا فان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب
الصابرين وخلة خاصة بالخليلين وفيه جواز ذكر الانسان ما فيه من الفضل اذا
دعت الحاجة الشرعية الى ذلك قوله ولو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا
بكر خليلا فيه دليل على ان الصديق افضل الصحابة حيث صرح النبي صلى الله عليه وسلم
انه لو اتخذ خليلا غير ربه لاتخذ ابا بكر ففيه رد على الرافضة وعلى الجهمية الذين هم

شر اهل البدع بل اخرجهم بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقة وبسبب الرافضة
حدث الشرك وعبادة القبور وهم اول من بنى عليها المساجد قاله المصنف وفيه
اشارة الى خلافة لان من كانت محبته لشخص اشد فهو احق الناس بالنيابة عنه
لاسيما وقد قال ذلك في مرض موته خصوصا وقد استخلفه على الصلاة بالناس
وغضب لما صلى بهم عمر واسم ابي بكر عبد الله ابن عثمان ابن عامر ابن عمرو ابن كعب
ابن سعد ابن تميم بن مرة الصديق الاكبر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم و
افضل الصحابة باجماع من يعتد به من اهل السنة مات في جمادى الاولى سنة
ثلاثة عشر وله ثلاث وستون سنة قوله الاوان من كان قبلكم كانوا يتخذون
القبور مساجد الاخ الحديث قال الخلخالي وانكار النبي صلى الله عليه وسلم صنيعهم هذا
يخرج على وجهين احدهما انهم يسجدون لقبور الأنبياء تعظيما لهم والثاني انهم
يجوزون الصلاة في مدافن الانبياء والسجود في مقابرهم والتوجه اليها حالة
الصلاة نظرا منهم بذلك الى عبادة الله والمبالغة في تعظيم الانبياء والاول
هو الشرك الجلي والثاني الخفي فلذلك استحقوا اللعن قلت الحديث اعم من ذلك فيشمل
بناء المساجد والقباب عليها قوله فقد نهى عنه في اخر حياته اي كما في حديث جندب
قوله ثم انه لعن وهو في السياق من فعلهم اي كما في حديث عائشة قوله والصلاة عندها
من ذلك وان لم يبن مسجدا يعني ان الصلاة عند القبور واليها من اتخاذها مساجد
الملعون من فعلها وان لم يبن مسجدا فتحرم الصلاة في المقبرة والى القبور بل لا تنعقد
اصلا لما في هذه الاحاديث الصحيحة وغيرها من لعن من اتخذها مساجد وروى
مسلم عن ابي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجلسوا
على القبور ولا تصلوا اليها وعن ابي سعيد الخدري مرفوعا الارض كلها مسجد الا المقبرة
والحمام رواه احمد واهل السنن وصححه ابن حبان والحاكم من طرق على شرط الشيخين
وفي صحيح البخاري ان عمر ابن الخطاب راى انس ابن مالك يصلي عند قبر فقال القبر

وهذا يدل على انه كان من المستقر عند الصحابة ما نهاهم عنه نبيهم صلى الله عليه وسلم
من الصلاة عند القبور وفعل انس لا يدل على اعتقاد جوازه فانه لعله لم يره اولم يعلم
انه قبر او ذهل عنه فلما نبه عم تنبه وفي هذا كله ابطال قول من زعم ان النهي عن
الصلاة فيها لاجل النجاسة فهذا ابعد شيء من مقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم
بل العلة في ذلك الخوف على الامة ان يقعوا فيما وقعت فيه اليهود والنصارى وعباد الاوثان
والعزى من الشرك ويدل على ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لعن اليهود والنصارى على
اتخاذ قبور انبياءهم مساجد ومعلوم قطعا ان هذا ليس لاجل النجاسة لان
قبور الانبياء من اطهر البقاع فان الله حرم على الارض ان تاكل اجسادهم فهم في
قبورهم طريون وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم متخذ المساجد عليها وموقدي
السرج عليها ومعلوم ان ايقاد السرج عليها انما لعن فاعله لكونه وسيلة الى تعظيمها
وجعلها نصبا يوفض اليها المشركون كما هو الواقع فهكذا اتخاذ المساجد عليها قال
ابن القيم وبالجملة من له معرفة بالشرك واسبابه وذرائعه ونهى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم مقاصده جزم جزما لا يحتمل النقيض ان هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغة
لا تفعلوا وصيغة اني انهاكم ليس لاجل النجاسة بل هو لاجل نجاسة الشرك اللاحقة بمن
عصاه وارتكب ما عنه نهاه واتبع هواه ولم يخش ربه ومولاه وقل نصيبه او عدم من
تحقيق لا اله الا الله فان هذا واقتاله من النبي صلى الله عليه وسلم صيانة لحمى التوحيد
ان يلحقه الشرك ويغشاه وتجريدا له وغضب لربه ان يعدل به سواه فابى المشركون
الا معصية لأمره وارتكابا لنهيه وغرهم الشيطان بان هذا تعظيم لقبور المشايخ و
الصالحين وكلما كنتم اشد لها تعظيما واشد فيهم غلوكنتم بقربهم اسعد ومن اعدائهم
هم ابعد ولعمر الله من هذا الباب بعينه دخل على عباد يغوث ويعوق ونسر ودخل
على عباد الاصنام منذ كانوا الى يوم القيمة فجمع المشركون بين الغلو فيهم والطعن
في طريقتهم وهدى الله اهل التوحيد لسلوك طريقتهم وانزالهم منازلهم التي

اثرلهم الله ايا ها من العبودية وسلب خصائص الالهية قلت وممن علل بخوف الفتنة
والشرك الشافعي وابو بكر الاشرم وابو محمد المقدسي شيخ الاسلام وغيرهم وهو
الحق قوله فان الصحابة لم يكونوا ليتواطؤا على قبره مسجدا اي لما علموا من تشديده
في ذلك وتغليظه ولعن من فعله فكيف يتخذون على قبره مسجدا وانما خشوا
ان يعتاده بعض الجهال للصلاة عنده من غير شعور من الصحابة بذلك فلذلك
دفنوه في بيته قوله وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدا اي وان لم
يبن مسجدا قوله بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا الظاهر ان الاولى في الامكنة
المعدة للصلاة وان لم يبن فيها مسجدا وهذا في اي موضع صلى فيه وان لم يعد
لذلك كالموضع الذي يصلي فيها المسافر ونحو ذلك فعلى هذا اذا صلى عند القبور ولو
مرة واحدة وان لم يكن هناك مسجد فقد اتخذها مساجد قوله كما قال
صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا اي فسمى الارض مسجدا وليست
مسجدا مبنيا لكن لما كانت يسجد فيها سميت مسجدا فدل هذا الحديث ان من صلى
عند القبور او اليها فقد اتخذها مساجد وهذا الحديث طرف من حديث صحيح متفق
عليه عن جابر قال البغوي في شرح السنة اراد ان اهل الكتاب لم تبح لهم الصلاة
الا في بيعهم وكنائسهم واباح الله لهذه الامة الصلاة حيث كانوا تخفيفا عليهم
وتيسيرا ثم خص من جميع المواضع الحمام والمقبرة والمكان النجس وقوله طهورا اراد
به التيمم وفي حديث جندب من الفوائد ايضا للعبرة في مبالغته صلى الله عليه وسلم
في النهي عن بناء المساجد على القبور كيف بين لهم ذلك اولا ثم قبل موته بخمس قال
ما قال ثم لما كان في النزع لم يكتف بما تقدم بل لعن من فعل ذلك فدلت هذه الا
حاديث الصحيحة الصريحة على تحريم البناء على القبور مطلق فلذلك اكتفى المصنف
باير ادها عن غيرها لحديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يجصص القبر وان
يقعد عليه وان يبنى عليه رواه مسلم وغيره وزاد ابو داود والحاكم وان يكتب عليه

قال

قال واحمد باسناد جيد عن ابن مسعود مرفوعا ان من شرار الناس من
تدركهم الساعة وهم احياء والذين يتخذون القبور مساجد ورواه ابو
حاتم في صحيحه قوله ان من شرار الناس هو بكسر الشين جمع شر قوله من
تدركهم الساعة وهم احياء اي من تقوم عليهم الساعة بحيث ينفخ في الصور وهم
هم احياء وهذا الحديث الآخر الذي في مسلم لا تقوم الساعة الا على شرار الخلق فا
ن قلت ما الجمع بين هذا وبين حديث ثوبان لا تزال طائفة من امتي على الحق وما
في معناها قيل حديث ثوبان مستغرق للازمنة عام فيها وهذا مخصص وسيأتي
زيادة لذلك عند الكلام على حديث ثوبان ان شاء الله تعالى قوله والذين
يتخذون القبور مساجد الذين في محل نصب عطفا على من الموصولة اي وان من
شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد بالصلاة عندها واليها وبناء المسا
جد عليها وهذا المعنى متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم معلوم بالاضطرار من
دينه وكل ذلك شفقة على الامة وخوف عليهم ان يعود هم ذلك الى الشرك بها
وباصحابها كما قاد الى ذلك اليهود والنصارى في عباد القبور الا ترى بهذه
الاحاديث الجداد وبنذها وراء لظهورهم او الدفع في صدورها واعجازها
بحمل ذلك على غير قبور الانبياء والصالحين اما قبورهم فتجوز الصلاة اليها وعندها
وبناء المساجد والقباب عليها رجاء ان تصل اليهم العواطف الروحانية ولا ريب
ان هذا من امر غمة ومحادة سور سوله وهذا هو قول اليهود سمعنا وعصينا فان النبي
صلى الله عليه وسلم انما لعن من اتخذ قبور الانبياء والصالحين مساجد كما هو نص حديث عائشة
وغيره وقبور غيرهم انما اخذ النهي عن البناء عليها من هذه الاحاديث ونحوها بقياس
الاولى ومن عموم احاديث اخر من اعظم المراغمة والمناصبة والمحادة لله ورسوله ان
تحمل على غير ما وردت فيه ويباح ما ورد بالنهي عنه ولعن فاعله من فعله ولكن هذا
شان عباد القبور انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى

من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقد اجمع العلماء على النهي عن البناء على القبور
وتحريمه ووجوب هدمه لهذه الاحاديث الصحيحة الصريحة التي لا مطعن فيها بوجه
من الوجوه ولا فرق في ذلك بين البناء في مقبرة مسبلة او مملوكة الا انه في المسبلة
اشد ولا عبرة بمن شذ من المتاخرين فاباح ذلك اما مطلقا واما في المملوكة قال
الامام ابو محمد بن قدامة ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبياءهم مساجد يحذر ما صنعوا
ولان تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الاصنام بالسجود لها والتقرب
اليها وقد رأينا ان ابتداء حدوث الاصنام تعظيم الاموات باتخاذ صورهم و
التمسح بها والصلاة عندها وقال شيخ الاسلام اما بناء المساجد على القبور فقد
صرح عامة علماء الطوائف بالنهي عن متابعة للاحاديث الصحيحة وصرح اصحابنا
وغيرهم من اصحاب مالك والشافعي بتحريمه قال ولا ريب في القطع بتحريمه ثم ذكر
الاحاديث في ذلك الى ان قال فهذه المساجد المبنية على قبور الانبياء والصالحين
او الملوك وغيرهم سنعين ان الى انها بهدم او بغيره هذا مما لا اعلم فيه خلافا بين
العلماء المعروفين وقال ابن القيم يجب هدم القباب التي على القبور لانها اسست
على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم وقال ابو حفص تحرم الجحرة بل تهدم فاذا
كان هذا الكلام في الجحرة فكيف بالقبة وقال الشافعي اكره ان يعظم مخلوق حتى
يجعل قبره مسجدا مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس وقال ايضا سطيح
القبور ولا تبنى ولا ترفع وتكون على وجه الارض وقد افتى جماعة من الشافعية
بهدم ما في الترافة من الابنية منهم ابن الجميزي والظهير الترمتني وغيرهما وقال
القاضي بن كج ولا يجوز ان تجصص القبور ولا يبنى عليها قباب والوصية بها باطلة
وقال الاذرعي واما بطلان الوصية ببناء القباب وغيرها من الابنية العظيمة
وانفاق الاموال الكثيرة فلا ريب في تحريمه قلت وجزم النووي في شرح المهذب

بتحريم البناء مطلقا وذكره في شرح مسلم نحوه ايضا وقال القرطبي في حديث جابر نهى
ان يجصص القبر او ان يبنى عليه وبظاهر هذا الحديث قال مالك وكره البناء و
الجص على القبور وقد اجازه غيره وهذا الحديث حجة عليه ووجه النهي عن البناء
والتجصيص في القبور ان ذلك مباهاة واستعمال زينة الدنيا في اول منازل
الآخرة وتشبه بمن كان يعبد القبور ويعظمها وباعتبار هذه المعاني وبظاهر
هذا النص ينبغي ان يقال هو حرام كما قد قال به بعض اهل العلم وقال ابن رشد
كره مالك البناء على القبر وجعل البلاطة المكتوبة وهو من بدع اهل الطول
احدثوه ارادة الفخر والمباهاة والسمعة وهو مما لا اختلاف فيه وقال الزيلعي
في شرح الكنز ويكره ان يبنى على القبر وفي الخلاصة ولا يجصص القبر لا يطين ولا
يرفع عليه بناء وذكر ايضا قاضيخان انه لا يجصص القبر ولا يبنى عليه لما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن التجصيص وعن البناء فوق القبر والمراد بالكراهة
عند الحنفية كراهة التحريم التي هي في مقابلة ترك الواجب وقد ذكر ذلك
ابن نجيم في شرح الكنز ومثل هذا كثير في كلام العلماء اتباع الائمة الاربعة و
غيرهم والمقصود ان كلام العلماء موافق لما دلت عليه السنة الصحيحة في النهي
عن البناء على القبور واعلم انه قد وقع سبب البناء على القبور من المفاسد التي
لا يحيط بها على التفصيل الا الله ما يغضب الله من اجله من في قلبه ذرة ايمان كما نبه
عليه ابن القيم وغيره فمنها اعتبارها للصلاة عندها وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك ومنها التحري في الدعاء عندها ويقولون من دعا الله عند قبر فلان استجاب له
وقبر فلان الترياق المجرب وهذا بدعة منكرة ومنها ظنهم ان لها خصوصيات
باتفسها في دفع البلاء وجلب النعماء ويقولون ان البلاء يدفع عن اهل البلد ان
بقبور من فيها من الصالحين ولا ريب ان هذا مخالف للكتاب والسنة والاجماع
فالبيت المقدس كان عنده من قبور الانبياء والصالحين ما شاء الله فلما عصوا

www.alabdulgader.com

الرسل وخالفوا ما امرهم الله به سلط عليهم من انتقم منهم وكذلك اهل المدينة لما
تغيروا بعض التغير جرى عليهم عام الحرة من النهب والقتل وغير ذلك من المصائب
مالم يجر عليهم قبل ذلك وهذا اكثر من ان يحصر ومنها الدخول في لعنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم باتخاذ المساجد عليها وايقاد السرج عليها ومنها ان ذلك يتضمن
عمارة للمشاهد وخراب المساجد كما هو الواقع ودين الله ضد ذلك ومنها اجتماعهم
لزيارتها واختلاط النساء بالرجال وما يقع في ضمن ذلك من الفواحش
وترك الصلوات ويزعمون ان صاحب التربة تحملها عنهم بل اشتهر ان البغايا
يسقطن اجورهن على البغاء في ايام زيارة المشائخ كالبدوي وغيره تقربا الى الله
تعالى بذلك فهل بعد هذا في الكفر غاية ومنها كسوتها بالثياب النفيسة المنسوجة
بالحرير والذهب والفضة ونحو ذلك ومنها جعل الخزائن والاموال ووقف الوقوف
لما يحتاج اليه من ترميمها ونحو ذلك ومنها اهداء الاموال ونذر النذور لسدنتها
العاكفين عليها الذين هم اصل كل بلية وكفر فانهم الذين يكذبون على الجهال والطغام
بان فلانا دعا صاحب التربة فاجابه واستغاثه فاغاثه ومرادهم بذلك تكثير
النذر والهدايا لهم ومنها جعل السدنة لها كسدنة عباد الاصنام ومنها الاقسام
على الله في الدعاء بالمدفون فيها ومنها ان كثيرا من الزوار اذا راى البناء الذي على
قبر صاحب التربة سجد له ولا ريب ان هذا الكفر بنص الكتاب والسنة واجماع الامة
بل هذا هو عبادة الاوثان لان السجود للقبة عبادة لها وهو من جنس عبادة النصارى
للصور التي في كنائسهم على صور من يعبدونه بزعمهم فانهم عبدوها ومن هي
صورته وكذلك عباد القبور لما بنوا القباب على القبور آل بهم الى ان عبدت القباب
ومن بنيت عليه من دون الله عز وجل ومنها النذر للمدفون فيها وفرض نصيب
من المال ولولده وهذا هو الذي قال الله فيه وجعلوا لله مما ذرء من الحرث والانعام
نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا الاية بل هذا ابلغ فان المشركين ما كانوا

يتبعون

يتبعون اولادهم لاوثانهم ومنها ان المدفون فيها اعظم في قلوب عباد القبور
من الله واخوف ولهذا لو طلبت من احدهم اليمين بالله تعالى في اعظم ما شئت
من الايمان كاذبا او صادقا واذا طلبت بصاحب التربة لم يقدم ان كان كاذبا
ولا ريب ان عباد الاصنام ما بلغ شركهم الى هذا الحد بل كانوا اذا اراد وا تغليظ
اليمين غلظوها بالله كما في قصة القسامة وغيرها ومنها سؤال الميت قضاء
الحاجات وتفريج الكربات والاخلاص له من دون الله في اكثر الحالات ومنها
التضرع عند مصارع الاموات والبكاء بالهيبة والخشوع لمن فيها اعظم مما
يفعلونه مع الله في المساجد والصلوات ومنها تفضيلها على خير البقاع واحبها
الى الله وهي المساجد فيعتقد ان العبادة والعكوف فيها افضل من العبادة
والعكوف في المساجد وهذا امر ما بلغ اليه شرك الاولين فانهم يعظمون
المسجد الحرام اعظم من بيوت الاصنام ويرون فضله عليها وهؤلاء يرون
العكوف في المشاهد افضل من العكوف في المساجد ومنها ان الذي شرعه الرسول
صلى الله عليه وسلم في زيارة القبور انما هو تذكرة الاخرة كما قال زوروا القبور
فانها تذكر الاخرة والاحسان الى المزور بالترحم عليه والدعاء له والاستغفار
وسؤال العافية له فيكون الزائر محسنا الى نفسه والى الميت فقلب عباد القبور
الامر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعاءه و
الدعاء به وسؤاله حوائجهم ونصرهم على الاعداء ونحو ذلك فصاروا مسيئين
الى انفسهم والى الميت ولو لم يكن بحرمانه بركة ما شرعه الله من الدعاء له والترحم
عليه والاستغفار له ومنها ايذاء اصحابها بما يفعله عباد القبور بها فانهم
يوذيهم ما يفعلونه عند قبورهم ويكرهونه غاية الكراهة كما ان المسيح
عليه السلام يكره ما يفعله النصارى وكذلك غيره من الانبياء والاولياء يو
ذيهم ما يفعله اشباه النصارى عند قبورهم ويوم القيمة يتبرؤن منهم كما قال

تعالى ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم
غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ومنها محادة
الله ورسوله ومناقضة ما شرعه فيها ومنها التشبه العظيم مع الوزر الكبير
والاثم العظيم وكل هذه المفاسد العظيمة وغيرها مما لم يذكر انما حدثت بسبب
البناء على القبور ولهذا تجد القبور التي ليس عليها قباب لا يأتيها احد ولا يعتادها
لشيء مما ذكر الا ما شاء الله وصاحب الشرع اعلم بما يؤول اليه هذا الامر فلذلك غلظ فيه
وابدا واعاد ولعن من فعله فالخير والهدى في طاعته والشر والضلال في مخالفته والعجب
ممن يشاهد هذه المفاسد العظيمة عند القبور ثم يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم
انما نهى عن اتخاذ المساجد عليها لاجل النجاسة كما يظنه بعض المتاخرين الفقهاء
ولو كان ذلك لاجل النجاسة لكان ذكر المجازر والحشوش بل ذكر التحرز من البول
والغائط اولى فانما ذلك لاجل نجاسة الشرك التي وقعت من عباد القبور لما
خالفوا ذلك ونبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون

باب ما جاء ان الغلو في قبور الصالحين يصيرها اوثانا تعبد من دون الله

اراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة امور الاول التحذير من الغلو في قبور الصالحين
الثاني ان الغلو فيها يؤول الى عبادتها الثالث انها اذا عبدت صيت اوثانا
ولو كانت قبور الصالحين الرابع التنبيه على العلة في المنع من البناء عليها واتخاذها
مساجد والاوثان هي المعبودات التي لا صورة لها كالقبور والاشجار والعمد والحيطان
والاحجار ونحوها وقد تقدم بيان ذلك وقيل الوثن هو الصنم والصنم هو الوثن
وهذا غير صحيح الا مع التجريد فاحدهما قد يفترق به الاخر واما مع الاقتران فيفسر
كل واحد بمعناه قال روى مالك في الموطا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم
مساجد هذا الحديث رواه مالك في باب جامع الصلاة مرسلا عن زيد بن اسلم عن

عطا

عطا ابن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ورواه ابن ابي شيبة في مصنفه عن
ابي خالد الاحمر عن ابن عجلان عن زيد ابن اسلم به ولم يذكر عطا ورواه البزار
عن عمر ابن محمد عن زيد عن عطا عن ابي سعيد الخدري مرفوعا وعمر ابن محمد بن زيد
ابن عبد الله ابن عمر ابن الخطاب ثقة من اشراف اهل المدينة روى عنه مالك والثوري
وسليمان ابن بلال فالحديث صحيح عند من يحتج بمراسيل الثقات وعند من قال
بالمسند لاسناد عمر ابن محمد له بلفظ الموطا سواء وهو ممن تقبل زيادته وله شاهد
عند الامام احمد والعقيلي من طريق سفيان عن حمزة ابن المغيرة عن سهيل ابن ابي
صالح عن ابيه عن ابي هريرة رفعه اللهم لا تجعل قبري وثنا لعن الله قوما اتخذوا قبور
انبيائهم مساجد قوله روى مالك في الموطا هو الامام مالك ابن انس ابن مالك
ابن ابي عمرو الاصبحي ابو عبد الله المدني الفقيه امام دار الهجرة واحد الائمة الاربعة
واحد المتقنين في الحديث حتى قال البخاري اصح الاسانيد كلها مالك عن نافع
عن ابن عمر مات سنة تسع وسبعين وكان مولده سنة ثلاث وتسعين قال الواقدي
بلغ تسعين سنة قوله اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد قد استجاب الله دعاء
رسوله صلى الله عليه وسلم فمنع الناس من الوصول الى قبره ليئلا يعبد استجابة
لدعاء رسوله كما قال ابن القيم فاجاب رب العالمين دعاءه واطاطه ثلاثة الحدران
ودل الحديث على ان قبر الرسول صلى الله عليه وسلم لو عبد لكان وثنا فما ظنك بقبر
غيره من القبور التي عبدت هي واربابها من دون الله واذا اريد تغيير شيء من
ذلك انف عبدها واشمازت قلوبهم واستكبرت نفوسهم وقالوا تنقص اهل القر
ب العالية ورموا بالعظائم فماذا يقولون لو قيل لهم انها اوثانا تعبد من دون
الله فالله المستعان على غربة الاسلام وهذه هي الفتنة العظمى التي قال فيها
عبد الله ابن مسعود كيف انتم اذا لبستم فتنة يهرم فيها الكبير وينشا فيها الصغير تجري
على الناس يتخذ وبها سنة اذا غيرت قيل غيرت السنة ويوخذ من الحديث المنع

من تتبع اثار الصالحين كقبورهم ومجالسهم ومواضع صلاتهم للصلاة والدعاء عندها
فان ذلك من البدع انكره السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم ولا نعلم احدا اجازه
او فعله الا ابن عمر على وجه غير المعروف عند عباد القبور وهو ارادة التشبه برسول الله
صلى الله عليه وسلم في الصلاة فيما صلى فيه ونحو ذلك ومع ذلك فلا نعلم احدا وافقه
عليه من الصحابة بل خالفه ابوه وغيره لئلا يفضي ذلك الى اتخاذها اوثانا كما وقع قال
ابن عبد الباقي في شرح الموطا روى اشهب عن مالك انه كره لذلك ان يدفن في المسجد
قال واذا منع من ذلك فسائر اثاره اخرى وقد كره مالك طلب موضع شجرة بيعة
الرضوان مخالفة لليهود والنصارى انتهى وقال ابن وضاح سمعت عيسى ابن يونس
يقول امر عمر ابن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي صلى الله عليه وسلم فقطعها
لان الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف عليهم الفتنة قال عيسى ابن يونس
وهو عندنا من حديث ابن عون عن نافع ان الناس كانوا يأتون الشجرة فقطعها عمر
رضي الله عنه وقال المعرور ابن سويد صليت مع عمر ابن الخطاب في طريق مكة صلاة
الصبح فقرء فيها الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل لايلاف قريش ثم راى الناس
يذهبون مذاهب فقال اين يذهب هؤلاء فقيل يا امير المؤمنين مسجد صلى فيه النبي
صلى الله عليه وسلم فهم يصلون فيه فقال انما هلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتتبعون
اثار انبياءهم ويتخذونها كنائس وبيعا فمن ادركته الصلاة في هذه المساجد فليصل
ومن لا فليمض ولا يتعمدها وفي مغازي ابن اسحق من زيادات يونس ابن بكير عن ابن
خلدة خالد ابن دينار حدثنا ابو العالية قال لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان
سريرا عليه رجل ميت عند راسه مصحف فاخذنا المصحف فحملناه الى عمر فدعى له كعبا
فنسخه بالعربية فانا اول رجل قرأه من العرب قرأته مثل ما اقرء القرآن فقلت لابي العا
لية ما كان فيه قال سيركم وامركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد قلت فما صنعتم
بالرجل قال حفرنا له بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة فلما كان بالليل دفناه وسوينا

القبور

القبور كلها لئلا يعمى على الناس لا ينبشونه قلت وما يرجون منه قال كانت السماء اذا
حبست عنهم بزروا بسريره فيمطرون فقلت من كنتم تظنون الرجل قال رجل يقال
له ذا نيال فقلت منذ كم وجدتموه مات قال منذ ثلاث مائة سنة قلت ما كان
تغير منه شيء قال لا الا شعرات من قفاه ان لحوم الانبياء لا تبليها الارض قال
ابن القيم ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والانصار من تعمية قبره لئلا
يفتتن به ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به المتوحرون لجالدوا
عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله قال شيخ الاسلام وهو انكار منهم لذلك
فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم يستحب الشارع قصدها فهو من المنكرات
وبعضه اشد من بعض سواء قصدها ليصلي عندها او ليدعو عندها او ليقرا
عندها او ليذكر الله عندها او لينسك عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع
من العبادة التي لم يشرع تخصيصها به لا نوعا ولا عينا الا ان ذلك قد يحرم بحكم
الاتفاق لا لقصد الدعاء فيها كمن يدعو الله في طريقه ويتفق ان يمر بالقبور او
كمن يزورها ويسلم عليها ويسال الله العافية له وللموتى كما جاءت به السنة
فان ذلك ونحوه لا باس به واما تحري الدعاء عندها بحيث يستشعر ان الدعاء
هناك اجوب منه في غيره فهذا هو المنهي عنه والفرق بين النوعين ظاهر فان الرجل
لو كان يدعو الله واتفق في ممره بصنم او صليب او كنيسة او دخل اليها ليبيت فيها
مبيتا جائزا ودعى الله في الليل او اتى بعض اصدقائه ودعى الله في بيته لم يكن
بهذا باس ولو تحرى الدعاء عند هذه المواضع لكان من العظائم بل قد يكون كفرا

قوله اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبياءهم مساجد هذه الجملة بعد الاولى
تنبيه على سبب لحوق اللعن بهم وهو توسلهم بذلك الى ان نصروا اوثانا تعبد
فيه اشارة الى ما ترجم له المصنف وفيه تحريم البناء على القبور وتحريم الصلاة عندها
وقد روى اصحاب مالك عنه انه كره ان يقول زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم

وعلل وجه الكراهة بقوله اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم
اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فكره اضافة هذا اللفظ الى القبر لئلا يقع التشبه
بفعل اولئك سد الذريعة وحسما للباب ذكره الطبري في القرى وفيه انه صلى الله
عليه وسلم لم يستعذ الا مما يخاف وقوعه ذكره المصنف قال ولابن جرير بسنده
عن سفيان عن مجاهد افرايتم اللات والعزى قال كان يلت لهم السويق فمات
فعكفوا على قبره وكذا قال ابو الجوزاء عن ابن عباس كان يلت السويق للحاج
قوله ولابن جرير هو الامام الحافظ محمد ابن جرير بن يزيد الطبري صاحب
التفسير والتاريخ وغيرهما قال ابن خزيمة لا اعلم على الارض اعلم من محمد ابن جرير
وكان من الائمة المجتهدين لا يقلد احدا وله اصحاب يتفقهون على مذهبه ولد
سنة اربع وعشرين ومايتين ومات ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلثمائة قوله
عن سفيان هو احد السفيانين اما ابن عيينة واما الثوري فان كان
ابن عيينة فقد تقدمت ترجمته وان كان الثوري وهو الاظهر فهو سفيان ابن سعيد
ابن مسروق ابو عبد الله الكوفي ثقة حافظ امام حجة عابد وكان مجتهدا لا اتباع و
اصحاب يتفقهون على مذهبه مات سنة احدى وستين وماية ولد اربع وستون سنة
قوله عن منصور هو ابن المعتمر بن عبد الله السلمي ابو عتاب بمثناة ثقيلة ثم موحدة
الكوفي ثقة ثبت فقيه مات سنة اثنين وثلاثين ومايه قوله عن مجاهد هو ابن جبر
بالجيم والموحدة ابو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ثقة امام في التفسير والعلم اخذ
التفسير عن ابن عباس وغيره مات سنة اربع ومايه قاله يحيى القطان وقال ابن حبان
مات سنة اثنتين او ثلاث ومايه وهو ساجد وكان مولده سنة احدى وعشرين
في خلافة عمر رضي الله عنه قوله كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره لت
السويق هو خلط بسمن ونحوه وقد قيل ان اسم الرجل صرمة ابن عنم وعن ابن عباس
كان يلت السويق على الحجر فلا يشرب منه احد الا سمن فعبدوه رواه ابن ابي حاتم

وعن مجاهد

وعن مجاهد كان اللات رجلا في الجاهلية وكان له غنم وكان يسلوا من رسلها ويا
خذ من زبيب الطائف والاقط فيجعل منه حيسا ويطعم من يمر من الناس فلما مات
عبدوه وقالوا هو اللات وكان يقرا اللات مشددة رواه سعيد بن منصور و
الفاكهي قوله وكذا قال ابو الجوزا الى اخره هو اوس بن عبد الله الربعي بفتح الراء والباء
ثقة مشهور مات سنة ثلاث وثمانين وهذا الاثر ذكره المصنف ولم يعزه وقد
رواه البخاري ولا تخالف بين هذا التفسير والقراءة وبين قراءة من قرا بالتخفيف
وقال انه كان حجرا فعبدوه واشتقوا له من اسم الله الاله كما تقدم تقديره في
باب من تبرك بشجر وايضا فيجاب على الاول بان اصله التشديد وخفف
لكثرة الاستعمال واما كونهم اشتقوا هذا الاسم من اسم الله الاله فلا ينافي ذلك
ايضا فقد رايت ان سبب عبادة اللات هو الغلو في قبره حتى صار وثنا يعبد
كما كان ذلك هو السبب في عبادة الصالحين ود وسواع ويغوث ويعوق
ونسرا وغيرهم وكما كان ذلك هو السبب في عبادة الصالحين من الاموات وغيرهم اليوم
فانهم غلوا فيهم وبنوا على قبورهم القباب والمشاهد وجعلوها اوثانا تقصد لاجلها
وبالجملة فالغلو اصل الشرك في الاولين والاخرين الى يوم القيمة وقد امرنا الله تعالى
بمحبة اوليائه واثنى لهم منازلهم من العبودية وسلب خصائص الالهية عنهم
وهذا غاية تعظيمهم وطاعتهم ونهانا عن الغلو فيهم فلا نرفعهم فوق منازلهم
ولا نحطهم منها لما يعلمه الله تعالى في ذلك من الفساد العظيم فما وقع الشرك الا بسبب
الغلو فيهم فان المشركين هم غلوا فيهم واثنزلوهم منازل الالهية وعصوا امر هم
وتنقصوهم في صورة التعظيم لهم فتجد اكثر هؤلاء الغالين فيهم العاكفين على
قبورهم معرضين عن طريقة من فيها وهديه وسنته عاكفين لها مشتغلين بقبورهم
عما امروا به ودعوا اليه وتعظيم الانبياء والصالحين ومحبتهم انما هي باتباع ما دعوا
اليه من العلم النافع والعمل الصالح واقتفاء اثارهم وسلوك طريقتهم دون

عبادتهم وعبادة قبورهم والعكوف عليها كالذين يعكفون على الاصنام واتخاذها
اعيادا ومجامع للزيارات والفواحش وترك الصلوات فان من اقتفى اثارهم كان
مقتبسا في تكثير اجورهم باتباعه لهم ودعوة الناس الى اتباعهم فاذا اعرض عما
دعوا اليه واشتغل بضده حرم نفسه وحرمهم ذلك الاجر في تعظيم لهم واحترام
في هذا قال وعن ابن عباس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات
القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج رواه اهل السنن قوله لعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور اي من النساء وهذا يدل على تحريم زيارة القبور
عليهن كما هو مذهب احمد وطائفة وقيل في تعليل ذلك انه يخرجها الى الجزع والتلب
والنياحة والافتتان بها وبصورتها وتاذي الميت ببكائها كما في حديث اخر فانكن
تفتن الحي وتؤذين الميت واذا كانت زيارة النساء مظنة وسببا للامور المحرمة في
حقهن وحق الرجال وتقدير ذلك غير مضبوط لانه لا يمكن حد المقدار الذي لا يفضي الى
ذلك ولا التمييز بين نوع ونوع ومن اصول الشريعة ان الحكمة اذا كانت خفية او
منتشرة علق الحكم بمظنتها فحرم سدا للذريعة كما حرم النظر الى الزينة الباطنة لما
في ذلك من الفتنة وكما حرمت الخلوة بالاجنبية وليس في زيارتها من المصلحة ما
يعارض هذه المفسدة لانه ليس في زيارتها الا دعاءه للميت او اعتبارها به وذلك
ممكن في بيته وقد روى الامام احمد وابن ماجة والحاكم عن حسان ابن ثابت مرفوعا
لعن الله زوارات القبور وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن
زوارات القبور رواه احمد وابن ماجة والترمذي وصححه وضعفه عبد الحق وحسنه
ابن القطان ولا يعارض هذا حديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
رواه مسلم وغيره لان هذا ان سلم دخول النساء فيه فهو عام والاول خاص والخاص
مقدم عليه وايضا ففي دخول النساء في خطاب الذكور خلاف عند الاصوليين
قوله والمتخذين عليها المساجد تقدم في الباب قبله شرحه وتعليله قوله والسرج

هذا دليل

هذا دليل على تحريم اتخاذ السرج على القبور قال محمد المقدسي لو ابيح اتخاذ السرج عليها
لم يلعن من فعله لان فيه تضييعا للمال في غير فائدة وافراطا في تعظيم القبور
اشبه تعظيم الاصنام وقال ابن القيم اتخاذها مساجد وايقاد السرج عليها
من الكبائر ووجه ايراد المصنف هذا الحديث في هذا الباب دون الذي قبله هو
انه لعن المتخذين عليها المساجد والسرج وقرن بينهما فهما قرينان في اللعنة
فدل ذلك على انه ليس المنع من اتخاذ المساجد عليها لاجل النجاسة بل لاجل اتخاذ
الشرك ولذلك قرن بينه وبين الاسراج عليها وليس النهي عن الاسراج لاجل
النجاسة فكذلك البناء قوله رواه اهل السنن يعني هنا ابا داود والترمذي
وابن ماجة فقط ولم يروه النسائي باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم
جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل الى الشرك الجناب هو الجانب واعلم ان
في الابواب المتقدمة شيئا من حماية صلى الله عليه وسلم لجناب التوحيد ولكن
اراد المصنف هنا بيان حمايته الخاصة ولقد بالغ صلى الله عليه وسلم وحذر وانذر
وابدا واعاد وحض وعم في حماية الحنيفية السمحة التي بعثه الله بها فهي حنيفية
في التوحيد سمحة في العمل كما قال بعض العلماء اي اساسه الشرائع في التوحيد والا
بعاد عن الشرك واسمح الشرائع في العمل قال وقوله تعالى لقد جاءكم رسول
من انفسكم الاية قوله لقد جاءكم رسول هذا خطاب من الله تعالى للعرب في
قول الجمهور وهذا على جهة تعديده نعمه عليهم اذ جاءهم بلسانهم وبما يفهمون
من الاعراض والفصاحة وشرفوا به ابد الآبدين وقوله رسول اي رسول عظيم
ارسله الله اليكم من انفسكم اي بتر جمون معه الى نفس واحدة لانه وانتم من اب
قريب كما قال تعالى عن ابراهيم عليه السلام انه قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم
وذلك اقرب واسرع الى فهم الحجة وابعد من المحك واللجاجة وهذا يقتضي مدحا

لنسب الرسول صلى الله عليه وسلم وانه من صميم العرب قال جعفر ابن محمد في قوله من انفسكم
قال لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية وقوله عزيز عليه اي شديد عليه جدا ما عنتم
اي عنتكم وهو لحاق الاذى الذي يضيق به الصدور ولا يهتدي للمخرج وهي هنا
لفظا عام اي ما شق عليكم من كفر وضلال وقتل واسار وامتحان بسبب الحق
وما مصدرية وهي مبتدأ وعزيز خبر مقدم ويجوز ان يكون ما عنتم فاعلا بعزيز
وعزيز صفة للرسول وهذا اصوب وقوله حريص عليكم اي بليغ الحرص عليكم اي
على نفعكم وايمانكم وهداكم والحرص شدة طلب الشيء على الاجتهاد فيه وروى الطبراني
باسناد جيد عن ابي ذر رضي الله عنه قال تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر
يقلب جناحيه في الهوى الا وهو يذكر لنا منه علما قال وقال ما بقي شيء يقرب من الجنة
ويباعد من النار الا وقد بينه لكم وروى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل ما جئت به كمثل رجل استوقد نارا فلما اضاءت ما حولها
جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن
فيها قال فذلك مثلي ومثلكم انا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار هلم عن النار
فتغلبوني وتقتحمون فيها وقوله بالمؤمنين اي لانفسهم كما يفيده تقديم الجار
رؤوف اي بليغ الشفقة قال ابو عبيدة الرأفة ارق الرحمة رحيم اي بليغ الرحمة
كما هو اللائق بشريف منصبه وعظيم خلقه فتامل هذه الاية وما فيها من اوصافه
الكريمة ومحاسنه الجمة التي تقتضي ان ينصح لامته ويبلغ البلاغ المبين ويسد
الطرق الموصلة الى الشرك ويحمي جناب التوحيد غاية الحماية ويبالغ اشد المبالغة
في ذلك لئلا تقع الامة في الشرك واعظم ذلك الفتنة بالقبور فان الغلو فيها
هو الذي جر الناس في قديم الزمان وحديثه الى الشرك لاجرم فعل صلى الله عليه وسلم
ذلك وحمى جناب التوحيد حتى في قبره الذي هو اشرف القبور حتى نهى عن جعله عيدا
ودعا الله ان لا يجعله وثنا يعبد وفي الاية مسائل منها التنبيه على هذه النعمة العظيمة

وهي ارسال الرسول صلى الله عليه وسلم فينا كما قال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ
بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ومنها كونه ما نعمة اخرى عظيمة ومنها كونه
بهذه الصفات نعم متعددة ومنها مدح نسبه صلى الله عليه وسلم فهو اشرف
العرب بيتا ونسبا ومنها رافته بالمؤمنين ومنها غلظته على الكفار والمنافقين
قال عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا
تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم رواه ابو داود باسناد
حسن رواته ثقات قوله لا تجعلوا بيوتكم قبورا قال شيخ الاسلام اي لا
تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور فامر بتحري
العبادة في البيوت ونهى عن تحريها عند القبور عكس ما يفعله المشركون من النصارى
ومن تشبه بهم وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعا اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها
قبورا وفي صحيح مسلم عن ابن عمر مرفوعا لا تجعلوا بيوتكم مقابر فان الشيطان ينفر من
البيت الذي يسمع سورة البقرة تقرأ فيه ان الصلاة في المقبرة لا تجوز وان التطوع في
البيت افضل منه في المسجد وفي حديث ابي هريرة الذي ذكرنا كراهة القراءة في المقابر
وكل هذا ابعاد لامته عن الشرك قوله ولا تجعلوا قبري عيدا قال شيخ الاسلام
العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائدا ما يعود السنة او يعود
الاسبوع او الشهر ونحو ذلك وتقدم ذلك وقال ابن القيم العيد ما يعتاد مجيئه و
قصده من زمان او مكان ما نحو ذا من المعاودة والاعتياد فاذا كان اسما للمكان
فهو المكان الذي يقصد فيه الاجتماع لانتيابه للعبادة او لغيرها كما ان المسجد الحرام ومنى
ومزدلفة والمشاعر جعلها الله عيد الحنفاء ومثابة كما جعل ايام التعيد فيها عيدا
وكان للمشركين اعياد زمانية فلما جاء الله بالاسلام ابطلها وعوض الحنفاء منها
عيد الفطر وعيد النحر وايام منى كما عوضهم عن اعياد المشركين الكائنة بالكعبة

ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر وقال غيره هذا امر بملازمة قبره والعكوف عنده
واعتياد قصده والتنبيه به ونهى ان يجعل كالعيد الذي انما يكون في العام مرة او
مرتين فكانه قال لا تجعلوه كالعيد الذي يكون من الحول الى الحول واقصدوه
كل ساعة وكل وقت قال ابن القيم وهذا امر واقعة ومحادة ومناقضة لما قصده الر
سول صلى الله عليه وسلم وقلب للحقائق ونسبة للرسول صلى الله عليه وسلم الى التلبيس
والتدليس بعد التناقض فقاتل الله اهل الباطل الى اين يؤفكون ولا ريب ان من
امر الناس باعتياد امر وملازمته وكثرة التنبيه به يقول لا تجعلوه عيدا فهو الى
التلبيس وضد البيان اقرب منه الى الدلالة والبيان وهكذا غيرت اديان الرسل
والا ان الله اقام لدينه الانصار والاعوان الذابين عنه لجرى عليه ما جرى على الاديان
قبله ولولا ادرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله هؤلاء الضلال لم يبنه عن اتخاذ
قبور الانبياء مساجد يعبد الله فيها فكيف يامر بملازمتها والعكوف عندها وان
يعتاد قصدها والتنبيه بها ولا تجعل كالعيد كالذي يجيء من الحول الى الحول
وكيف يسال ربه ان لا يجعل قبره وثنا يعبد وكيف يقول اعلم الخلق بذلك
ولولا ذلك لابرز قبره ولكن خشي ان يتخذ مسجدا وكيف يقول لا تجعلوا قبري
عيدا وصلوا علي حيث ما كنتم وكيف لم يفهم صحابه واهل بيته من ذلك ما فهمه
هؤلاء الضلال الذين جمعوا بين الشرك والتحريف وهذا افضل التابعين من
اهل بيته علي ابن الحسين رضي الله عنهما نهى ذلك الرجل ان يجيء الدعاء من عند قبره
صلى الله عليه وسلم واستدل بالحديث وهو الذي رواه وسمعه من ابيه الحسين عن جده
علي وهو اعلم بمعناه من هؤلاء الضلال وكذلك ابن عمه الحسن ابن الحسن شيخ اهل بيته
كره ان يقصد الرجل القبر اذا لم يكن يريد المسجد وراى ان ذلك من اتخاذه عيدا
انتهى قلت وكيف يريد النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى ويعبر عنه بهذا الكلام عيدا
مع انه افصح الخلق وانصحهم وكان يمكنه ان يقول اكثروا زيارة قبري او اجعلوه

وليعن فاعل ذلك فانه اذا لعن من اتخذها مسا جد صح

تعتادون المجيء اليه والعبادة عنده فظهر بطلان هذا القول اذا تبين ذلك
معنى الحديث نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص واجتماع معهود كالعيد الذي
يكون على وجه مخصوص في زمان مخصوص وذلك يدل على المنع في جميع القبور
وغيرها لان قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل قبر على وجه الارض وقد
نهى عن اتخاذه عيدا فقبر غيره اولى بالنهي كائنا من كان قال المصنف وفيه
النهي عن الاكثار من الزيارة قوله وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم
قال شيخ الاسلام يشير بذلك الى ان ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع
قربكم من قبري وبعدكم فلا حاجة بكم الى اتخاذه عيدا انتهى وقد روى ابو داود
عن ابي هريرة مرفوعا ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه
السلام وعن اوس ابن اوس مرفوعا اكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة
فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد
ارمت قال ان الله حرم على الارض ان تاكل لحوم الانبياء رواه ابو داود والنسائي
وابن ماجة فهذه الاحاديث وغيرها تدل على ان صلاتنا عليه تبلغه سواء كنا
عند قبره او لم نكن فلا مزيد لمن سلم عليه او صلى عليه عند قبره كما قال الحسن ما انتم ومن
بالاندلس الا سواء واما حديث من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته
فرواه البيهقي وغيره من حديث العلاء ابن عمرو الحنفي حدثنا ابو عبد الرحمن عن الاعمش
عن ابي صالح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره قال البيهقي ابو عبد
الرحمن هذا هو محمد ابن مروان السدي فيما ارى وفيه نظر قلت محمد ابن مروان
السدي الصغير قال فيه يحيى ابن معين ليس بثقة وقال الجوزجاني ذاهب الحديث و
قال النسائي متروك الحديث ولذلك قال ابو حاتم الرازي والازدي وقال صالح
ابن محمد كان يضع الحديث على ان معناه صحيح معلوم من احاديث اخر كاخباره بسماع
الموتى لسلام من يسلم عليهم اذا مر على قبورهم فان قيل اذا سمع سلام المسلم

عليه عند قبره حصلت المزية بسماعه قيل هذا لو حصل الوصول الى قبره اما وقد منع الناس
من الوصول اليه بثلاثة الجدران فلا تحصل مزية فسواء سلم عليه عند قبره او في مسجده
اذا دخله او في اقصى المشرق والمغرب فالكل يبلغه كما وردت به الاحاديث وليس في
شيء منها انه يسمع صوت المصلي والمسلم بنفسه انما فيها ان ذلك يعرض عليه ويبلغه ه
صلى الله عليه وسلم ومعلوم انه اراد بذلك الصلاة والسلام الذي امره الله به سواء
صلى عليه في مسجده او مدينته او مكان اخر فعلم ان ما امر الله به من ذلك فانه يبلغه
واما من سلم عليه عند قبره فانه يرد عليه وذلك كالسلام على سائر المؤمنين ليس
هو من خصائصه لكن لا يوصل الى قبره صلى الله عليه وسلم قال وعن علي ابن الحسين
انه راى رجلا يجيء الى فوجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها
فيدعو فنهاه وقال الا احدثكم حديثا سمعته من ابي عن جدي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا فان تسليمكم
يبلغني اين كنتم رواه في المختاره هذان الحديثان جيدان حسنا الاسنادين اما
الحديث الاول فرواه ابو داود وغيره من حديث عبد الله ابن نافع الصائغ قال
اخبرني ابن ابي ذئب عن سعيد المقبري عن ابي هريرة فذكره ورواته ثقات مشا
هير لكن عبد الله ابن نافع فيه لين لا يمنع الاحتجاج به قال ابن معين هو ثقة
وقال ابو زرعة لا باس به وقال ابو حاتم الرازي ليس بالحافظ تعرف وتنكر
قال شيخ الاسلام ومثل هذا قد يخاف ان يغلط احيانا فاذا كان لحديثه شواهد
علم انه محفوظ وهذا له شواهد متعددة وقال الحافظ ابن عبد الهادي هو حديث
حسن جيد الاسناد وله شواهد كثيرة ترتقي بها الى درجة الصحة واما الحديث الثاني
فرواه ابو يعلى والقاضي اسماعيل والحافظ الضياء في المختاره قال ابو يعلى حدثنا
ابو بكر ابن ابي شيبة حدثنا زيد بن الحباب حدثنا جعفر ابن ابراهيم من ولد ذي الجنا
حين حدثنا علي بن عمر عن ابيه عن علي بن حسين فذكره وعلي ابن عمر هو علي ابن عمر بن علي ابن الحسين

قال

قال شيخ الاسلام فانظر كيف هذه السنة كيف مخرجها من اهل المدينة واهل البيت
الذين لهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم قرب النسب وقرب الدار لانهم الى ذلك
احوج من غيرهم فكانوا له اضبط قلت وللحديثين شواهد منها ما رواه ابن ابي
شيبة حدثنا ابو خالد الاحمر عن ابن عجلان عن سهيل عن جبير بن حنين قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا علي
حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغني وقال سعيد ابن منصور حدثنا عبد العزيز ابن محمد
اخبرني سهيل ابن ابي سهيل قال رآني الحسن ابن الحسين ابن علي ابن ابي طالب
عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشا فقال هلم الى العشاء فقلت لا اراه
فقال مالي اراك عند القبر فقلت سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا دخلت
المسجد فسلم ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا
تتخذوا بيوتكم مقابر وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم لعن الله اليهود
اتخذوا قبور انبياءهم مساجد ما انتم ومن بالاندلس الا سواء رواه القاضي ه
اسماعيل في كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر ما انتم ومن
بالاندلس الا سواء وقال سعيد ايضا حدثنا حيان بن علي حدثنا محمد ابن عجلان عن
ابي سعيد مولى المهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا بيتي عيدا
ولا بيوتكم مقابر وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني قال شيخ الاسلام فهذان المرسلان
من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث لا سيما وقد احتج به من ارسله
وذلك يقتضي ثبوته عنده هذا لو لم يروه من وجوه مسندة غير هذين فكيف وقد
تقدم مسندا قوله عن علي ابن الحسين اي ابن علي ابن ابي طالب المعروف بزين العابدين
رضي الله عنه افضل التابعين من اهل بيته واعلمهم قال الزهري ما رايت قرشيا
افضل منه مات بمكة ثلاث وتسعين على الصحيح وابوه الحسين سبط النبي صلى الله عليه وسلم
وريحانته حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم واستشهد يوم عاشوراء سنة احدى وستين

ولدت وخمسون سنة قوله انه راى رجلا يجيء الى فرجة هو بضم القاف وسكون الراء واحدة
الفرج وهي الكوة في الجدار والخوخة ونحوها قوله فيدخل فيها فيدعو افنهاه الى اخر
الحديث هذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لاجل الدعاء والصلاة ه
عندها كما تقدم بعض ذلك لان ذلك من اتخاذها عيدا كما فهمه علي ابن الحسين
من الحديث فنهى ذلك الرجل عن المجيء الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم للدعاء عنده
فكيف بقبر غيره ويدل ايضا على ان قصد الرجل القبر لأجل السلام اذا لم يكن يريد
المسجد من اتخاذه عيدا النهي عنه ولهذا لما راى الحسن ابن الحسن سهيلا عند القبر
نهاه عن ذلك وذكر له الحديث مستدلا به وامره بالسلام عليه عند دخول المسجد
قال شيخ الاسلام ما علمت احدا من علماء السلف رخص فيه لان ذلك نوع من اتخاذه
عيدا ويدل ايضا على ان قصد القبر السلام اذا دخل المسجد ليصلي منهي عنه لان ذلك
من اتخاذه عيدا وكره مالك لاهل المدينة كلما دخل انسان المسجد ان ياتي قبر
النبي صلى الله عليه وسلم لان السلف لم يكونوا يفعلون ذلك قال ولن يصلح اخر هذه
الامة الا ما صلح اولها بل كان الصحابة والتابعون ياتون المسجد صلى الله عليه وسلم
فيصلون خلف ابا بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ثم اذا قضوا الصلاة قعدوا
او خرجوا ولم يكونوا ياتون القبر للسلام لعلمهم بان الصلاة والسلام عليه في الصلاة
اكمل واما فضل واما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك او للصلاة والدعاء
فلم يشرعه لهم بل نهاهم بقوله لا تتخذوا قبري عيدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني ه
فبين ان الصلاة تصل اليه من بعد وكذلك السلام ولعن من اتخذ قبور الانبياء
مساجد وكانت الحجرة في زمانهم يدخل اليها من الباب اذ كانت عائشة فيها وبعد
ذلك الى ان بني الحائط الاخر وهم مع ذلك التمكن من الوصول الى قبره لا يدخلون
اليه لا للسلام ولا للصلوة ولا للدعاء لانفسهم ولا لغيرهم ولا لسؤال عن حديث او علم
ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاما او سلاما فيظنون انه هو كلمهم وافتاهم

وبين

وبين لهم الاحاديث اذا انه قدر وعليهم السلام بصوت يسمع من خارج كما طمع الشيطان
في غيرهم فاضلهم عند قبره وقبر غيره حتى ظنوا ان صاحب القبر يامرهم وينهاهم
ويفتيهم ويحدثهم في الظاهر وانه يخرج من القبر ويرونه خارجا من القبر ويظنون
ان نفس ابدان الموتى خرجت تكلمهم وان روح الميت تجسدت لهم فراوها كما ه
راى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج والمقصود ان الصحابة ما كانوا يعتادون
الصلاة والسلام عليه عند قبره كما يفعله من بعدهم من الخلوف وانما كان بعضهم
ياتي من خارج فيسلم عليه اذا قدم من سفر كما كان ابن عمر رضي الله عنهما يفعل قال
عبيد الله بن عمر عن نافع كان ابن عمر اذا قدم من سفر اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابا بكر السلام عليك يا
ابتاه ثم ينصرف قال عبيد الله ما علمنا احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فعل
ذلك الا ابن عمر وهذا يدل على انه لا يقف عند القبر للدعاء اذا سلم كما يفعله كثير قال
شيخ الاسلام ان ذلك لم ينقل عن احد من الصحابة فكان بدعة محضة وفي المبسوط
قال مالك لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يسلم ويمضي والحكاية
التي رواها القاضي عياض باسناده عن مالك في قصة مع منصور وانه قال
لمالك يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم الى الله يوم القيمة
بل استقبله واستشفع به يشفعه الله فيك ضعيفة او موضوعة لان في اسنادها
من يتهم كمحمد ابن حميد ومن تجهل حاله ونص احمد انه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة
عن يساره لئلا يستدبره وذلك مع تحيته والسلام عليه فظاهر هذا انه يقف للدعاء
بعد السلام وذكر اصحاب مالك انه يدعو استقبال القبلة يوليه ظهره وبالجملة فقد
اتفق الايمة على انه اذا دعا لا يستقبل القبر وتنازعوا هل يستقبل عند السلام عليه
ام لا ومن الحجة في ذلك ما روى ابن زبالة وهو واهي في اخبار المدينة عن عمر ابن هارون

عن سلمة ابن وردان وهما ساقطان قال رايت انس ابن مالك يسلم على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم يسند ظهره الى جدار القبر ثم يدعوا وفي الحديث دليل على منع شد
الرحال الى قبره صلى الله عليه وسلم والى غيره من القبور والمشاهد لان ذلك من
اتخاذها اعيادا بل من اعظم اسباب الشرك باصحابها كما وقع من عباد القبور
الذين يشدون اليها الرحال وينفقون في ذلك الكثير من الاموال وليس لهم مقصود
الا مجرد الزيارة للقبور تبركا بتلك التراب والجدران فوقعوا في الشرك وهذه
هي المسئلة التي افتى فيها شيخ الاسلام اعني من سافر لمجرد زيارة قبور الانبياء
والصالحين ومشاهدهم ونقل فيها اختلاف العلماء في الاباحة والمنع فمن مبيح
لذلك كابي حامد الغزالي وابي محمد المقدسي ومن مانع لذلك كابن بطة وابن عقيل
وابي محمد الجويني والقاضي عياض وهو قول الجمهور نص عليه مالك ولم يخالفه احد
من الائمة وهو الصواب فقام عليه بعض المعاصرين له كالسبكي ونحوه فنسبه الى انكار
الزيارة مطلقا وهو لا ينكر منها الا ما كان بشد رحل كما انكره جمهور العلماء قبله او
الزيارة التي يكون فيها دعاء الاموات والاستغاثة بهم في الملمات مع ما ينضم
الى ذلك من انواع المنكرات ومما يدل على النهي من شد الرحال الى القبور ونحوها
ما اخرجاه في الصحيحين عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة
مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى فدخل في ذلك شدها لزيارة القبور
والمشاهد فاما ان يكون نهيا واما ان يكون نفيا للاستحباب وقد جاء في رواية في
الصحيح بصيغة النهي صريحا فتعين ان يكون للنهي ولهذا فهم منه الصحابة المنع كما في
الموطا والسنن عن بصرة ابن ابي بصرة الغفاري انه قال لابي هريرة وقد اقبل من الطور
لو ادركتك قبل ان تخرج لما خرجت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تعمل
المطي الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى رواه الامام
احمد وعمر ابن شبة في اخبار المدينة باسناد جيد عن قزعة قال اتيت ابن عمر فقلت

اني اريد الطور فقال انما تشد الرحال الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد المدينة
والمسجد الاقصى فدع عنك الطور فلا تاته وروى احمد وعمر بن شبة ايضا عن شهر ابن
حوشب قال سمعت ابا سعيد وذكر عنده الصلاة في الطور فقال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا ينبغي ان تشد رحالها الى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجدي
هذا والمسجد الاقصى فابو سعيد جعل الطور مما نهي عن شد الرحال اليه مع ان
اللفظ الذي ذكره انما فيه النهي عن شد الها الا المساجد فدل على انه علم ان غير المساجد
اولى بالنهي والطور انما يسافر من يسافر اليه لفضيلة البقعة وان الله تعالى سماه الوادي
المقدس والبقعة المباركة وكلم الله موسى هناك وهذا ظاهر لا يخفى على احد ممن
يقول بنحو الخطاب وتنبيهه وهم الجمهور الائمة الاربعة واتباعهم ولهذا لم يوجبوا
على من نذر ان يسافر الى المشاهد قبور الانبياء قبورهم او غير قبورهم الوفاء لذلك
بل لو سافر الى مسجد قبا من بلد بعيد لم يكن هذا مشروعا باتفاق الائمة الاربعة مع ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان ياتيه كل سبت راكبا وماشيا وان كان في وجوب الوفاء
بنذر اتيانه خلاف والجمهور على انه لا يجب وقد صرح مالك وغيره بان من نذر السفر
الى المدينة النبويه ان كان مقصوده الصلاة بمجرد زيارة القبر من غير صلاة في المسجد
لم يف بنذره قال لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد
ذكره اسماعيل ابن اسحق في المبسوط معناه في المدونة والجلاب وغيرهما من كتب
اصحاب مالك وبالجملة فقد تنازع العلماء في جواز شد الرحال الى غير المساجد الثلاثة
فالجمهور على المنع وطائفة من المتاخرين على الجواز فاستحباب شد الرحال الى القبور
والمشاهد والتقرب به الى الله كما ظنه السبكي وغيره قول مبتدع مخالف للاجماع قبله
والاحاديث التي احتج بها الحديث من زارني بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي ونحوها
لا يصح منها شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من اصحابه البتة بل هي
ما بين ضعيف وموضوع او كلها موضوعة كما قد بين عللها شيخ الاسلام وغيره

من العلماء لا انه محمول وكثير منها لا يدل على محل النزاع اذ ليس فيه الا مطلق الزيارة
وذلك لا ينكره شيخ الاسلام ولا غيره من العلماء لانه محمول على الزيارة الشرعية
المجردة على وفق مراد الرسول صلى الله عليه وسلم وهي التي لا يكون فيها شرك
ولا سفر رحل الى قبر وبتقدير ثبوتها لا تدل على شد الرحال الى قبر غيره والسبكي
اجاز ذلك في سائر القبور مخالف الاحاديث وفرق الاجماع فانه اعلم قال
المصنف وفيه انه صلى الله عليه وسلم في البرزخ تعرض عليه اعمال امته في الصلاة
والسلام قوله رواه في المختارة المختارة كتاب جمع فيه مؤلفه الاحاديث الجياد
الزائدة في الصحيحين ومؤلفه هو ابو عبد الله محمد ابن عبد الواحد المقدسي
الحافظ ضياء الدين الحنبلي احد الاعلام وحفاظ الحديث قال الذهبي انتهى عمر
في هذا الشان مع الدين المتين والورع والفضيلة التامة والثقة والاتقان
انتفع الناس بتصانيفه والمحدثون بكتبه فالله يرحمه ويرضى عنه وقال شيخ
الاسلام تصحيحه في مختارته خير من تصحيح الحاكم بلا ريب مات سنة ثلاث وار
بعين وستمائة باب ما جاء ان بعض هذه الامة يعبد الاوثان
اراد المصنف بهذه الترجمة الرد على عباد القبور الذين يفعلون الشرك ويقولون
انه لا يقع في هذه الامة المحمدية وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله فبين
في هذا الباب من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ما يدل على وقوع الشرك
في هذه الامة ورجوع كثير منها الى عبادة الاوثان وان كانت طائفة منها لا تزال
على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي امر الله تبارك وتعالى قال وقوله تعالى
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا اي اعطوا نصيبا اي
حظا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت روى الامام احمد عن ابن عباس قال
لما قدم كعب ابن الاشرف مكة قالت قريش الا ترى الى هذا الصنبر المنبتر من قومه

يزعم انه خير منا ونحن اهل الحجيج واهل السدانة واهل السقاية قال انتم خير قال
فنزلت فيهم ان شانئك هو الابتر ثم نزل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
اي نصيرا وروى ابن ابي حاتم عن عكرمة قال جاء حيي ابن اخطب وكعب ابن الاشرف
من اليهود الى مكة فقالوا لهم انتم اهل الكتاب واهل العلم فاخبرونا عنا وعن محمد
فقالوا اما انتم ومحمد فقالوا نحن نصل الارحام ونحن الكوماء ونسقي الماء على اللبن
ونفك العناة ونسقي الحجيج ومحمد صنبور قطع ارحامنا واتبعه سراق الحجيج من
غفار فنحن خير ام هو فقالوا انتم خير واهدى سبيلا فانزل الله الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا
هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الجبت
السحر والطاغوت الشيطان وكذلك قال ابن عباس وابو العالية ومجاهد
والحسن وغيرهم وعن ابن عباس وعكرمة وابي مالك الجبت الشيطان زاد ابن عباس
بالحبشية وعن ابن عباس ايضا الجبت الشرك وعنه الجبت الاصنام وعنه الجبت
حيي ابن اخطب وعن الشعبي الجبت الكاهن وعن مجاهد الجبت كعب ابن الاشرف
قلت الظاهر انه يعم ذلك كله كما قال الجوهري الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن
والساحر ونحو ذلك وفي الحديث الطيرة والعيافة والطرق من الجبت قال وهذا
ليس من محض العربية لاجتماع الجيم والباء في حرف واحد من غير حرف ذولقي قال
المصنف وفيه معرفة الايمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع هل اعتقاد
قلب او هو موافقة اصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها واما الطاغوت فتقدم
الكلام عليه في اول الكتاب قال وقوله تعالى قل انبئكم بشر من ذلك مثوبة
عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت
يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزوا
ولعبا من اهل الكتاب الطاعنين في دينكم الذي هو توحيد الله وافراده بالعبادة دون

ماسواه هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله اي هل اخبركم بشر جزاء عند الله يوم
القيمة مما تظنونه بنا هم ايها المتصفون بهذه الصفات المذمومة المفسرة بقوله
من لعنه الله اي ابعده وطرده من رحمته وغضب عليه اي غضبا لا يرضى بعده وجعل
منهم القردة والخنازير اي مسخ منهم الذين عصوا امره فجعلهم قردة وخنازير كما
قال تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
وذلك ان الله تعالى اخذ عليهم تعظيم السبت والقيام بامره وترك
الاصطياد فيه وكانت الحيتان لا تاتيهم الا يوم السبت فتحيلوا على اصطيادها
فيه بما صنعوه لها من المشصوص والحبائل والشبك يوم السبت فلما جاءت الحيتان
يوم السبت على عادتها نشبت بتلك الحبائل فلم تخلص منها يومها ذلك فلما كان
الليل اخذوها بعد قضاء السبت فلما فعلوا ذلك مسخهم الله تعالى الى صورة القردة
وهي اشبه شيء بالانسي في الشكل الظاهر وليست بانسان حقيقة فكذلك اعمال
هؤلاء وحيلتهم كانت مشابهة للحق في الظاهر ومخالفة له في الباطن فكان جزاؤهم
من جنس عملهم قال العوفي عن ابن عباس في قوله فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
فجعل الله منهم القردة والخنازير فزعم ان شباب القوم صاروا قردة والمشيخة
صاروا خنازير وروى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن القردة والخنازير اهي مما مسخ الله فقال ان الله لم يهلك قوما او
قال لم يمسخ قوما فيجعل لهم نسلا ولا عاقبة وان القردة والخنازير كانت
قبل ذلك وفي هذه القصة دليل قاطع على تحريم الحيل التي يتوصل بها الى تحليل
الحرام وتحريم الحلال ونحو ذلك وقوله وعبد الطاغوت قال شيخ الاسلام الصواب
انه معطوف على قوله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير فهو
فعل ماض معطوف على ما قبله من الافعال الماضية اي من لعنه الله وغضب عليه ومن
جعل منهم القردة والخنازير ومن عبد الطاغوت لكن الافعال المتقدمة الفاعل فيها

اسم الله مظهرا ومضمرا وهنا الفاعل اسم من عبد الطاغوت وهو الضمير في عبد ولم
يعد سبحانه لفظ من لانه جعل هذه الافعال كلها صفة لصنف واحد وهم
اليهود قال وقوله قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا يخبر تعالى
عن الذين غلبوا على امر اصحاب الكهف انهم قالوا هذه المقالة لنتخذن عليهم
مسجدا وقد حكى ابن جرير في القائلين لذلك قولين احدهما انهم المسلمون
والثاني انهم المشركون وعلى القولين فهم مذمومون لانه النبي صلى الله
عليه وسلم قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبياءهم وصالحيهم
مساجد يحذر ما فعلوا رواه البخاري ومسلم ولما يفضي اليه ذلك من الاشراك
باصحابنا كما هو الواقع وهذا مما فعلته اليهود والنصارى جرى ذلك الى الشرك
فدل ذلك على ان هذه الامة تفعله كما فعلته اليهود والنصارى فيجرها ذلك الى
الشرك لان ما فعلته اليهود والنصارى ستفعله هذه الامة شبرا بشبر وذراعا
بذراع كما اخبر بذلك الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى وبهذا يظهر وجه استشهاد المصنف بهذه الايات قال عن ابي سعيد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة
بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى
قال فمن اخرجاه هذا الحديث اورده المصنف بهذا اللفظ معزو للصحيحين ولعله نقله
عن غيره ولفظهما اي السياق لمسلم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو
دخلوا جحر ضب لدخلتموه لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن
ويحتمل ان يكون مرويا عند غيرهما بلفظ الذي ذكره المصنف واراد اصله لا لفظه
قوله لتتبعن هو بضم العين وتشديد النون قوله سنن بفتح المهملة اي
طريق من كان قبلكم اي الذين قبلكم قال المهلب الفتح اولى وقال ابن التين قرأناه

بضمها قوله حذو القذة بالقذة هو بنصب حذو على المصدر والقذة بضم القاف
واحدة القذذ وهي ريش السهم وله قذتان متساويتان اي لتفعلن افعالهم
ولتتبعن طرائقهم حتى تشبهوهم وتحاذوهم كما تشبه قذة السهم القذة الا
خر وفيه ان هذا القطع بمعناه النهي عن متابعتهم ومنعهم من الالتفات لغير
دين الاسلام لان نوره قد بهر الانوار وشريعته نسخت الشرائع وهذا من معجزاته
فقد اتبع كثير من امته سنن اليهود والنصارى وفارس في شيمهم ومراكبهم و
ملابسهم واقامة شعارهم في الاديان والحروب والعادات من زخرفة المسا
جد وتعظيم القبور واتخاذها مساجد حتى عبدوها ومن فيها من دون الله واقامة
الحدود والتعزيرات على الضعفاء دون الاقوياء وترك العمل يوم الجمعة والتسليم
بالاصابع وعدم عيادة المريض يوم السبت والسرور بخمس البيض وان الحائض
لا تمس عجينا واتخاذ الاحبار والرهبان اربابا من دون الله والاعراض عن كتاب
الله والاقبال على كتب الضلال من السحر والفلسفة والكلام والتكذيب بصفات
الله التي وصف بها نفسه او وصف بها رسوله صلى الله عليه وسلم ووصفه بما لا يليق به
من النقائص والعيوب الى غير ذلك مما اتبعوا فيه اليهود والنصارى قوله حتى
لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه الجحر بضم الجيم بعدها حاء مهملة معروف وفي حديث اخر
حتى لو كان فيهم من اتى امه علانية لكان في امتي من يصنع ذلك وفي حديث اخر حتى
لو ان احدهم جامع امراته بالطريق لفعلتموه كما صحت بذلك الاحاديث فاخبر انه
امته ستفعل ما فعلته اليهود والنصارى وفارس من الاديان والعادات والا
خلاق قال شيخ الاسلام هذا خرج مخرج الذم لمن يفعله كما كان يخبر عما
يكون بين يدي الساعة من الاشراط والامور المحرمة وقال غيره وجميع ذلك ان كفر
اليهود اشد من جهة عدم العمل بعلمهم فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه عملا ولا قولا
وكفر النصارى من جهة عملهم بلا علم فهم يجتهدون في اصناف العبادات بلا شريعة

من الله ويقولون ما لا يعلمون ففي هذه الامة من كل واحد من الفريقين ولهذا كان
السلف كسفيان ابن عيينة يقولون من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد
من عبادنا ففيه شبه من النصارى وقضاء الله وقدره بما اخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم
بما سبق في علمه لكن ليس الحديث اخبارا عن جميع الامة لما تواتر عنه انها لا تجتمع على
ضلالة قوله قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن هو يرفع اليهود خبر
مبتدا محذوف اي اهم اليهود والنصارى الذين نتبع سنتهم وقوله قال فمن استفهام
انكاري اي فمن هم غيرهم ولذلك لم انه فسر هنا باليهود والنصارى وفي رواية ابي هريرة
في البخاري بفارس والروم ولا تعارض كما قال بعضهم لاختلاف الجواب بحسب
اختلاف المقام فحيث قيل فارس والروم كان ثم قرينة تتعلق بالحكم بين الناس
وسياسة الرعية وحيث قيل اليهود والنصارى كان هناك قرينة تتعلق بامور
الديانات اصولها وفروعها كذا قال ولا يلزم وجود قرينة بل الظاهر انه اخبر
ان هذه الامة ستفعل ما فعلته الامم قبلها من الديانات والعادات والسياسات
مطلقا والتفسير ببعض الامم لا ينبغي له التفسير بامة اخرى اذ المقصود التمثيل والحصر
ووجه مطابقة الحديث للترجمة واضح لان الامم قبلنا وجد فيها الشرك فكذلك
يوجد في هذه الامة كما هو الواقع قال ولمسلم عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الله زوى لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وان امتي سيبلغ ملكها
ما زوي لي منها واعطيت الكنزين الاحمر والابيض واني سألت ربي لامتي ان لا
يهلكها بسنة عامة ولا يسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم وان
ربي قال يا محمد اذا قضيت قضاء فانه لا يرد واني اعطيتك لامتك ان لا اهلكها
بسنة عامة ولا اسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم
من بافطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا ورواه البرقاني في
صحيحه وزاد وانما اخاف على امتي من الائمة المضلين واذا وقع عليهم السيف لم يرفع

الى يوم القيمة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من امتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من
امتي الاوثان وانه سيكون في امتي كذابون ثلاثة كلهم يزعم انه نبي وانا خاتم
النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من امتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم
لهم حتى يأتي امر الله تبارك وتعالى هذا الحديث رواه ابو داود في سننه وابن ماجة
بالزيادة التي ذكرها المصنف ورواه الترمذي مختصرا بعضها قوله عن ثوبان هو ثو
بان مولى النبي صلى الله عليه وسلم صحبه ولازمه ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة اربع
وخمسين قوله زوى لي الارض قال النووي زويت الشيء جمعته وقبضته يريد به
تقريب البعيد منها حتى اطلع عليها اطلاعه على القريب وحاصله انه طوى له الارض و
جعلها مجموعة هيئة كفي مرآة نظره وقال القرطبي اي جمعها لي حتى ابصرت ما تملكه
امتي من اقصى المشارق والمغارب منها وظاهر هذا اللفظ يقتضي ان الله تعالى قوى ادراك
بصره ورفع عنه الموانع المعتادة فادرك البعيد من موضعه كما ادرك بيت المقدس من
مكة واخذ يخبرهم عن اياته وهو ينظر اليه وكما قال واني لابصر قصر المدائن الابيض و
يحتمل ان يكون مثلها اسرى له والاولى اولى قوله وان امتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها
قال القرطبي هذا الخبر وجد مخبره كما قاله فكان ذلك من دلائل نبوته وذلك ان ملك امته اتسع
الى ان بلغ اقصى بحر طنجة بالنون والجيم الذي هو منتهى عمارة المغرب الاقصى المشرق من وراء
خراسان والهند وكثير من بلاد الهند والسند والصغد ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة
الجنوب والشمال ولذلك لم يذكر عليه السلام انه اراه ولا اخبر ان ملك امته يبلغه وقوله
زوي يحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وان يكون مبنيا للمفعول والاول اظهر قوله وا
عطيت الكنزين الاحمر والابيض قال القرطبي يعني بهما كنز كسرى وهو ملك الفرس وكنز
قيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما وقد دل على ذلك قوله عليه السلام حين
اخبر عن هلاكهما والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله وعبر بالأحمر عن كنز
قيصر لان الغالب عندهم كان الذهب وبالأبيض عن كنز كسرى لان الغالب عندهم

كان

كان الجوهر والفضة وقد ظهر ذلك ووجد كذلك في زمان الفتوح في امارة عمر رضي الله
عنه فانه سيق اليه تاج كسرى وحليته وما كان في بيوت اموالهم وجميع ما حوته مملكته
على سعتها وعظمتها وكذلك فعل الله بقيصر لما فتحت بلاده كذا قال فالغالب على كنوز
كسرى وقيصر وعكس ذلك النور بشيء والخلخالي والابيض والاحمر منصوبان على البدل
قوله واني سألت ربي لامتي ان لا يهلكها بسنة عامة هكذا ثبت في اصل المصنف
بعامة بالباء وهي رواية صحيحة في اصل مسلم وفي بعض اصوله بسنة عامة بحذفها
قال القرطبي وكانها زائدة لان عامة صفة لسنة فكانه قال بسنة عامة وبعني
بالسنة الجدب العام الذي يكون به الهلاك العام ويسمى الجدب والقحط سنة
ويجمع على سنين كما قال تعالى ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين اي بالجدب المتوالي
قوله من سوى انفسهم اي من غيرهم يعني الكفار قوله فيستبيح بيضتهم قال الجوهري
بيضة كل شيء حوزته وبيضة القوم ساحتهم وعلى هذا فيكون معنى الحديث ان الله
تعالى لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والا
رض ولو اجتمع عليهم كل من بين اقطار الارض وهي جوانبها وقيل بيضتهم معظمهم
وجماعتهم قلت وهذا هو الظاهر وان الله تعالى لا يسلط الكفار على معظم المسلمين
وجماعتهم وامامهم ما داموا بعد هذه الاوصاف المذكورة في قوله حتى يكون
بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا فاما اذا وجدت هذه الاوصاف فقد
يسلط الكفار على جماعتهم ومعظمهم وامامهم كما وقع قوله وان ربي قال يا محمد اذا
قضيت قضاء فانه لا يرد قال بعضهم اي اذا احكمت حكما بر ما فانه نافذ لا يرد بشيء
ولا يقدر احد على رده بل كل جميع الخلق تمضي عليهم الاقدار طوعا وكرها كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم لا راد لما قضيت قلت الظاهر انه سواء في ذلك المبرم والمعلق فا
لكل لا يرد فان هذا اخبار عن عدم الرد لجنس القضاء والنبي صلى الله عليه وسلم سال
ذلك مطلقا فاجيب بهذا واستجاب له دعاه مالم يوجد الشرط المقتضي لتسليط العدو

فاذا وجد ذلك وجد القضاء المعلق قوله حتى يكون بعضهم يهلك بعضا الى اخره
اي حتى يوجد ذلك منهم فان وجد فانه يسلط عليهم عدوهم من الكفار فيستبيح
جماعتهم واماهم ومعظمهم لأكل الامة ثم ايضا تكون العاقبة لهذه الامة ان
رجعوا عما هم فيه من الأسباب الموجبة للتسليط وكذا وقع فان هذه الامة
لما جعل باسها بينها اقتتلوا فاهلك بعضهم بعضا وسبى بعضهم بعضا فلما
فعلوا ذلك تفرقت جماعتهم واشتغل بعضهم ببعض عن جهاد العدو واستولى
كما وقع ذلك في المائة السابعة في المشرق والمغرب فاختلفت ملوك الشرك
وتخاذلوا واستولى التتار على غالب ارض خراسان وعلى العراق وديار الروم
وقتلوا الخليفة والعلماء والملوك الكبار وكذلك ملوك المغرب اختلفوا و
تخاذلوا واستولت الأفرنج على جميع بلاد الاندلس والجزر القريبة منها فهي
في ايديهم الى اليوم بل استولوا على كثير من بلدان الشام وسواحله حتى استنقذها
منهم صلاح الدين ابن ايوب وغيره قوله ورواه البرقاني في صحيحه البرقاني هو
الحافظ الكبير ابو بكر احمد بن محمد ابن احمد ابن غالب الخوارزمي الشافعي ولد سنة
ست وثلاثين وثلاثمائة ومات سنة خمس وعشرين واربعمائة قال الخطيب كان
ثابتا ورعا لم ير في شيوخنا اثبت منه عارفا بالفقه كثير التصنيف صنف مسندا
ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة و
كان حريصا على العلم منصرفا الهمة اليه قلت وهذا المسند الذي ذكره الخطيب هو
صحيحه الذي عزا اليه المصنف قوله وانما اخاف على امتي الأئمة المضلين اي الامراء
والعلماء والعباد الذين يقتدي بهم الناس ويحكمون فيهم بغير علم فيضلون و
يضلون فهم ضالون عن الحق مضلون لغيرهم كما قال تعالى عن النار حتى اذا الدارك
فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا
من النار وقال تعالى ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وقال

تعالى قل هل ننبئكم بالأخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا ولشدة الضرورة الى اتباع ائمة الهدى ومعرفتهم
والتفريق بينهم وبين ائمة الضلال المغضوب عليهم والضالين امرنا الله ان
نسأله الهداية الى سلوك صراط ائمة الهدى وهم المنعم عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم الذين يعلمون الحق
ولا يعملون به ولا الضالين الذين يعملون على غير شريعة من الله بل بما تهوى
انفسهم فصراط المنعم عليهم هو الجامع بين العلم بالهدى والعمل به وقد وصف
النبي صلى الله عليه وسلم ائمة الهدى لما ذكر التفرق من بعده بانهم الذين كانوا على
ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فهم من الأئمة المهديين ومن خالفهم
فهو من الضالين كالذي يقول لاصحابه من كانت له حاجة فليات الى قبري فاني
اقضيها له ولا خير في رجل يحجبه عن اصحابه ذراع من تراب او نحو هذا وكالذي
يدعي انه يخلص اصحابه ومريديه من النار وانه يحفظ الناس ويكلاهم اذا اعتقدوه
ويضرهم اذا كفروا به وحاربوه ويدعي ان ذلك من كرامانه وكالذي يمشي في الاء
سواق عريانا ولا يشهد صلاة ولا ذكر الله ولا علما بل يعيب علماء الشرع ويغمزهم
ويسميهم اهل علم الظاهر ويدعي انه صاحب علم الباطن وربما يدعي انه يسعه الخروج
من شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليه السلام
ونحو ذلك من الكفر والهذيان وكالذي يدعي ان العبد يصل الى الله الى حال تسقط
عنه التكاليف او يدعي ان الاولياء يدعون ويستغاث بهم في حياتهم ومماتهم
وانهم ينفعون ويضرون ويدبرون الأمور على سبيل الكرامة وانه يطلع على
اللوح المحفوظ ويعلم اسرار الناس وما في ضمائرهم او يجوز بناء المساجد على
القبور الأنبياء والصالحين وايقادها بالسرج والشموع وكسوتها بالحرير و
الديباج والفرش النفيسة او يدعي ان من عمل بالقرآن والسنة في اصول الدين

وفروعه فقد ضل واضل وابتدع اوان ظواهر القران في ايات الصفات تشبيه
وتمثيل وان الهدى لا يؤخذ منه في هذا الباب ولا في غيره وانما يؤخذ من الشبهات
الوهمية التي يسميها بزعمه براهين عقلية فكل هؤلاء واشباههم من ائمة
الضلال الذين خاف النبي صلى الله عليه وسلم على امته وحذر منه والضابط في الفرق
بين ائمة المتقين وبين الائمة المضلين قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان
تولوا فان الله لا يحب الكافرين فافهم عن ربك وكن على بصيرة ولا يغرنك جلالة
شخص او عظمته في النفوس فربك اعظم واتباعك لكلامه وكلام رسوله صلى الله
عليه وسلم هو الفرض والعصمة منتفية عن غير الرسول وربك ادرى بما في الضمائر
فرب من تعتقده ام هدى ليس كذلك وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون فكل
من اتى بشيء مخالف ما جاء عن الله وعن رسوله فهو من هؤلاء الذين لا يعلمون
ومن لم يستجب الرسول صلى الله عليه وسلم فانما يتبع هواه قال الله تعالى فان لم
يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى
من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقال تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم
ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون وعن زياد ابن حدير قال قال
لي عمر هل تعرف ما يهدم الاسلام قلت لا قال يهدمه زلة العالم وجدال
المنافق بالكتاب وحكم الائمة المضلين رواه الدارمي وقال يزيد بن عميرة كان
معاذ ابن جبل لا يجلس مجلسا للذكر الا قال حين يجلس الى حكم قسط هلك
المرتابون الحديث وفيه واحذروا زيغة الحكيم فان الشيطان قد يقول الضلالة
على لسان الحكيم وقد يقول المنافق كلمة الحق قلت لمعاذ ما يدريني رحمك الله
ان الحكيم قد يقول كلمة الضلالة وان المنافق قد يقول كلمة الحق قال اجتنب

في الحكم

من كلام الحكيم المشتبهات التي يقال ما هذه ولا يثنيك ذلك عنه فانه لعله يراجع
الحق وتلق الحق اذا سمعته فان على الحق نورا رواه ابو داود وغيره وما احسن ما
قال ابن المبارك رضي الله عنه واهل افساد الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها قوله واذا وقع عليهم السيف لم يرفع الى يوم القيمة اي اذا وقعت الفتنة
والقتال بينهم بقي الى يوم القيمة وكذلك وقع فان السيف لما وضع فيهم بقتل
عثمان رضي الله عنه لم يرتفع الى اليوم وكذلك يكون الى يوم القيمة ولكن يكثر
تارة ويقل تارة اخرى ويكون في جهة ويرتفع عن اخرى قوله ولا تقوم الساعة
حتى يلحق حي من امتي بالمشركين الحي واحد الاحياء هي القبائل وفي رواية ابي داود
ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من امتي بالمشركين والمعنى انهم يرتدون معهم
في ديارهم ويصيرون منهم بالردة ونحوها قوله وحتى تعبد فئام من امتي
الاوثان الفئام مضموم الجماعات الكثيرة قاله ابو السعادات وفي رواية ابي
داود وحتى تعبد قبائل من امتي الاوثان ومعناه ظاهر وهذا هو شاهد الترجمة ففيه الرد على من قال بخلافه من عباد القبور الذين ينكرون وقوع الشرك
وعبادة الاوثان في هذه الامة وفي معنى هذا ما في الصحيحين عن ابي هريرة
مرفوعا لا تقوم الساعة حتى تضطرب الايات نساء دوس على ذي الخلصة قال
وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية وروى ابن حبان
عن معمر قال ان عليه الان بيتا مبنيا مغلقا وفي صحيح مسلم عن عائشة مرفوعا
لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى وقيل ان القبر المنسوب الى ابن
عباس بالطائف انه قبر اللات وكانوا يعبدونه ويطوفون به ويقربون له القرابين ويندرون له النذور ويسألونه قضاء حاجاتهم وتفريج كرباتهم قوله
وانه سيكون في امتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي قال القرطبي وقد جاء
عددهم معينا في حديث حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون

في امتي كذابون دجالون سبع وعشرون منهم اربع نسوة اخرجه ابو نعيم وقال
هذا حديث غريب تفرد به معاوية ابن هشام قلت حديث ثوبان اصح من
هذا قال القاضي عياض عد من تنبأ من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الآن ممن اشتهر بذلك وعرف وتبعه جماعة على ضلالته فوجد هذا العدد
فيهم ومن طالع كتب الاخبار والتواريخ عرف صحة هذا وقال الحافظ قد ظهر
مصداق ذلك في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فخرج مسيلمة الكذاب باليمامة
والاسود العنسي باليمن ثم خرج في خلافة طلحة ابن خويلد في بني اسد ابن خزيمة
وسجاح التميمية في بني تميم وقتل الأسود قبل ان يموت النبي صلى الله عليه وسلم
وقتل مسيلمة في خلافة ابي بكر رضي الله عنه وتاب طلحة ومات على الاسلام
على الصحيح في زمن عمر رضي الله عنه ونقل ان سجاح تابت ايضا ثم خرج المختار
ابن ابي عبيد الثقفي وغلب على الكوفة في اول خلافة ابن الزبير فاظهر محبة اهل
البيت ودعى الناس لاطلب قتل الحسين فتتبعهم فقتل من باشر ذلك او
اعان فاحبه الناس ثم انه زين له الشيطان ان ادعى النبوة وزعم ان جبريل
عليه السلام يأتيه ومنهم الحارث الكذاب خرج في خلافة عبد الملك ابن مروان
فقتل وخرج في خلافة بني العباس جماعة وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة
مطلقا فانهم لا يحصون كثرة لكون غالبهم ينشأ عن جنون او سوداء وانما
المراد من قامت له شوكة وبدت له شبهة كمن وصفنا وقد اهلك الله تعالى
من وقع له منهم ذلك وبقي منهم يلحقه باصحابه واخرهم الدجال الاكبر قوله وانا
خاتم النبيين الخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى فاعل الطبع والختم قال
الحسن خاتم الذي ختم به اي انه اخر النبيين كما قال تعالى ما كان محمد ابا احد من
رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وانما بين له عيسى ابن مريم عليه السلام
في اخر الزمان حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته فهو كاحاد امته

كما قال

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن فيكم ابن مريم حكما مقسطا
فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية قوله ولا تزال طائفة
من امتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم قال يزيد ابن
هرون واحمد ابن حنبل ان لم يكونوا اهل الحديث فلا ادري من هم وكذلك
قال انهم اهل الحديث عبد الله ابن المبارك وعلي ابن المديني واحمد ابن سنان
والبخاري وغيرهم وقال ابن المديني في روايتهم العرب واستدل برواية من
روى هم اهل الغرب وفسر الغرب بالدلو العظيمة لا العرب هم الذين يسقون
بها قلت ولا تعارض بين القولين اذ يمتنع ان تكون الطائفة المنصورة لا تعرف
الحديث ولا سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لا يكون منصورا على الحق الا من
عمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهم اهل الحديث من العرب وغيرهم
فان قيل فلم خصه بالعرب قيل المراد التمثيل لا الحصر اي ان العرب ان استقاموا
على العمل بكتاب الله وسنة رسوله فهم الطائفة المنصورة حال استقامتهم قال
القرطبي وفيه دليل على ان الاجماع حجة لان الامة اذا اجمعت فقد دخل فيهم الطائفة
المنصورة وقال المصنف وفيه الاية العظيمة انهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم
ولا من خالفهم والبشارة بان الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه
طائفة قوله حتى يأتي امر الله الظاهر ان المراد بامر الله ما روي من قبض من بقي
من المؤمنين بالريح الطيبة ووقوع الايات العظام ثم لا يبقى الا شرار الناس
كما روى الحاكم واصله في مسلم عن عبد الرحمن ابن شماسة ان عبد الله ابن عمرو قال
لا تقوم الساعة الا على شرار الخلق هم شر من اهل الجاهلية فقال عقبة ابن عامر لعبد الله
اعلم ما تقول واما انا فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال عصابة من
امتي يقاتلون على امر الله ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى تاتيهم الساعة وهم
على ذلك فقال عبد الله وبعث الله ريحا ريحها المسك ومسها مس الحرير فلا

تترك احدا في قلبه مثقال حبة من ايمان الا قبضه ثم يبقى شرار الناس فعليهم تقوم
الساعة وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود مرفوعا لا تقوم الساعة الا على شرار الناس
وفي صحيح ايضا لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله وذلك انما يقع
بعد طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وسائر الايات العظام وقد ثبت
ان الايات العظام مثل السلك اذا انقطع تتابع الخرز بسرعة رواه احمد ويؤيده
حديث عمران بن حصين مرفوعا لا تزال طائفة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين
على من ناواهم حتى يقاتل اخرهم الدجال رواه ابو داود والحاكم وعلى هذا فما
المراد بقوله في حديث عقبة وما اشبهه من الاحاديث حتى تاتيهم الساعة ساعتهم
وهي وقت موتهم بهبوب الريح ذكره الحافظ وهو المعتمد وقد اختلف في محل هذه
الطائفة فقال ابن بطال انها تكون ببيت المقدس وقال معاذ بن جبل رضي الله
عنهم بالشام وهذا قول اكثر الشارحين وفي كلام الطبري ما يدل على انه
لا يجب ان تكون في الشام او في بيت المقدس دائما بل الى ان يقاتلوا الدجال
بل قد تكون في موضع اخر لكن لا تخلوا الارض منها حتى ياتي امر الله قلت وهذا هو
الحق فانه ليس في الشام ولا في بيت المقدس منذ ازمان احد بهذه الصفات
بل ليس فيه الا عباد القبور واهل الفسق وانواع الفواحش والمنكرات ويمتنع ان
يكونوا هم الطائفة المنصورة وايضا فهم منذ ازمان لا يقاتلون احدا من اهل
الكفر وانما باسهم وقتالهم بينهم وعلى هذا فقوله في الحديث هم ببيت المقدس
وقول معاذ هم بالشام المراد انهم يكونون فيه بعض الازمان دون بعض وكذلك
الواقع فدل على ما ذكرنا قوله تبارك وتعالى قال ابن القيم البركة نوعان احدهما بركة
هي فعله تبارك وتعالى والفعل منها بارك ويتعدى بنفسه تارة وبادات على
تارة وباداة في تارة والمفعول منها مبارك وهو ما جعل كذلك فكان مباركا
يجعل تعالى والنوع الثاني بركة تضاف اليه اضافة الرحمة والعزة والفعل منها تبارك

وهذا

وهذا لا يقال لغيره ذلك ولا يصلح الا له عز وجل فهو سبحانه المتبارك وعبده ورسوله المبارك كما قال المسيح عليه السلام واجعلني مباركا اينما كنت فمن بارك الله فيه وعليه فهو المبارك واما صفته تبارك فمختصة به كما اطلقها على نفسه بقوله تبارك الله رب العالمين تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير افلا تراها كيف اطردت في القرآن جارية عليه مختصة به لا تطلق على غيره وجاءت على بناء السعة والمبالغة كتعالى وتعاظم ونحوهما فجاء بناء تبارك على بناء تفاعل الذي هو دال على كمال العلو ونهايته فكذلك تبارك دال على كمال بركته وعظمتها وسعتها وهذا معنى قول من قال من السلف تبارك تعاظم وقال ابن عباس جاء بكل بركة واعلم ان هذا الحديث يجمله مما عد من الأدلة على الشهادتين فان كل جملة منه وقعت كما اخبر بها صلى الله عليه وسلم

باب ما جاء في السحر

السحر في اللغة عبارة عما خفي ولطف سببه ولهذا جاء في الحديث ان من البيان لسحرا وسمي السحور سحورا لانه يقع خفيا آخر الليل وقال تعالى سحروا اعين الناس اي اخفوا عليهم علمهم لما كان السحر من انواع الشرك اذ لا يات السحر بدونه ولهذا جاء في الحديث ومن سحر فقد اشرك ادخله المصنف في كتاب التوحيد ليبين ذلك تحذيرا منه كما ذكر غيره من انواع الشرك قال ابو محمد المقدسي في الكافي السحر عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والابدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه ويأخذ احد الزوجين عن صاحبه قال الله تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وقال سبحانه قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق الى قوله ومن شر النفاثات في العقد يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن ولولا ان للسحر حقيقة لم يامر بالاستعاذة منه وروت عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى انه يخيل اليه انه يفعل الشيء وما يفعله وانه قال لها ذات يوم اتاني ملكان فجلس احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال ما وجع الرجل قال مطبوب قال من طبه

قال لبيد ابن اعصم في مشط ومشاطة في جف طلعة ذكر في بئر ذي اروان رواه البخاري
انتهى وقد زعم قوم من المعتزلة وغيرهم ان السحر تخييل لا حقيقة له وهذا ليس بصحيح
على اطلاقه بل منه ما هو تخييل ومنه ما له حقيقة كما يفهم مما تقدم قال وقول الله
تعالى ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق اي ولقد علم اليهود الذين
استبدلوا السحر عن متابعة الرسول والايمان بالله لمن اشتراه اي استبدل ما
تتلو الشياطين بكتاب الله ومتابعة رسله ما له في الاخرة من خلاق قال ابن عباس
من نصيب قال قتادة وقد علم اهل الكتاب فيما عهد الله اليهم ان الساحر لا خلاق له في الاخرة
وقال الحسن لبئس ما دين فدلت الاية على تحريم وهو كذلك بل هو محرم في جميع اديان الرسل
عليهم السلام كما قال تعالى ولا يفلح الساحر حيث اتى واستدل بها بعضهم على تحريم تعلمه
لعموم قوله لمن اشتراه يدل عليه قوله تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء
وزوجه وقد نص احمد على انه يكفر بتعلمه وتعليمه وروى عبد الرزاق عن صفوان
ابن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم شيئا من السحر قليلا كان او كثيرا
كان آخر عهده من الله وهذا مرسل واختلفوا هل يكفر الساحر او لا فذهب طائفة
من السلف الى انه يكفر وبه قال مالك وابو حنيفة واحمد قال اصحابه الا ان يكون
سحره بادوية وتدخين وسقي شيء يضر فلا يكفر وقيل لا يكفر الا ان يكون في سحره
شرك فيكفر وهذا قول الشافعي وجماعة قال الشافعي اذا تعلم السحر قلنا له صف لنا
سحرك فان وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده اهل بابل من التقرب الى الكواكب
السبعة وانها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر وان كان لا يوجب الكفر فان اعتقد
اباحته كفر وعند التحقيق ليس بين القولين اختلاف فان هم من لم يكفره لظنه انه يتاتى
بدون الشرك وليس كذلك بل يتاتى السحر الذي من قبل الشياطين الا بالشرك
وعبادة الشيطان والكواكب ولهذا سماه الله كفرا في قوله انما نحن فتنة فلا تكفر
وقوله وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا وفي حديث مرفوع رواه زرين الساحر

كافر

كافر وقال ابو العالية السحر من الكفر وقال ابن عباس في قوله انما نحن فتنة فلا
تكفر وذلك انهما علما الخير والشر والكفر والايمان فعرفا ان السحر من الكفر وقال
ابن جريج في الاية لا يجترئ على السحر الا كافر وا ما سحر الادوية والتدخين ونحوه
فليس بسحر وان سمي سحرا فعلى سبيل المجاز تسمية القول البليغ والنميمة سحرا
ولكنه حرام لمضرته ويعزر من يفعله تعزيرا بليغا قال وقوله يؤمنون بالجبت و
الطاغوت تقدم الكلام عليهما في الباب الذي قبله ووجه ايراده هنا ظاهر لان
السحر من الجبت كما قال عمر ابن الخطاب قال المصنف قال عمر ابن الخطاب الجبت
السحر والطاغوت الشيطان هذا الاثر رواه ابن ابي حاتم وغيره وفيه معرفة
الجبت والطاغوت والفرق بينهما قال وقال جابر الطواغيت كهان ينزل عليهم
الشيطان في كل حي واحد هذا الاثر رواه ابن ابي حاتم بنحوه مطولا عن وهب
ابن منبه قال سمعت جابر ابن عبد الله عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون اليها قال
ان في جهينة واحدا وفي اسلم واحدا وفي هلال واحدا وفي كل حي واحد وهم كهان
ينزل عليهم الشياطين قوله قال جابر هو ابن عبد الله ابن عمرو ابن حرام ابو
عبد الله الانصاري ثم السلمي بفتحتين صحابي جليل مكثر عن النبي صلى الله عليه وسلم
مات بالمدينة بعد السبعين وقد كف بصره وله اربع وتسعون سنة قوله الطوا
غيت كهان الى اخره المراد بهذا ان الكهان من الطواغيت لانهم الطواغيت لا غير
وقوله كان ينزل عليهم الشيطان اراد الجنس لا الشيطان الذي هو ابليس فقط
بل ينزل عليهم الشياطين ويخاطبونهم ويخبرونهم ببعض الغيب مما يسترقونه
من السمع فيصدقون مرة ويكذبون مائة قوله في كل حي واحد الحي واحد
الاحياء وهم القبائل اي في كل قبيلة من قبائل العرب كاهن يتحاكمون اليه
ويسئلونه عن الغيب وكذلك كان الامر قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
فابطل الله ذلك بالاسلام وحرست السماء بالشهب ومطابقة هذه الآية

الترجمة ظاهر من جهة ان الساحر طاغوت من الطواغيت اذا كان هذا الاسم يطلق
على الكاهن فالساحر اولى لانه اشر واخبث قال وعن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن
قال الاشراك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل
مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات
هكذا اورد المصنف هذا الحديث غير معزو وقد رواه البخاري ومسلم قوله اجتنبوا
اي ابعدوا وهو ابلغ من لا تفعلوا لان نهي القربان ابلغ من نهي المباشرة ذكره
الطيبي قوله السبع الموبقات بموحدة وقاف اي المهلكات وسميت هذه الكبائر
موبقات لانها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات وفي الاخرة
من العذاب قلت هكذا ثبت في هذه الرواية عد السبع الموبقات وكذلك
في كتاب عمرو ابن حزم الذي اخرجه النسائي وابن حبان في صحيحه والطبراني من طريق سليمان
ابن داود عن الزهري عن ابي بكر ابن محمد ابن عمرو ابن حزم عن ابيه عن جده قال
كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الفرايض والديات والسنن وبعث الله
مع عمرو ابن حزم الى اليمن الحديث بطوله وفيه وكان في الكتاب وان اكبر الكبائر الشرك
فذكر مثل حديث ابي هريرة سواء واخرجه البزار وابن المنذر من طريق عمر ابن ابي
سلمة ابن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة رفعه الكبائر الشرك بالله وقتل النفس
الحديث وذكر بدل السحر الاستقال الى الاعرابية بعد الهجرة وكذلك في حديث علي
عند الطبراني وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن الحسن قال الكبائر الاشراك بالله
فذكر مثل الاول سواء الا انه قال اليمين الفاجرة بدل السحر وفي حديث عمر عند
البخاري في الادب المفرد والطبري في التفسير وعبد الرزاق مرفوعا وموقوفا قال
الكبائر تسع فذكر السبعة المذكورة وزاد والالحاد في الحرم وعقوق الوالدين
واخرج اسماعيل القاضي بسند صحيح الى سعيد ابن المسيب قال هن عشر فذكر السبعة

التي في الاصل وزاد وعقوق الوالدين واليمين الغموس وشرب الخمر ولابن ابي حاتم عن
علي قال الكبائر فذكر السبع الاول اليتيم والعقوق والتعرب بعد الهجرة وفراق الجماعة
ونكث الصفقة وللطبراني عن ابي امامة انهم تذاكروا الكبائر فقالوا الشرك وقال
اليتيم والفرار من الزحف والسحر والعقوق وقول الزور والغلول والربا فقال رسو
لالله صلى الله عليه وسلم فان يجعلون الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا
وقد جاء في الحديث غير ما ذكر فجملة من الكبائر اليمين الغموس وشهادة الزور والأ
من من مكر الله والقنوط من رحمة الله وسوء الظن بالله والزنا والسرقة وغير ذلك قال
الحافظ ويحتاج عند هذا الى الجواب عن الحكمة في الاقتصار على سبع ويجاب بان
مفهوم العدد ليس بحجة وهو جواب ضعيف او بانه اعلم اولا بالمذكورات ثم اعلم بما
زاد فيجب الاخذ بالزائد وان الاقتصار وقع بحسب المقام بالنسبة لمسائل او من
وقعت له واقعة ونحو ذلك وقد اخرج الطبري واسمعيل القاضي عن ابن عباس انه قيل
له الكبائر سبع وسبع وفي رواية عنه هي الى السبعين اقرب وفي رواية الى السبع المائة
واذا تقرر ذلك عرف فساد من عرف الكبيرة بانها ما وجب فيها الحد لان اكثر المذ
كورات لا يجب فيها الحد انتهى وسياتي مزيد لذلك ان شاء الله قوله قال الشرك بالله
هو ان يجعل لله ندا يدعوه كما يدعو الله ويرجوه كما يرجو الله ويخافه كما يخاف الله وبدا به
لانه اعظم ذنب عصي الله به كما في الصحيحين عن ابن مسعود سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك الحديث قوله
والسحر تقدم معناه وهذا وجه ايراد المصنف لهذا الحديث في الباب قوله وقتل النفس
التي حرم الله اي حرم قتلها الا بالحق اي بفعل موجب للقتل كقتل المشرك المحارب
والنفس بالنفس والزاني بعد الاحصان كما قد تقع ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه
جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما وسواء في ذلك القتل عمدا
او شبه عمد كما صرح به طائفة من الشافعية خلافا لقتل الخطاء فانه لا كبيرة ولا صغيرة لانه

غير معصية قلت ويلحق بذلك قتل المعاهد كما صح في الحديث من قتل معاهدا لم يرح رائحة
الجنة الحديث قوله واكل الربا اي تناوله باي وجه كان كما قال تعالى الذين يأكلون الربا
لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس الى قوله ومن عاد فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون قال ابن دقيق العيد وهو محجوب لسوء الخاتمة نعوذ بالله من
ذلك قوله واكل مال اليتيم يعني التعدي فيه وعبر بالاكل لانه اعم وجوه الانتفاع كما
قال تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون
سعيرا قوله والتولي يوم الزحف اي الادبار من وجوه الكفار وقت ازدحام الطائفتين
في القتال وانما يكون كبيرة اذا فر الى غير فئة او غير متحوف لقتال كما قال تعالى يا ايها
الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره
الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير
قوله وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات هو بفتح الصاد المحفوظات من الزنا
وبكسرها الحافظات فروجهن منه والمراد الحرائر العفيفات ولا يختص بالمتزوجات
بل حكم البكر كذلك بالاجماع كما ذكره الحافظ الا ان كانت دون تسع سنين والمراد رميهن
بالزنا او اللواط والغافلات اي عن الفواحش وما رميت به لا خبر عندهن من ذلك
وهو كناية عن البريات لان الغافل بريء مما نبهت به من الزنا والمؤمنات اي بالله تعالى
احتراز عن قذف الكافرات فانه من الصغائر قال وعن جندب مرفوعا حد الساحر
ضربه بالسيف رواه الترمذي وقال الصحيح انه موقوف هذا الحديث رواه الترمذي
كما قال المصنف من طريق اسماعيل ابن مسلم المكي وقال بعد ان رواه لا نعرفه مرفوعا الا من
هذا الوجه واسمعيل ابن مسلم المكي يضعف في الحديث من قبل حفظه واسمعيل ابن مسلم
العبدي البصري قال وكيع هو ثقة ويروى عن الحسن ايضا والصحيح عن جندب موقوف
انتهى ورواه ايضا الدارقطني والبيهقي والحاكم وقال صحيح غريب وقال الترمذي في العلل
سألت عنه محمدا يعني البخاري فقال هذا لا شيء واسمعيل ضعيف جدا وقال الذهبي في الكبائر

الصحيح

الصحيح انه من قول جندب واشار مغلطاي الى انه وان كان ضعيفا يتقوى بكثرة طرقه
وقال خرجه جمع منهم البغوي في الكبير والصغير والطبراني والبزار ومن لا يحصى كثرة
قوله عن جندب ظاهر صنيع الطبراني في الكبير انه جندب ابن عبد الله البجلي من طريق
خالد العبد عن الحسن عن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وخالد العبد ضعيف
قال الحافظ والصواب انه غيره فقد رواه ابن قانع والحسن ابن سفيان من وجهين
عن الحسن عن جندب الخير ان جاء الساحر فضربه بالسيف حتى مات وقال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول فذكره وجندب الخير هو جندب ابن كعب وقيل جندب ابن
زهير وقيلهما واحد كما قاله ابن حبان ابو عبد الله الازدي الغامدي صحابي روى
ابن السكن من حديث بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يضرب ضربة فيكون امة
وحده قوله حد الساحر ضربه بالسيف روي بالهاء والتاء وكلاهما صحيح وبهذا الحديث
اخذ احمد ومالك وابو حنيفة فقالوا يقتل الساحر وروي ذلك عن عمر وعثمان
وابن عمر وحفصة وجندب ابن عبد الله وجندب ابن كعب وقيس ابن سعد وعمر ابن
عبد العزيز ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر الا ان عمل في سحره ما يبلغ الكفر وبه قال
ابن المنذر وهو رواية عن احمد والاول اولى للحديث ولاثر عمر الذي ذكره المصنف
وعمل به الناس في خلافته من غير نكير فكان اجماعا قال وفي صحيح البخاري عن بجالة
ابن عبدة قال كتب عمر ابن الخطاب ان اقتلوا كل ساحر وساحرة قال فقتلنا ثلاث
سواحر هذا الاثر رواه البخاري كما قال المصنف لكنه لم يذكر قتل السحرة ولفظه عن بجالة
ابن عبدة قال كنت كاتبا لجزء ابن معاوية عم الاحنف فاتانا كتاب عمر ابن الخطاب
قبل موته بسنة ففرقوا بين كل محرم من المجوس ولم يكن عمر اخذ الجزية من المجوس حتى شهد
عبد الرحمن ابن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها من مجوس هجر وعلى هذا فعزو
المصنف الى البخاري يحتمل انه اراد اصله لا لفظه ورواه الترمذي والنسائي مختصرا ورواه
عبد الرزاق واحمد وابو داود والبيهقي مطولا ورواه التعليق في الجزء الثاني من فوائده

لاجنب الخير الازدي قاتل
الساحر فانه ورد انه في توجمة
جندب البجلي

زيادة فقال حدثنا ابو اعلى بشر ابن موسى الاسدي حدثنا هودة ابن خليفة حدثنا عوف
عن عمار مولى بني هاشم عن بجالة ابن عبدة قال كتب الينا عمر ابن الخطاب ان اعرضوا علي من
كان قبلكم من المجوس ايدعوا انكاح امهاتهم وبناتهم واخواتهم ويأكلون جميعا كيما
نلحقهم باهل الكتاب ثم اقتلوا كل كاهن وساحر قلت واسناده حسن قوله عن بجالة
هو بضم الموحدة بعدها جيم ابن عبدة بفتحتين التميمي العبدي بصري ثقة قوله
كتب الينا عمر ابن الخطاب ان اقتلوا كل ساحر وساحرة الى آخره صريح في قتل الساحر والساحرة
وهو من حجج الجمهور القائلين بانه يقتل وظاهره انه يقتل من غير استتابة وهو كذلك
على المشهور عن احمد وبه قال مالك لان الصحابة لم يستتيبوهم ولان علم السحر لا يزول
بالتوبة وعن احمد يستتاب فان تاب قبلت توبته وخلي سبيله وبه قال الشافعي
لان ذنبه لا يزيد على الشرك والشرك يستتاب وتقبل توبته فكذا الساحر وعلمه
بالسحر لا يمنع توبته بدليل ساحر اهل الكتاب اذا اسلم وكذلك صح ايمان سحرة فرعون
وتوبتهم قلت الاول اصح لظاهر عمل الصحابة فلو كانت الاستتابة واجبة لفعلوها
او بينوها واما قياسه على المشرك فلا يصح لانه اكثر فسادا وتشبيهها من المشرك
وكذلك قياسه لا يصح على ساحر اهل الكتاب اذا اسلم لان الاسلام يجب ما قبله وهذا
الخلاف انما هو في اسقاط الحد عنه بالتوبة اما فيما بينه وبين الله وان كان صادقا
قبلت توبته قال وصح عن حفصة انها امرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت
هذا الاثر رواه مالك في الموطا عن محمد بن عبد الرحمن ابن سعيد ابن زرارة انه بلغه
ان حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وكانت قد دبرتها
فامرت بها فقتلت ورواه عبد الرزاق وحفصة هي ام المؤمنين بنت عمر ابن الخطاب
زوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد حنيس بن حذافة سنة ثلاث ومات سنة خمس واربعين
قال وكذلك صح عن جندب المراد به هنا قطعا جندب الخير الأزدي قاتل
الساحر وهو جندب ابن كعب ابن عبد الله قال ابو حاتم جندب ابن كعب قاتل الساحر

ويعتبر

ويقال جندب ابن زهير قاتل الساحر والصحيح انه غيره واشار المصنف بهذا الى قتله
للساحر كما رواه البخاري في تاريخه عن ابن عثمان النهدي قال كان عند الوليد رجل
يلعب فذبح انسانا وابان راسه فعجبنا فاعاد راسه فجاء جندب الازدي فقتله
ورواه البيهقي في الدلائل مطولا وفيه فقال الناس سبحان الله يحيي الموتى ورأى
رجل صالح من المهاجرين فنظر اليه فلما كان من الغد اشتمل على سيفه فذهب يلعب
لعبه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه وقال ان كان صادقا فليحي نفسه فامر
به الوليد فسجن وذكر القصة بتمامها ولها طرق كثيرة قوله قال احمد عن ثلاثة
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احمد هو الامام احمد ابن محمد ابن حنبل وقوله عن ثلاثة
اي صح قتل الساحر عن ثلاثة او جاء قتل الساحر عن ثلاثة من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم يعني عمر وحفصة وجندب والله اعلم باب بيان شيء من انواع السحر
لما ذكر المصنف ما جاء في السحر اراد هنا ان يبين شيئا من انواعه لكثرة وقوعها وخفا
ئها على الناس حتى اعتقد كثير من الناس ان من صدرت عنه هذه الامور فهو من
الاولياء وعدوها من كرامات الاولياء وآل الامر الى ان عبدوا اصحابها ورجي منهم
النفع والضر والحفظ والكلاية والنصر احياء واموتا بل اعتقد كثير من الناس من
هؤلاء ان لهم التصرف المطلق في الملك ولا بد من ذكر فرقان يفرق به المؤمن بين
ولي الله وبين عدو الله من ساحر وكاهن وعائف وزاجر ومتطير ونحوهم ممن قد
يجري على يديه شيء من الخوارق فاعلم انه ليس كل من جرى على يديه شيء من خوارق
العادة يجب ان يكون وليا لله تعالى لان العادة تخرق بفعل الساحر والمعوذ وخبر
المنجم والكاهن بشيء من الغيب مما يخبر به الشياطين المسترقون للسمع وفعل الشيا
طين لاناس ممن ينتسبون الى دين وصلاح ورياضة مخالفة للشريعة كاناس من
الصوفية وكرهبان النصارى ونحوهم فيطيرون بهم في الهوى ويمشون بهم على
الماء ويأتونهم بالطعام والشراب والدراهم وقد يكون ذلك بعزائم وترقا

شيطانية وبحيل وادوية كالذين يدخلون النار بحر الطلق ودهن الناريخ وقد يكون
برؤيا صادقة فيها ما يستدل به على وقوع ما لم يقع وهذه مشتركة بين ولي الله وعدوه
وقد يكون ذلك بنوع طيرة يجدها الانسان في نفسه فتوافق القدر وتقع كما اخبر
وقد يكون بعلم الرمل والضرب بالحصى وقد يكون ذلك استدراجا والاحوال
الشيطانية كثيرة وقد فرق الله بين اولياءه واعدائه في كتابه فاعتصم به فانه لا يضل
من اعتصم به ولا يشقى قال الله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
الذين امنوا وكانوا يتقون فذكر تعالى ان اولياءه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
هم المؤمنون المتقون ولم يشترط ان يجري على ايديهم شيء من خوارق العادة فدل
ان الشخص قد يكون وليا لله وان لم يجر على يديه شيء من الخوارق اذا كان مؤمنا
متقيا وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
والله غفور رحيم فاولياء الله المحبوبون عند الله هم المتبعون للرسول صلى الله عليه وسلم
باطنا وظاهرا ومن كان بخلاف هذا فليس بمؤمن فضلا عن ان يكون وليا لله تعالى
وانما احبهم الله تعالى لانهم والوه فاحبوا ما يحب وابغضوا ما يبغض ورضوا بما يرضى
وسخطوا ما يسخط وامروا بما امر ونهوا عما نهى واعطوا ما يجب ان يعطى ومنعوا
من يجب ان يمنع واصل الولاية للمحبة والقرب واصل العداوة البغض والبعد وبالجملة
فاولياء الله هم احباءه المتقربون اليه بالفرائض والنوافل وترك المحارم الموحدون له
الذين لا يشركون بالله شيئا وان لم تجر على ايديهم خوارق فان كانت الخوارق دليلا
على ولاية الله فلتكن دليلا على ولاية الساحر والكاهن والمنجم والمتفرس ورهبان اليهود
والنصارى وعباد الاصنام فانهم يجري لهم من الخوارق الوف ولكن هي من قبل الشيطان
فانهم يتنزلون عليهم لمجانستهم لهم في الافعال والاقوال كما قال تعالى هل انبئكم
على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم وقال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا فهو له قرين وقد طارت الشياطين ببعض من ينتسب الى الولاية

فقد

فقال لا اله الا الله فسقط وتجد عمدة كثيرة من الناس في اعتقادهم الولاية في شخص انه قد
صدر منه مكاشفة في بعض الامور او بعض الخوارق للعادة مثل ان يشير الى شخص فيموت
او يطير في الهواء الى مكة او غيرها احيانا او يمشي على الماء او يملأ ابريقا من الهواء او يخبر
في بعض الاوقات بشيء من المغيبات او يختفي احيانا عن اعين الناس او يخبر بعض الناس
بما سرق لهم او بحال غائب او مريض او ان بعض الناس استغاث به وهو غائب
او ميت فراه قد جاء فقضى حاجته او نحو ذلك فليس في شيء من هذه الامور ما يدل
على ان صاحبها مسلم فضلا عن ان يكون وليا لله بل قد اتفق اولياء الله على ان الرجل
لو طار في الهواء ومشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وموافقته لامره ونهيه ومثل هذه الامور قد يكون صاحبها وليا لله وقد يكون عدوا
له فانها قد تكون للكثير من الكفار والمشركين واليهود والنصارى والمنافقين واهل
البدع وتكون لهؤلاء من قبل الشياطين او تكون استدراجا فلا يجوز ان يظن ان
كل من كان له شيء من هذه الامور فهو ولي لله بل يعرف اولياء الله بصفاتهم واحوالهم
وافعالهم التي دل عليها الكتاب والسنة واكثر هذه الامور قد توجد في اشخاص
يكون احدهم لا يتوضأ ولا يصلي المكتوبة ولا يغتسل ولا يتطهر الطهارة الشرعية بل
يكون ملابسا للنجاسات معاشرا للكلاب ياوي الى المزابل رائحة جيفة ركابا للحرام
حشاشا في الاسواق كاسفا العورة غامزا للشرع مستهزءا به ويجلس يأكل العقارب
والخبائث التي تجبها الشياطين كافرا بالله ساجدا لغير الله من القبور وغيرها يكره
سماع القرآن وينفر منه ويوثر سماع الاغاني والاشعار ومزامير الشيطان على كلام
الرحمن فلو جرى على يدي شخص من الخوارق ما اذا عاينه يجري فلا يكون وليا لله محبوبا
عنده حتى يكون متبعا لرسوله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا فان قيل فما هذا
ما الفرق بين الكرامة وبين الاستدراج والاحوال الشيطانية قيل ان علمت ما
ذكرنا عرفت الفرق لانه اذا كان شخصا مخالفا للشرع فلا يجري له من هذه الامور

قيل

ليس بكرامة بل هي اما استدراج واما من عمل الشيطان ويكون سببها هو ارتكاب
ما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم فان المعاصي لا تكون سببا لكرامة الله والا
يستعان بالكرامات عليها فاذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن
والدعاء بل تحصل ما تحبه الشياطين كالاستغاثة بغير الله او كانت مما يستغاث
بها على ظلم الخلق وفعل الفواحش فهي من الاحوال الشيطانية لان الكرامات الرحمانية
وكل ما كان الانسان ابعد عن الكتاب والسنة كانت الخوارق الشيطانية له اقوى
واكثر من غيره فان الجن الذين يقترنون بالانس من جنسهم فان كان كافرا ووافقهم
على ما يختارون من الكفر والفسوق والضلال والاقسام عليهم باسماء من يعظمونه
والسجود لهم وكتابة اسماء الله او بعض كلامه بالنجاسة فعلوا معه كثيرا مما يشتهيه
بسبب ما يوظفهم به من الكفر وقد يأتونه بما يهواه من امراة وصبي بخلاف الكرامة
فانها لا تحصل الا بعبادة الله والتقرب اليه ودعائه وحده لا شريك له والتمسك
بكتابه واجتناب المحرمات فما يجري من هذا الضرب فهو كرامة وقد اتفق على هذا
الفرق جميع العلماء وبالجملة فان عرفت الاسباب التي بها تنال ولاية الله عرفت اهلها
وعرفت انهم اهل الكرامة وان كنت ممن يسمع بالاولياء وهو لا يعرف الولاية ولا اسبابها
ولا اهلها بل يميل مع كل ناعق وساحر فما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون
ولشيخ الاسلام كتاب الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان فراجعه فانه وفى
فيه بالحق المبين قال رحمه الله قال احمد حدثنا محمد ابن جعفر حدثنا عوف حدثنا حيان
ابن العلاء حدثنا قطن ابن قبيصة عن ابيه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العيافة
والطرق والطيرة من الجبت قال عوف العيافة زجر الطير والطرق الخط يخط في الارض
والجبت قال الحسن رنة الشيطان اسناده جيد ولابي داود وابن حبان في صحيحه
المسند منه قوله قال احمد هو الامام احمد ابن محمد ابن حنبل ومحمد ابن جعفر هو المشهور
بغندر الهذلي البصري ثقة مشهور ثبت في شعبة حتى قضاء علي ابن المديني فيه على

عبد الرحمن

عبد الرحمن ابن مهدي ابن مهدي بذلك مات سنة ستة ومائتين وعوف هو ابن ابي
جميلة بفتح الجيم العبدي البصري المعروف بعوف الاعرابي ثقة مات سنة ست او سبع
واربعين ومائة وله ست وثمانون سنة وحيان ابن العلاء هو بالتحتية ويقال حيان
ابن محارق ابو العلاء البصري مقبول وقطن بفتحتين ابو اسهل البصري صدوق
قوله عن ابيه هو قبيصة بفتح اوله وكسر الموحدة ابن المخارق بضم الميم وتخفيف الخاء
ابو عبد الله الهلالي صحابي نزل البصرة قوله ان العيافة والطرق والطيرة من الجبت
قال عوف العيافة زجر الطير هذا التفسير ذكره غير واحد كما قال عوف وهو كذلك
قال ابو السعادات العيافة زجر الطير والتفاؤل باسمائها واصواتها ومرورها
وهو من عادة العرب كثيرا في اشعارهم يقال عاف يعيف عيفا اذا زجر وحدس
وظن قوله والطرق الخط يخط بالارض هكذا فسره عوف وهو تفسير صحيح وقال ابو
السعادات هو الضرب بالحصى الذي يفعله النساء قلت ايا ما كان فهو من الجبت
واما الطيرة فسيأتي الكلام عليها في بابها ان شاء الله تعالى قوله من الجبت اي من
اعمال السحر قال القاضي والجبت في الاصل المثل الذي لا خير فيه ثم استعير لما يعبد من
دون الله وللساحر والسحر قال الطيبي من فيه اما ابتدائية او تبعيضية فعلى الاول
المعنى الطيرة ناشئة من الساحر وعلى الثاني المعنى الطيرة من جملة السحر والكهانة او من جملة
عبادة غير الله اي الشرك يؤيده قوله في الحديث اللاتي الطيرة شرك انتهى وفي الحديث دليل
على تحريم التنجيم لانه اذا كان الخط نحو الذي هو من فروع التنجيم من الجبت فكيف بالتنجيم
قوله قال الحسن رنة الشيطان لم اجد فيه كلاما قوله ولابي داود والنسائي وابن حبان
في صحيحه المسند منه يعني ان هؤلاء رووا الحديث واقتصروا على المرفوع منه ولم يذكروا
التفسير الذي فسره ابن عوف وقد رواه ابو داود بالتفسير المذكور بدون كلام الحسن
والنسائي هو الامام الحافظ احمد بن شعيب ابن علي ابن سنان ابن بحر ابن دينار ابو عبد الرحمن
صاحب السنن وغيرها من المصنفات روى عن محمد ابن المثنى وابن بشار وقتيبة ابن سعيد

وخلق وكان اليه المنتهى في الحفظ والعلم بعلل الحديث مات سنة ثلاث وثلثمائة وله ثمان
وثمانون سنة قال وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتبس
شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد رواه ابوداود باسناد
صحيح هذا الحديث رواه ابوداود كما قال المصنف باسناد صحيح وكذا صححه النووي
والذهبي ورواه احمد وابن ماجة قوله من اقتبس قال ابو السعادات قبس العلم و
قبسته اذا تعلمته انتهى وعلى هذا فالمعنى من تعلم شيئا قوله شعبة اي طائفة و قطعة
من النجوم والشعبة الطائفة من الشيء والقطعة منه ومنه الحديث الحياء شعبة من الايمان اي جزء ومنه قوله فقد اقتبس شعبة من السحر اي المعلوم تحريمه قال شيخ الاسلام
فقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بان علم النجوم من السحر وقد قال الله تعالى
ولا يفلح الساحر حيث اتى وهكذا الواقع فان الاستقراء يدل على اهل النجوم لا يفلحون
في الدنيا ولا في الاخرة قوله زاد مازاد يعني كلما زاد من علم النجوم زاد له من الاثم
مثل اثم الساحر او زاد اقتباس شعب السحر مازاد اقتباس علم النجوم قلت والقولان
مثلا ان زيادة الاثم فرع عن زيادة السحر وذلك لانه تحكم على الغيب الذي
استاثر اليه بعلمه فعلم تاثير النجوم باطل محرم وكذا العمل بمقتضاه كالتقرب اليها
بتقريب القرابين لها كفر قاله ابن رجب قال والنسائي من حديث ابي هريرة من
عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد اشرك ومن تعلق شيئا وكل
اليه هذا الحديث ذكره المصنف من حديث ابي هريرة وعزاه النسائي ولم يبين هل هو
موقوف او مرفوع وقد رواه النسائي مرفوعا وذكر المصنف عن الذهبي انه قال لا يصح
وحسنه ابن مفلح قوله من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر اعلم ان السحر اذا اراد وا
عمل السحر عقد وا الخيوط ونفثوا على كل عقدة حتى ينعقد ما يريدون من السحر ولهذا امر
الله بالاستعاذة من شرهم في قوله ومن شر النفاثات في العقد يعني السواحر اللاتي
يفعلن ذلك والنفث هو النفخ من ريق وهو دون التفل وهو مرتبة بينهما والنفث

فعل

فعل الساحر فاذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور ويستعين عليه
بالارواح الخبيثة نفخ في تلك العقد نفخا معه ريق فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج
للشر والاذى مقترن بالريق الممازج لذلك وقد تساعده هو والروح الشيطانية على
اذى المسحور فيصيبه السحر باذن الله الكوني القدري لا الاذن الشرعي قاله ابن القيم قوله
ومن سحر فقد اشرك نص في ان الساحر مشرك اذا اتى السحر بدون الشرك كما حكاه الحا
فظ عن بعضهم قوله ومن تعلق شيئا وكل اليه اي من تعلق قلبه شيئا بحيث يتوكل عليه
ويرجوه وكله الله الى ذلك الشيء فان تعلق العبد على ربه والهه وسيده ومولاه رب كل شيء
ومليكه وكله اليه فكفاه ووقاه وحفظه وتولاه ونعم المولى ونعم النصير كما قال تعالى
اليس الله بكاف عبده ومن تعلق على السحر والشياطين وكله الله اليه فاهلكه في الدنيا والاخرة من جهة مقابلته بنقيض قصده وهذه سنة الله في عباده التي لا تبدل وعادته
التي لا تحول ان من اطمان الى غيره او وثق بسواه او ركن الى مخلوق يدبره اجرى الله تعالى
له بسببه او من جهة خلاف ما علق به آماله وهذا امر معلوم بالنص والعيان ومن تامل
ذلك في احوال الخلق بعين البصيرة النافذة راى ذلك عيانا وفائدة هذه الجملة بعد ما
قبلها الاشارة الى ان الساحر متعلق على غير الله فانه متعلق على الشياطين قال وعن ابن
مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اهل انبئكم ما العضه هي النميمة القالة
بين الناس رواه مسلم قوله هل انبئكم اي اخبركم قوله ما العضه هو بفتح العين المهملة وسكون
المعجمة قال ابو السعادات هكذا تروى في كتب الحديث والذي جاء في كتب الغريب الا انبئكم
بالعضة بكسر العين وفتح الضاد وفي حديث اخر اياكم والعضه قال الزمخشري اصلها العضهة
فعلة من العضه وهو البهت فحذفت لامه كما حذفت من السنة والشفة وتجمع على عضين ثم
فسره بقوله هي النميمة القالة بين الناس وعلى هذا فاطلق عليها العضه لانها لا تنفك عن
الكذب والبهتان غالبا ذكره القرطبي قلت ظاهر ايراد المصنف لهذا الحديث هنا يدل على ان
صنع العضه عنده هنا هو السحر ويدل على ذلك حديث كادت النميمة ان تكون سحرا رواه

ابن كلا في مكارم الأخلاق باسناد ضعيف وذكر ابن عبد البر عن يحيى ابن كثير قال يفسد النمام
والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة وقال ابو الخطاب في عيون المسائل ومن
السحر السعي بالنميمة والافساد بين الناس قال في الفروع وجهه انه يقصد الاذى
بكلامه وعلم على وجه المكر والحيلة اشبه السحر ولهذا يعلم بالصرف والعادة انه يؤثر
وينتج ما يعمله الساحر او اكثر فيعطى حكمه تسوية بين المتماثلين والمتقاربين
لكن يقال الساحر انما كفر لوصف السحر وهو امر خاص ودليله خاص وهذا ليس بسا
حر وانما يؤثر عمله ما يؤثر فيعطى حكمه الا فيما اختص به من الكفر وعدم قبول
التوبة انتهى ملخصا وبه يظهر مطابقة الحديث للترجمة والحديث دليل على تحريم
النميمة وهو كذلك بالاجماع قال ابو محمد ابن حزم اتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة
في غير النصيحة الواجبة وفيه دليل على انهما من الكبائر وقوله القالة بين الناس
قال ابو السعادات اي كثرة القول وايقاع الخصومة بين الناس وقيل ما يحكى للبعض
عن البعض ومنه الحديث فشت القالة بين الناس قال ولهما عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من البيان لسحرا البيان البلاغة والفصا
حة قال صعصعة ابن صوحان صدق نبي الله اما قوله ان من البيان لسحرا فالرجل يكون
عليه الحق وهو الحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وقال
ابن عبد البر تاولته طائفة على الذم لان السحر مذموم وذهب اكثر اهل العلم وجماعة
اهل الادب الى انه على المدح لان الله تعالى مدح البيان قال وقد قال عمر ابن عبد العزيز
لرجل مسالة عن حاجة فاحسن المسالة فاعجبه قوله فقال هذا والله السحر الحلال
قلت الاول اصح وهو الذي خرج مخرج الذم لبعض البيان لا كله وهو الذي فيه تصويب
الباطل وتحسينه حتى يتوهم السامع انه حق او ليكون فيه بلاغة زائدة عن الحد او قوة
في الخصومة حتى يسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق ونحو ذلك وسماه سحرا لانه يستميل
القلوب كالسحر ولهذا قاله صلى الله عليه وسلم لما جاءه رجلان من المشرق فخطبا فعجب

الناس

فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا كما رواه مالك
والبخاري وغيرهم واما جنس البيان فمحمود بخلاف الشعر فجنسه مذموم الا ما كان
حكما ولكن لا يحمد البيان الا اذا لم يخرج الى حد الاسهاب والاطناب او تصوير الباطل
في صورة الحق فاذا خرج الى هذا الحد فهو مذموم وعلى هذا تدل الاحاديث كقوله
صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة
بلسانها رواه احمد وابو داود وقوله لقد رايت او لقد امرت ان اتجوز في القول
فان الجواز هو خير رواه ابو داود **باب ما جاء في الكهان ونحوهم** اعلم ان
الكهان الذين ياخذون عن مسترق السمع موجودون الى اليوم لكنهم قليل
بالنسبة لما كانوا عليه في الجاهلية لان الله تعالى منع حرس السماء بالشهب ولم يبق
من استراقهم الا ما يخطفه الاعلى فيلقيه الى الاسفل قبل ان يصيبه الشهاب واما
ما يخبر به الجني مواليه من الانس بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه انسان غالبا فكثير
جدا في اناس ينتسبون الى الولاية والكشف وهم من الكهان اخوان الشياطين لا
من الاولياء ولما ذكر المصنف شيئا مما يتعلق بالسحر ذكر ما جاء في الكهان ونحوهم
كالعراف لمشابهة هؤلاء السحرة والكهانة ادعاء علم الغيب كالاخبار بما سيقع في
الارض مع الاستناد الى سبب والاصل فيه استراق الجن السمع من كلام الملائكة ثم
فتلقيه في اذن الكاهن والكاهن لفظ يطلق على العراف والذي يضرب بالحصى والمنجم
وقال في المحكم الكاهن القاضي بالغيب وقال الخطابي الكهان فيما علم بشهادة الامتحا
ن قوم لهم اذهان حادة ونفوس شريرة وطبائع نارية فهم يفزعون الى الجن في امو
رهم ويستفتونهم في الحوادث فيلقون اليهم الكلمات قال وروى مسلم في صحيحه
عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتى عرافا
فساله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة اربعين يوما هذا الحديث رواه مسلم كما
قال المصنف ولفظه حدثنا محمد ابن المثنى العنزي حدثنا يحيى ابن سعيد عن عبيد الله

عن نافع عن صفية عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من اتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة اربعين يوما ليلة هكذا رواه وليس فيه
فصدقه قوله عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم هي حفصة على ما ذكره ابن مسعود
الدمشقي لانه ذكر هذا الحديث في الاطراف في مسند ها وكذلك سماها بعض الرواة
قوله من اتى عرافا فسأله عن شيء العراف سيأتي بيانه وهو من انواع الكهان وظاهر
الحديث ان هذا الوعيد مرتب على مجيئه وسؤاله سواء صدقه او شك في خبره لان
اتيان الكهان منهي عنه كما في حديث معاوية ابن الحكم السلمي قلت يا رسول الله ان
منا رجالا يأتون الكهان قال فلا تأتهم رواه مسلم ولانه اذا شك في خبره فقد
شك انه لا يعلم الغيب وذلك موجب للوعيد بل يجب عليه ان يقطع ويعتقد انه لا
يعلم الغيب الا الله قوله لم تقبل له صلاة اربعين ليلة اذا كانت هذه حال السائل فكيف
بالمسئول قال النووي وغيره معناه انه لا ثواب له فيها وان كانت مجزية في سقوط
الفرض عنه ولا يحتاج معها الى اعادة ونظير هذه الصلاة في ارض مغصوبة مجزية مسقطة
للقضاء لكن لا ثواب له فيها قاله جمهور اصحابنا قالوا فصلاة الفرض اذا اتى بها على وجهها
الكامل يترتب عليها شيئان سقوط الفرض وحصول الثواب فاذا اداها في ارض مغصوبة
حصل الاول دون الثاني ولا بد من هذا التاويل في هذا الحديث فان العلماء متفقون
على انه لا يلزم من اتى العراف اعادة الصلاة اربعين ليلة فوجب تاويله هذا كلامه وهو
مبني على الملازمة بين الاجزاء وعدم الاعادة والصواب ان عدم الاعادة لا يستلزم
الاجزاء لكن الصلاة في الارض المغصوبة في اجزائها نزاع والمشهور من مذهب احمد انها
لا تجزي وتجب اعادتها وفي الحديث النهي عن اتيان الكاهن ونحوه قال القرطبي يجب
على من قدر على ذلك من محتسب وغيره ان يقيم من يتعاطى شيئا من ذلك من الاسواق
وينكر عليهم اشد النكير وعلى من يجيء اليهم ولا يغتر بصدقهم في بعض الامور ولا
بكثرة من يجيء اليهم ممن ينتسب الى العلم فانهم غير راسخين في العلم بل من الجهال بما

يأتيانهم

بما في اتيانهم من المحذور قال وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتى
كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم رواه ابو
داود هذا الحديث رواه ابو داود ولفظ حدثنا موسى ابن اسماعيل حدثنا حماد
وحدثنا مسدد وحدثنا يحيى عن حماد ابن سلمة عن حكيم الاثرم عن ابي تميمة عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اتى كاهنا قال موسى في حديثه
فصدقه بما يقول او اتى امرأة قال مسدد امرأة حائضا او اتى امرأة قال مسدد
امرأة في دبرها فقد برئ مما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم ورواه الترمذي والنسائي
وابن ماجة بنحوه وقال الترمذي لا نعرفه الا من حديث الاثرم وضعف محمد هذا
الحديث من جهة اسناده وقال البغوي في سنده ضعيف وقال الذهبي ليس اسناده
بالقائم قلت اطال ابو الفتح اليعمري في بيان ضعفه وادعى ان متنه منكر او خطأ
في اطلاق ذلك فان اتيان الكاهن له شواهد صحيحة منها ما ذكره المصنف بعده و
كذلك اتيان المرأة في الدبر له شواهد منها ما رواه عبد ابن حميد باسناد صحيح عن
طاوس ان رجلا سأل ابن عباس عن اتيان المرأة في دبرها فقال الا تسألني عن الكفر
ومنها ما رواه الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه وصححه ابن حزم عن ابن عباس
مرفوعا لا ينظر الله الى رجل اتى رجلا او امرأة في الدبر والاحاديث في ذلك كثيرة
وغاية ما ينكر من متنه ذكر اتيان الحائض والله اعلم قال ولاربعة والحاكم وقال
صحيح على شرطهما عن من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر
بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم هكذا بيض المصنف لاسم الراوي وقد رواه احمد
والبيهقي والحاكم عن ابي هريرة مرفوعا ولفظ احمد حدثنا يحيى ابن سعيد عن عوف
عن خلاس عن ابي هريرة والحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وهذا اسناد صحيح
على شرط البخاري فقد روى عوف عن خلاس عن ابي هريرة حديث ان موسى كان
رجلا حييا الحديث قال العراقي في اماليه حديث صحيح وقال الذهبي اسناده قوي

وعلى هذا فعزو المصنف الى الاربعة ليس كذلك فانه لم يروه احد منهم والظنه تبع في
ذلك الحافظ فانه عزاه في الفتح الى اصحاب السنن والحاكم فوهم ولعله اراد الذي قبله
قوله من اتى كاهنا الى اخره قال بعضهم لا تعارض بين هذا الخبر وبين حديث من اتى
عرافا فسئله عن شيء لم تقبل له صلاة اربعين ليلة اذ الغرض في هذا الحديث انه سئله
معتقدا صدقه وانه يعلم الغيب فانه يكفر فان اعتقد ان الجن تلقي اليه ما سمعته من الملا
ئكة او انه الهام فصدقه من هذه الجهة لا يكفر كذا قال وفيه نظر وظاهر الحديث انه
يكفر متى اعتقد صدقه باي وجه كان لاعتقاده انه يعلم الغيب وسواء كان ذلك من
قبل الشياطين او من قبل الالهام لاسيما وغالب الكهان في وقت النبوة انما كانوا يأخذون
عن الشياطين وفي حديث رواه الطبراني عن وائلة مرفوعا من اتى كاهنا فسئله عن شيء
حجبت عنه التوبة اربعين ليلة فان صدقه بما قال كفر قال المنذري ضعيف فهذا لو
ثبت نص في المسئلة لكن ما تقدم من الاحاديث يشهد له فان الحديث الذي فيه الوعيد
بعدم قبول الصلاة اربعين ليلة ليس فيه ذكر تصديقه والاحاديث التي فيها اطلاق
الكفر مقيدة بتصديقه قوله فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم قال الطيبي المراد
بالمنزل الكتاب والسنة اي ارتكب الهناة فقد برئ من دين محمد صلى الله عليه وسلم وما
انزل عليه انتهى وهل الكفر في هذا الموضع كفر دون كفر او يجب التوقف فلا يقال ينقل
عن الملل وذكر وافيها روايتين عن احمد وقيل هذا على التشديد والتاكيد اي قارب
الكفر او المراد كفر النعمة وهذان القولان باطلان قال ولابي يعلا باسناد جيد عن
ابن مسعود رضا موقوفا ابو يعلى اسمه احمد بن علي ابن المثنى الموصلي الامام صاحب التصانيف
كالمسند وغيره روى عن يحيى ابن معين وابي خيثمة وابي بكر ابن ابي شيبة وخلق وكان
من الايمة الحفاظ مات سنة سبع وثلاثمائة وهذا الاثر رواه البزار ايضا واسناده على
شرط مسلم ولفظه من اتى كاهنا او ساحرا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله
عليه وسلم وفيه دليل على كفر الكاهن والساحر والمصدق لهما لانهما يدعيان علم الغيب

وذلك كفر والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به وذلك كفر ايضا قال وعن عمران
ابن حصين مرفوعا ليس منا من تطير او تطير له او تكهن او تكهن له او سحر او سحر
له ومن اتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم
رواه البزار باسناد جيد ورواه الطبراني باسناد حسن من حديث ابن عباس
دون قوله ومن اتى الى اخره هذا الحديث رواه الطبراني كما قال المصنف في الاوسط قال المنذري في اسناد الطبراني حسن واسناد البزار جيد قوله ليس منا اي
ليس يفعل ذلك من هو من اشياعنا العاملين بانباعنا المستنين لشرعنا قوله
من تطير اي فعل الطيرة او تطير له اي امر من يتطير له وكذلك معنى او تكهن له
او سحر او سحر له قوله رواه البزار اسمه احمد ابن عمرو بن عبد الخالق ابو بكر البزار
البصري صاحب المسند الكبير الذي عزا اليه المصنف روى عن ابن بشار وابن المثنى
وخلق قال الدارقطني ثقة يخطيء ويتكل على حفظه مات سنة اثنتين وتسعين
ومائتين قوله قال البغوي العراف الذي يدعي معرفة الامور بمقدمات يستدل
بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك وقيل هو الكاهن والكاهن هو الذي
يخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل الذي يخبر عما في الضمير وقال ابو العباس
ابن تيمية العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الامور
من هذه الطرق البغوي بفتحتين اسمه الحسين ابن مسعود ابن الفراء المعروف
بمحيي السنة الشافعي صاحب التصانيف وعالم اهل خراسان وكان ثقة فقيها زاهدا
مات في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة قوله العراف الذي يدعي معرفة الامور الى
اخره هذا تفسير حسن وظاهره يقتضي ان العراف هو الذي يخبر عن الواقع كالمسروق
والضالة واحسن منه كلام شيخ الاسلام ان العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال
ونحوهم كالحازر الذي يدعي علم الغيب او يدعي الكشف وقال ايضا والمنجم يدخل في اسم
الكاهن العراف وعند بعضهم هو في معناه وقال ايضا والمنجم يدخل في اسم الكاهن

عند الخطابي وغيره من العلماء وحكى ذلك عن العرب وعند اخرين هو من جنس الكاهن
واسوء حالا منه فيلحق به من جهة المعنى وقال الامام احمد العراف طرف من السحر والساحر
خبث وقال ابو السعادات العراف المنجم والحازر الذي يدعي علم الغيب وقد استاثر
الله تعالى به وقال ابن القيم من اشتهر باحسان الزجر عندهم سموه عايفا وعرافا و
المقصود من هذا معرفة ان من يدعي علم شيء من المغيبات فهو اما داخل في اسم الكا
هن واما مشارك له في المعنى فيلحق به وذلك ان اصابته للخبر ببعض الامور الغائبة
في بعض الاحيان يكون بالكشف ومنه ما هو من الشياطين ويكون بالفال والزجر
والطيرة والضرب بالحصى والخط في الارض والتنجيم والكهانة والسحر ونحو هذا من
علوم الجاهلية ويعني بالجاهلية كل من ليس من اتباع الرسل كالفلاسفة والكهان
والمنجمين وجاهلية العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فان هذه
علوم ليس لهم علم بما جاءت به الرسل عليهم السلام وكل هذه الامور يسمى صاحبها
كاهنا وعرافا او في معناهما من اتاهم فصدقهم بما يقولون لحمة الوعيد وقد ورد
هذه العلوم عنهم اقوام فادعوا بها علم المغيبات الذي استاثر الله تعالى بعلمه وادعوا
انهم اولياء وان ذلك كرامة ولا ريب ان من ادعى الولاية واستدل عليها باخباره
ببعض المغيبات فهو من اولياء الشيطان لا من اولياء الرحمن اذ الكرامة امر يجريه
الله على يد عبده المؤمن المتقي اما بدعاء او اعمال صالحة لا صنع للولي فيها ولا قدرة
له عليها بخلاف من يدعي انه ولي لله ويقول للناس اعلموا اني اعلم المغيبات فان
مثل هذه الامور قد تحصل بما ذكرنا من الاسباب وان كانت اسبابا محرمة كاذبة في
الغالب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في وصف الكهان فيكذبون معها مئة كذبة
فبين انهم يصدقون مرة ويكذبون مئة وهكذا حال من سلك سبيل الكهان ممن يدعي
الولاية والعلم بما في ضمائر الناس مع ان تنسكه دليل على كذبه لان في دعواه الولاية
تزكية النفس المنهي عنها بقوله فلا تزكوا انفسكم وليس هذا من شان الاولياء بل شانهم

الأذى

الأزراء على نفوسهم وعيبها لها وخوفهم من ربهم فكيف يا تون الناس يقولون
اعرفوا انا اولياء وانا نعلم الغيب وفي ضمن ذلك طلب المنزلة في قلوب الخلق واقتناص
الدنيا بهذه الامور وحسبك بحال الصحابة والتابعين وهم سادات الاولياء فكان
عندهم من هذه الدعاوي والشطحات شيء لا والله بل كان احدهم لا يملك نفسه من
البكاء اذا قرء القران كان الصديق وكان عمر يسمع نشيجه من وراء الصفوف يبكي في
صلاته وكان يمر بالاية في ورده بالليل فيمرض منها ليالي يعودونه الناس وكان
تميم الداري يتقلب في فراشه لا يستطيع النوم الا قليلا خوفا من النار ثم يقوم الى
صلاته ويكفيك في صلاة الاولياء ما ذكر الله تعالى من صفاتهم في سورة الرعد
والمؤمنين والفرقان والذاريات والطور فالمتصفون بتلك الصفات هم الاولياء
والاصفياء لا آهل الدعوى والكذب ومنازعة رب العالمين فيما اختص به من الكبرياء
والعظمة وعلم الغيب بل مجرد دعواه علم الغيب كفر فكيف يكون المدعي لذلك وليا لله
ولقد عظم الضرر واشتد الخطب بهؤلاء المغترين الذين ورثوا هذه العلوم عن المشركين
ولبسوها على حفاة نفوس البصائر نسئل الله السلامة والعافية في الدنيا والاخرة فان
قلت كيف يكون علم الخط من الكهانة وقد روى احمد ومسلم عن معاوية ابن الحكم انه
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومنا رجال يخطون فقال كان نبي من الانبياء يخط فمن
وافق خطه فذاك قلت قال النووي معناه ان من وافق خطه فهو مباح له لكن لا طريق
لنا الى العلم باليقين بالموافقة فلا يحتاج والمقصد انه لا يباح الا بيقين الموافقة و
ليس لنا يقين وقال غيره المراد به النهي عنه والزجر عن تعاطيه لان خط ذلك النبي كان
معجزة وعلما لنبوته وقد انقطعت نبوته ولم يبق فذلك الخط حرام دفعا للوهم ان
خط ذلك النبي حرام قلت ويحتمل ان المعنى ان سبب اصابة صاحب الخط هو موافقته لخط
ذلك النبي فمن وافقه خطه اصاب واذا كان كذلك وكانت الاصابة نادرة بالنسبة الى
الخطا ولا طريق الى اليقين بالموافقة صار ذلك بالنسبة الى من يتعاطاه من انواع الكهانة

لمشاركته لها في المعنى اذا علمت ذلك فاعلم ان مذهب الامام احمد ان حكم الكاهن والعراف لا تنسا
قاد تابا والاقتلا ذكره غير واحد من الاصحاب فاما المعزم الذي يعزم على المصروع ليزعم
انه يجمع الجن وانها تطيعه والذي يحل السحر فقال في الكافي ذكرهما اصحابنا في السحرة الذي
ذكرنا حكمهم وقد توقف احمد لما سئل عن الرجل يحل السحر فقال قد رخص فيه بعض الناس
قيل انه يجعل في الطشت جاء ويغيب فيه فنفض يده وقال ما ادري ما هذا قيل له
فترى ان يوتى مثل هذا يحل قال ما ادري ما هذا قال وهذا يدل على انه لا يكفر صاحبه ولا
يقتل ونص احمد لا يدل على انه لا يكفر فانه قد يقول مثل هذا في الحرام البين قوله وقال
ابن عباس في قوم يكتبون ابا جاد وينظرون في النجوم ما ارى من فعل ذلك له عند الله
من خلاق هذا الاثر ذكره المصنف عن ابن عباس ولم يعزه وقد رواه الطبراني عن ابن عباس
مرفوعا واسناده ضعيف ولفظه رب معلم حروف ابا جاد دارس في النجوم ليس له عند الله
من خلاق يوم القيمة ورواه ايضا حميد ابن زنجويه عنه بلفظ رب ناظر في النجوم ومتعلم
حروف ابا جاد ليس له عند الله خلاق قوله ما ادري يجوز فتح الهمزة من درى بمعنى لا اعلم له
عند الله من خلاق اي من نصيب ويجوز ضمها بمعنى لا اظن ذلك لاشتغاله بما فيه من اقتحام
الخطر والجهالة وادعاء علم الغيب الذي استاثر الله به وكتابة ابي جاد وتعلمها لمن يدعي
بها معرفة علم الغيب هو الذي يسمى علم الحروف ولبعض المبتدعة فيه مصنف فاما تعليمها
للتهجي وحساب الجمل فلا باس بذلك قوله وينظرون في النجوم هذا محمول على علم التاثير
لا التسيير كما سيجيء في باب التنجيم وفيه عدم الاغترار بما يوتاه اهل الباطل في معارفهم
وعلومهم كما قال تف فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم
ما كانوا به يستهزؤن باب ما جاء في النشرة لما ذكر المصنف حكم السحرة والكهانة ذكر
ما جاء في النشرة لانها قد تكون من قبل الشياطين والسحرة فتكون مضادة للتوحيد
وقد تكون مباحة كما سياتي تفصيله قال ابو السعادات النشرة ضرب من العلاج والرقية
يعالج به من كان يظن ان به مسا من الجن سميت نشرة لانها ينشر بها عنه ما حامره من الداء

اي يكشف ويزال وقال الحسن النشرة من السحر وقد نشرت عنه تنشيرا ومن
الحديث فلعل طبا اصابه ثم نشره بقل اعوذ برب الناس اي رقاه وقال غيره ونشره
ايضا اذا كتب له النشرة وهي كالتعويذ والرقية وقال ابن الجوزي النشرة حل
السحر عن المسحور ولا يكاد يقدر عليه الا من يعرف السحر قال وعن جابر ان رسو
لا الله صلى الله عليه وسلم سئل عن النشرة فقال هي من عمل الشيطان رواه احمد
بسند جيد وابو داود وقال سئل احمد عنها فقال ابن مسعود يكره هذا
كله هذا الحديث رواه احمد ورواه عنه ابو داود في سننه والفضل ابن زياد في كتاب
المسائل عن عبد الرزاق عن عقيل ابن معقل ابن منبه عن عمه وهب ابن منبه عن
جابر فذكره قال ابن مفلح اسناد جيد وحسن الحافظ اسناده ورواه ابن ابي
شيبة وابو داود في المراسيل عن الحسن رفعه النشرة من عمل الشيطان قوله
سئل عن النشرة الالف واللام في النشرة للعهد الذهني اي النشرة المعهودة التي كان
اهل الجاهلية يصنعونها هي من عمل الشيطان لا النشرة بالرقى والتعوذات الشرعية
والادوية المباحة فان ذلك جائز كما قرره ابن القيم فيما سياتي قوله وقال
سئل احمد عنها فقال ابن مسعود يكره هذا كله مراد احمد والله اعلم ان ابن مسعود
يكره النشرة التي من عمل الشيطان والنشرة التي بكتابة وتعليق كالتمائم فان ابن
مسعود كان يكره التمائم كلها من القران وغير القران اما النشرة بالتعويذ والرقى با
سماء الله وكلامه من غير تعليق فلا اعلم احدا كرهه وكذلك ما رواه ابن ابي شيبة
عن ابراهيم كانوا يكرهون التمائم والرقى والنشر محمول على ما ذكرنا قال وفي البخا
ري عن قتادة قلت لابن المسيب رجل به طب او يوخذ عن امراته ايحل عنه
او ينشر قال لا باس به انما يريدون به الاصلاح فاما ما ينفع فلم ينه عنه هذا
الاثر علقه البخاري ووصله ابو بكر الاثرم في كتاب السنن من طريق ابان العطار عن
قتادة مثله ومن طريق السلام الدستوائي عن قتادة بلفظ يلتمس من يداويه فقال

انما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع قوله عن قتادة هو ابن دعامة بكسر الدال السدوسي
البصري ثقة ثبت فقيه من احفظ التابعين يقال انه ولد اكمه مات سنة بضع عشرة
ومايه قوله رجل به طب بكسر الطاء اي سحر يقال طب الرجل بالضم اذا سحر ويقال
كنوا عن السحر بالطب تفاؤلا كما قالوا للديغ سليم وقال ابن الانباري في الطب من الأضداد
يقال العلاج الداء طب والسحر من الداء ويقال له طب قوله او يؤخذ بفتح الواو وهمزة
وتشديد الخاء المعجمة وبعدها ذال معجمة اي يحبس عن امرأته ولا يصل الى جماعها
والاخذ بضم الهمزة الكلام الذي يقوله الساحر قوله ايحل بضم الياء وفتح الحاء مبني
للمفعول قوله او ينشر بتشديد المعجمة قوله لا باس به الاخره يعني ان النشرة لا
باس بها لانهم يريدون بها الاصلاح اي ازالة السحر ولم ينه عما يراد به الاصلاح انما
ينهى عما يضر وهذا الكلام من ابن المسيب يحمل على نوع السحر من النشرة لا يعلم هل هو
من السحر املا فاما ان يكون ابن المسيب يفتي بجواز قصد الساحر الكافر المامور بقتله
ليعمل السحر فلا يظن به ذلك بل حاشاه منه ويدل على ذلك قوله بما يريدون به الاو
صلاح فاي اصلاح في السحر بل كل فساد وكفر والله اعلم قال وروي عن الحسن انه قال
لا يحل السحر الا ساحر هذا الاثر رواه ابن الجوزي في جامع المسانيد بغير اسناد ولفظه لا
يطلق السحر الا ساحر وروى ابن جرير في التهذيب من طريق يزيد ابن زريع عن قتادة
عن سعيد ابن المسيب انه كان لا يرى باسا اذا كان بالرجل سحر ان يمشي الى من يطلق عنه
فقال هو صلاح قال قتادة وكان الحسن يكره ذلك يقول لا يعلم ذلك الا ساحر قال
فقال سعيد ابن المسيب انما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع قوله عن الحسن هو ابن ابي الحسن
واسمه يسار بالتحتانية والمهملة البصري الانصاري مولاهم ثقة فقيه امام فاضل
مشهور التابعين مات سنة عشر ومايه وقد قارب التسعين قوله قال ابن القيم النشرة
حل السحر عن المسحور وهي نوعان حل بسحر مثله وهو الذي من عمل الشيطان وعليه
يحمل قول الحسن فيتقرب الناشر والمنتشر الى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن
المسحور والثاني النشرة بالرقية والتعوذات والادوية المباحة فهذا جائز هذا الثاني
هو الذي يحمل عليه كلام ابن المسيب او على نوع لا يدري هل هو من السحر ام لا وكذلك
ما روي عن الامام احمد من اجازة النشرة فانه محمول على ذلك وغلط من ظن انه اجاز
النشرة السحرية وليس في كلامه ما يدل على ذلك بل لما سئل عن الرجل يحل السحر
قال قد رخص فيه بعض الناس قيل انه يجعل في الطشت ماء ويغيب فيه فنفض
يده وقال لا ادري ما هذا قيل له فترى ان يؤتى مثل هذا قال لا ادري ما هذا وهذا
صريح في النهي عن النشرة على الوجه المكروه وكيف يجيزه وهو الذي روى الحديث
انها من عمل الشيطان لكن لما كان لفظ النشرة مشتركا بين الجائزة والتي من عمل
الشيطان وراوه قد اجاز النشرة ظنوا انه قد اجاز التي من عمل الشيطان وحاشاه من
ذلك ومما جاء في صفة النشرة الجائزة ما رواه ابن ابي حاتم وابو الشيخ عن الليث
ابن سليم قال بلغني ان هؤلاء الايات شفاء من السحر باذن الله تقرأ في اناء فيه ماء
ثم تصب على راس المسحور الاية التي في يونس فلما القوا قال موسى ما جئتم به من
السحر ان الله سيبطله الى قوله ولو كره المجرمون وقوله فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون
الى اخر الايات الاربع وقوله انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى وقال
ابن بطال في كتاب وهب ابن منبه ان ياخذ سبع ورقات من سدر اخضر فيدقه بين
حجرين ثم يضربه بالماء ويقرا فيه اية الكرسي والقواقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات
ثم يغتسل به فانه يذهب عنه كل ما به وهو جيد للرجل اذا حبس عن اهله باب
ما جاء في التطير مصدر تطير يتطير والطيرة ايضا بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن
مصدر يطير يقال تطير طيرة وتخير خيره ولم يجئ من المصادر هكذا غيرها واصله فيما
يقال التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرها وكان ذلك يصدهم عن مقا
صدهم فاذا اراد احدهم امرا فان راى الطير مثلا طائرا يمنة يتمنوا به وان طار يسرة تشاءموا
به فنفاه الشرع وابطله ونهى عنه واخبر انه ليس له تاثير في جلب نفع او دفع ضر قال

المدايني سالت راويه ابن العجاج ما السانح قال ما ولاك ميامنه قلت فما البارح قال ما ولاك
مياسره قال والذي يجيء من امامك فهو الناطح والنطيح والذي يجيء من خلفك هو القاعد
والقعيد ولما كانت الطيرة بابا من الشرك منافيا للتوحيد او بكماله لانها من القاء الشيطان
وتخويفه ووسوسته ذكرها المصنف في كتاب التوحيد تحذيرا منها وارشادا الى كمال التوحيد
بالتوكل على الله واعلم ان من كان معتنيا بها قائلا بها كانت اليه اسرع من السيل الى منحدره
وتفتحت له ابواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات
البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه ويكدر عليه عيشه فالواجب على العبد
التوكل على الله ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وان يمضي لشانه لا يرده شيء من الطيرة عن
حاجته فيدخل في الشرك قال وقول الله تعالى الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا
يعلمون اول الآية قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى
ومن معه الآية المعنى ان آل فرعون اذا اصابتهم الحسنة اي الخصب والسعة والعافية على ما فسره
مجاهد وغيره قالوا لنا هذه اي نحن الجديرون الحقيقون به ونحن اهله وان تصبهم سيئة
اي بلاء وضيق وقحط يطيروا بموسى ومن معه فيقولون هذا بسبب موسى واصحابه اصابنا
شؤمهم كما يقوله المتطير لمن يتطير به فاخبر سبحانه انما طائرهم عند الله فقال الا انما طائرهم
عند الله قال ابن عباس طائرهم ما قضي عليهم وقدر لهم وفي رواية ذكرها ابن جرير عنه قال
الامر من قبل الله وفي رواية شؤمهم عند الله من قبله بكفرهم اي انما جاءهم الشؤم من
قبل بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله وقيل المعنى ان الشؤم العظيم هو الذي لهم عند الله من
عذاب النار لا هذا الذي اصابهم في الدنيا والظاهر ان هذه الآية كقوله تعالى وان تصبهم حسنة
يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله اي
ان الكل من الله لكن هذا الشؤم الذي اجراه عليهم من عنده هو بسبب اعمالهم لا بسبب موسى
عليه السلام ومن معه وكيف يكون ذلك وما جاء به خير محض والطيرة انما تكون بالشر لا بالخير
الخير وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ان اكثرهم جهال لا يدرون ولو فهموا وعقلوا

لعلموا

لعلموا انه ليس فيما جاء به موسى عليه السلام شيء يقتضي الطيرة وقال ابن جرير يقول
تعالى الا انما طائرهم آل فرعون وغيرهم وذلك انصباؤهم من الرخاء والخصب وغير ذلك
من انصباء الخير والشر عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ذلك كذلك فلجهلهم
بذلك كانوا يطيرون بموسى ومن معه قال وقوله قالوا طائركم معكم الآية
المعنى والله اعلم اي حظكم وما فالكم من خير وشر معكم بسبب افعالكم وكفركم ومخالفتكم النا
صحين ليس هو من اجلنا ولا بسببنا بل بيغيكم وعداوتكم فطائركم الباغي الظالم معه وهو
عند الله كما قال تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون حديثا ولو فقهوا او فهموا لما تطيروا بما جئت به لانه ليس
فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ما يقتضي الطيرة لانه خير محض لا شر فيه وصلاح لا
فساد فيه وحكمة لا عيب فيها ورحمة لا جور فيها فلو كان هؤلاء القوم من اهل الفهم
والعقول السليمة لم يتطيروا من هذا لان الطيرة انما تكون بالشر لا بالخير المحض و
الحكمة والرحمة بل طائرهم معهم بسبب كفرهم وشرهم وبغيهم وهو عند الله كسائر
حظوظهم وانصباؤهم التي ينالونها من اعمالهم ويحتمل ان يكون المعنى طائركم معكم
اي راجع عليكم فالتطير الذي حصل لكم انما يعود عليكم وهذا من باب القصاص في الكلام
ونظيره قوله عليه السلام اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم ذكره ابن القيم
وقوله ائن ذكرتم اي من اجل اننا ذكرناكم وامرناكم بتوحيد الله واخلاص العبادة له
قابلتمونا بهذا الكلام وتوعدتمونا بل انتم قوم مسرفون وقال قتادة ائن ذكرناكم
بما تطيرتم بنا ومطابقة الايتين لمقصود الباب ظاهر لان الله تعالى يذكر التطير
لا عن اعدائه فهو من امر الجاهلية لا من امر الاسلام قال عن ابي هريرة ان رسو
لا الله صلى الله عليه وسلم قال لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر اخرجاه زاد
مسلم ولا نوء ولا غول قوله لا عدوى قال ابو السعادات العدوى اسم من الاعداء
كالدعوى والبقوى في الادعاء والأبقاء يقال اعداه الداء يعديه اعداء وهو انه

يصيبه مثل ما يصاب الداء وذلك ان يكون ببعير جرب مثلا يتقي مخالطته بابل اخرى
حذرا ان يتعدى ما به من الجرب اليها فيصيبها ما اصابه انتهى وفي بعض روايات هذا
الحديث فقال اعرابي يا رسول الله مما بال الابل تكون في الرمل كانها الظباء فيجيء البعير
الاجرب فيدخل فيها فيجربها كلها قال فمن اعدى الاول وفي رواية في مسلم ان ابا هريرة
كان يحدث بحديث لا عدوى ويحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يورد ممرض
على مصح وامسك عن حديث لا عدوى فراجعوه فيه وقالوا سمعناك تحدثه فابى
ان يعترف به قال ابو سلمة الراوي عن ابي هريرة فلا ادري انسي ابو هريرة او نسخ
احد القولين الاخر وقد روى من حديث لا عدوى جماعة من الصحابة منهم انس ابن
مالك وجابر ابن عبد الله والسائب ابن يزيد وابن عمر وغيرهم فنسيان ابي هريرة له
لا يضر في بعض روايات هذا الحديث وفر من المجذوم كما تفر من الاسد وقد اختلف
العلماء في ذلك اختلافا كثيرا فردت طائفة حديث لا عدوى بان ابا هريرة رجع
عنه قالوا والاخبار الدالة على الاجتناب اكثر فالمصير اليها اولى وهذا ليس بشيء لان
حديث لا عدوى قد رواه جماعة كما تقدم وعكست طائفة هذا القول وزعموا ان حديث
لا عدوى ورد ليقوا ما سواه من الاخبار واعلوا بعضها بالشذوذ كحديث فر من المجذوم
فرارك من الاسد وبان عائشة انكرته كما روى ابن جرير عنها ان امراة سالتها عنه
فقالت ما قال ذلك ولكنه قال لا عدوى وقال من اعدى الاول قالت وكان لي مولى به
هذا الداء فكان ياكل في صحافي ويشرب في اقداحي وينام على فراشي وهذا ايضا ليس بشيء
فان الاحاديث في الاجتناب ثابتة وحملت طائفة اخرى الاثبات والنفي على حالتين
مختلفتين فحيث جاء لا عدوى كان المخاطب بذلك من قوي يقينه وصح توكله بحيث
يستطيع ان يدفع عن نفسه اعتقاد العدوى كما يستطيع ان يدفع النظير الذي يقع في
نفس كل احد لكن قوي اليقين لا يتاثر به وهذا كما ان قوة الطبيعة تدفع العلة وتبطلها
وحيث جاء الاثبات كان المراد به ضعيف الايمان والتوكل ذكره بعض اصحابنا واختاره

وفيه نظر وقال مالك لما سئل عن حديث فر من المجذوم ما سمعت فيه بكراهية وما ارى
ما جاء في ذلك الا مخافة ان يقع في نفس المؤمن شيء ومعنى هذا انه نفى العدوى اصلا وحمل
الامر بالمجانبة على حسم المادة وسد الذريعة لئلا يحدث للمخالط شيء من ذلك فيظن انه
بسبب المخالطة فيثبت العدوى التي نفاها الشرع وذهب ابو عبيد وابن جرير والطحاوي
وذكره القاضي ابو يعلى عن احمد قلت واحسن من هذا كله ما قاله البيهقي وتبعه ابن الصلاح
وابن القيم وابن رجب وابن مفلح وغيرهم ان قوله لا عدوى على الوجه الذي كانوا يعتقدونه
في الجاهلية من اضافة الفعل الى غير الله تعالى وان هذه الامراض تعدي بطبعها والله
فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من هذه العيوب سببا لحدوثه
ذلك ولهذا قال فر من المجذوم كما تفر من الاسد وقال لا يورد ممرض على مصح وقال
في الطاعون من سمع به بارض فلا يقدم عليه وكل ذلك بتقدير الله كما قال في من اعدى
الاول فمن يعدي الاول انما جرت بقضاء الله وقدره فكذلك الثاني وما بعده و
روى الامام احمد والترمذي عن ابن مسعود مرفوعا لا يعدي شيء شيئا فقال
اعرابي يا رسول الله الثقبة من الجرب تكون بمشفر البعير او بذنبه في الابل العظيمة فتجرب
كلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما اجرب الاول لا عدوى ولا هامة ولا صفر
خلق الله كل نفس وكتب حياتها ومصائبها ورزقها فاخبر عليه السلام ان ذلك كله
بقضاء الله وقدره كما دل عليه قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم
الا في كتاب من قبل ان نبرأها واما امره بالفرار من المجذوم ونهيه عن ايراد الممرض
على المصح وعن الدخول الى موضع الطاعون فانه من باب اجتناب الاسباب التي
خلقها الله تعالى وجعلها سببا بالهلاك والاذى والعبد مامور بابقاء اسباب
الشر اذا كان في عافية منها فكما انه يؤمر ان لا يلقي نفسه في الماء او في النار او تحت
الهدم ونحو ذلك مما جرت به العادة بانه يهلك ويؤذي فكذلك اجتناب مقاربة
المريض كالمجذوم والقدوم على بلد الطاعون فان هذه كلها اسباب للمرض والتلف

www.alabdulgader.com

واسه تعالى هو خالق الاسباب ومسبباتها لا خالق غيره ولا مقدر غيره واما اذا قوي التو
كل على الله والايمان بقضائه وقدره فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب
اعتمادا على الله ورجاء منه ان لا يحصل به ضرر ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك
لاسيما اذا كانت فيه مصلحة عامة او خاصة وعلى هذا يحمل الحديث الذي رواه ابو داود والترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد مجذوم فادخلها معه في القصعة ثم
قال كل باسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه وقد اخذ به الامام احمد وروي ذلك عن عمر
وابنه وسلمان رضي الله عنهم ونظير ذلك ما روي عن خالد ابن الوليد من اكل السم
ومنه سعد ابن ابي وقاص وابي مسلم الخولاني بالجيوش على متن البحر قاله ابن رجب
قوله ولا طيرة قال ابن القيم هذا يحتمل ان يكون نفيا او يكون نهيا اي لا تتطيروا
ولكن قوله في الحديث ولا عدوى ولا صفر ولا هامة يدل على ان المراد النفي وابطال هذه
الامور التي كانت الجاهلية تعانيها والنفي في هذا ابلغ من النهي لان النفي يدل على بطلان
ذلك وعدم تاثيره والنهي انما يدل على المنع منه وفي صحيح مسلم عن معاوية ابن
الحكم السلمي انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومنا اناس يتطيرون فقال ذاك شيء يجده
احدكم في نفسه فلا يصدنكم فاخبر ان تاذيه وتشاءمه بالتطير انما هو في نفسه وعقيدته
لا في المتطير به فوهمه وخوفه واشراكه هو الذي يطيره ويصده لا ما راه وسمعه فاوضح
صلى الله عليه وسلم لامته الامر وبين لهم فساد الطيرة ليعلموا ان الله سبحانه لم يجعل لهم
عليها علامة ولا فيها دلالة ولا يصيبهم سيا لما يخافونه ويحذرونه ولتطمئن قلوبهم
وتسكن نفوسهم الى وحدانيته تعالى الذي ارسل بها رسله وانزل بها كتبه وخلق لاجلها
جلها السموات والارض وعمر الدارين الجنة والنار بسبب التوحيد فقطع صلى الله عليه وسلم
علق الشرك من قلوبهم لئلا يبقى فيها علقة منها ولا يتلبسوا بعمل من اعمال النار البتة
فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى واعتصم بحبل المتين وتوكل على الله قطع هاجس
الطيرة من قبل استقرارها وبادر خواطرها من قبل استمكانها قال عكرمة كنا جلوسا

عند

عند ابن عباس فمر طائر يصيح فقال رجل من القوم خير خير فقال ابن عباس لا خير ولا شر
فبادره بالانكار عليه لئلا يعتقد تاثيره في الخير والشر وخرج طاووس مع صاحب له في
سفر فصاح غراب فقال الرجل خير فقال طاووس واي خير عند هذا لا تصحبني انتهى
ملخصا ولكن يشكل عليه ما رواه ابن حبان في صحيحه عن انس مرفوعا الطيرة والطيرة
على من تطير فظاهر هذا انها تكون سببا لوقوع الشر بالمتطير وجوابه ان المراد بذلك
من تطير انطير امنهيا عنه وهو ان يعتمد على ما يسمعه ويراه حتى يمنعه مما يريده من
حاجته فانه قد يصيبه ما يكرهه عقوبة له فاما من توكل على الله ووثق به بحيث علق
قلبه بالله خوفا ورجاء وقطعه عن الالتفات الى غير الله وقال وفعل ما امر به فانه لا يضره
ذلك فاما من اتقى اسباب الضرر بعد انعقادها بالاسباب المنهي عنها فانه لا ينفعه
ذلك غالبا لكن ردته الطيرة عن حاجة خشية ان يصيبه ما تطير به فانه كثيرا ما يصاب
بما يخشى به وقد جاءت احاديث ظن بعض الناس انها تدل على جواز الطيرة منها قوله
عليه السلام الشوم في ثلاث في المراة والدابة والدار وفي رواية لا عدوى ولا طيرة والشوم
في ثلاث الحديث وفي حديث اخر ان كان ففي الفرس والمراة والمسكن رواهما البخاري
فانكرت عائشة رضي الله عنها ذلك وقالت كذب والذي نزل الفرقان على ابي القاسم
من حدث بهذا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اهل الجاهلية يقولون
ان الطيرة في المراة والدار والدابة ثم قرئت عائشة ما اصاب من مصيبة في الارض ولا
في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها ان ذلك على الله يسير رواه احمد وابن خزيمة
والحاكم وصححه بمعناه وقال الخطابي وابن قتيبة هذا مستثنى من الطيرة منهي عنها
الا ان يكون له دار يكره سكناها او امراة يكره صحبتها او فرس او خادم فليفارق الجميع
بالبيع والطلاق ونحوه ولا يقيم على الكراهة والتاذي به فانه شوم وقالت طائفة لم يجزم
النبي صلى الله عليه وسلم بالشوم في هذه الثلاثة بل علقه على الشرط كما ثبت ذلك في الصحيح
ولا يلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد بمفردها قالوا والراوي غلط قلت لا يصح

تغليط مع امكان حمله على الصحة ورواية تعليقه بالشرط لا تدل على نفي رواية الجزم وقالت
طائفة اخرى الشوم بهذه الثلاثة انما يلحق من تشاءم بها فيكون شوما عليه ومن
توكل على الله ولم يتشاءم ولم يتطير لم تكن مشومة عليه قالوا ويدل عليه حديث انس
الطيرة على من تطير وقد يجعل الله سبحانه تطير العبد وتشاءمه سببا لحلول المكروه
كما يجعل الثقة به والتوكل عليه وافراده بالخوف والرجاء من اعظم الاسباب التي يدفع
بها الشر وقال ابن القيم اخباره صلى الله عليه وسلم في هذه الثلاثة ليس فيها اثبات
الطيرة التي نفاها الله وانما غايته ان الله سبحانه قد يخلق منها اعيانا مشومة على من
قاربها وسكنها واعيانا مباركة لا يلحق من قاربها منها شر ولا شوم وهذا كما يعطي
سبحانه الولد الذكر ويمنع الانثى ويعطي الانثى ويمنع الذكر ويعطي هذا ولدا مشوما
الشر على وجهه وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية او غيرها فكذلك الدار والمرأة و
الفرس والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس فيخلق بعض هذه الاعيان
سعودا مباركة ويقضي بسعادة من قاربها وحصول اليمن والبركة ويخلق بعضها
نحوسا يتنحس بها من قاربها وكل ذلك بقضاءه وقدره كما خلق سائر الاسباب
وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة كما خلق المسك وغيره من الارواح الطيبة ولذ ذبها
من قاربها من الناس وخلق ضدها وجعلها سببا لألم من قاربها من الناس والفرق بين هذين
النوعين مدرك بالحس فكذلك في الديار والنساء والخيل فهذا القول والطيرة الشركية لون
قلت ولهذا يشرع لمن استفاد زوجة او امة او دابة ان يسأل الله من خيرها وخير ما جبلت عليه
ويستعيذ من شرها وشر ما جبلت عليه وكذلك ينبغي لمن سكن دارا ان يفعل ذلك ولكن
يبقى على هذا ان يقال هذا جار في كل مشوم فما وجه خصوصية هذه الثلاثة بالذكر وجوابه
ان اكثر ما يقع التطير في هذه الثلاثة فخصت بالذكر لذلك ذكره في شرح السنة ومنها
ما روى مالك عن يحيى ابن سعيد قال جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله دار سكنا ها والعدد كثير والمال وافر فقل العدد وذهب المال فقال

بالحق

بالحس

النبي صلى الله عليه وسلم دعوها ذميمة ورواه ابو داود عن انس بنحوه وجوابه ان هذا
ليس من الطيرة المنهي عنها بل امرهم بالانتقال لانهم استثقلوها واستوحشوا منها
لما لحقهم فيها بتعجل الراحة مما داخلهم من الجزع لان الله قد جعل في غرائز الناس
استثقال ما نالهم الشر فيه وان كان لا سبب له في ذلك وحب ما جرى على يديه الخير
لهم وان لم يردهم به ولان مقامهم فيها قد يقودهم الى التطير فيوقعهم ذلك في الشر
والشر الذي يلحق المتطير بسبب طيرته وهذا بمنزلة الخارج من بلد الطاعون غير فار
منه ولو منع الناس الرحلة من الدار التي تتوالى عليهم فيها المصائب والمحن وتعذر
الارتزاق مع سلامة التوحيد في الرحلة للزوم كل من ضاق عليه رزق في بلد او قلت
فائدة صناعته او تجارته فيها ان لا ينتقل عنها الى غيرها فان قيل ما الفرق بين الدار
وبين موضع الوبا حيث رخص في الارتحال عن الدار دون موضع الوبا اجاب
بعضهم ان الامور بالنسبة الى هذا المعنى ثلاثة اقسام احدها ما لا يقع التطير منه
لا نادرا ولا مكررا فهذا لا يصغى اليه كنعيب الغراب في السفر وصراخ بومة في دار
وهذا كانت العرب تعتبره ثانيها ما قد يقع به ضرر ولكنه يعم ولا يخص ويندر
ولا يتكرر كالوبا فهذا لا يقدم عليه ولا يفر منه وثالثها سبب يخص ولا يعم و
يلحق به الضرر لطول الملازمة كالمرأة والفرس والدار فيباح له الاستبدال والتوكل
على الله والاعراض عما يقع في النفس ذكره في شرح السنة ومنها حديث اللقحة لما منع
النبي صلى الله عليه وسلم حربا او مرة من حلبها واذن ليعيش رواه مالك وجوابه ان
عبد البر قال ليس هذا عندي من باب الطيرة لانه محال ان ينهى عن شيء ويفعله وانما
هو من طلب الفال الحسن وقد كان اخبرهم عن اقبح الاسماء انه حرب ومره فالمراد بدا
لك حتى لا يتسمى بهما احد وقد روى ابن وهب في جامعه ما يدل على هذا فانه قال
في هذا الحديث فقام عمر ابن الخطاب فقال اتكلم يا رسول الله ام اصمت فقال بل اصمت
واخبرك بما اردت ظننت يا عمر انها طيرة ولا طيرة ولا خير الا خيره ولكن احب الفال

الحسن وعلى هذا يتجه في بقية الاحاديث التي توهم بعضهم انها من باب الطيرة قوله ولا هامة
بتحقيق الميم على الصحيح قال الفراء الهامة طائر من طير الليل كانه يعني البومة قال ابن
الاعرابي كانوا يتشاءمون بها اذا وقعت على بيت احدهم يقول نعت الى نفسي او واحدا
من اهل داري وقال ابو عبيد كانوا ابن عون ان عظام الميت تصير هامة فتطير ويسمون
ذلك الطائر الصدى وبه جزم ابن رجب قال وهذا شبيه باعتقاد اهل التناسخ ان
ارواح الموتى تنتقل الى اجساد حيوانات من غير بعث ولا نشور وكل هذه اعتقادات
باطلة جاء الاسلام باطالها وتكذيبها ولكن الذي جاءت به الشريعة ان ارواح الشهداء
في حواصل طير خضر تاكل من ثمار الجنة وتشرب من انهارها الى ان يردها الله الى اجسا
دها وذكر الزبير ابن بكار في الموفقيات ان العرب كانت في الجاهلية تقول اذا قتل
الرجل ولم يوخذ بثاره خرجت من راسه هامة وهي دودة فتدور حول قبره وتقول اسقوني
وفي ذلك يقول شاعرهم يا عمرو ان لا تدع شتمي ومنقصتي ... اضربك حتى تقول الهامة اسقوني
قال وكانت اليهود تزعم انها تدور حول قبره سبعة ايام ثم تذهب قوله ولا صفر بفتح الفا
روى ابو عبيدة معمر ابن المثنى في غريب الحديث له عن رؤبة انه قال هي حية تكون في
البطن تصيب الماشية والناس وهي اعدى من الجرب عند العرب فعلى هذا فالمراد بنفسه ما
كانوا يعتقدونه من العدوى ويكون عطفه على العدوى من عطف الخاص على العام وممن
قال بهذا سفيان ابن عيينة واحمد والبخاري وابن جرير وقال اخرون المراد به شهر صفر
والنفي لما كان اهل الجاهلية يفعلونه في النسيء وكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر فكانه
وهذا قول مالك وفيه نظر وروى ابو داود عن محمد ابن راشد عمن سمعه يقول ان اهل الجا
هلية كانوا يتشاءمون بصفر ويقولون انه شهر منحوس فابطل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
قال ابن رجب ولعل هذا القول اشبه الاقوال وكثير من الجهال يتشاءم بصفر وربما ينهى
عن السفر فيه والتشاءم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها وكذلك التشاءم بيوم من
الايام كيوم الاربعاء وتشاءم اهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة قوله

ولا نوء النوء واحد الانواء وسياتي الكلام عليه في باب ما جاء في الاستسقاء بالانواء قوله
ولا غول هو بالفتح مصدر معناه البعد والهلاك وبالضم الاسم وجمعه اغوال وغيلان
وهو المراد هنا قال ابو السعادات الغول واحد الغيلان وهو جنس من الجن والشياطين
كانت العرب تزعم ان الغول في الفلاة تترى للناس فتتغول تغولا اي تتلون تلونا
في صور شتى وتغولهم اي تضلهم عن الطريق وتهلكهم فنفاه النبي صلى الله عليه وسلم وابطله
وقيل قوله لا غول ليس بنفي العين الغول ووجوده وانما فيه ابطال زعم العرب في تلونه
بالصور المختلفة واغتياله فيكون المعنى بقوله لا غول انها لا تستطيع ان تضل احدا
ويشهد له الحديث الاخر لا غول ولكن السعالي سحرة الجن اي ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس
وتخييل ومنه الحديث اذا تغولت الغيلان فبادروا بالاذان اي ادفعوا شرها بذكر الله
وهذا يدل على انه لم يرد بنفيها عدمها ومنه حديث ابي ايوب كان لي تمر في سهوة فكانت
الغول تجيء فتاخذ قال ولهما عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيره ويعجبني الفال قالوا وما الفال قال الكلمة الطيبة قوله ويعجبني الفال
قال ابو السعادات الفال مفهوم فيما يسر ويسوء والطيرة لا تكون الا فيما يسوء يقال
استعملت فيما يسر يقال تفاءلت بكذا وتفاءلت على التخفيف والقلب قد اولع الناس
بترك الهمزة تخفيفا وانما احب الفال لان الناس اذا املوا فائدة الله ورجوا عائدته عند
كل سبب ضعيف او قوي فهم على خير ولو غلطوا في جهة الرجاء فان الرجا لهم خير واذا قطعوا
املهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر واما الطيرة فان فيها سوء الظن بالله وتوقع
البلاء معنى التفاؤل مثل ان يكون رجل مريض فيتفاءل بما يسمع من كلام فيسمع اخر
يقول يا سالم او يكون طالب ضالة فيسمع اخر يقول يا واجد فيقع في ظنه انه يبرا من
مرضه ويجد ضالته ومنه الحديث قيل يا رسول الله ما الفال قال الكلمة الصالحة قوله
قالوا وما الفال قال الكلمة الطيبة بين لهم صلى الله عليه وسلم ان الفال يعجبه فدل انه ليس
من الطيرة المنهي عنها قال ابن القيم ليس في الاعجاب بالفال ومحبته شيء من الشرك بل ذلك اباحة

عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الانسانية التي تميل الى ما يوافقها وبلائمها كما اخبرهم انه
حبب اليه من الدنيا النساء والطيب وكان يحب الحلو والعسل ويحب حسن الصوت بالقران
والاذان ويستمع اليه ويحب معالي الاخلاق ومكارم الشيم وبالجملة يحب كل كمال وخير وما
يفضي اليهما والله سبحانه قد جعل في غرائز الناس الاعجاب باسم الاسم الحسن ومحبته وميل
نفوسهم اليه وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام و
النجاح والتهنية والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك فاذا قرعت هذه الاسماء الاسماع
استبشرت بها النفس وانشرح لها الصدر وقوي بها القلب واذا سمعت اضدادها اوجب
لها ضد هذه الحال فاخبرها ذلك واثار لها هما وطيرة وانكماشا وانقباضا عما قصدت له
وعزمت عليه فاورث لها ضررا في الدنيا ونقصا في الايمان ومقارفة الشرك وقال الحليمي
وانما كان صلى الله عليه وسلم يعجبه الفال لان النساء سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق و
التفاؤل حسن ظن به والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال قال ولابي داود
وبسند صحيح عن عقبة بن عامر قال ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال احسنها الفال ولا ترد مسلما فاذا رأى احدكم ما يكره فليقل اللهم لا يأتي بالحسنات
الا انت ولا يدفع السيئات الا انت ولا حول ولا قوة الا بك قوله عن عقبة ابن عامر
هكذا وقع في نسخ التوحيد وصوابه عروة بن عامر القرشي وقال غيره الجهني واختلف في
صحبته فقال البا وردي له صحبة وذكره ابن حبان في ثقات التابعين وقال المزي لا صحبة
له تصح قوله فقال احسنها الفال قد تقدم انه صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الفال وروى الترمذي
وصححه عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج لحاجة يحب ان يسمع يا نجيح يا راشد
وروى ابو داود عن بريدة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتطير من شيء وكان اذا بعث عاملا
سأل عن اسمه فاذا اعجبه فرح به وان كره اسمه رؤي كراهية ذلك في وجهه واسناده حسن
وهذا فيه استعمال الفال قال ابن القيم في الكلام على الحديث المشروح اخبر النبي صلى الله عليه وسلم
ان الفال من الطيرة وهو خيرها فابطل الطيرة واخبر ان الفال منها ولكنه خير منها ففصل بين

الفال

الفال والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع حدهما ومضرة الآخر ونظير هذا
منعه من الرقى بالشرك واذنه في الرقية اذا لم يكن فيها شرك لما فيها من المنفعة الخالية
عن المفسدة قوله ولا ترد مسلما قال الطيبي تعريض بان الكافر بخلافه قوله اللهم لا يأتي
بالحسنات الا انت ولا يدفع السيئات الا انت اي لا تأتي الطيرة بالحسنات ولا تدفع
المكروهات بل انت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات
وهذا دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة وتصريح بانها لا تجلب نفعا ولا
تدفع ضرا ويعد من اعتقدها سيفيها مشركا قوله ولا حول ولا قوة الا بك استعانة
بالله تعالى على فعل التوكل وعدم الالتفات الى الطيرة التي قد تكون سببا لوقوع
المكروه عقوبة لفاعلها وذلك انما يصدر من تحقيق التوكل الذي هو اقوى الاسباب
في جلب الخيرات ودفع المكروهات والحول التحول والانتقال من حال الى حال والقوة
على ذلك اي لا حول ولا قوة على ذلك التحول الا بك وذلك يفيد التوكل على الله لانه علم
وعمل فالعلم معرفة القلب بتوحيد الله بالنفع والضر وعامة المؤمنين بل كثير من
المشركين يعلمون ذلك والعمل هو ثقة القلب بالله وفراغه من كل ما سواه وهذا
عزيز ويختص به خواص المؤمنين وهو داخل في هذه الكلمة لان فيها التبري من الحول
والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته والاقرار بقدرته على كل شيء وبعجز
العبد عن كل شيء الا ما قدره عليه ربه وهذا نهاية توحيد الربوبية الذي يتم التوكل
وتوحيد العبادة قال وعن ابن مسعود مرفوعا الطيرة شرك الطيرة شرك وما منا
الا ولكن الله يذهبه بالتوكل رواه ابو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من
قول ابن مسعود هذا الحديث رواه ايضا ابن ماجة وابن حبان ولفظ ابي داود الطيرة
الشرك الطيرة شرك ثلاثا قوله الطيرة شرك صريح في تحريم الطيرة وانها من الشرك
لما فيها من تعلق القلب على غير الله وقال ابن حمدان في الرعاية تكره الطيرة وكذا قال
غير واحد من اصحاب احمد قال ابن مفلح والاولى القطع بتحريمها ولعل مرادهم بالكراهة

التحريم قلت بل الصواب القطع بتحريمها لانها شرك وكيف يكون الشرك مكروها الكراهة الا
صطلاحية فان كان القائل بكراهتها اراد ذلك فلا ريب في بطلانه قال في شرح السنن
وانما جعل الطيرة من الشرك لانهم كانوا يعتقدون ان التطير يجلب لهم نفعا او يدفع عنهم ضررا اذا عملوا بموجبه فكانهم اشركوا مع الله تعالى قوله وما منا الا قال
ابو القاسم الاصبهاني والمنذري في الحديث اضمار والتقدير وما منا الا وقد وقع في
قلبه شيء من ذلك انتهى وحاصله وما منا الا من يعتريه التطير ويسبق الى قلبه الكراهة
فيه فحذف ذلك اعتمادا على فهم السامع وقال الخلخالي حذف المستثنى لما يتضمنه
من الحالة المكروهة وهذا نوع من ادب الكلام قوله ولكن الله يذهبه بالتوكل اي
وما منا الا من يقع في قلبه ذلك ولكن لما توكلنا على الله واعتمدنا وابتغاء ما جاء به
النبي صلى الله عليه وسلم واعتقدنا صدقه اذهب الله ذلك عنا واقر قلوبنا على السنة
واتباع الحق قوله وجعل اخره من قول ابن مسعود قال الترمذي سمعت محمد ابن
اسماعيل يقول كان سليمان ابن حرب يقول في هذا وما منا هذا عندي من قول ابن
مسعود قال الترمذي نقل ذلك عن سليمان ابن حرب ووافقه على ذلك العلماء قال
ابن القيم وهو الصواب فان الطيرة نوع من الشرك قال ولاحمد من حديث ابن عمرو
من ردته الطيرة من حاجته فقد اشرك قالوا فما كفارة ذلك قال ان تقول اللهم
لا خير الا خيرك ولا طير الا طيرك ولا اله غيرك هذا الحديث رواه الامام احمد والطبراني
عن ابن عمرو ابن العاص مرفوعا وفي اسناده ابن لهيعة وفيه اختلاف وبقية رجاله ثقات
قوله من حديث عمرو هو عبد الله ابن عمرو ابن العاص ابن وايل السهمي ابو محمد وقيل ابو
عبد الرحمن احد السابقين المكثرين من الصحابة واحد العبادلة الفقهاء مات في ذي الحجه
ليالي الحرة على الاصح بالطائف قوله من ردته الطيرة عن حاجته فقد اشرك وذلك
ان التطير هو التشاءم بالشيء المرئي او المسموع فاذا استعملها الانسان ورجع بها عن
سفره وامتنع بها عما عزم عليه فقد وقع باب الشرك بل ولجه وبرئ من التوكل على الله

ومحمد

وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله وذلك قاطع له عن مقام اياك نعبد واياك
نستعين فيصير قلبه متعلقا بغير الله وذلك شرك فيفسد عليه ايمانه وحاله ويبقى هدفا
لسهام الطيرة ويقيض له الشيطان من ذلك ما يفسد عليه دينه ودنياه وكم ممن هلك
بذلك وخسر الدنيا والآخرة قوله فما كفارة ذلك الى آخر الحديث هذا كفارة لما يقع
في القلب من الطيرة ولكن يمضي مع ذلك ويتوكل على الله وفيه الاعتراض بان الطير خلق
مسخر مملوك لله لا يأتي بخير ولا يدفع شرا وانه لا خير في الدنيا والآخرة الا خير الله فكل
خير فيهما فهو من الله تعالى فضلا على عباده واحسانا اليهم وان الالهية كلها لله ليس
فيهما لاحد من الانبياء والملائكة عليهم السلام شركة فضلا عن الشرك فيها فما يراه
ويسمعه مما يتشاءم به قال وله من حديث الفضل ابن العباس انما الطيرة ما امضاك
او ردك هذا الحديث رواه احمد في المسند ولفظه حدثنا حماد ابن خالد قال
حدثنا ابن علاثة عن مسلمة الجهني قال سمعته يحدث عن الفضل ابن العباس قال
خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فرح ضبي فمال في شقه فاحتضنته فقلت
يا رسول الله تطيرت قال انما الطيرة ما امضاك او ردك هكذا رواه احمد وفي اسناده
نظر وقرئت بخط المصنف فيه رجل مختلف فيه وفيه انقطاع اي بين مسلمة وبين الفضل
وهو ابن العباس ابن عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم واكبر ولد العباس قال ابن معين
قتل يوم اليرموك في عهد ابي بكر رضي الله عنه وقال غيره قتل يوم مرج الصفر سنة ثلاث
عشرة وهو ابن ثنتين وعشرين سنة وقال ابو اسود قتل بدمشق كان عليه درع النبي
صلى الله عليه وسلم وقال الواقدي وابن سعد مات في الطاعون عمواس قوله انما الطيرة
ما امضاك او ردك هذا احد الطيرة المنهي عنها بايهما اوجب للانسان ان يمضي لما يريد
ولو من الفال فان الفال انما يستحب لما فيه من البشارة والملايمة للنفس واما ان يعتمد
عليه ويمضي لاجله مع نسيان التوكل على الله فان ذلك من الطيرة وكذلك اذا رأى او سمع
ما يكره فتشاءم به او رده عن حاجته فان ذلك ايضا من الطيرة **باب ما جاء في التنجيم**

المراد هنا ذكر ما يجوز من التنجيم وما لا يجوز وما ورد فيه من الوعيد قال شيخ الاسلام هو الاستدلال بالاحوال الفلكية على الحوادث الارضية وقال الخطابي علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه اهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي تقع وستقع في مستقبل الزمان كاوقات هبوب الرياح ومجيئ المطر او ظهور الحر والبرد وتغير الاسعار وما كان في معناها من الامور التي يزعمون انهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها ويدعون ان لها تاثيرا في السفليات وانها تجري على قضايا موجباتها وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاطي العلم قد استاثر الله به لا يعلم الغيب سواه قلت واعلم ان التنجيم على ثلاثة اقسام احدها ما هو كفر باجماع المسلمين وهو القول بان الموجودات في العالم السفلي مركبة على تاثير الكواكب والروحانيات وان الكوكب فاعلة مختارة وهذا كفر باجماع المسلمين وهذا قول الصابئة المنجمين الذين بعث اليهم ابراهيم الخليل عليه السلام ولهذا كانوا يعظمون الشمس والقمر والكواكب تعظيما يسجدون لها ويتذللون لها ويسمونها تسابيح معروفة في كتبهم ويدعونها دعوات لا تنبغي الا لخالقها وفاطرها وحده لا شريك له ويبنون لكل كوكب هيكلا اي موضعا لعبادته ويصورون فيه ذلك الكواكب ويتخذونه لعبادته وتعظيمه ويزعمون ان روحانية ذلك الكوكب تنزل عليهم وتخاطبهم وتقضي حوائجهم وتلك الروحانية هي الشياطين تنزلت عليهم وخاطبتهم وقضت حوائجهم وقد صنف بعض المتاخرين في هذا الشرك مصنفا وذكره صاحب التذكرة فيها الثاني الاستدلال على الحوادث الارضية بسير الكواكب واجتماعها وافتراقها ونحو ذلك ويقول ان ذلك بتقدير الله ومشيئته فلا ريب في تحريم ذلك واختلف المتاخرون في تكفير القائل بذلك وينبغي ان يقع بكفره لانه دعوى لعلم الغيب الذي استاثر الله تعالى بعلمه بما لا دليل عليه الثالث ما ذكره المصنف في تعلم المنازل وسياتي الكلام عليه قوله قال البخاري في صحيحه قال قتادة خلق الله هذه النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تاول

تاول فيها غير ذلك اخطا واضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به هذا الاثر علقه البخاري في صحيحه كما قال المصنف واخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابو الشيخ والخطيب في كتاب النجوم عن قتادة ولفظه قال ان الله انما جعل هذه النجوم لثلاث خصال زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برايه واخطا حظه واضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به وان ناسا جهلة بامر الله قد احدثوا في هذه النجوم كهانة من اعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ولعمري ما من نجم الا يولد به الاحمر والاسود والطويل والقصير والحسن والذميم وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشيء من هذا الغيب لعلمه ادم الذي خلقه الله بيده واسجد له ملائكته وعلمه اسماء كل شيء قوله خلق الله هذه النجوم لثلاث الى اخره هذا ماخوذ من القرآن في قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله وعلامات وبالنجم هم يهتدون وفيه اشارة الى ان النجوم في السماء الدنيا كما هو ظاهر الاية وفيه حديث رواه ابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما السماء فان الله خلقها من دخان وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وزينها بمصابيح النجوم وجعلها رجوما للشياطين وحفظا من كل شيطان مارد مختصر وقوله وعلامات اي دلالات على الجهات والبلدان ونحو ذلك يهتدى بها بصيغة المجهول اي يهتدي بها الناس في ذلك كما قال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وليس المراد يهتدون بها في علم الغيب ولهذا قال فمن تاول فيها غير ذلك اي زعم فيها غير ما ذكر الله تعالى من هذه الثلاث فاد عى بها علم الغيب فقد اخطا اي حيث تكلم رجما بالغيب واضاع نصيبه اي حظه من عمره لانه اشتغل بما لا فائدة فيه بل هو مضرة محضة ومتكلف ما لا علم له به اي تعاطى شيئا لا يتصور علمه لان اخبار السماء والامور المغيبة لا تعلم الا من طريق الكتاب والسنة وليس فيهما ازيد مما تقدم قال الداودي قول قتادة في النجوم احسن الاقوال اخطا واضاع نصيبه

فانه قصر في ذلك بل قائل ذلك كافر فان قلت ان المنجمين قد يصدقون بعض الاحيان قيل
صدقهم كصدق الكهان يصدقون مرة ويكذبون مئة وليس في صدقهم مرة ما يدل
على ان ذلك علم صحيح كالكهان وقد استدل بعض المنجمين بايات من كتاب الله على صحة
علم التنجيم منها قوله تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون والجواب ان ليس المراد بهذه
الاية ان النجوم علامات على الغيب يهتدي بها الناس في علم الغيب وانما المعنى وعلامات
اي دلالات على قدرة الله وتوحيده وعن قتادة ومجاهد ان من النجوم ما يكون علامة
لا يهتدى بها وقيل ان هذا من تمام الكلام الاول وهو قوله والقى في الارض رواسي ان تميد
بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات اي والقى لكم معالم يعلم بها الطريق والارض
من الجبال الكبار والصغار يستدل بها المسافرون في طرقهم وقوله وبالنجم هم يهتدون
قال ابن عباس في الاية وعلامات يعني معالم الطرق بالنهار وبالنجم هم يهتدون قال يهتدون
به في البحر في اسفارهم رواه ابن جرير وابن ابي حاتم فهذا القول ونحوه هو معنى الاية فلا
ستدلال بها على صحة علم التنجيم استدلال على ما يعلم فساده بالاضطرار من دين الاسلام
بما يدل عليه لا نصا ولا ظاهرا وذلك افسد انواع الاستدلال فان الاحاديث جاءت عن
النبي صلى الله عليه وسلم بابطال علم التنجيم وذم منها حديث من اقتبس شعبة من النجوم فقد
اقتبس شعبة من السحر الحديث وقد تقدم وعن عبد الله ابن مخيريز التابعي الجليل ان سليمان
ابن عبد الملك دعاه فقال لو تعلمت علم النجوم فاردت الى علمك فقال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي ثلاث حيف الائمة وتكذيب بالقدر وايمان بالنجوم وعن
رجا ابن حيوة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اخاف على امتي التصديق بالنجوم والتكذيب بالقدر
وحيف الائمة رواهما عبد ابن حميد فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على
ثبوت الحديث لا سيما وقد احتج به من ارسله وعن ابي محجن مرفوعا اخاف على امتي من بعدي ثلاث
حيف الائمة وايمانا بالنجوم وتكذيبا بالقدر رواه ابن عساكر وحسنه السيوطي وعن انس مرفوعا
اخاف على امتي بعدي خصلتين تكذيبا بالقدر وايمانا بالنجوم رواه ابو يعلى وابن عدي والخطيب

يتبع

في كتاب النجوم وحسنه السيوطي ايضا وروى الامام احمد والبخاري عن ابن عمر مرفوعا مفاتيح
الغيب خمس لا يعلمها الا الله لا يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم ما تغيض الارحام الا الله ولا يعلم
متى يأتي المطر احد الا الله ولا تدري نفس باي ارض تموت ولا يعلم متى تقوم الساعة الا
الله لفظ البخاري وعن العباس ابن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد
ظهر الله هذه الجزيرة من الشرك ما لم تضلهم النجوم رواه ابن مردويه عن ابن عمر مرفوعا
تعلمون من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا وعن ابي هريرة قال نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن النظر في النجوم رواها ابن مردويه والخطيب وعن سمرة ابن جندب انه
خطب فذكر حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اما بعد فان ناسا يزعمون ان
كسوف هذه الشمس وخسوف هذا القمر وزوال هذه النجوم عن مواضعها لموت رجال عظماء
من اهل الارض وانهم قد كذبوا ولكنها ايات الله يعتبر بها عباده لينظر من يحدث له منهم توبة
رواه ابو داود وفي الباب احاديث واثار غير ما ذكرنا فتبين بهذا ان الاستدلال
بالاية على صحة احكام النجوم من افسد انواع الاستدلال ومنها قوله تعالى عن ابراهيم
عليه السلام فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم والجواب ان هذا من جنس استدلاله
بالاية الاولى على الفساد فاين فيها ما يدل على صحة احكام النجوم بوجه من وجوه الدلالات
وهل اذا رفع انسان بصره الى النجوم فنظر اليها دل ذلك على صحة علم النجوم عنده وكل الناس
ينظرون الى النجوم فلا يدل ذلك على صحة علم احكامها وكان هذا ما شعر ان ابراهيم عليه السلام
انما بعث الى الصابئة المنجمين مبطلا لقولهم مناظرا لهم على ذلك فان قيل على هذا فما
فائدة نظره في النجوم قيل نظره في النجوم من معاريض الافعال ليتوصل به الى غرضه من كسر
الاصنام كما كان قوله بل فعله كبيرهم هذا من ظن ان نظره في النجوم ليستنبط منها على الاحكام
وعلم ان طالعه يقتضي عليه بالنحس فقد ضل ضلالا بعيدا ولهذا جاء في حديث الشفاعة الصحيح
انه عليه السلام يقول لست هناكم ويذكر ثلاث كذبات كذبهن وعدها العلماء قوله اني سقيم
وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هي اختي فلو كان قوله اني سقيم اخذه من علم النجوم

لم يعتذر من ذلك وانما هي من معاريض الأفعال فلهذا اعتذر منها كما اعتذر من قوله بل فعله كبيرهم هذا ذكر ذلك ابن القيم ولكن قوله وعدها العلماء يدل على انه لم يستحضر الحديث الوارد في عدها وقد رواه احمد والبخاري واصحاب السنن وابن جرير وغيرهم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم عليه السلام غير ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله في ساره هي اختي لفظ ابن جرير وروى ابن ابي حاتم عن ابي سعيد مرفوعا في كلمات ابراهيم الثلاث التي قال ما منها كلمة الا ماحل بها عن دين الله فقال اني سقيم وقال بل فعله كبيرهم هذا وقال للملك حين اراد امرأته هي اختي وفي اسناده ضعف وقال قتادة في الاية العرب تقول لمن تفكر ونظر في النجوم قال ابن كثير يعني قتادة انه نظر الى السماء متفكرا فيما يكذبهم به فقال اني سقيم اي ضعيف قال وكره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص ابن عيينة فيه ذكره حرب عنهما ورخص في تعلم المنازل احمد واسحق هذا هو القسم الثالث من علم التنجيم وهو تعلم منازل الشمس والقمر للاستدلال بذلك على القبلة واوقات الصلاة والفصول وهو كما ترى من اختلاف السلف فيه فما ظنك بذينك القسمين ومنازل القمر ثمانية وعشرون كل ليلة في منزلة منها فكره قتادة وسفيان ابن عيينة تعلم المنازل واجازه احمد واسحق وغيرهما قال الخطابي اما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر الذي يعرف به الزوال ويعلم به جهة القبلة فانه غير داخل فيما نهي عنه وذلك ان معرفة رصد الظل ليس شيئا باكثر من ان الظل ما دام متناقصا فالشمس بعد صاعدة نحو وسط السماء من الافق الشرقي واذا اخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الافق الغربي وهذا علم يصح دركه بالمشاهدة الا ان اهل هذه الصناعة قد دبروها بما اتخذوا له من الآلات التي يستغني الناظر فيها عن مراعاة مدته ومراصدته واما ما يستدل به من النجوم على جهة القبلة فانها كواكب رصدها اهل الخبرة بها من الأئمة الذين لا تشك في عنايتهم بامر الدين ومعرفتهم بها وصدقهم فيما اخبروا به عنها مثل ان يشاهدوها

بحضرة

بحضرة الكعبة وليشاهدوها على حال الغيبة عنها فكان ادراكهم الدلالة منها بالمعاينة وادراكنا ذلك بقبولنا خبرهم اذا كانوا عندنا غير متهمين في دينهم ولا مقصرين في معرفتهم قلت وروى ابن المنذر عن مجاهد انه كان لا يرى باسا ان يتعلم الرجل منازل القمر قلت لانه لا محذور في ذلك وعن ابراهيم انه كان لا يرى باسا ان يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به رواه ابن المنذر قال ابن رجب والماذون في تعلمه علم التيسير لا علم التاثير فانه باطل محرم قليله وكثيره واما علم التسيير فتعلم منه ما يحتاج اليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق جائز عند الجمهور وما زاد عليه لا حاجة اليه لشغله عما هو اهم منه وربما ادى تدقيق النظر فيه الى اساءة الظن بمحاريب المسلمين كما وقع من هل هذا العلم قديما وحديثا وذلك يفضي الى اعتقاد خطا السلف في صلاتهم وهو باطل انتهى مختصرا قلت وهذا هو الصحيح ان شاء الله ويدل على ذلك الايات والأحاديث التي تقدمت وهل يدخل في النهي معرفة وقت الكسوف الشمسي والقمري او لا رجح ابن القيم انه لا يدخل قوله ذكر حرب عنهما هو الامام الحافظ حرب ابن اسمعيل ابو محمد الكرماني الفقيه من جلة اصحاب الامام احمد روى عن احمد واسحق وابن المديني وابن معين وابن خيثمة وابن ابي شيبة وغيرهم وله مصنفات جليلة منها كتاب المسائل التي سال عنها الامام احمد وغيره واورد فيها من الاحاديث والآثار واظنه روى اثر قتادة وابن عيينة فيها سنة ثمانين ومائتين واسحق هو ابراهيم ابن مخلد ابو يعقوب الحنظلي النيسابوري الامام المعروف بابن راهويه روى عن ابن المبارك وابي اسامة وابن عيينة وطبقتهم قال احمد اسحق عندنا امام من ائمة المسلمين وروى عنه احمد والبخاري ومسلم وابو داود وغيرهم وروى هو ايضا عن احمد مات سنة تسع وثلاثين ومائتين قال وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن الخمر وقاطع الرحم ومصدق بالسحر رواه احمد وابن حبان في صحيحه هذا الحديث رواه ايضا الطبراني والحاكم وقال صحيح واقره الذهبي وتمام الحديث

ومن مات وهو مدمن خمر سقاه الله من نهر الغوطة نهر يجري من فروج الموسسات يوذي
اهل النار ريح فروجهن قوله عن ابي موسى هو عبد الله ابن قيس ابن سليم ابن حضار بفتح المهملة وتشديد المعجمة ابو موسى الاشعري صحابي جليل استعمله النبي صلى الله عليه وسلم
واقره عمر ثم عثمان وهو احد الحكمين بصفين مات سنة خمسين قوله ثلاثة لا يدخلون الجنة هذا من نصوص الوعيد التي كره السلف تاويلها وقالوا امروها كما جاءت
وان كان صاحبها لا ينتقل عن الملة عندهم وكان المصنف رحمه الله يميل الى هذا القول
وقالت طائفة هو على ظاهره فلا يدخل الجنة اصلا معه من الخمر ونحوه ويكون هذا
مخصصا لعموم الاحاديث الدالة على خروج الموحدين من النار ودخولهم الجنة وحمله
اكثر الشراح على من فعل ذلك مستحلا او على معنى انهم لا يدخلون الجنة الا بعد العذاب
ان لم يتوبوا والله اعلم قوله مدمن الخمر اي مداوم على شربها قوله وقاطع الرحم اي القرابة
كما قال تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك
الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم قوله ومصدق بالسحر مطلقا ويدخل فيه التنجيم
لحديث من اقتبس علما من النجوم اقتبس علما من السحر وهذا وجه مطابقة الحديث للباب
قال الذهبي في الكبائر ويدخل فيه تعلم السيمياء وعملها وهي محض السحر وعقد المرء عن زوجته
ومحبة الزوج لامراته وبغضها وبغضه واشباه ذلك بكلمات مجهولة قال وكثير من الكبائر
بل عامتها الا الاقل يجهل خلق من الامة تحريمه وما بلغه الزجر فيه ولا لوعيد عليه فهذا الضرب
فيهم تفصيل فينبغي للعالم ان لا يجهل على الجاهل بل يرفق به ويعلمه سيما اذا اوشك عهده بجهله
كمن اسر وجلب الى ارض الاسلام وهو تركي فبالجهد ان يتلفظ بالشهادتين فلا يأثم
احد الا بعد العلم بحاله وقيام الحجة عليه باب ما جاء في الاستسقاء بالانواء
اي من الوعيد والمراد نسبة السقيا ومجيء المطر الى الانواء جمع نوء وهي منازل القمر كل
ليلة منزلة منها ومنه قوله تعالى والقمر قدرناه منازل يسقط في الغرب كل ثلاثة عشر
ليلة منزلة مع طلوع الفجر وتطلع اخرى مقابلتها ذلك الوقت في الشرق فتنقضي جميعها

قال ابو السعادات وهي ثمانية وعشرون منزلة
ينزل القمر في كل

مع انقضاء السنة وكانت العرب تزعم ان مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر
وينسبونه اليها فيقولون مطرنا بنوء كذا وانما سمي نوءا لانه اذا سقط الساقط
منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق بنوء نوءا اي نهض وطلع قال وقول الله تعالى
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون روى الامام احمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن
ابي حاتم والضياء في المختارة عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و
تجعلون رزقكم يقول شكركم انكم تكذبون يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا
وكذا وهذا اولى ما فسرت به الاية وروي ذلك عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك
وعطا الخراساني وغيرهم وهو قول جمهور المفسرين وبه يظهر وجه استدلال المصنف
بالاية على الترجمة فالمعنى على هذا وتجعلون شكركم لله على ما انزل اليكم من الغيث والمطر
والرحمة انكم تكذبون اي تنسبونه الى غيره وقال ابن القيم اي تجعلون حظكم من هذا الرزق
الذي به حياتكم التكذيب به يعني القران قال الحسن تجعلون حظكم ونصيبكم من القران
انكم تكذبون قال وخسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله الا التكذيب به قلت والاية
تشمل المعنيين قال عن ابي مالك الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اربع في امتي من امر الجاهلية لا يتركونهن الفخر بالاحساب والطعن في الانساب
والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت وقال النائحة اذا لم تتب قبل موتها
تقام يوم القيمة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب رواه مسلم
قوله عن ابي مالك الاشعري اسمه الحارث ابن الحارث الشامي صحابي تفرد عنه بالرواية ابو سلام وفي الصحابة ابو مالك الاشعري اثنان غير هذا جزم به الحافظ قوله
اربع في امتي من امر الجاهلية لا يتركونهن اي من افعال اهلها بمعنى انها معاصي ستفعلها
هذه الامة اما مع العلم بتحريمها او مع الجهل بذلك كما كان اهل الجاهلية يفعلونها والمراد
بالجاهلية هنا ما قبل المبعث سموا بذلك لفرط جهلهم وكل ما يخالف ما جاءت به الانبيا
والمرسلون هو جاهلية منسوبة الى الجاهل فما كانوا عليه من الاقوال والاعمال انما

احدث لهم جاهل وانما يفعله جاهل قال شيخ الاسلام اخبر ان بعض امر الجاهلية لا يتركه الناس
كلهم ذما لمن لم يتركه وهذا يقتضي ان ما كان من امر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم
في دين الاسلام والا لم يكن في اضافة هذه المنكرات الى الجاهلية ذم لها ومعلوم ان
اضافتها الى الجاهلية خرج مخرج الذم وهذا كقوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى
فان في ذلك ذما للتبرج وذما لحال الجاهلية وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة
قوله الفخر بالاحساب اي الشرف بالاباء والتعاظم بعدد مفاخرهم ومآثرهم وفضائلهم
وذلك جهل عظيم اذ لا شرف الا بالتقوى كما قال تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم
عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا الاية وقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وروى ابو
داود عن ابي هريرة مرفوعا ان الله قد اذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالاباء مؤمن
تقي او فاجر شقي الناس بنو ادم وادم خلق من تراب ليدعن رجال فخرهم باقوام انما هم
فحم من فحم جهنم او ليكونن اهون عند الله من الجعلان التي تدفع بانفها النتن والاحساب
جمع حسب وهو يعده الانسان له ولابائه من شجاعة وفصاحة ونحو ذلك قوله والطعن
في الانساب اي الوقوع فيها بالذم والعيب او يقدح في نسب احد من الناس فيقول ليس هو
من ذرية فلان او يعير بما في اباءه من المطاعن ولهذا لما عير ابو ذر رضي الله عنه رجلا بامه
قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ذر اعيرته بامه انك امرؤ فيك جاهلية متفق عليه فدل
ذلك ان التعيير بالانساب من اخلاق الجاهلية وان الرجل مع فضله وعلمه ودينه قد يكون
فيه بعض هذه الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية ولا يوجب ذلك كفره ولا
فسقه قاله شيخ الاسلام قوله والاستسقاء بالنجوم اي نسبة السقيا ومجيئ المطر
الى النجوم والانواء وهذا هو الذي خافه النبي صلى الله عليه وسلم على امته كما روى الامام احمد
وابن جرير عن جابر السواي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اخاف على امتي
ثلاثا استسقاء بالنجوم وحيف السلطان وتكذيبا بالقدر اذا تبين هذا فالاستسقاء بالنجوم نوعان احدهما ان يعتقد ان المنزل للمطر هو النجم فهذا كفر

ظاهر

ظاهر اذ لا خالق الا الله وما كان المشركون هكذا بل كانوا يعلمون ان الله هو المنزل
للمطر كما قال تعالى ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله وليس هذا معنى الحديث فان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر ان هذا لا يزال في امته
ومن اعتقد ان النجم ينزل المطر فهو كافر الثاني ان ينسب انزال المطر الى النجم مع اعتقاده ان الله تعالى هو الفاعل لذلك المنزل له لكن معنى ان الله تعالى اجرى العادة
بوجود المطر عند ظهور ذلك النجم فحكى ابن مفلح خلافا في مذهب احمد في تحريمه و
كراهته وصرح اصحاب الشافعي بجوازه والصحيح انه محرم لانه من الشرك الخفي وهو
الذي اراده النبي صلى الله عليه وسلم واخبر انه من امر الجاهلية ونفاه وابطله وهو الذي
كان يزعم المشركون ولم يزل موجودا في هذه الامة الى اليوم وايضا فان هذا من
النبي صلى الله عليه وسلم حماية لجناب التوحيد وسدا لذرايع الشرك ولو بالعبادات
الموهمة التي لا يقصدها الانسان كما قال لرجل قال له ما شاء الله وشئت قال اجعلتني
لله ندا بل ما شاء الله وحده وفيه التنبيه على ما هو اولى بالمنع من نسبة السقيا
العافية
الى الانواء كدعاء الاموات وسؤالهم الرزق والنصر ونحو ذلك من المطالب فان هذا
من الشرك الاكبر سواء قالوا انهم شفعاء فالى الله كما قال المشركون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله واعتقدوا انهم يخلقون ويرزقون وينصرون استقلالا على سبيل الكرا
مة كما ذكره بعض عباد القبور في رسالة صنفها في ذلك لانه اذا منع من اطلاق نسبة
السقيا الى الانواء مع عدم القصد والاعتقاد فلان يمنع من دعاء الاموات و
التوجه اليهم في الملمات مع اعتقاد ان لهم انواع التصرفات اولى واحرى قوله
والنياحة اي رفع الصوت بالندب على الميت لانها سخط القضاء الله ومعارضة لما
حكمه وسوء ادب مع الله ولا كذلك ينبغي ان يقول المملوك مع سيده فكيف يفعله
مع ربه وسيده ومالكه والهه الذي لا اله الا هو له سواه الذي كل قضاءه عدل وايضا
ففيها تفويت الاجر مع ذهاب المصيبة وفي الحديث دليل على شهادة ان محمدا رسول الله

لان هذه الاخبار من انباء الغيب فاخبر بها صلى الله عليه وسلم فكان كما اخبر **قوله** وقال
النائحة اذا لم تتب قبل موتها فيه التنبيه على ان الوعيد والذم لا يلحق من تاب من الذنب
وهو كذلك باجماع فعلى هذا اذا عرف شخص بفعل ذنوب توعد الشرع عليها بوعيد
لم يجز اطلاق القول بلحوقه لذلك الشخص المعين كما يظنه كثير من اهل البدع
فان عقوبات الذنوب ترتفع بالتوبة والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ودعاء المؤمنين بعضهم لبعض وشفاعة نبيهم صلى الله عليه وسلم فيهم وعفو الله عنهم
وفيه ان من تاب قبل الموت عالما يغرغر فان الله يتوب عليه كما في حديث ابن عمر مرفوعا ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر رواه احمد والترمذي وابن ماجة وابن
حبان في صحيحه **قوله** تقام يوم القيمة اي تبعث من قبرها **قوله** وعليها سربال
من قطران ودرع من جرب قال القرطبي السربال واحد السرابيل وهي الثياب والقمص
يعني انهن يلطخن بالقطران فيصير لهن كالقميص حتى يكون اشتعال النار والتصاقها باجسادهن اعظم وارتحتهن انتن والمها بسبب الحرا شد وروي عن ابن عباس
ان القطران هو النحاس المذاب وروى الثعلبي في تفسيره عن عمر ابن الخطاب انه سمع
نائحة فاتاها فضربها بالدرة حتى وقع خمارها فقيل يا امير المؤمنين المراة المراة
قد وقع خمارها قال انها لا حرمة لها قال ولهما عن زيد ابن خالد قال صلى لنا رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما
انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قلنا الله ورسوله اعلم قال
قال اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك
مؤمن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن
بالكوكب **قوله** عن زيد ابن خالد اي الجهني المدني صحابي مشهور مات سنة ثمان وسبعين
بالكوفة وقيل غير ذلك وله خمس وثمانون سنة **قوله** صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي صلى بنا فاللام بمعنى الباء قال الحافظ وفيه جواز اطلاق ذلك مجازا وانما الصلاة لله

ق

قوله بالحديبية بالمهملة والتصغير وتخفف ياؤها وتثقل **قوله** على اثر بكسر المهملة و
سكون المثلثة على المشهور وهو ما يعقب الشيء **قوله** سماء اي مطر واطلق عليها سماء
لكونه ينزل من جهة السماء **قوله** فلما انصرف اي من صلاته لامن مكانه كما يدل عليه
قوله اقبل على الناس اي التفت اليهم بوجهه الشريف فيه دليل على انه لا ينبغي للامام
اذا اصلى ان يجلس مستقبل القبلة بل ينصرف الى المامومين كما صحت بذلك الاحاديث
قوله هل تدرون لفظ استفهام ومعناه التنبيه وفي رواية النسائي الم تسمعوا ما
قال ربكم الليلة وهذا من الاحاديث القدسية قال الحافظ وهي تحمل على ان النبي صلى الله
عليه وسلم اخذها عن الله بواسطة او بلا واسطة وفيه القاء العالم المسئلة على اصحابه ليختبرهم واخراج العالم التعليم للمسئلة بالاستفهام فيها ذكره المصنف **قوله** قالوا الله
ورسوله اعلم فيه حسن الادب للمسئول عما لا يعلم وانه يقول ذلك ونحوه ولا يتكلف
ما لا يعنيه **قوله** قال اصبح من عبادي الاضافة هنا العموم بدليل التقسيم الى مؤمن وكافر
فان قلت هذا يدل على ان المراد بالكفر هنا هو الاكبر قيل ليس فيه دليل اذ الاصغر يصدر
من الكفار **قوله** مؤمن بي كافر المراد بالكفر هنا هو الاصغر بنية ذلك الى غير الله وكفران
نعمة وان كان يعتقد ان الله هو الخالق للمطر المنزل له بدليل قوله في الحديث فاما من
قال مطرنا بفضل الله ورحمته الى اخره فلو كان المراد هو الاكبر انزل علينا المطر نوء كذا
فالى بناء السببية ليدل على انهم نسبوا وجود المطر الى ما اعتقدوه سببا وفي رواية فاما
من حمدني على سقياي واثنا علي فذلك من امن بي فلم يقل فاما من قال اني انزل للمطر
فذلك من امن بي لان المؤمنين والكفار يقولون ذلك فدل على ان المراد اضافة ذلك
الى غير الله وان كان يعتقد ان الفاعل لذلك هو الله وروى النسائي والاسماعيلي نحوه و
قال في اخره وكفر بي او كفر نعمتي وفي رواية ابي صالح عن ابي هريرة عند مسلم قال الله تعالى
ما انعمت على عبادي من نعمة الا اصبح فريق منهم بها كافرين وله حديث ابن عباس اصبح من الناس
شاكر ومنهم كافر الحديث وفي حديث معاوية الليثي مرفوعا يكون الناس مجدبين فيمطرون الا

عليهم رزقا من رزقه فيصبحون مشركين يقولون مطرنا بنوء كذا رواه احمد فبين الكفر والشرك
المراد هنا بانه نسبة ذلك الى غير الله تعالى بان يقول مطرنا بنوء كذا قال ابن قتيبة كانوا
في الجاهلية يظنون ان نزول الغيث بواسطة النوء اما بصنعه على زعمهم واما بعلامته فا
بطل الشرع قولهم وجعله كفرا فان اعتقد قائل ذلك ان للنوء صنعا في ذلك فكفره كفر شرك
وان اعتقد ان ذلك من قبيل التجربة فليس شركا لكن يجوز اطلاق الكفر عليه وارادة كفر
النعمة لانه لم يقع في شيء من طرق الحديث بين الكفر والشرك واسطة فيحمل الكفر فيه على
المعنيين وقال الشافعي من قال مطرنا بنوء كذا على معنى مطرنا في وقت كذا فلا يكون كفرا
وغيره من الكلام احب الي منه قلت قد يقال ان كلام الشافعي لا يدل على جواز ذلك
وانما يدل على انه لا يكون كفر شرك وغيره من الكلام احسن منه اما كونه يجوز اطلاق ذلك
او لا يجوز فالصحيح انه لا يجوز لما تقدم ان معنى الحديث هو نسبة السقيا الى الأنواء لفظا
وان كان القائل كذلك يعتقد ان الله هو المنزل للمطر فهذا من باب الشرك الخفي في الا
لفاظ كقولهم لولا فلان لم يكن كذا وفي معنى قوله تعالى وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم
فان كثيرا من النعم قد تجر الانسان الى شر لك الذين قالوا مطرنا بنوء كذا بسبب نزول النعمة
وفيه التقنط للأيمان في هذا الموضع ذكره المصنف يشير الى ان المراد هنا نسبة النعمة الى الله
وحمده عليها كما في قوله فاما من حمدني على سقياي واثنى علي فذاك مؤمن بي وقوله فاما من
قال مطرنا بفضل الله ورحمته الحديث وفيه ان من الكفر ما لا يخرج عن الملة ذكره المصنف
قوله فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته اي من نسبه الى الله واعتقد انه انزله بفضله
ورحمته من غير استحقاق من العبد على ربه واثنى عليه فقال مطرنا بفضل الله ورحمته وفي
الرواية الأخرى فاما من حمدني على سقياي واثنى علي فذاك مؤمن بي وهكذا يجب على
الانسان ان لا يضيف نعم الله الى غيره ولا يحمدهم عليها بل يضيفها الى خالقها ومقدرها
الذي انعم بها على العبد بفضله ورحمته ولا ينافي ذلك الدعا لمن احسن اليك وذكرها اولا كه
من المعروف اذ سلم لك دينك والسر في ذلك والله اعلم ان العبد يتعلق قلبه بما يظن

حصول

حصول الخير له من جهة وان كان لا صنع له في ذلك نوع شرك خفي فمنع من ذلك قوله واما من
قال مطرنا بنوء كذا الى آخره كالصريح فيما ذكرنا ان المراد نسبة ذلك الى غير الله وان كان
يعتقد ان المنزل للمطر هو الله وهذا لم يقل فاما من قال انزل علينا المطر وامطرنا بنوء
كذا قال المصنف وفيه التقنط للفكر في هذا الموضع يشير الى ان المراد بالكفر هنا هو
نسبة النعمة الى غير الله كالنوء ونحو على ما تقدم ولما كان انزال الغيث من اعظم نعم الله
واحسانه الى عباده لما اشتمل عليه من منافعهم فلا يستغنون عنه ابدا كان من شكره
الواجب عليهم ان يضيفوا الى البر الرحيم المنعم ويشكروه فان النفوس قد جبلت
على حب من احسن اليها والله تعالى هو المحسن المنعم على الأطلاق الذي ما بالعباد من نعمة
فمنه وحده كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله قال ولهما من حديث ابن عباس معنا
وفيه قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فانزل الله هذه الاية فلا اقسم بمواقع
النجوم الى قوله تكذبون قوله ولهما الحديث لمسلم فقط ولفظه عن ابن عباس
قال مطر الناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس
شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة الله وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا قال
فنزلت هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم حتى بلغ وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
قوله قال بعضهم ذكر الواقدي في مغازيه عن ابي قتادة ان عبد الله ابن ابي هو القائل
في ذلك الوقت مطرنا بنوء الشعرا وفي صحة ذلك نظر قوله فلا اقسم بمواقع النجوم
هذا قسم من الله عز وجل يقسم بما شاء من خلقه وهو دليل على عظمة المقسم به وتشريفه
وتقديره اقسم بمواقع النجوم ويكون جوابه انه لقرآن كريم فعلى هذا تكون لا صلة للتاكيد
التي في تقدير الكلام ليس الامر كما زعمتم في القرآن انه سحر او كهانة بل هو قرآن كريم قال
ابن جرير قال بعض اهل العربية معنى قوله فلا اقسم فليس الامر كما تقولون ثم استونف
القسم بعد فقيل اقسم ومواقع النجوم قال ابن عباس يعني نجوم القرآن فانه نزل جملة ليلة
القدر من السما العليا الى السما الدنيا ثم نزل مفرقا في السنين بعد ثم قرأ ابن عباس

هذه الآية ومواقعها نزولها شيئا بعد شيء وقيل النجوم هي الكواكب ومواقعها مساقطها
عند غروبها قال مجاهد مواقع النجوم يقال مطالعها ومشارقها واختاره ابن جرير وعلى هذا
فتكون المناسبة بين ذكر النجوم في القسم وبين المقسم عليه وهو القرآن من وجوه احدها
ان النجوم جعلها الله يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وايات القرآن يهتدى بها في ظلمات
الغي والجهل فكذلك هداية في الظلمات الحسية وايات القرآن هداية في الظلمات المعنوية
فجمع بين الهدايتين مع ما في النجوم من الزينة الظاهرة للعالم وفي القرآن من الزينة الباطنة
ومع ما في النجوم من الرجوم للشياطين وفي ايات القرآن من رجوم شياطين الانس
والجن والنجوم اية المشهودة العينية والقرآن اياته المتلوة السمعية مع ما في هوا
فيها عن الغروب من العبرة والدلالة على اياته القرآنية ومواقعها عند النزول ذكره
ابن القيم وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم قال ابن كثير اي وان هذا القسم الذي اقسمت
به لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه وقوله انه لقرآن كريم
هذا هو المقسم عليه وهو القرآن اي انه وحي الله وتنزيله وكلامه لا كما يقول الكفار انه
سحر وكهانة او شعر بل هو قرآن كريم اي عظيم كثير لانه كلام الله قال ابن القيم فوصفه
بما يقتضي حسنه وكثرة خيره ومنافعه وجلالته فان الكريم هو الهبي الكثير الخير العظيم
النفع وهو من كل شيء احسنه وافضله والله سبحانه وصف نفسه بالكرم ووصف به كلامه
ووصف به عرشه ووصف به ما كثر خيره وحسن منظره من النبات وغيره ولذلك فسر
السلف الكريم بالحسن قال الازهري الكريم اسم جامع لما يحمد وهو الله تعالى كريم جميل
الفعال وانه لقرآن كريم يحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة وقوله في كتاب
مكنون قال ابن كثير اي معظم في كتاب معظم محفوظ موقر وقال ابن القيم اختلف المفسرون
في هذا فقيل هو اللوح المحفوظ والصحيح انه الكتاب الذي بايدي الملائكة وهو المذكور
في قوله في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة ويدل على انه الكتاب
الذي بايدي الملائكة قوله لا يمسه الا المطهرون قال الكتاب الذي في السماء وفي رواية

لا يمسه

لا يمسه الا المطهرون يعني الملائكة وقال قتادة لا يمسه عند الله الا المطهرون فاما في
الدنيا فانه يمسه المجوسي النجس والمنافق الرجس قال وهي في بن مسعود وما يمسه الا المطهرون
واختار هذا القول كثيرون منهم ابن القيم ورجحه وقال ابن زيد زعمت قريش ان
هذا القرآن تنزلت به الشياطين فاخبرت انه لا يمسه الا المطهرون كما قال
وما تنزلت به الشياطين الاقوله لمعزولون قال ابن كثير وهذا القول جيد وهو
لا يخرج من القول قبله وقال البخاري في صحيحه في هذه الاية لا يجد طعمه الا
من امن به قال ابن القيم وهذا من اشارة الاية وتنبيهها وهو انه لا يلتذ به و
يقرأ به وفهمه وتدبره الا من يشهد انه كلام الله تكلم به حقا وانزله على رسوله
وحيا ولا ينال معاينة الامن الامن لم يكن في قلبه حرج بوجه من الوجوه وقال
اخرون لا يمسه الا المطهرون اي من الجنابة والحدث قالوا ولفظ الاية خبر وا
معناها الطلب قالوا والمراد بالقرآن ههنا المصحف كما في حديث ابن عمر مرفوعا
انهى ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو مخافة ان يناله العدو واحتجوا على ذلك
بما رواه مالك في الموطا عن عبد الله بن محمد ابن ابي بكر ابن محمد ابن عمرو ابن حزم
ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو ابن حزم ان لا يمس
القرآن الا طاهر وقوله تنزيل من رب العالمين قال ابن كثير اي هذا القرآن
منزل من الله رب العالمين وليس كما يقولون انه سحر او كهانة او شعر بل هو الحق
الذي لا مرية فيه وليس وراءه حق نافع وفي هذه الاية اثبات انه كلام الله تكلم
به قال ابن القيم ونظيره ولكن حق القول مني وقوله قل نزله روح القدس من ربك
بالحق واثبات علو الله سبحانه على خلقه فان النزول والتنزيل الذي تعقله العقول
وتعرفه الفطر هو وصول الشيء من اعلا الى اسفل ولا يرد عليه قوله وانزل لكم من الانعام
ثمانية ازواج لانا نقول ان الذي انزلها فوق سمواته فانزلها لنا بامره قال
ابن القيم وذكر التنزيل مضافا الى ربوبيته للعالمين المستلزمة لملكه لهم وتصرفه

فيهم وحكمه عليهم واحسانه وانعامه عليهم وان من هذا شانه مع الخلق كيف يليق به
مع ربوبيته التامة ان يتركهم سدى ويدعهم هملا ويخلقهم عبثا لا يامرهم ولا
ينهاهم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم ممن اقر بانه رب العالمين اقر بان القران تنزيله
على رسوله واستدل بكونه رب العالمين على ثبوت رسالة رسوله وصحة ما جاء به
وهذا الاستدلال اقوى واشرف من الاستدلال بالمعجزات والخوارق وان
كانت دلالتها اقرب الى اذهان عموم الناس وتلك انما تكون لخواص العقلا
وقوله في هذا الحديث انتم مدهنون قال مجاهد اي تريدون ان تمالوهم فيه
وتركنوا اليهم قال ابن القيم ثم وبخهم سبحانه على وضعهم الادهان في غير موضعه
وانهم يداهنون فيما حقه ان يصدع به ويفرق به ويعض عليه بالنواجد وتشتي
عليه الخناصر وتعقد عليه القلوب والافئدة ويحارب ويسالم لاجله ولا يلتوي
عليه عنيمة ولا يسرع ولا يكون للقلب التفات الى غيره ولا محاكمة الا اليه ولا مخاصمة
الا به ولا اهتداء في طريق المطالب العالية الا بنوره ولا شفاء الا به فهو روح الوجود
وحياة العالم وصدار السعادة وقائد الفلاح وطريق النجاة وسبيل الرشاد ونور
البصائر فكيف تطلب المداهنة بما هذا شانه ولم يترل للمداهنة وانما ترل بالحق
وللحق والمداهنة انما تكون في باطل قوي لا تمكن ازالته او في حق ضعيف لا تمكن اقا
مته فيحتاج المداهن الى ان يترك بعض الحق ويلتزم بعض الباطل فاما الحق الذي
قام به كل حق فكيف يداهن به وقوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون تقدم الكلام
عليها **باب قول الله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم**
كحب الله لما كانت محبة الله سبحانه هي اصل دين الاسلام الذي يدور عليه قطب
رحاه فبكمالها يكمل الايمان وبنقصانها ينقص توحيد الانسان نبه المصنف
رحمه الله على وجوبها على الاعيان ولهذا جاء في الحديث احبوا الله لما يغذوكم به
من نعمه الحديث رواه الترمذي والحاكم وفي حديث اخر احبوا الله بكل قلوبكم وفي حديث

معاذ

معاذ ابن جبل في حديث المنام واسئلك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني الى حبك
رواه احمد والترمذي وصححه وما احسن ما قال ابن القيم في وصفها في المنزلة التي يتنا
فس فيها المتنافسون والى عملها شمر السابقون وعليها تفاني المحبون هي قوت القلوب
وغذاء الارواح وقرة العيون وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الاموات والنور
الذي من فقده ففي بحار الظلمات والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الاسقام
واللذة التي لم يظفر بها فعيشه كله هموم والام وهي روح الايمان والاعمال والمقامات
والاحوال متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه تحمل اثقال السائرين الى البلاد
لم يكونوا الا بشق الانفس بالغيها وتوصلهم منازل لم يكونوا ابدا يبلغونها
واصلها وتبوءهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا الولاها داخليها تالله
لقد ذهب اكلها بشرف الدنيا والاخرة وقد قضى الله تعالى يوم قدر مقادير الخلا
ئق بمشيئته وحكمته البالغة ان المرء مع من احب فيالها من نعمة على المحبين سابغة
تالله لقد سبق القوم السعاة وهم على ظهور الفرش نائمون ولقد تقدموا الركب
بمراحل وهم في سيرهم واقفون واجابوا مؤذن الشوق اذ ناداهم حي على الفلاح
وبذلوا نفوسهم في طلب الوصول الى محبوبهم وكان بذلهم بالرضا والسماح وواصلوا
اليه المسير بالادلاج والغدو والرواح تالله لقد حمدوا مسراهم وشكروا مولاهم على
ما اعطاهم وانما يحمد القوم السرى عند الصباح واطال في وصفها فراجعه في المدراج **واعلم**
ان المحبة على قسمين مشتركة وخاصة فالمشتركة ثلاثة انواع **احدها** محبة طبيعية كمحبة
الجائع الطعام والضمآن الماء ونحو ذلك وهذه لا تستلزم التعظيم **الثاني** محبة
رحمة واشفاق كمحبة الوالد لولده الطفل وهذه ايضا لا تستلزم التعظيم **الثالث**
محبة انس والف وهي المشتركين في صناعة او علم او موافقة او تجارة او سفر لبعضهم
بعضا وكمحبة الاخوان بعضهم بعضا فهذه الانواع الثلاثة التي تصلح للخلق بعضهم
من بعض ووجودهم فيها لا يكون شركا في محبة الله ولهذا كان رسول الله صلى الله

عند الوصول

قو

عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وكان يحب نساءه وعائشة احبهن اليه وكان اصحابه
واحبهم اليه الصديق رضي الله عنه **القسم الثاني** المحبة الخاصة التي لا تصلح الا لله
ومتى احب العبد بها غيره كان شركا لا يغفره الله وهي محبة العبودية المستلزمة
للذل والخضوع وكمال الطاعة وايثاره على غيره فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله
اصلا كما حققه ابن القيم وهي التي سوى المشركون بين الله تعالى وبين الهتهم فيها
كما قال تعالى في الآية التي ترجم لها المصنف ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا
قال ابن كثير يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا ومآلهم في الآخرة من العذاب و
النكال حيث جعلوا لله انداد اي امثالا ونظراء يحبونهم كحبه يعبدونهم معه
وهو الله الذي لا اله الا هو ولا ضد له ولا ند له ولا شريك معه وقوله يحبونهم كحب الله
اويسوونهم بالله في المحبة والتعظيم ولهذا يقولون لاندادهم وهم في النار تالله
ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين فهذا هو مساواتهم برب العالمين
وهو العدل المذكور في قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اما مساواتهم بالله في الخلق
والرزق وتدبير الامور فما كان احد من المشركين يساوون اصنامهم بالله في ذلك
وهذا القول رجحه شيخ الاسلام والثاني ان المعنى يحبون اندادهم كما يحب المؤمنون الله
اشد من محبة اصحاب الانداد لاندادهم قال شيخ الاسلام وهذا متناقض وباطل فان
المشركين لا يحبون الانداد مثل محبة المؤمنين الله ودلت الاية على ان من احب شيئا كحب الله
فقد اتخذه ندا لله وهذا هو الشرك الاكبر قاله المصنف وعلى وجوب افراد الله بالمحبة
الخاصة التي هي غاية توحيد الالهية بل الخلق والامر والثواب والعقاب انما نشأ عن
المحبة ولاجلها فهي الحق الذي خلقت به السموات والارض وهي الحق الذي تضمنه الامر
والنهي وهي سر التأله وتوحيدها هو شهادة ان لا اله الا الله وليس كما زعم المنكرون
ان الاله هو الرب الخالق فان المشركين كانوا مقرين بانه لا رب الا الله ولا خالق سواه
ولم يكونوا مقرين بتوحيد الالهية الذي هو حقيقة لا اله الا الله فان الاله ما تألهه

القلوب حبا وذلا وخوفا ورجاء وتعظيما وطاعة له بمعنى مألوه اي محبوب معبود و
اصله من التأله وهو التعبد الذي هو اخر مراتب الحب فالمحبة حقيقة العبودية ودلت
ايضا على ان المشركين يعرفون الله ويحبونه وانما الذي اوجب كفرهم مساواتهم به
الانداد في المحبة فكيف بمن احب الانداد حبا اكبر من حب الله فكيف بمن لا يحب الله اصلا
ولا يحب الا الند وحده فالله المستعان **وقوله والذين امنوا اشد حبا لله** تتكلم
عليها لتعلقها بما قبلها تكميلا للفائدة وان لم يذكرها المصنف وفيها قولان احدهما وهو
الصحيح ان المعنى والذين امنوا اشد حبا لله من محبة المشركين بالانداد لله فان محبة المؤ
منين خالصة ومحبة اصحاب الانداد قد ذهبت انداده بقسط منها والمحبة الخالصة اشد
من المشتركة والثاني والذين امنوا اشد حبا لله من حب اصحاب الانداد لانداده التي
يحبونها من دون الله قال ابن القيم والقولان مرتبان على القولين في قوله يحبونهم كحب الله
وفي الاية دليل على ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وان الشرك محبط للاعمال
قال وقوله قل ان كان اباؤكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله الآية
هذا الامر من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يتوعد من احب اهله وعشيرته واموا
له ومساكنه او احد هذه الاشياء على الله ورسوله وجهاد في سبيله وقد خوطب بهذا
المؤمنون في اخر الامر كما قاله شيخ الاسلام فقيل لهم ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها اي حصلتموها وتجارة تخشون كسادها
اي رخصها وفوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها اي لحسنها وطيبها احب اليكم من الله
ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره اي انتظروا اذا يحل بكم من
عذاب الله والله لا يهدي القوم الفاسقين اي الخارجين عن طاعة الله وهو تنبيه
على ان من فعل ذلك فهو من الفاسقين فهذا شديد ووعيد عظيم ولا يخلص منه الا
من صح ايمانه وخلص سره واعلانه وعلى ان المحبة الصادقة تستلزم تقديم مراضي الله
على هذه الثمانية كلها فكيف بمن اثر بعضها على الله ورسوله وجهاد في سبيله **فان قلت**

قد قال شيخ الاسلام ان كثيرا من المسلمين او اكثرهم بهذه الصفة قيل مراده ان كثيرا من
المسلمين قد يكون ما ذكر احب اليه من الله ورسوله اي ايثارا ذلك على فعل امر الله وامر
رسوله الذي ينشأ عن المحبة لا في الحب الذي يوجب قصد المحبوب بالتأله فان من ساوا
بين الله وبين غيره في هذا الحب فهو مشرك فكيف اذا كان غير الله احب اليه كما هو الواقع
من عباد القبور فانهم يحبون انداده اعظم من حب الله وذلك ان اصل الحب يحتمل
الشركة بخلاف المحلة فانها لا تقبل الشركة اصلا ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحسن
واسامة اللهم اني احبهما فاحبهما واحب من يحبهما حديث صحيح واعلم ان هذه الاية
شبيهة بقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني فلما كثر المدعون لمحبة الله طلبوا بها
قامة البينة فجاءت هذه الاية ونحوها فمن ادعى محبة الله وهو يحب ما ذكر على الله ورسوله فهو كاذب كمن يدعي محبة الله وهو على غير طريق النبي صلى الله عليه وسلم فانه كاذب
اذ لو كان صادقا لكان متبعا قال ابن المبارك ابن فضالة عن الحسن قال كان ناس
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون يا رسول الله انا نحب ربنا حبا شديدا
فاحب الله تعالى ان يجعل لحبه علما فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله ويغفر لكم ذنوبكم وقد وقع لكثير من المدعين نوع انبساط في دعوى المحبة
اخرجهم الا شيء من الرعونة والدعاوي التي تنافي العبودية ويدعي احدهم دعاوي
تتجاوز حدود الانبياء ويطلبون من الله ما لا يصلح بكل وجه الا لله وسبب هذا
ضعف تحقيق المحبة التي هي محض العبودية بل ضعف العقل الذي يعرف العبد حقيقته
ومدعي ذلك فيه شبه من اليهود والنصارى الذين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه و
شرط المحبة موافقة المحبوب فتحب ما يحب وتكره ما يكره وتبغض ما يبغض وذلك
كمن يدعي ان الذنوب لا تضره لكون الله يحبه فيصر عليها ويدعي انه يصل الى احد في محبة الله
تسقط عنه التكاليف وكقول بعضهم اي مريد الي ترك في النار احدا فانه منه بري
فقال الاخر اي مريد الي ترك احدا من المؤمنين يدخل النار فانه منه بري ونحو ذلك

من الدعاوي مع ان كثيرا من هذا ونحوه لا يصدر الا من كافر والعاقل يتنبه وهاهكذا
كان سادات المحبين الانبياء والمرسلون والصحابة والتابعون فكن على حذر من
ذلك فان كثيرا من جهال المتصوفة وقع فيهم وقد ينسب ذلك الى بعض المشائخ
المشهورين وهو ما كذب عليهم واما اخطاؤهم فان العصمة منتفية عن غير الرسول
صلى الله عليه وسلم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى
اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين اخرجاه قوله لا يؤمن احدكم
اي لا يحصل له الايمان الذي تبرأ بها ذمته ويستحق به دخول الجنة بلا عذاب حتى يكون
الرسول احب اليه من اهله وولده ووالده والناس اجمعين بل لا يحصل له ذلك حتى
يكون الرسول احب اليه من نفسه ايضا كما في حديث عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه
قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت يا رسول الله احب الي من كل شيء الا نفسي فقال
والذي نفسي بيده حتى اكون احب اليك من نفسك فقال له عمر فانك الان والله
احب الي من نفسي فقال الآن رواه البخاري فمن لم يكن كذلك فهو من اصحاب الكبائر
اذا لم يكن كافرا فانه لا يبعد في لسان الشرع نفي اسم مسمى امر الله به ورسوله الا
اذا ترك بعض واجباته فاما اذا كان الفقد مستحبا في العبادة لا ينفيها لانتفاء
المستحب ولو صح هذا النفي عن جمهور المؤمنين اسم الايمان والصلاة والزكاة والحج وجب
الله ورسوله لانه ما من عمل الا وغيره افضل منه وليس احد يفعل افعال البر مثل
ما فعلها النبي صلى الله عليه وسلم بل ولا ابو بكر وعمر فلو كان من يات بكمالها المستحب
يجوز نفيها عنه لجاز ان ينفي عن جمهور المسلمين من الاولين والاخرين وهذا لا يقوله
عاقل وعلى هذا من قال ان المنفي هو الكمال فان اراد انه نفي الكمال الواجب الذي
يذم تاركه ويتعرض للعقوبة فقد صدق وان اراد انه نفي الكمال المستحب فهذا لم
يقع قط في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قال شيخ الاسلام واكثر الناس
يدعي ان الرسول احب اليه مما ذكر فلا بد من تصديق ذلك بالعمل والمتابعة له والا فا

لمدعي كاذب فان القران يبين ان المحبة التي في القلب تستلزم العمل الظاهر بحسبها كما قال
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال تعالى ويقولون امنا بالله وبا
لرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين واذا
دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون
فنفى الايمان عمن تولى عن طاعة الرسول واخبر ان المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله
سمعوا واطاعوا فتبين ان هذا من لوازم الايمان والمحبة لكن كل مسلم لابد ان يكون
محبا بقدر ما معه من الاسلام كما ان كل مؤمن لابد ان يكون مسلما وكل مسلم لا ان
يكون مؤمنا وان لم يكن مؤمنا الايمان المطلق لان ذلك لا يحصل الا لخواص
المؤمنين فان الاستسلام لله ومحبته لا تتوقف على هذا الايمان الخاص قال
شيخ الاسلام وهذا الفرق يجده الانسان من نفسه ويعرفه من غيره فعامة الناس
اذا اسلموا بعد كفر وولوا على الاسلام والتزموا شرائعه وكانوا من اهل الطاعة لله
ورسوله وهم مسلمون ومعهم ايمان مجمل لكن دخول حقيقة الايمان الى قلوبهم يحصل
شيئا فشيئا ان اعطاهم الله ذلك والاكثير من الناس لا يصلون الى اليقين ولا الى
الجهاد ولو شككوا الشكوا ولو امروا بالجهاد لما جاهدوا وليسوا كفارا ولا منافقين
بل ليس عندهم من علم القلب ومعرفته ويقينه ما يدر الريب ولا عندهم من قوة الحب
لله ورسوله ما يقدمونه على الاهل والمال وهؤلاء وان عرفوا من المحنة وماتوا دخلوا
الجنة وان ابتلوا بمن يدخل عليهم شبهات توجب ريبهم فان كم ينعم الله عليهم بما يزيل
الريب والاصار وامرتابين وان انتقلوا الى نوع من النفاق انتهى قوله
احب هو بالنصب خبر اكون قوله والناس اجمعين هو من عطف العام على الخاص وهو كثير
وفي الحديث من الفوائد اذا كان هذا شان محبة الرسول صلى الله عليه وسلم فما الظن بمحبة الله
وفيه ان الاعمال من الايمان لا المحبة على وقد نفى الايمان عمن لم يكن الرسول احب اليه مما
ذكر فدل على ذلك وفيه ان نفي الايمان لا يدل على الخروج من الاسلام وفيه وجوب

محبته صلى الله عليه وسلم على ما ذكرهما المصنف قال ولهما عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب
اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر بعد اذ انقذه
الله منه كما يكره ان يقذف في النار وفي رواية لا يجد حلاوة الايمان حتى الى اخره
قوله ثلاث اي ثلاث خصال وجاز الابتداء بثلاث لان المضاف اليه منوي ولذلك
جاء التنوين قوله من كن فيه اي وجدنا وحصلن فهي تامة قوله وجد بهن حلا
وة الايمان قال ابن ابي جمرة انما عبر بالحلاوة لان الله شبه الايمان بالشجرة في
قوله وصل كلمة طيبة كشجرة طيبة قلت والشجرة لها ثمرة والثمرة لها حلاوة فلذا
لك شجرة الايمان لابد لها من ثمرة ولابد لتلك الثمرة من حلاوة لكن قد يجدها
المؤمن وقد لا يجدها وانما يجدها من ذكر في هذا الحديث قوله ان يكون الله
ورسوله احب اليه مما سواهما احب منصوب لانه خبر يكون قال البيضاوي المراد
بالحب هنا الحب العقلي الذي ايثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه وان كان
على خلاف هوى النفس كالمريض يعاف بطبعه فينفر عنه ويميل اليه بمقتضى عقله فيهوى
تناوله فاذا تامل المرء ان الشارع لا يامر ولا ينهى الا بما فيه صلاح عاجل او خلاص
آجل والعقل يقتضي رجحان جانب ذلك ثمرنا على الايثار بامره حيث يصير هواه
تبعا له ويلتذ بذلك التذاذا عقليا اذ الالتذاذ العقلي ادراك ما هو كمال
وخير من حيث هو كذلك قلت وكلامه على قواعد الجهمية ونحوهم من نفي محبة المؤمنين
لربهم ومحبته لهم والحق خلاف ذلك بل المراد في الحديث ان يكون الله ورسوله عند
العبد احب اليه مما سواهما حبا قلبيا كما في بعض الاحاديث احبوا الله بكل قلوبكم فيميل
بكليته الى الله وحده حتى يكون وحده هو محبوبه ومعبوده وانما يحب سواه تبعا
لمحبته كما يحب الانبياء والمرسلين والملائكة والصالحين لما كان يحبهم ربه سبحانه
وذلك موجب لمحبة ما يحبه سبحانه وكراهة ما يكره وايثاره مرضاته على ما سواه والسعي

احد ٩

فيما يرضيه ما استطاع وترك ما يكرهه فهذه علامات المحبة الصادقة ولوازمها واما مجرد
ايثار ما يقتضيه العقل السليم رجحانه وان كان على خلاف هوى النفس كالمريض يعاف
الدواء فيطبعه فينفر عنه الى اخر كلامه فهذا قد يكون في بعض الامور علامة على
الحب لا نفسه لانه هو الحب وقال شيخ الاسلام اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه
الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان لان وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له
فمن احب شيئا واشتهاه اذا حصل له مراده فانه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك
واللذة امر يحصل عقيب ادراك الملايم الذي هو المحبوب والمشتهى قال فالحلاوة
الايمان المتضمنة للذة والفرح يتبع كمال محبة العبد لله وذلك ثلاثة امور تكميل
هذه المحبة وتفريعها ودفع ضدها فتكميلها ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
فان محبة الله ورسوله لا يكتفي فيها باصل الحب بل لا بد ان يكون الله ورسوله احب
اليه مما سواهما قلت ولا يكون كذلك الا اذا وافق ربه فيما يحبه ويكرهه قال
وتفريعها ان يحب المرء لا يحبه الا لله قلت فان من احب مخلوقا لله لا لغرض اخر كان
هذا من تمام حب الله فان محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب فاذا احب
انبياء الله واولياءه لاجل قيامهم بمحبوبات الله لا لشيء اخر فقد احبهم لله لا لغيره
قال ودفع ضدها ان يكره ضد الايمان كما يكره ان يقذف في النار قلت وانما اكره
الضد لما دخل قلبه من محبة الله فانكشفت له بنور المحبة محاسن الاسلام ورذائل الجهل
والكفر ان وهذا هو الحب الذي يكون مع مراجب كما في الصحيحين عن انس ان رجلا
سال النبي صلى الله عليه وسلم متى الساعة قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير
صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انت مع من احببت وفي رواية البخاري فقلنا ونحن كذلك قال نعم قال انس ففرحنا يومئذ
فرحا شديدا وقوله احب اليه مما سواهما فيه جمع ضمير الرب سبحانه وضمير الرسول
صلى الله عليه وسلم وقد انكره على الخطيب لما قال ومن يعصهما فقد غوى واحسن ما قيل

قوله

قولان احدهما ما قاله البيضاوي وغيره انه ثنى الضمير هنا ايماء الى ان المعتبر هو المجموع المر
كب من المحبين لا كل واحدة فانها وحدها لاغية وامر بالافراد في حديث الخطيب
اشعارا بان كل واحد من العصيانين مستقبل باستلزام الغواية اذ العطف في
تقدير التكرير والاصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم قلت وهذا جواب بديع
جدا الثاني حمل حديث الخطيب على الادب والاولى وهذا على الجواز وجواب
ثالث وهو ان هذا ورد على الاصل وحديث الخطيب ناقد فيكون ارجح قوله
كما يكره ان يقذف في النار اي يستوي عنده الامران الالقاء في النار والعود في
الكفر قلت وفي الحديث من الفوائد ان الله تعالى يحب المؤمنين وهو تعالى يحبهم كما
قال تعالى يحبهم ويحبونه وفيه رد على ما يظنه بعض الناس من انه ولد على الاسلام افضل
من كان كافرا فاسلم من انصف بهذه الامور فهو افضل ممن لم يتصف بها مطلقا
ولهذا كان السابقون الاولون افضل ممن ولد على الاسلام وفيه رد على الغلاة الذين
يتوهمون ان صدور الذنب من العبد نقص في حقه مطلقا والصواب انه ان لم يثبت
كان نقصا وان تاب فلا ولهذا كان المهاجرون والانصار افضل هذه الامة وان
كانوا في اول الامر كفارا يعبدون الاصنام بل المستقل من الضلال الى الهدى ومن السيئات
الى الحسنات يضاعف له الثواب قاله شيخ الاسلام وفيه دليل على عداوة المشركين وبغضهم
لان من ابغض شيئا ابغض من اتصف به قوله وفي رواية لا يجد احد هذه الرواية
اخرجها البخاري في صحيحه في الادب ولفظه لا يجد احد حلاوة الايمان حتى يحب المرء لا
يحبه الا لله وحتى ان يقذف في النار احب اليه من ان يرجع الى الكفر بعد اذ انقذه الله منه
وحتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما قال وعن ابن عباس قال من احب في الله
وابغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فانما تنال ولاية الله بذلك ولن يجد عبد
طعم الايمان ولو كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك وقد صارت عامة مواخاة
الناس على امر الدنيا وذلك لا يجدي على اهلها شيئا رواه ابن جرير هذا الاثر

رواه ابن جرير بكماله كما قال المصنف واخرج ابن ابي شيبة وابن ابي حاتم الجملة الأولى منه
فقط قوله من احب في الله اي احب المسلمين والمؤمنين في الله قوله وابغض في الله اي
ابغض الكفار والفاسقين في الله لمخالفتهم لربهم وان كانوا اقرب الناس اليه كما قال
تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله
ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم الاية قوله ووالى في الله هذا
بيان للازم المحبة في الله وهو الموالاة فيه اشارة الى انه لا يكفي في ذلك مجرد الحب بل
لا بد مع ذلك من الموالاة التي هي لازم الحب وهي النصرة والاكرام والاحترام والكون
مع المحبوبين باطنا وظاهرا قوله وعادى في الله هذا بيان للازم البغض في الله و
هو المعاداة فيه اي اظهار العداوة بالفعل كالجهاد لاعداء الله والبراءة منهم والبعد
عنهم باطنا وظاهرا اشارة الى انه لا يكفي مجرد بغض القلب بل لا بد مع ذلك من الاتيان
بلازمه كما قال تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا
برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا
حتى توحدوا بالله وحده فهذا علامة الصدق في البغض في الله قوله فانما تنال
ولاية الله في ذلك بضم الواو وكسرها اي لا يكون العبد من اولياء الله ولا تحصل
له ولاية الله الا بما ذكر من المحبة في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة
في الله كما روى الامام احمد والطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجد العبد صريح
الايمان حتى يحب لله ويبغض لله فاذا احب لله وابغض لله فقد استحق الولاية لله و
في حديث اخر اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله عز وجل رواه الطبراني
وغيره وينبغي لمن احب شخصا في الله ان يأتيه في بيته فيخبره انه يحبه في الله كما روى
الامام احمد والضياء عن ابي ذر مرفوعا اذا احب احدكم صاحبه فليأته في منزله فليخبره
انه يحبه لله وفي حديث ابن عمر عند البيهقي في الشعب انه لا يجد مثل الذي يجد له
قوله ولن يجد عبد طعم الايمان الخ اي لا يجد عبد طعم الايمان وان كثرة صلاته

وصومه حتى يحب في الله ويبغض في الله ويعادي في الله ويوالي في الله وهذا مقتبس
من حديث انس السابق وفي حديث ابي امامة مرفوعا من احب لله وابغض لله واعطى لله
ومنع لله فقد استكمل الايمان رواه ابو داود والعجب ممن يدعي محبة الله وهو على
خلاف ذلك وما احسن ما قال ابن القيم انكر اعداء الحبيب وتدعي حبه هذا ذاك
في امكاني قوله وقد صارت عامة مواخاة الناس على امر الدنيا وذلك لا يجدي على
اهله شيئا اي ان المواخاة على امر الدنيا لا يجدي على اهله شيئا اي لا ينفعهم اصلا بل
يضرهم كما قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فهذا حال كل خلة و
محبة كانت في الدنيا على غير طاعة الله فانها تعود عداوة وندامة يوم القيمة بخلاف المحبة
والخلة على طاعة الله فانها من اعظم القربات كما جاء في حديث السبعة الذين يظلهم الله
في ظله يوم لا ظل الا ظله قال رجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه وفي الحديث
القدسي الذي رواه مالك وابن حبان في صحيحه وجبت محبتي للمتحابين في وللمتجالسين
في وللمتزاورين في وللمتباذلين في وهذا الكلام قاله ابن عباس رضي الله عنه في اهل
زمانه فكيف لو رأى ما كنا فيه من المواخاة على الكفر والبدع والفسوق والعصيان ولكن
هذا مصداق قوله عليه السلام بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا وفيه اشارة
الى ان الامر قد تغير في زمن ابن عباس بحيث صار الامر الى هذا بالنسبة الى ما كان
في زمن الخلفاء الراشدين فضلا عن زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى
ابن ماجة عن ابن عمر قال لقد رأيتنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما منا
احد يرى انه احق بدينار ولا درهم من اخيه المسلم وايم منه قوله تعالى ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فهذا كان حالهم في ذلك الوقت الطيب وهؤلاء
هم المتحابون لجلال الله كما في الحديث القدسي يقول الله عز وجل اين المتحابون
لجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي فهذه هي المحبة النافعة المحبة على الدنيا وهي التي
اوجبت لهم المواساة والايثار على الانفس وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله

ذو الفضل العظيم قال المصنف وقال ابن عباس في قوله وتقطعت بهم الأسباب
قال المودة هذا الاثر رواه عبد ابن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والحاكم
وصححه قوله قال المودة اي المحبة التي كانت بينهم في الدنيا تقطعت بهم وخانتهم احوج
ما كانوا اليها وتبرء بعضهم من بعض كما قال تعالى عن ابراهيم الخليل عليه السلام انه
قال لقومه انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم
يكفر بعضكم ببعض القيمة يلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين وهذه الاية وان كانت
نزلت في المشركين عباد الاوثان الذين يحبون انداد هم كحب الله فانها عامة لان
الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولهذا قال قتادة وتقطعت بهم الاسباب
قال اسباب الذامة يوم القيمة والاسباب المواصلة التي كانوا يتواصلون بها ويتحا
بون بها فصارة عداوة يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا رواه عبد ابن حميد وابن
جرير فهذا حال من كانت مودته لغير الله فاحذر من ذلك باب قول الله
تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اوليآءه فلا تخافوهم وخافوني ان كنتم مؤ
منين الخوف افضل مقامات الدين واجلها فلذلك بدأ به المصنف على وجوب اخلا
صه لله تعالى وقد ذكره الله تعالى في كتابه عن سادات المقربين من الملائكة والأ
نبيآء والصالحين قال الله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وقال تعالى وهم من خشيته
مشفقون وقال تعالى الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال تعالى يبلغون رسا
لات ربهم ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وامر باخلاصه له فقال تعالى فاياي فار
هبون وقال تعالى فلا تخشوا الناس واخشوني وقال تعالى افغير الله تتقون وهو على
ثلاثة اقسام احدها خوف السر وهو ان يخاف من غير الله ان يصيبه بما شاء من مرض او
فقر وقتل ونحو ذلك بقدرته ومشيئته سواء ادعى ان ذلك كرامة للمخوف بالشفاعة
او على سبيل الاستقلال فهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله اصلا لان هذا من لوازم
الالهية فمن اتخذ مع الله ندا يخافه هذا الخوف فهو مشرك وهذا هو الذي كان المشركون

يعتقدونه

يعتقدونه في اصنامهم والهتهم ولهذا يخوفون بها اولياء الرحمن كما خوفوا ابراهيم
الخليل عليه السلام فقال لهم ولا اخاف ما تشركون به شيئا الا ان يشاء ربي شيئا وسع
ربي كل شيء علما افلا تتذكرون وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم با
لله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون وقال
تعالى في قوم هود انهم قالوا له ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال اني اشهد وا
الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
وقال تعالى ويخوفونك بالذين من دونه وهذا القسم هو الواقع اليوم من عباد القبور
فانهم يخافون الصالحين بل الطواغيت كما يخافون الله بل اشد ولهذا اذا توجهت
على احدهم اليمين بالله اعطاك ما شئت من الايمان كاذبا او صادقا فان كانت
اليمين بصاحب التربة لم يقدم على اليمين اذا كان كاذبا وما ذاك الا لان المدفون
في التراب اخوف عنده من الله ولا ريب ان هذا ما بلغ اليه مشركو الاولين بل جهد
ايمانهم اليمين بالله تعالى وكذلك لو حاب احدا منهم ظلم لم يطلب كشفه الا من المدفونين
في التراب واذا اراد ان يظلم احدا فاستعاذ بالله او ببيته لم يقدره ولو استعاذ
بصاحب التربة او بتربته لم يقدم عليه احد ولم يتعرض له باذى حتى ان بعض الناس
اخذ وامن التجار اموالا عظيمة ايام موسم الحاج ثم بعد ايام اظهر الافلاس فقام
عليه اهل الاموال فالتجا الى قبر في حده يقال له المظلوم فما تعرض له احد بمكروه خوفا
من سر المظلوم واشباه هذا من الكفر وهذا الخوف لا يكون العبد مسلما الا باخلاصه لله
تعالى وافراده بذلك دون ما سواه الثاني ان يترك الانسان ما يجب عليه من الجهاد
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر الا الخوف من الناس فهذا محرم وهو الذي
نزلت الاية المترجم لها وهو الذي جاء فيه الحديث ان الله تعالى يقول للعبد يوم
القيمة ما منعك اذا رايت المنكر ان لا تغيره فيقول يا رب خشيت الناس فيقول اياي
كنت احق ان تخشى رواه احمد الثالث خوف وعيد الله الذي توعد به العصاة وهو

الذي قال الله فيه ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد وقال ولمن خاف مقام ربه
جنتان وقال تعالى قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين وقال تعالى ويخافون يومها
كان شره مستطيرا وهذا الخوف من اعلى مراتب الايمان ونسبه الاول اليه كنسبة الاء
سلام الى الاحسان وانما يكون محمودا اذا لم يوقع في القنوط واليأس من روح الله و
لهذا قال شيخ الاسلام حد الخوف ما حجزك عن معاصي الله فما زاد على ذلك فهو غير
محتاج اليه وبقي قسم رابع وهو الخوف الطبيعي كالخوف من عدو وسبع وهدم او غرق
ونحو ذلك فهذا لا يذم وهو الذي ذكره الله عن موسى عليه السلام في قوله فخرج
منها خائفا يترقب اذا تبين هذا فمعنى قوله تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه
فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين اي فاذا سولكم واوهامكم فتوكلوا على الله
فانه كافيكم وناصركم عليهم كما قال تعالى اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين
من دونه الى قوله قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون وقال تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان
ان كيد الشيطان كان ضعيفا قاله ابن كثير وقال ابن القيم ومن كيد عدو الله انه
يخوف المؤمنين من جنده واولياءه لئلا يجاهدوهم ولا يامروهم بمعروف ولا
ينهوهم عن منكر فاخبر تعالى ان هذا من كيده وتخويفه وانما ان نخافهم قال
والمعنى عند جميع المفسرين يخوفكم باوليائه قال قتادة يعظمهم في صدوركم ولهذا
قال فلا تخافوهم وخافوني ان كنتم مؤمنين فكلما قوي ايمان العبد زال من
قلبه خوف اولياء الشيطان وكلما ضعف ايمان العبد قوي خوفه منهم قلت فامر
تعالى باخلاص هذا الخوف له واخبر ان ذلك شرط في الايمان فمن لم يات به لم يات
بالايمان الواجب ففيه ان اخلاص الخوف لله من الفرائض قال وقوله تعالى
انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة ولم
يخش الا الله الآية لما نفى تبارك وتعالى عمارة المساجد عن المشركين بقوله تعالى
ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الآية اذ لا تنفعهم عمارتها مع الشرك

يضمحل معها الحق فهذا ظن السوء لانه نسبه اي سبحانه الى ما لا يليق بجلاله وكماله ونعوته
وصفاته فان حمده وحكمته وعزته تابى ذلك وتابى ان يذل حزبه وجنده وان تكون
النصرة المستمرة والظفر الدائم لاعدائه المشركين به المعاندين له فمن ظن به ذلك
فما عرفه ولا عرف اسمائه وصفاته وكماله قوله او انكر ما يكون ما جرى بقضائه وقدره
اي فذلك ظن السوء لانه نسبة له الى ما لا يليق بربوبيته وملكه وعظمته قوله او انكران
يكون قدره بالغة يستحق عليها الحمد بل زعم ان ذلك لمشيئة مجردة فذلك ظن
الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار قال ابن القيم وكذلك من انكر ان يكون قدر
ما قدره من ذلك وغيره لحكمة بالغة وغاية محمودة يستحق عليها الحمد وان ذلك انما
صدر عن مشيئة مجردة عن حكمة وغاية مطلوبة هو احب الى قوتها وان تلك الاسباب
المكروهة المفضية اليها لا يخرج تقديرها عن الحكمة لافضائها الى ما يحب وان كانت مكروهة
له فما قدرها سدى ولا شاءها عبثا ولا خلقها باطلا هذا ظن الذين كفروا فويل للذين
كفروا من النار قوله ووعده الصادق لان الله تعالى وعد رسوله صلى الله عليه وسلم
ان يظهر امره ودينه على الدين كله كما قال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فمن ظن به تعالى ان دينه يضمحل ويبطل
ولا يظهر على الدين كله فقد ظن بالله ظن السوء لانه ظن انه يخلف الميعاد والله تعالى
لا يخلف الميعاد قوله واكثر الناس يظنون بالله ظن السوء مما يختص بهم وفيما
يفعله مع غيرهم قال ابن القيم من قنط من رحمته وايس من روحه فقد ظن به ظن السوء
ومن جوز عليه ان يعذب اولياءه مع احسانهم واخلاصهم ويسوي بينهم وبين اعدائه
فقد ظن به ظن السوء ومن ظن انه يترك خلقه سدى معطلين عن الامر والنهي ولا يرسل
اليهم رسلا ولا ينزل عليهم كتبا فقد ظن به ظن السوء ومن ظن انه لن يجمعهم بعد موتهم
للثواب والعقاب في دار يجازي فيها المحسن باحسانه والمسيء باساءته وبيان الحكمة
حقيقة ما اختلفوا فيه ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله وان اعداءه كانوا

هم الكاذبين فمن ظن به ظن السوء انه يضيع عليه عمله الصالح الذي عمل خالصا لوجهه على امتثال
امره ويبطله عليه بلا سبب من العبد وانه يعاقبه بلا صنع له فيه ولا اختيار له ولا قدرة
ولا ارادة له في حصوله بل يعاقبه على فعل سبحانه به او ظن به انه يجوز عليه ان يؤيد
اعدائه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيد بها انبياءه ورسله وانه يحن ضد كل
شيء حتى يعذب افنى عمره في طاعته اي كمحمد صلى الله عليه وسلم فيخلده في الجحيم او في اسفل
سافلين ومن استنفد عمره في عداوته وعداوة رسوله ودينه اي كابي جهل فيرفعه
الى اعلى عليين وكلا الامرين في الحس سواء عنده ولا يعرف امتناع احدهما ووقوع
الآخر الا بخبر صادق والا فالعقل لا يقضي بقبح احدهما وحسن الآخر فقد ظن به ظن
السوء ومن ظن انه اخبر عن نفسه وصفاته وافعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل
وترك الحق لم يخبر به وانما رمز اليهم رموزا بعيدة وصرح دائما بالتشبيه والتمثيل
والباطل واراد من خلقه ان يبحثوا اذهانهم وعقولهم وافكارهم في تحريف كلامه عن
مواضعه وتاويله على غير تاويله واعانتهم في معرفة اسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم
لهم على كتابه مع قدرته على ان يصرح لهم بالحق الذي ينبغي التصريح به ويزيحهم من الاغ
لفاظ التي توقفهم في اعتقاد الباطل فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به ان يكون له
في ملكه ما لا يشاء ولا يقدر على ايجاد هو تكوينه فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به
انه لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم الموجودات فقد ظن به ظن السوء ومن ظن انه لا يسمع له
ولا يبصر ولا علم ولا ارادة ولا كلام يقوم به وانه لم يكلم احدا من الخلق ولا يتكلم ابدا فقد ظن
به ظن السوء ومن ظن انه ليس فوق سمواته على عرشه بائنا من خلقه وان نسبة ذاته تعالى
للعرش كنسبتها الى اسفل سافلين وانه اسفل كما انه اعلى وان من قال سبحان ربي الاعلى
سفلا كان كمن قال سبحان ربي الاعلى فقد ظن به اقبح الظن ومن ظن انه يحب الكفر والفسوق
والعصيان والفساد ولا يحب الايمان والبر والطاعة والصلاح فقد ظن به ظن السوء
ومن ظن انه لا يحب ولا يرضى ولا يغضب ولا يوالي ولا يعادي ولا يقرب من احد من خلقه

والله

كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اثبت تعالى في هذه الاية
عمارة المساجد بالعبادة للمؤمنين بالله تعالى واليوم الآخر المقيمين الصلاة المؤ
تين الزكاة الذين يخشون الله ولا يخشون معه الها آخر كما قال تعالى ويخشونه
ولا يخشون احدا الا الله وكفى بالله حسيبا فهذه هي العمارة النافعة وهي الخالصة
من الشرك فانه نار تحرق الاعمال وقوله ولم يخش الا الله قال ابن عطية يريد
خشية التعظيم والعبادة والطاعة لا محالة ان الانسان يخشى غيره ويخشى المحاذير
الدنيوية وينبغي ان يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه قلت ولهذا قال
ابن عباس في الاية لم يعبد الا الله فان الخوف كما قال ابن القيم عبودية القلب
فلا يصلح الا لله كالذل والانابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب
وقوله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين قال ابن طلحة عن ابن عباس يقول
ان اولئك هم المهتدون كقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وكل عسى في
القرآن واجبة وتضمنت الاية ان عمار المساجد من المسلمين بالعبادة فهو من المؤ
منين كما في حديث اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان قال الله
تعالى انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الآخر رواه احمد والترمذي والحاكم
قال وقوله ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة
الناس كعذاب الله الاية قال ابن كثير يقول تعالى مخبرا عن قوم من المذبذبين يدعون
الايمان بالسنتهم ولم يثبت الايمان في قلوبهم بانهم اذا جاءتهم محنة في الدنيا اعتقدوا
انها من نقمة الله عليهم فارتدوا عن الاسلام قال ابن عباس يعني فتنة ان يرتد
عن دينه اذا اوذي في الله وقال ابن القيم الناس اذا ارسل اليهم الرسل بين امرين اما
ان يقولوا احدهم امنا واما ان يقول ذلك بل يستمر على السيئات والكفر فمن قال
امنا امتحنه ربه وابتلاه وفتنه والفتنة الابتلاء والاختبار ليتبين الصادق من
الكاذب ومن لم يقل امنا فلا يحب ان يعجل الله ويفوته ويسبقه فمن امن بالرسل

واطاعهم عاداه لعداتهم واذوه فابتلي بما يوءلمه ومن لم يؤمن بهم ولم يطعهم عوقب في
الدنيا والاخرة وحصل له ما يوءلمه وكان هذا الالم اعظم وادوم من الم اتباعهم فلا
بد من حصول الالم لكل نفس امنت اورغبت عن الايمان لكن المؤمن يحصل له الالم
في الدنيا ابتلاء ثم تكون له العاقبة في الدنيا والأخرة والمعرض عن الأيمان تحصل
له اللذة ابتداء ثم يصير الى الألم الدائم والانسان لابد ان يعيش مع الناس والناس
لهم ارادات وتصورات فيطلبون منه ان يوافقهم عليها وان لم يوافقهم اذوه
وعذبوه وان وافقهم حصل له الاذى والعذاب تارة منهم وتارة من غيرهم كمن
عنده دين وقع حل بين قوم فجاد ظلمه ولا يتمكنون من فجورهم وظلمهم الا بموافقته
لهم وسكوته عنهم فان وافقهم اوسكت عنهم سلم من شرهم في الابتلاء ثم يتسلطون
عليه بالاهانة والاذى اضعاف ما كان يخافه ابتداء لو انكر عليهم وخالفهم وان
سلم منهم فلابد ان يهان ويعاقب على يد غيرهم فالحزم كل الحزم في الاخذ بما قالت
ام المؤمنين لمعاوية من ارضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن ارضى
الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئا فمن هداه الله والهمه رشده ووقاه شر نفسه
امتنع من الموافقة على فعل المحرم وصبر على عداوتهم ثم تكون له العاقبة في الدنيا والاخرة
كما كانت الرسل واتباعهم ثم اخبر عن حال الداخل في الايمان بلا بصيرة واذا اوذي
في الله جعل فتنة الناس له وهي اذاهم له ونيلهم اياه بالمكروه وهو الالم الذي لابد
ان ينال الرسل واتباعهم ممن خالفهم جعل ذلك في قراره منه وتركه السبب الذي
يناله به كعذاب الله الذي فروا منه المؤمنون بالايمان فالمؤمنون لكمال بصيرتهم فروا
من الم عذاب الله الى الايمان وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المفارق عن قرب وهكذا
من ضعف بصيرته فر من الم عذاب اعداء الرسل الى موافقتهم ومتابعتهم ففروا من الم عذابهم
الى الم عذاب الله فجعل الم فتنة الناس في الفرار منه بمنزلة الم عذاب الله وغبن كل الغبن
اذ استجار من الرمضاء بالنار وفر من الم ساعة الى الم الابد واذا نصر الله جنده واولياءه

فار

قال اني كنت معكم والله عليم بما انطوى عليه صدره من النفاق انتهى قلت وانما حمل ضعيف
البصيرة على ان جعل فتنة الناس كعذاب الله هو الخوف منهم ان ينالوه بما يكره بسبب
الايمان بالله وذلك من جملة الخوف من غير الله وهذا وجه مطابقة الاية للترجمة وفي
الاية رد على المرجئة والكرامية وفيها الخوف على نفساك والأستعداد للبلاء اذ لا بد
منه مع سؤال الله العافية قال وعن ابي سعيد مرفوعا ان من ضعف اليقين
ان ترضي الناس بسخط الله وان تحمدهم على رزق الله وان تذمهم على ما لم يؤتك
الله ان رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره هذا الحديث رواه
ابو نعيم في الحلية والبيهقي واعله بمحمد ابن مروان السدي وقال ضعيف وفيه ايضا
عطية العوفي اورده الذهبي في الضعفاء والمتروكين وقال ضعفوه وموسى ابن بلال
قال الازدي ساقط قلت اسناده ضعيف ومعناه صحيح وتمامه وانه بحكمته جعل
الروح والفرح في الرضى واليقين وجعل الهم والحزن في الشدة والسخط قوله ان من
ضعف اليقين قال في المصباح والضعف بفتح الضاد في لغة تميم وبضمها في لغة قريش
خلاف القوة والصحة واليقين المراد به الايمان كله كما قال ابن مسعود اليقين الايمان
كله والصبر نصف الايمان رواه الطبراني بسند صحيح ورواه ابو نعيم في الحلية والبيهقي
في الزهد من حديثه مرفوعا ولا يثبت رفعه قاله الحافظ ويدخل في ذلك تحقيق الأيمان
بالقدر السابق كما في حديث ابن عباس مرفوعا فان استطعت ان تعمل بالرضا في اليقين
فافعل وان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وفي رواية اخرى في اسنادها
ضعف قلت يا رسول الله كيف اصنع باليقين قال ان تعلم ان ما اصابك لم يكن
ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك قوله ان ترضي الناس بسخط الله اي تو
ترضاهم على رضى الله فتوافقهم على ترك المامور وفعل المحظور استجلابا لرضاهم
فلولا ضعف اليقين لما فعلت ذلك لان من قوي يقينه علم ان الله وحده هو النا
فع الضار وانه لا معول الا على رضاه وليس لسواه من الامر شيء كائنا من كان

ظ
الشك

فلا يهاب احدا ولا يخشاه لخوف ضرر يلحقه من جهته كما قال تعالى ويخشونه ولا يخشون احدا
الا الله وكفى بالله حسيبا قوله وان تحمدهم على رزق الله اي تحمدهم وتشكرهم على ما حصل
اليك على ايديهم من رزق بان تضيفه اليهم وتنسى المنعم المتفضل على الحقيقة وهو الله
رب العالمين الذي قدر هذا الرزق لك واوصله اليك بلطفه ورحمته فانه لطيف لما
يشاء وهو العليم الحكيم فاذا اراد امرا قيض له سببا ولا ينافي ذلك حديث من لا
يشكر الناس لا يشكر الله لان المراد هنا اضافة المنعم الى السبب ونسيان الخالق
والمراد بشكر الناس عدم كفر احسانهم ومجازاتهم على ذلك فما استطعت فان لم تجد
مجازاهم بالدعاء قوله وان تذمهم على ما لم يؤتك الله اي اذا طلبتهم شيئا فمنعوك
ذممتهم على ذلك فلو علمت يقينا ان المتفرد بالعطاء والمنع هو الله وحده وان المخلوق مدبر
لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عن غيره وان الله لو قدر لك رزقا اتاك ولو اجتهد
الخلق كلهم في دفعه وان اراد ك بمنع لم يأتك مرادك ولو اجتمع الخلق كلهم في ايصاله
اليك لقطعت العلائق عن الخلق وتوجهت بقلبك الى الخالق تبارك وتعالى ولهذا
قرر ذلك بقوله ان رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره فلا ترض
الخلق بما يسخط الله ولا تحمدهم على رزق الله ولا تذمهم على ما لم يؤتك الله طلبا
لحصول رزق من جهتهم فما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك
فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم قال شيخ الاسلام اليقين يتضمن اليقين
في القيام بامر الله وما وعد الله اهل طاعته ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه
وتدبيره فاذا ارضيتهم بسخط الله لم تكن موقنا لا بوعده ولا برزقه فانه يحمل الاء
نسان على ذلك اما ميل الى ما في ايديهم فيترك القيام فيهم بامر الله لما يرجوه منهم
واما ضعف تصديقه بما وعد الله اهل طاعته من النصر والتاييد والثواب في الدنيا
والاخرة فانك اذا ارضيت الله بضرك ورزقك وكفاك مؤنتهم وارضاهم بما يسخطه
انما يكون خوفا منهم ورجاء لهم وذلك من ضعف اليقين واذا لم يقدر لك ما تظن

انهم ينفعلونه معك فالامر في ذلك الى الله لا لهم فانه ما شاء كان وما لم يشا لم يكن
فاذا ذممتهم على ما لم يقدر كان ذلك من ضعف يقينك فلا تحمدهم ولا ترجهم ولا
تذمهم من جهة نفسك وهواك ولكن من حمده الله ورسوله منهم فهو المحمود
ومن ذمه الله ورسوله منهم المذموم ولما قال بعض وفد بني تميم اي يا محمد اعطني
فان حمدي زين وذمي شين قال صلى الله عليه وسلم ذاك الله وفي الحديث ان الايمان
يزيد وينقص وان الاعمال داخلة في الايمان والا لم تكن هذه الثلاث من ضعفه
واضدادها من قوته قال وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وارضى عنه الناس ومن التمس رضى
الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس رواه ابن حبان في صحيحه
هذا الحديث رواه ابن حبان بهذا اللفظ الذي ذكره المصنف ورواه الترمذي عن رجل
من اهل المدينة قال كتب معاوية الى عائشة ان اكتبي الي كتابا توصيني فيه ولا تكثري
علي فكتبت عائشة الى معاوية سلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن
التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله الى الناس والسلام عليك ورواه ابو نعيم
وغيره قوله من التمس اي طلب قال شيخ الاسلام وكتبت عائشة الى معاوية وروي
انها رفعته من ارضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن ارضى الناس
بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئا هذا لفظ المرفوع ولفظ الموقوف من ارضى الله
بسخط الناس رضي الله عنه وارضى عنه الناس ومن ارضى الناس بسخط الله عاد
حامده من الناس له ذاما هذا لفظ المأثور عنها وهذا من اعظم الفقه في الدين
والمأثور احق واصدق فان من ارضى الله بسخطهم كان قد اتقاه وكان عبده
الصالح والله يتولى الصالحين وهو كاف عبده ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب والله يكفيه مؤنة الناس بلا ريب واما كون الناس

كلهم يرضون عنه فقد لا يحصل ذلك لاكن يرضون عنه اذا سلموا من الأعراض واذا
تبين لهم العاقبة ومن ارضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئا كالظالم
الذي يعض على يديه واذا كون حامده ينقلب ذاما فهذا يقع كثير ويحصل في
العاقبة فان العاقبة للتقوى لا تحصل ابتداء عند هو انهم قلت وانما يحمل
الانسان على ارضاء الخلق بسخط الخالق هو الخوف منهم فلو كان خوفه خالصا لله
لما ارضاهم بسخط فان العبيد فقراء عاجزون لا قدرة لهم على نفع ولا ضر البتة
وما بهم من نعمة فمن الله فكيف يحسن بالموحد المخلص ان يوثر رضاهم على رضا رب
العالمين الذي له الملك كله وله الحمد كله وبيده الخير كله ومنه الخير كله واليه يرجع الأمر
كله لا اله الا هو العزيز الحكيم وقد اخبر تعالى ان ذلك من صفات المنافقين في
قوله لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون وما احسن
ما قيل اذا صح منك الود فالكل هين ... فكل الذي فوق التراب تراب

قال ابن رجب فمن تحقق ان كل مخلوق فوق التراب تراب فكيف يقدم على طاعة
من هو تراب على طاعة رب الارباب لم كيف يرضي التراب بسخط الملك الوهاب
ان هذا لشيء عجاب وفي الحديث عقوبة من خاف الناس واثر رضاهم على رضى الله
وان العقوبة قد تكون في الدين عياذا بالله من ذلك فان المصيبة في الاديان اعظم
من المصيبة في الاموال والابدان وفيه شدة الخوف من عقوبات الذنوب لاسيما
في الدين فان كثيرا من الناس يفعل المعاصي ويستهين بها ولا يراقب لعقوبتها ولا
يدري المسكين بما اذا اصيب فقد تكون عقوبته في قلبه كما قال تعالى فاعقبهم نفاقا
في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون اللهم انا نعوذ
برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا نحصي ثناء عليك انت
كما اثنيت على نفسك **باب قول الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين**
قال ابو السعادات يقال توكل بالامر اذا ضمن القيام به ووكلت امري الى فلان اي الجأته

والعجز

واعتمدت عليه فيه ووكل فلان فلانا اذا استكفاه امره ثقة بكفايته او عجزا عن القيام
بامر نفسه انتهى ومراد المصنف بهذه الترجمة النص على ان التوكل فريضة يجب اخلاصه لله تعالى لانه من افضل العبادات واعلا مقامات التوحيد بل لا يقوم به على
وجه الكمال الا خواص المؤمنين كما تقدم في السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بلا
حساب ولا عذاب ولذلك امر الله به في غير اية من القرآن اعظم مما امر بالوضوء والغسل
من الجنابة بل جعله شرطا في الايمان والاسلام ومفهوم ذلك انتفاء الايمان والاسلام
عند انتفائه كما في الاية المترجم لها وقوله تعالى ان كنتم تؤمنون بالله فعليه توكلوا
ان كنتم مسلمين وقال تعالى فاعبده وتوكل عليه وقوله رب المشرق والمغرب لا اله الا
هو فاتخذه وكيلا وقوله ان لا تتخذوا من دوني وكيلا وقوله وتوكل على الحي الذي
لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا وقوله فان تولوا فقل حسبي الله لا اله
الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وغير ذلك من الايات وفي الحديث من سره
ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله رواه ابن ابي الدنيا وابو يعلى والحاكم وفي حديث
اخر لو انكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا
رواه الامام احمد وابن ماجة قال الامام احمد التوكل عمل القلب وقال ابو اسمعيل الاه
نصاري التوكل كله والامر الى مالكه والتعويل على وكالته اذا تبين ذلك فمعنى الآية
المترجم لها ان موسى عليه السلام امر قومه بدخول الارض المقدسة التي كتبها الله لهم ولا يرتدوا
على ادبارهم خوفا من الجبارين بل يمضون قدما لايهابونهم ولا يخشونهم متوكلين على الله
في هزيمتهم مصدقين بصحة وعده لهم ان كانوا مؤمنين قال ابن القيم فجعل التوكل على الله
شرطا في الايمان فدل على انتفاء الايمان عند انتفائه وفي الاية الاخرى وقال موسى يا
قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فجعل دليل صحة الاسلام التوكل
وقال وعلى الله فليتوكل المؤمنون فذكر اسم الايمان ههنا دون سائر اسمائهم دليل
على استدعاء الايمان للتوكل وان قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الايمان وضعفه

وغير

وكلما قوي ايمان العبد كان توكله اقوى واذا ضعف الايمان ضعف التوكل واذا كان
التوكل ضعيفا فهو دليل على ضعف الايمان ولابد والله تبارك وتعالى يجمع بين التوكل
والعبادة وبين التوكل والايمان وبين التوكل والتقوى وبين التوكل والاسلام
وبين التوكل والهداية فظهر ان التوكل اصل لجميع مقامات الايمان والاحسان ولجميع
اعمال الاسلام ومنزلته منها كمنزلة الراس من الجسد فكما لا يقوم الراس الا على البدن
فكذلك لا يقوم الايمان ومقاماته واعماله الا على ساق التوكل قلت وفي الاية دليل
على ان التوكل عبادة وعلى انه فرض واذا كان كذلك فصرفه لغير الله شرك قال شيخ الاسلام
ومار جاء احد مخلوقا او توكل عليه الا خاب ظنه فيه فانه مشرك ومن يشرك بالله فكانما
خر من السما فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق قلت لكن التوكل على غير الله
قسمان احدهما التوكل في الامور التي لا يقدر عليها الا الله كالذين يتوكلون على الاموات
والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر والحفظ والرزق والشفاعة فهذا شرك
اكبر فان هذه الامور ونحوها لا يقدر عليها الا الله تبارك وتعالى والثاني التوكل
في الاسباب الظاهرة العادية كمن يتوكل على امير او سلطان فيما جعله الله بيده من الرزق
او دفع الاذى ونحو ذلك فهذا نوع شرك خفي والوكالة الجائزة هي توكل الانسان في
فعل مقدور عليه ولكن ليس له ان يتوكل عليه وان وكل بل يتوكل على الله ويعتمد عليه
تيسير ما وكل فيه كما قرره شيخ الاسلام قال وقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم الاية قال ابن عباس في الاية المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله
عند اداء فرائضه ولا يؤمنون بشيء من ايات الله ولا يتوكلون على الله يصلون اذا غابوا
ولا يؤدون زكاة اموالهم فاخبر الله انهم ليسوا بمؤمنين ثم وصف المؤمنين فقال
انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فادوا فرائضه رواه ابن جرير وابن ابي
حاتم وهذه صفة المؤمنين الذين اذا ذكر الله وجل قلبه اي خاف من الله ففعل ما
مره وترك زواجره فان وجل القلب من الله يستلزم القيام بفعل المأمور وترك المحظور

٢ ظ
ولا

كما قال تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ولهذا
قال السدي في قوله تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فهو الرجل يريد ان يظلم او قال
يهم بالمعصية فيقال له اتق الله فيجل قلبه رواه ابن ابي شيبة وابن جرير وابن ابي
حاتم وقوله واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا قد استدل الصحابة والتابعون
ومن تبعهم بهذه الاية واما لها على زيادة الايمان ونقصانه قال عمير ابن حبيب
الصحابي ان الايمان يزيد وينقص فقيل له ما زيادته وما نقصانه قال اذا ذكرنا
الله وحمدناه فذلك زيادته واذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه رواه
ابن سعيد وقال مجاهد في هذه الاية الايمان يزيد وينقص وهو قول وعمل رواه
ابن ابي حاتم وحكى الاجماع على ذلك الشافعي واحمد وابو عبيد وغيرهم وقوله
وعلى ربهم يتوكلون اي يعتمدون عليه بقلوبهم مفوضين اليه امورهم وحده
لا شريك له فلا يرجون سواه ولا يقصدون الا اياه ولا يرغبون الا اليه يعلمون
ان ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه المتصرف في الملك وحده لا شريك له
وفي الاية وصف المؤمنين حقا بثلاث مقامات من مقامات الاحسان وهي
الخوف وزيادة الايمان والتوكل على الله وحده فان قيل اذا كان المؤمن حقا هو
الذي فعل المامور وترك المحظور فلما ذا لم يذكر الائمة اشياء قيل لان ما ذكر
مستلزم لما ترك فانه ذكر وجل قلوبهم اذا ذكر الله وزيادة ايمانهم اذا تليت
عليهم اياته مع التوكل عليه واقام الصلاة على الوجه المامور به باطنا وظاهرا والانفاق
من المال والمنافع فكان هذا مستلزما للباقي فان وجل القلب عند ذكر الله
يقتضي خشيته والخوف منه وذلك يدعو الصحابه الى فعل المامور وترك المحظور
وكذلك زيادة الايمان عند تلاوة ايات الله يقتضي زيادة علمه وعلائه لابد
من التوكل على الله فيما لا يقدر عليه ومن طاعة الله فيما يقدر عليه واصل ذلك الصلاة
والزكاة فمن قام بهذه الخمس كما امر لزم ان ياتي بسائر الواجبات بل الصلوة نفسها

اذا فعلها كما امر فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر ذكر ذلك شيخ الأسلام قال وقوله
يا ايها النبي حسبك الله الاية قال ابن القيم اي الله وحده كافيك وكافي اتباعك فلا
تحتاجون معه الى احد وقيل المعنى حسبك الله وحسبك المؤمنون قال ابن القيم وهذا
خطا محض لا يجوز حمل الاية عليه فان الحسب والكفاية لله وحده كالتوكل والتقوى
والعبادة قال تعالى وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره
وبالمؤمنين ففرق بين الحسب والتاييد فجعل الحسب له وحده وجعل التاييد له
بنصره وبعباده واثنى على اهل التوحيد من عباده حيث افردوه بالحسب فقال تعالى الذين
قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم
الوكيل ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله فاذا كان هذا قولهم ومدح الرب تعالى لهم بذلك
فكيف يقول لرسوله الله واتباعك حسبك واتباعه قد افرد الرب تعالى بالحسب ولم
يشركوا بينه وبين رسوله فيه فكيف يشرك بينه وبينهم في حسبه رسوله صلى الله
عليه وسلم هذا من المحال وابطل الباطل ونظير هذا قوله سبحانه وقالوا حسبنا الله
سيوتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون فتامل كيف جعل الأيتاء لله والرسول
سول كما قال ما اتاكم الرسول فخذوه وجعل الحسب له وحده فلم يقل وقالوا حسبنا
ورسوله بل جعل حق خالص حقه كما قال تعالى انا الى الله راغبون ولم يقل والى رسوله بل جعل
الرغبة اليه وحده كما قال والى ربك فارغب فالرغبة والتوكل والانابة والحسب لله
وحده كما ان العبادة والتقوى والسجود والنذر والخلق لا يكون الا له سبحانه وتعالى
انتهى كلامه وبهذا يتبين مطابقة الاية للترجمة لان الله تعالى اخبر انه حسب رسوله و
حسب اتباعه اي كافيهم وناصرهم فنعم المولى ونعم النصير وفي ضمن ذلك الامر بهم بافراده
تعالى بالحسب استكفاء بكفايته تبارك وتعالى وذلك هو التوكل قال وقوله ومن يتوكل
على الله فهو حسبه قال ابن القيم اي كافيه ومن كان الله كافيه ووافيه فلا مطمع فيه
لعدوه ولا يضره الأذى الذي لا بد منه كالحر والبرد والجوع والعطش ولما ان يضر

بما يبلغ به مراده فلا يكون ابدا ولا فرق بين الاذى الذي هو في الظاهر ايذاء وهو في
الحقيقة احسان اليه او اضرار بنفسه وبين الضرر الذي يشتفي به منه قال بعض السلف
جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته فقال ومن يتو
كل على الله فهو حسبه ولم يقل فله كذا وكذا من الاجر كما قال في الاعمال بل جعل نفسه
سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه ووافيه فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته
السموات والارض ومن فيهن لجعل له مخرجا وكفاه ونصره انتهى وفي الاثر رواه احمد
في الزهد عن وهب ابن منبه قال الله عز وجل في بعض كتبه يعزتي انه من اعتصم بي
فان كادته السموات بمن فيهن والارضون بمن فيهن فاني اجعل له من ذلك مخرجا ومن
لم يعتصم بي فاني اقطع يديه من اسباب السماء واخسف من تحت قدميه الارض فا
جعله في الهوى ثم اكله الى نفسه كفا بي لعبدي لا اذا كان عبدي في طاعتي اعطيته قبل
ان يسالني فاستجيب له قبل ان يدعوني فانا اعلم بحاجته التي ترفق منه وفي الاية دليل
على فضل التوكل وانه اعظم الاسباب في جلب المنافع ودفع المضار لان الله علق
الجملة الأخيرة على الأولى تعليق الجزاء على الشرط فيمتنع ان تكون وجود الشرط كعدمه
لانه تعالى رتب الوصف المناسب له فعلم ان توكل هو سبب كون الله حسبه ذكره شيخ
الأسلام وفيها تنبيه على القيام بالاسباب مع التوكل لانه تبارك وتعالى ذكر التقوى
ثم ذكر التوكل كما قال تعالى واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فجعل التوكل مع
التقوى الذي هو قيام الاسباب المامور بها فحينئذ اذا توكل على الله فهو حسبه فالتوكل
بدون القيام بالاسباب المامور بها عجز محض وان كان مشوبا بنوع من التوكل فلا
ينبغي للعبد ان يجعل توكله عجزا ولا عجزه توكلا بل يجعل توكله من جملة الاسباب
التي لا يتم المقصود الا بها ذكر معناه ابن القيم قال عن ابن عباس قال حسبنا الله و
نعم الوكيل قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين القي في النار وقالها محمد صلى الله
عليه وسلم حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا الاية رواه

البخاري قوله حسبنا الله اي كافينا فلا نتوكل الا عليه كما قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو
حسبه اي كافيه كما قال اليس الله بكاف عبده قوله ونعم الوكيل اي نعم الموكول اليه
المتوكل عليه كما قال تبارك وتعالى واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير
فقد تضمنت هذه الكلمة العظيمة التوكل على الله والالتجاء اليه قال ابن القيم وهو
حسب من تولاه واستنصر به وتوكل عليه وانقطع بكليته اليه تولاه وحفظه وحرسه
وصانه ومن خافه واتقاه امنه مما يخاف ويحذر وجلب اليه كلما يحتاج اليه من المنافع
قوله قالها ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين القي في النار في رواية ابن عباس قال
كان اخر قول ابراهيم عليه السلام حين القي في النار حسبنا الله ونعم الوكيل رواه
البخاري وقد ذكر الله القصة في سورة الانبياء عليهم السلام قوله وقالها محمد صلى
الله عليه وسلم الى اخره وذلك ما كان من امر احد ما كان ابلغ النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه ان ابا سفيان ومن معه قد جمعوا الكرة عليهم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم
ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن وحذيفة ابن اليمان
وعبد الله ابن مسعود وابو عبيدة ابن الجراح في سبعين راكبا حتى انتهى الى حمراء الاسد
وهي من المدينة على ثمانية اميال ثم القى الله الرعب في قلب ابي سفيان فرجع الى مكة ومر به
ركب من عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة قال فهل انتم مبلغون عني محمدا
رسالة ارسلكم بها اليه قالوا نعم قال اذا رايتموه فاخبروه انا قد جمعنا السير اليه والى
اصحابه لنستاصل بقيتهم فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فا
خبروه بالذي قال ابو سفيان واصحابه فقال حسبنا الله ونعم الوكيل والقصة
مشهورة في السيرة والتفاسير ففي هاتين القصتين فضل هذه الكلمة العظيمة
وانها قول ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام في الشدائد ولهذا جاء في الحد
يث اذا وقعتم في الامر العظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل رواه ابن مردوية
وان القيام بالاسباب مع التوكل على الله لا ينافيان بل يجب على العبد القيام

بهما

بهما كما فعل الخليلان عليهما الصلاة والسلام ولهذا جاء في الحديث الصحيح الذي
رواه الامام احمد وابو داود والنسائي وعن عوف ابن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم
قضى بين رجلين فقال المقضي عليه لما ادبر حسبي الله ونعم الوكيل فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ردوا على الرجل فقال ما قلت قال قلت حسبي الله ونعم الوكيل فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فاذا غلبك امر فقل
حسبي الله ونعم الوكيل وفي الاية دليل على ان الايمان يزيد وينقص قال مجاهد في ه
قوله فزادهم ايمانا قال الايمان يزيد وينقص وعلى ان ما يكره الانسان قد يكون ه
خيرا له وان التوكل اعظم الاسباب في حصول الخير ودفع الشر في الدنيا والاخرة باب
قول الله تعالى افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون المراد بهذه
الترجمة التنبيه على الجمع بين مقام الرجا والخوف وكذلك ذكر بعد هذه الاية قوله تعالى
ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وهذا هو مقام الانبياء والصديقين كما قال تعالى
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه ان عذاب ربك كان محذورا فان ابتغاء الوسيلة اليه هو التقرب بحبه وطاعته
ثم ذكر الرجا والخوف وهذه اركان الايمان وقد قال تعالى انهم كانوا يسارعون
في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وقال تعالى عن ابراهيم عليه الصلاة
والسلام ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا
تتذكرون وقال شعيب قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله
منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا
وقال تعالى عن الملائكة عليهم السلام يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال
النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلمكم بالله واشدكم خشية وكل ما قوي ايمان العبد ويقينه
قوي خوفه ورجاءه مطلقا قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال ان الذين هم
من خشية ربهم مشفقون والذين هم بايات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون

www.alabdulgader.com

والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون قالت عائشة يا رسول الله
هو الرجل يزني ويسرق ويخاف ان يعاقب قال لا يا ابنت الصديق هو الرجل يصلي و
يصوم ويتصدق ويخاف ان لا يقبل منه رواه احمد والترمذي وابن جرير وابن ابي حاتم
والحاكم وصححه قال ابن القيم من اجل منازل الطريق وخوف الخاصة اعظم من خوف العا
مة وهم اليه احوج وهم بربهم اليق ولهم الزم فان العبد اما ان يكون مستقيما او ما
ئلا عن الاستقامة فان كان مائلا عن الاستقامة فخوفه من العقوبة على مثيله ولا
يصح الايمان الا بهذا الخوف وهو يتشأ من ثلاثة امور احدها معرفته بالجناية و
قبحها والثاني تصديق الوعيد وان الله رتب على المعصية عقوبتها الثالث انه لا يعلم
يمنع من التوبة ويحال بينه وبينها اذا ارتكب الذنب فهذه الامور الثلاثة يتم له الخوف
وبحسب قوتها وضعفها يكون قوة الخوف وضعفه هذا قبل الذنب فاذا علمه كان خوفه
اشد وبالجملة فمن استقر في قلبه ذكر الدار الآخرة وجزاءها وذكر المعصية والتوعد عليها
وعدم الوثوق بإتيانه بالتوبة النصوح هاج من قلبه من الخوف ما لا يملكه ولا يفارقه
حتى يمحو او اما ان كان مستقيما مع الله فخوفه يكون مع جريان الانفاس لعلمه بان الله
مقلب القلوب وما من قلب الا وهو بين اصبعين من اصابع الرحمن عز وجل فان شاء
ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وكانت
اكثر يمينه لا ومقلب القلوب ويكفي في هذا قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
فاي قرار لمن هذه حاله ومن احق بالخوف منه بل خوفه لازم له في كل حال وان توارى بغلبة
حال اخرى عليه فالخوف حشو قلبه لكن توارى عنه بغلبة غيره فوجود الشيء غير العلم به
فالخوف الاول ثمرة العلم بالوعد والوعيد وهذا الخوف ثمرة العلم بقدرة الله عز وجل
وعزته وجلاله وانه الفعال لما يريد وانه المحرك للقلب المصرف له كيف يشاء لا اله الا
هو العزيز الحكيم انتهى فهذا الخوف الثاني هو من خوف المكر اذا علمت هذا فمعنى الآية
المترجم لها ان الله تبارك وتعالى ذكر حال اهل القرى المكذبين للرسل بين ان الذي حملهم

على ذلك هو الامن من عذاب الله وعدم الخوف منه كما قال افامن اهل القرى ان ياتيهم
باسنا بياتا وهم نائمون او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون
ثم بين ان ذلك بسبب الجهل والغرة بالله فامنوا مكره فيما ابتلاهم به من السراء والضراء
بان يكون استدراجا فقال افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
اي الهالكون فدل على وجوب الخوف من مكر الله قال المحدث من وسع عليه فلم ير
انه يمكر به فلا راي له ومن قتر عليه فلم ير انه ينظر له فلا راي له وقال قتادة بغت
القوم امر الله وما اخذ الله قوما قط الا عند سلوتهم وغرتهم ونعمتهم فلا تغتروا با
الفاسقون الله انه لا يغتر بالله الا القوم الخاسرون رواهما ابن ابي حاتم وفي الحديث اذا رايت الله
يعطي العبد من الدنيا مع معاصيه ما يحب فانما هو استدراج رواه احمد وابن جرير وابن
ابي حاتم وقال اسمعيل ابن رافع من الامن من مكر الله اقامت العبد على الذنب يتمنى
على الله المغفرة رواه ابن ابي حاتم قال وقوله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
نبه المصنف رحمه الله بهذه الاية على الجمع بين الرجاء والخوف فاذا خاف فلا يقنط من
رحمة الله بل يرجوها مع العمل الصالح كما قال تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجا
هدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم فذكر سبحانه انهم يرجون
رحمة الله مع الاجتهاد في الاعمال الصالحة فاما الرجاء مع الاصرار على المعاصي فذلك
غرور الشيطان اذا تبين ذلك فقوله تعالى ومن يقنط حكاية قول ابراهيم عليه السلام
لما بشرته الملائكة بولد اسحق عليه السلام فقال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون
استبعاد الوقوع هذا في العادة مع كبر السن منه ومن زوجته قالوا بشرناك بالحق اي
لا ريب فيه ولا مثنوية بل امر الذي اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وان بعد
مثله في العادة التي اجراها فان ذلك عليه يسير اذا اراده فلا تكن من القانطين اي
من الآيسين من رحمة الله قال ابراهيم عليه السلام ومن يقنط من رحمة ربه الا الضا
لون فاجابهم بانه ليس بقانط ولكن يرجو من الله الولد وان كان قد كبر واستن امرأته

فانه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو ابلغ من ذلك قال السدي ومن يقنط من رحمة ربه
قال من ييأس من رحمة ربه رواه ابن ابي حاتم الا الضالون قال بعضهم الا المخطئون
طريق الصواب او الا الكافرون كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
وفي حديث مرفوع العاجز الراجي لرحمة الله اقرب منها من العابد القنط رواه الحكيم
الترمذي والحاكم في تاريخه قال عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل
عن الكبائر قال الشرك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله هذا الحديث
رواه البزار وابن ابي حاتم من طريق شبيب ابن بشر عن عكرمة عن ابن عباس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متكئا فدخل عليه رجل قال ما الكبائر فقال الشرك
بالله وذكر الحديث ورجاله ثقات الا شبيب ابن بشر فقال ابن معين ثقة ولينه
ابو حاتم ومثل هذا يكون حسنا وقال ابن كثير في اسناده نظر والاشبه ان يكون
موقوفا قوله الشرك بالله هو اكبر الكبائر اذ مضمونه تنقيص رب العالمين والههم
ومالكهم وخالقهم الذي لا اله الا هو وعدل غيره به كما قال والذين هم بربهم يعدلون
فهو ظلم الظلم واقبح القبيح ولهذا لا يغفر ان لم يتب منه بخلاف غيره من الذنوب
ففي مشيئة الله ان شاء غفرها وان شاء عذب بها قوله واليأس من روح الله
اي قطع الرجاء والأمل من الله فيما يرومه ويقصده قال تعالى ولا تيأسوا من روح الله
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وذلك اساءة ظن بكرم الله ورحمته
وجوده ومغفرته قوله والامن من مكر الله اي استدراجه للعبد وسلبه ما اعطاه من الأ
يمان نعوذ بالله من غضبه وذلك جهل بالله وبقدرته وثقة بالنفس وعجب بها واعلم
ان هذا الحديث لم يرد فيه حصر الكبائر فيما ذكر بل الكبائر كثيرة لكن ذكر هو اكبرها او من
اكبرها ولهذا قال ابن عباس هي الى السبعين اقرب منها الى السبع رواه ابن جرير وابن ابي
حاتم وفي رواية هي الى سبع مائة اقرب منها الى السبع غير انه لا كبيرة مع الاستغفار ولا
صغيرة مع الاصرار قال وعن ابن مسعود قال الكبائر الأشراك بالله والامن من

مكر الله

من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله رواه عبد الرزاق هذا الأثر
رواه ابن جرير باسانيد صحاح عن ابن مسعود قال ابن كثير وهو صحيح اليه بلا شك و
رواه الطبراني ايضا قوله اكبر الكبائر الاشراك بالله اي في ربوبيته او عبادته وهذا
بالاجماع قوله والقنوط من رحمة الله قال ابو السعادات هو اشد اليأس من الشيء
قلت فعلى هذا يكون الفرق بينه وبين اليأس كالفرق بين الاستغاثة والدعاء
فيكون القنوط من اليأس وظاهر القرآن ان اليأس اشد لانه حكم لاهله بالكفر ولاهل
القنوط بالضلال وفيه التنبيه على الجمع بين الرجاء والخوف فاذا خاف فلا يقنط ولا
ييأس وكان السلف يستحبون ان يقوى في الصحة الخوف وفي المرض الرجاء هذه طريقة
ابن سليمان وغيره قال وينبغي للقلب ان يكون الغالب عليه الخوف فاذا كان الغا
لب عليه الرجاء فسد نسئل الله تعالى ان يرزقنا خشيته في الغيب والشهادة انه على
كل شيء قدير باب من الايمان الصبر على اقدار الله لما كان الله بديع حكمته
ولطيف رحمته قضى ان يبتلي النوع الانساني بالاوامر والنواهي والمصائب التي قدرها
الله عليهم امرهم بالصبر على ذلك وافترضه عليهم تسلية لهم وتقوية على ذلك ووعدهم
عليه الثواب بغير حساب كما قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فعلى هذا
يكون الصبر ثلاثة انواع صبر على المامور وصبر على المحظور وصبر على المقدور ويشملها
قوله تعالى والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وقوله تعالى الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون
ولما كان الصبر لا يحصل الا بالله كما قال واصبر وما صبرك الا بالله ارشد تبارك
وتعالى الى الجمع بينهما وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال الامام احمد ذكر الله
الصبر في تسعين موضعا وقال النبي صلى الله عليه وسلم الصبر ضياء رواه احمد ومسلم
وقال عليه السلام ما اعطي احد عطاء خيرا واوسع من الصبر رواه البخاري ومسلم وفي
حديث اخر الصبر نصف الايمان رواه ابو نعيم والبيهقي في الشعب وقال عمر وجدنا
خير عيشنا بالصبر رواه البخاري وقال علي ابن ابي طالب الا ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس

من الجسد فاذا قطع الراس بار الجسد ثم رفع صوته فقال الا انه لا ايمان لمن لا صبر له والاحاديث
والاثار كثيرة واشتقاقه من صبر اذا حبس ومنع فالصبر حبس النفس عن الجزع واللسان عن
التشكي والسخط والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوها ذكره ابن القيم قال
وقوله تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه اول الاية ما اصاب من مصيبة الا باذن الله
ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم اخبر تعالى ان ما اصاب من مصيبة
في الارض ولا في الانفس الا باذن الله اي بقدره وامره كما قال تعالى في الاية الاخرى الا
في كتاب من قبل ان نبرها ان ذلك على الله يسير قال ابن عباس في قوله الا باذن الله
اي بامر الله يعني من قدره ومشيئته ومن يؤمن بالله يهد قلبه اي ومن اصابته
مصيبة فعلم انها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله جازاه الله
تعالى بهداية قلبه التي هي اصل كل سعادة في الدنيا والاخرة وقد يخلف عليه ايضا في الدنيا
ما اخذ منه او خيرا منه كما قال وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا
اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون قال
ابن عباس يهد قلبه لليقين فيعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه
وفي الحديث الصحيح عجبا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء الا كان خيرا له ان اصابته ضراء فصبر
كان خيرا له وان اصابته سراء فشكر كان خيرا له وليس ذلك لاحد الا للمؤمن وقوله والله
بكل شيء عليم تنبيه على ان ذلك صادر عن علمه المتضمن لحكمته وذلك يوجب الصبر والرضى
قوله قال علقمة هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم هذا الاثر
رواه ابن جرير وابن ابي حاتم عن علقمة وهو صحيح وعلقمة هو ابن قيس ابن عبد الله النخعي
الكوفي ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وسمع من ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد و
ابن مسعود وعائشة وغيرهم وهو من كبار التابعين واجلائهم وعلمائهم وثقاتهم
مات بعد الستين قوله هو الرجل تصيبه المصيبة الاخره هذا التفسير للايمان المذكور في
الاية لكنه تفسير باللازم وهو صحيح اذ هذا ايمان لازم للايمان الراسخ في القلب وقريب

منه تفسير سعيد ابن جبير يؤمن بالله يهد قلبه يعني يسترجع بقوله انا لله وانا اليه راجعون
وفي الاية ان الصبر سبب لهداية القلب ومن ثواب الحسنة الحسنة بعدها وان الاعمال
من الايمان وفيها اثبات القدر قال وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت
قوله هما اي اثنتان قوله بهم كفر اي هما بالناس اي فيهم كفر قال شيخ الاسلام اي هما
ثنتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس فنفس الخصلتين كفر حيث كانتا من اعمال الكفار
وهما قائمتان بالناس لكن ليس من قام به شعبة من شعب الايمان يصير مؤمنا حتى يقوم به
اصل الايمان وفرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله ليس بين العبد وبين الكفر و
الشرك الا ترك الصلاة وبين كفر منكر في الاثبات قوله الطعن في النسب اي عيبها و
يدخل فيه ان يقال هذا ليس ابن فلان مع ثبوت نسبه في ظاهر الشرع ذكره بعضهم
قوله والنياحة على الميت اي رفع الصوت بالندب بتعديد شمائله لما في ذلك
من التسخط على القدر والجزع المنافي للصبر وذلك كقول النائحة واعضده وانا
صراه واكاسياه ونحو ذلك وفيه دليل على ان الصبر واجب لان النياحة منافية له
فاذا حرمت دل على وجوبه وفيه ان من الكفر ما لا ينقل عن الملة قال ولهما عن
ابن مسعود مرفوعا ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعى بدعوى
الجاهلية قوله ليس منا هذا من نصوص الوعيد وقد جاء عن سفيان الثوري
واحمد كراهة تاويلها ليكون اوقع في النفوس وابلغ في الزجر وقيل اي ليس من
اهل سنتنا وطريقتنا لان الفاعل لذلك ارتكب محرما وترك واجبا وليس المراد
اخراجه من الاسلام بل المراد المبالغة في الردع عن الوقوع في ذلك كما يقول الرجل لولده
عند معاتبته لست مني ولست منك فالمراد ان فاعل ذلك ليس من المؤمنين الذين
قاموا بواجبات الايمان قوله من ضرب الخدود قال الحافظ خص الخد بذلك لكونه
الغالب والا فضرب بقية الوجه مثله قلت بل ولو ضرب غير الوجه كالصدر فكالوضرب

الخد فيدخل في معنى الخداذا الكل جزع مناف للصبر فيحرم قوله وشق الجيوب جمع جيب وهو الذي يدخل فيه في الرأس من الثوب وكانوا يشقونه حزنا على الميت قال الحافظ والمراد كما فتح الاخره قلت الظاهر انه فتح بعضه كفتحه كله قوله ودعى بدعوى الجاهلية قال شيخ الأسلام هو ندب الميت وقال غيره هو الدعا بالويل والثبور وقال الحافظ اي من النياحة ونحوها وكذا الندب كقولهم واجبلاه وكذا الدعا بالويل والثبورا وقال ابن القيم الدعا بدعوى الجاهلية كالدعاء الى القبائل والعصبية للانسان ومثل التعصب للمذاهب والطوائف والمشائخ وتفضيل بعض على بعض في الهوى والعصبية وكونه منتسبا اليه يدعو الى ذلك ويوالي عليه ويعادي ويزن الناس به فكل هذا من دعوى الجاهلية قلت الصحيح ان دعوى الجاهلية يعم ذلك كله وقد جاء لعن من فعل ما في هذا الحديث عند ابن ماجة وصححه ابن حبان عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الخامشة وجهها والشاقة جيبها والداعية بالويل والثبور وهذا يدل ان هذه من الكبائر لانها مشتملة على التسخط على الرب وعدم الصبر الواجب والاضرار بالنفس من لطم الوجه واتلاف المال بشق الثياب وتمزيقها وذكر الميت بما ليس فيه والدعا بالويل والثبور والتظلم من الله تعالى وبدون هذا يثبت التحريم الشديد فاما الكلمات اليسيرة اذا كانت صدقا على وجه النوح والتسخط فلا تحرم ولا تنافي الصبر الواجب نص عليه احمد لما رواه في مسنده عن انس ان ابا بكر رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فوضع فمه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه وقال وانبياه واخليلاه واصفياه وكذلك صح عن فاطمة رضي الله عنها انها لذبت اباها صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابتاه اجاب ربا دعاه الحديث واعلم ان الحديث المشروح لا يدل على النهي عن البكاء اصلا وانما يدل على النهي عما ذكر فيه فقط وكذلك يدل على النهي عما في معناه كالبكاء برنة وحلق الشعر وخمش الوجه ونحو ذلك اما البكاء على وجه الرحمة والرقة ونحو ذلك فيجوز بل قال شيخ الاسلام البكاء

على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب ولا ينافي الرضى بقضاء الله بخلاف البكاء عليه بفوات حظه منه قلت ويدل لذلك قوله عليه السلام لما مات ابنه ابراهيم تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضي الرب وانا لك يا ابراهيم لمحزونون وهو في الصحيح وفي الصحيحين عن اسامة ابن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى احد بناته ولهاصبي في الموت فرفع اليه الصبي ونفسه تقعقع كانها شنة ففاضت عيناه فقال سعد ما هذا يا رسول الله قال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء قال وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة هذا الحديث رواه الترمذي والحاكم وحسنه الترمذي وفي اسناده سعد ابن سنان قال الذهبي في موضع سعد ليس بحجة وفي اخر حكاية غير صحيح واخرجه الطبراني والحاكم عبد الله ابن مغفل واخرجه ابن عدي عن ابي هريرة والطبراني عن عمار وابن ياسر وحسنه السيوطي قوله اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا قال شارح بنصب البلا والمصائب عليه جزاء لما فرط من الذنوب منه فيخرج منها وليس ذنب يوافى به يوم القيمة كما يعلم من مقابلة اللاتي ومن فعل ذلك به فقد اعظم اللطف به حتى يكفر بالشوكة يشاكها حتى بالقلم يسقط من الكاتب فيكفر عن المؤمن بكل ما يلحقه في دنياه حتى يموت على طهارة من دنسه قلت وفي الصحيح ولا يزال البلا بالعبد حتى يمشي على الارض وليست عليه خطيئة وفي المسند وغيره من حديث ابي هريرة مرفوعا لا يزال البلا بالمؤمن والمؤمنة في جسده وماله وفي ولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة قال شيخ الاسلام المصائب نعمة لانها مكفرات للذنوب ولانها تدعو الى الصبر فيثاب عليها ولانها تقتضي الانابة الى الله والذل له والاعراض عن الخلق الى غير ذلك من المصالح العظيمة فنفس البلا يكفر الله به الخطايا ومعلوم ان هذا من اعظم النعم ولو كان رجل من افخر الناس فانه لا بد ان يخفف الله عنه عذابه

بمصائبه فالمصائب رحمة ونعمة في حق عموم الخلق الا ان يدخل صاحبها بسببها في معاصي
اعظم مما كان قبل ذلك فتكون شرا عليه من جهة ما اصابه في دينه فان من الناس من
اذا ابتلي بفقر او مرض او جوع حصل له من الجزع والسخط والنفاق ومرض القلب
او الكفر الظاهر او ترك بعض الواجبات وفعل المحرمات ما يوجب له ضررا في دينه
بحسب ذلك فهذا كانت العاقبة خيرا له من جهة ما اورثته المصيبة لا من جهة نفس
المصيبة كما ان من اوجبت له المصيبة صبرا وطاعة كانت في حقه نعمة دينية فهي بعينها
فعل الرب عز وجل رحمة للخلق والله تبارك وتعالى محمود عليها فان اقترن بها طاعة
كان ذلك نعمة ثانية على صاحبها وان اقترن بها للمؤمن معصية فهذا مما تتنوع
فيه احوال الناس كما تتنوع احوالهم في العاقبة فمن ابتلي وذاق الصبر كان الصبر نعمة
عليه في دينه وحصل له بعد ما كفر من خطاياه رحمة وحصل له بثناءه على ربه
صلاة ربه عليه حيث قال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة فحصل له غفران
السيئات ورفع الدرجات وهذا من اعظم النعم فالصبر واجب على كل مصاب فمن
قام بالصبر الواجب حصل له ذلك انتهى ملخصا **قوله** واذا اراد الله بعبده الشر امسك
عنه اي اخر عنه العقوبة بذنبه **قوله** حتى يوافى به يوم القيمة هو بضم الياء وكسر الفاء
منصوبا بحتى مبنيا للفاعل قال العزيزي اي لا يجازيه بذنبه في الدنيا حتى يجيء في
الاخرة مستوفر الذنوب وافيها فيستوفي ما يستحقه من العقاب قلت وهذا مما
يزهد العبد في الصحة الدائمة خوفا ان تكون طيبات عجلت له في الحيوة الدنيا والله
تعالى لم يرض الدنيا لعقوبة اعدائه كما لم يرضها لاثابة اوليائه بل جعل ثوابهم ان
اسكنهم في جواره ورضي عنه كما قال تعالى ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق
عند مليك مقتدر ولهذا لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الاسقام قال رجل يا رسول الله
وما الاسقام والله ما مرضت قط قال فقم عنا فلست منا رواه ابو داود وهذه الجملة
هي اخر الحديث واما قوله وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء الى اخره فهو

اول حديث اخر لكن لما رواهما الترمذي باسناد واحد عن صحابي واحد جعلهما المنصف
كالحديث الواحد وفيه من الفوائد ان البلاء للمؤمن من علامات الخير خلافا لما يظنه كثير
من الناس وفيه الخوف من الصحة الدائمة ان تكون من علامات الشر وفيه تنبيه على رجاء
الله وحسن الظن به فيما يقضيه لك مما تكره وفيه معنى قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا
وهو خير لكم الاية قال المصنف **وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء**
وان الله تعالى اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط اخرجه
الترمذي هذا الحديث رواه الترمذي بلفظ حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن
يزيد ابن ابي حبيب عن سعد ابن سنان عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اراد الله بعبده الخير الحديث الذي قبل هذا ثم قال وبهذا الاسناد عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء الحديث ثم قال هذا حسن غريب من هذا الوجه و
رواه ابن ماجة وصححه السيوطي ورواه الامام احمد عن محمود ابن لبيد مرفوعا اذا احب
الله قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع قال المنذري في روايته ثقات
قوله ان عظم الجزاء مع عظم البلا بكسر المهملة وفتح الظاء فيهما ويجوز ضمها
مع سكون الظاء اي من كان ابتلاه اعظم فجزاؤه اعظم فعظم الاجر وكثرة الثواب
مع عظم البلاء كيفية وكمية جزاء وفاقا قلت ولما كان الانبياء عليهم السلام
اعظم الناس جزاء كانوا اشد الناس بلاء كما في حديث سعد سئل النبي صلى الله
عليه وسلم اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على
حسب دينه فان كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة ابتلي على
قدر دينه فما يبرح البلا بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة رواه
الدارمي وابن ماجة والترمذي وصححه وقد يحتج بقوله ان عظم الجزاء مع عظم البلا
من يقول ان المصائب والاسقام يثاب عليها غير تكفير الخطايا ورجح ابن القيم وغيره
ان ثوابها تكفير الخطايا فقط الا ان كانت سببا لعمل صالح كالتوبة والاستغفار ه

والصبر والرضى فانه حينئذ يثاب على ما تولد منها كما في حديث اذا سبقت للعبد من الله
منزلة لم يبلغها او قال لم ينلها بعمله ابتلاه الله في جسده او في ولده او في ماله ثم صبره حتى
يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل رواه ابو داود في رواية ابن داسه والبخاري
في تاريخه وابو يعلى في مسنده وحسنه بعضهم وعلى هذا فيجاب عن الأول ان عظم
الجزاء مع عظم البلاء اي اذا صبر واحتسب **قوله** وان الله اذا احب قوما ابتلاهم صريح
في حصول الابتلاء لمن احبه الله ولما كان الانبياء عليهم السلام افضل الأحباب
كانوا اشد الناس بلاء واصابهم من البلاء في الله ما لم يصب احدا نالوا بذلك الثواب
العظيم والرضوان الاكبر وليتأسى بهم من بعدهم ويعلموا انهم بشر تصيبهم المحن
والبلايا فلا يعبد ونهم **فان قلت** فكيف يبتلي الله احبابه **قيل** لما كان احد لا يخلوا
من ذنب كان الأبتلى تطهيرا لهم كما صحت بذلك الأحاديث وفي اثر الهي ابتليهم بالمصائب لأطهرهم من المصائب ولانه زيادة في درجاتهم لما يحصل مع المصيبة للمؤمن من
الأعمال الصالحة كما تقدم في حديث اذا سبقت للعبد من الله المنزلة الحديث ولان ذلك
يدعوا الى التوبة فان الله تعالى يبتلي العباد بعذاب الدنيا ليتوبوا من الذنوب كما قال
تعالى ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون فمن رزقه الله التوبة بسبب المصيبة
كان ذلك من اعظم نعم الله عليه ولان ذلك يحصل به دعاء الله والتضرع اليه من اعظم
النعم فهذه النعمة والتي قبلها من اعظم صلاح الدين فان صلاح الدين في ان يعبد الله و
حده ويتوكل عليه وان لا يدع مع الله الها اخر لا دعاء عباده ولا دعاء مسئلة فاذا حصلت
لك التوبة التي مضمونها ان تعبد الله وحده وتطيع رسله بفعل المأمور وترك المحظور
كنت ممن يعبد الله واذا حصل لك الدعا الذي هو سؤال الله وحاجاتك فتسأله ما
تنتفع به وتستعيذ به مما تستضر به كان هذا من اعظم نعم الله عليك وهذا كثير يحصل
بالمصائب واذا كانت هذه النعم في المصائب فاولى الناس بها احبابها فعليهم حينئذ
ان يشكروا الله لخصت ذلك من كلام شيخ الأسلام رحمه الله **قوله** فمن رضي فله الرضى اي من

ربه

رضي بما قضاه الله وقدره عليه من الأبتلاء فله الرضى من الله جزاء وفاقا كما قال تعالى
رضي الله عنهم ورضوا عنه وهذا دليل على فضيلة الرضى وهو ان لا يعترض على الحكم ولا
يسخط ولا يكرهه وقد وصى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا فقال لا تتهم الله في شيء قضاه
لك فاذا نظر المؤمن القضا والقدر في حكمة الله ورحمته وانه غير متهم في قضاءه دعاه
ذلك الرضا قال ابن مسعود ان الله بقسطه وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا
وجعل الهم والحزن في الشك والسخط وقال ابن عون ارض بقضاء الله من عسر ويسر
فان ذلك اقل لهمك وابلغ فيما تطلب من امر آخرتك واعلم ان العبد لن يصيب حقيقة
الرضا حتى يكون رضاه عند الفقر والبلا كرضاه عند الغنا والرخا كيف تستقضي الله في
امرك ثم تسخط ان رأيت قضاه مخالفا لهواك ولعل ما هويت من ذلك لو وفق لك
لكان فيه هلاكك وترضى قضاه اذا وافق هواك وذلك لقلة علمك بالغيب ان كنت
كذلك ما انصفت من نفسك ولا اصبت باب الرضا ذكره ابن رجب قال وهذا كلام
حسن **قوله** ومن سخط بكسر الخاء قال ابو السعادات السخط الكراهية للشيء وعدم
الرضا به اي من سخط اقدار الله فله السخط اي من الله وكفى بذلك عقوبة قال تعالى
ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم وفيه دليل ان السخط
من اكبر الكبائر وقد يستدل به على ايجاب الرضا كما هو اختيار ابن عقيل واختار القاضي
عدم الوجوب وحجته شيخ الاسلام وابن القيم قال شيخ الاسلام ولم يجيء الأمر به
كما جاء الامر بالصبر وانما جاء الثنا على اصحابه ومدحهم قال واما ما يروى من الأثر
من لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سواي فهذا اثر اسرائيلي ليس بصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت وقد روى الطبراني في الاوسط معناه عن انس بن مالك
مرفوعا من لم يرض بقضائي ويؤمن بقدري فليلتمس الها غيري قال الهيثمي فيه
حزم ابن ابي حزم وثقه ابن معين وضعفه جمع وبقية رجاله ثقات فان ثبت هذا دل
على وجوبه قال شيخ الاسلام واعلم ان ذلك اي من الرضا ان يشكر الله على المصيبة

لما يرى من انعام الله تعالى عليه بها انتهى والله اعلم انه لا تنافي بين الرضا وبين الاحساس
بالألم فكثير ممن له انين من وجع وشدة مرض قلبه مشحون من الرضا والتسليم لأمر الله
فان قيل ما الفرق بين الرضا والصبر فالجواب قالت طائفة من السلف منهم عمر ابن عبد
العزيز والفضيل وابو سليمان وابن المبارك وغيرهم ان الرضا لا يتمنى غير حاله
التي هو عليها بخلاف الصابر وقال الخواص الصبر دون الرضا الرضا ان يكون الرجل
قبل نزول المصيبة راض بان ذلك كان والصبر ان يكون بعد نزول المصيبة يصبر
قلت كلام الخواص هذا عزم على الرضا ليس هو الرضا فانه انما يكون بعد القضاء
وهو نحو ما في اسالك الرضا بعد القضا ان العبد قد يعزم على الرضا بالقضاء
قبل وقوعه فاذا وقع انفسخت تلك العزيمة فمن رضي بعد وقوع القضا فهو الراضي
حقيقة قاله ابن رجب باب ما جاء في الرياء اي من الوعيد ولما كان خلوص
العمل من الشرك والرياء شرطا في قبوله لمنافاة الشرك والريا للتوحيد نبه المصنف
على ذلك تحقيقا للتوحيد والريا مصدر راي يري مراياة ورياء وهو ان يرى
الناس انه يعمل عملا على صفة وهو يضمر في قلبه صفة اخرى فلا اعتداد ولا ثواب
الا بما خلصت به النية سبحانه وتعالى ذكره القاضي ابو بكر بمعناه وقال الحافظ هو مستحق
من الرؤية والمراد به اظهار العبادة لقصد رؤية الناس والسمعة العمل لاجل سماعهم
فالريا يتعلق بحاسة البصر والسمعة بحاسة السمع ويدخل فيه ان يخفي عمله ثم يحدث
به الناس قال وقول الله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد الاية
يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للناس انما انا بشر مثلكم اي في البشرية ولكن الله
من علي وفضلني بالرسالة وليس من الربوبية ولا من الألهية شيء بل ذلك لله وحده لا شريك له
كما قال يوحى الي انما الهكم اله واحد اي معبودكم الذي يدعوكم الى عبادته اله واحد لا شريك
له فمن كان يرجو لقاء ربه اي من كان يخاف لقاء الله يوم القيمة قال شيخ الاسلام
اما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد

السلوك

السلوك والسير وقالوا ان لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى واطال في ذلك واحتج
له وقال سعيد بن جبير من كان يرجو لقاء ربه قال من كان يخشى البعث في الاخرة رواه
ابن ابي حاتم فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي كائنا من كان قال ابن
القيم اي كما انه اله واحد لا اله سواه فكذلك ينبغي ان تكون العبادة له وحده لا شريك
له فكما تفرد بالالهية يجب ان يفرد بالعبودية فالعمل الصالح هو الخالص من الرياء المقيد
بالسنة واليه الاشارة بقوله فليعمل عملا صالحا انتهى وهذان ركنا العمل المتقبل لا بد
لا بد ان يكون صوابا خالصا فالصواب ان يكون على السنة واليه الاشارة بقوله
فليعمل عملا صالحا والخالص ان يخلص من الشرك الجلي والخفي واليه الاشارة بقوله
ولا يشرك بعبادة ربه احدا روى عبد الرزاق وابن ابي الدنيا في كتاب الاخلاص وابن
ابي حاتم والحاكم عن طاووس قال قال رجل يا نبي الله اني اقف المواقف ابتغي وجه الله
واحب ان يرى موطني فلم يرد عليه شيئا حتى نزلت هذه الاية فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا ورواه الحاكم وصححه موصولا عن طاووس
عن ابن عباس وفي الاية دليل على الشهادتين وان الله تعالى فرض على نبينا صلى الله عليه وسلم
ان يخبرنا بتوحيد الالهية والا فتوحيد الربوبية لم ينكره الكفار الذين كذبوه وقا
تلوه ذكره المصنف وفيها تسمية الرياء شركا وفيها ان من شروط الايمان بالله واليوم
الاخر ان لا يشرك بعبادة ربه احدا ففيه التصريح بان الشرك الواقع من المشركين انما
هو في العبادة لا في الربوبية وفيها الرد على من قال اولئك يشفعون بالاصنام و
نحوها فتشفع بصالح لانه قال ولا يشرك بعبادة ربه احدا فليس بعد هذا بيان افتتح
الاية بذكر براءة النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو اقرب الخلق لله وسيلة اي براءة من
الألهية وختمها بقوله احدا واعلم رحمك الله انه لا يعرف هذه الاية المعرفة التي تنفعه الا
من ميز بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألهية تمييزا تاما وعرف ما عليه غالب
الناس اما طوعيت ينازعون الله في توحيد الربوبية الذي لم يصل اليه شرك المشركين

واما مصدق لهم تابع لهم واما شاك لا يدري ما انزل الله على رسوله ولا يميز بين دين
الرسول صلى الله عليه وسلم وبين دين النصارى ذكره المصنف وفيها ان اصل دين النبي صلى الله
عليه وسلم الذي بعث به هو الاخلاص كما في هذه الاية وقوله كتاب احكمت اياته
ثم فصلت من لدن حكيم خبير ان لا تعبدوا الا الله اني لكم منه نذير وبشير وذلك
هو دعوة الرسل من اولهم الى اخرهم كما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وذلك هو الحنيفية الابراهيمية جعلنا
الله من اهلها بمنه وكرمه قال عن ابي هريرة مرفوعا قال الله تعالى انا اغنى الشركاء
عن الشرك من عمل عملا اشرك معي فيه غيري تركته وشركه رواه مسلم قوله
انا اغنى الشركاء عن الشرك لما كان المراءي قاصدا بعمله الله تعالى وغيره كان جعل لله
تعالى شريكا فاذا كان كذلك فالله تعالى هو الغني على الاطلاق والشركاء بل جميع
الخلق فقراء اليه بكل اعتبار فلا يليق بكرمه وغناه التام ان يقبل العمل الذي جعل
له فيه شريك فان كمال تباركت وتعالى وكرمه وغناه يوجبان لا يقبل ذلك ولا يلزم
من اسم التفضيل اثبات غنى للشركاء فقد تقع المفاضلة بين الشيئين وان كان
احدهما لا فضل فيه كقوله تعالى الله خير اما يشركون وقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا واحسن مقيلا قوله من عمل عملا اشرك معي فيه غيري اي من قصد بذلك
العمل الذي يعمله لوجهي غيري من المخلوقين تركته وشركه وفي رواية عند ابن ماجة
وغيره فانا منه بريء وهو للذي اشرك قال الطيبي الضمير المنصوب في تركته يجوز
ان يرجع الى العمل والمراد منه الشرك الشريك قال ابن رجب واعلم ان العمل لغير الله
اقسام فتارة يكون رياء محضا بحيث لا يراد به سوى مرايات المخلوقين لغرض دنيوي
كحال المنافقين في صلاتهم كما قال واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس
وكذلك وصف الله الكفار بالرياء في قوله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورياء
الناس وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام وقد

يصدر

يصدر في الصدقة الواجبة او الحج وغيرهما من الاعمال الظاهرة او التي يتعدى نفعها فا
ن الاخلاص فيها عزيز وهذا العمل لا يشك مسلم انه حابط وان صاحبه يستحق المقت
من الله والعقوبة وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء فان شاركه من اصله فالنصوص
الصحيحة تدل على بطلانه ثم ذكر احاديث تدل على ذلك منها الحديث الذي ذكره المصنف
وحديث شداد ابن اوس مرفوعا من صلى يرائي فقد اشرك ومن صام يرائي فقد اشرك
وان الله عز وجل يقول انا خير قسيم لمن اشرك بي من اشرك بي شيئا فان وجد عمله
وقليله وكثيره لشريكه الذي اشرك به انا عنه غني رواه احمد وحديث الضحاك ابن قيس
مرفوعا ان الله عز وجل يقول انا خير شريك فمن اشرك معي شريكا فهو لشريكي يا ايها الناس
اخلصوا اعمالكم لله عز وجل فان الله لا يقبل من الاعمال الا ما اخلص له ولا تقولوا هذا
لله والرحم فانها للرحم وليس لله منه شيء ولا تقولوا هذا لله ولوجوهكم وليس لله منه
شيء رواه البزار ورواه ابن مردويه والبيهقي بسند قال المنذري لا باس به
وحديث ابي امامة الباهلي ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا
رسول الله ارايت رجلا غزا يلتمس الاجر والذكر ماله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا شيء له فاعادها عليه ثلاث مرات يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا شيء له ثم قال ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه رواه
ابو داود والنسائي باسناد جيد ثم قال فان خالطت نية الجهاد مثلا نية غير
الرياء مثلا اخذ اجرة للخدمة او اخذ شيء من الغنيمة او التجارة نقص بذلك اجر
جهاده ولم يبطل بالكلية وفي صحيح مسلم عن عبد الله ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الغزاة اذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثي اجرهم فان لم يغنموا شيئا تم لهم اجرهم قلت
هذا الا يدل على انهم غزوا لاجلها فذا يدل على ثبوت الاجر لمن غزا يلتمس عرضا قال
وقد ذكرنا في ما مضى احاديث تدل على ان من اراد بجهاده عرضا من الدنيا انه لا اجر له
وهي محمولة على انه لم يكن له عرض في الجهاد الى الدنيا قلت ظاهر حديث ابي هريرة ان

رجلا قال يا رسول الله رجل يريد الجهاد وهو يبتغي عرض من عرض الدنيا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا اجر له فاعاد عليه ثلاثا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لا اجر له رواه
ابو داود ويدل على ان نية الجهاد اذا خالطها نية اجر كالخدمة او اخذ شيء من الغنيمة
او التجارة لم يكن له اجر ويحتمل ان يكون معنى يريد الجهاد اي يريد سفر الجهاد ولم
ينو الجهاد انما نوى عرض الدنيا قال ابن رجب وقال الامام احمد التاجر والمستاجر
والمكاري اجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزواتهم ولا يكونوا امثل من جاهد بنفسه
وماله لا يخلط به غيره وقال ايضا فيمن يأخذ جعلا على الجهاد اذا لم يخرج لاجل الدر
راهم فلا باس كان خرج لدينه فان اعطي شيئا اخذه وكذا روي عن عبد الله ابن عمر
وقال اجمع احدكم على الغزو وفوضه الله رزقا فلا باس بذلك واما ان احدكم ان
اعطي درهما غزا وان لم يعط درهما لم يغز فلا خير في ذلك قلت هذا يدل على الفرق
بين من كانت نية الدنيا مخالطة له من اول مرة بحيث تكون هي الباعث له على العمل او من
جاله ما يبعثه عليه كالذي يلتمس الاجر والذكر فهذا لا اجر له وبين ما كان النية خالصة
من اول مرة ثم عرض له امر من الدنيا لا يبالي به سواء حصل له او لم يحصل كالذي اجمع
على الغزو سواء اعطي او لم يعط فهذا لا يضره ونحوه التجارة في الحج كما قال تعالى ليس عليكم
جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم وعلى هذا يتنزل ما روي عن مجاهد انه قال وحج التجار
وحج الاجير وحج التاجر هو تام لا ينقص من اجورهم شيء اي لان قصدهم الاصلي كان
هو الحج دون التكسب قال واما ان كان اصل العمل لله ثم طرا عليه نية الرياء فان كان
خاطرا ودفعه فلا يضره بغير خلاف وان استرسل معه فهو يحبط عمله ان لم يضره ذلك
ويجازى على اصل نيته في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الامام احمد
وابن جرير الطبري ورجحا ان عمله لا يبطل بذلك وانه يجازى بنيته الاولى وهو مروي
عن الحسن البصري وغيره ويستدل لهذا القول بما خرجه ابو داود في مراسيله عن عطا
الخراساني ان رجلا قال يا رسول الله ان بني سلمة كلهم يقاتل فمنهم من يقاتل للدنيا

ومنهم من يقاتل لحمية ومنهم من يقاتل ابتغاء وجه الله قال كلهم اذا كان اصل امره
ان تكون كلمة الله هي العليا وذكر ابن جرير ان هذا الاختلاف انما هو في عمل مرتبط
اخره باوله كالصلاة والصيام والحج فاما ما لا ارتباط فيه كالقران والذكر وانفاق
المال ونشر العلم فانه ينقطع بنية الرياء الطارية عليه ويحتاج الى تجديد نية
فاما اذا عمل لله خالصا ثم القى الله الثناء الحسن في قلوب المؤمنين ففرح
بفضل الله ورحمته واستبشر بذلك لم يضره وفي هذا المعنى جاء في حديث ابي
ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الرجل يعمل العمل من الخير يحمده الناس عليه
فقال تلك عاجل بشرى المؤمنين رواه مسلم انتهى ملخصا اذا تبين هذا فقد
دل الكتاب والسنة على حبوط العمل بالرياء وجاء الوعيد بالعذاب عليه قال
الله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها
لا يبخسون والاية بعدها وروى مسلم في صحيحه حديث الثلاثة الذين هم اول
من تسعر بهم النار المقاتل ليقال جريء والمتعلم ليقال عالم والمتصدق ليقال جواد
فاما ما رواه البزار وابن مندة والبيهقي عن معاذ ابن جبل مرفوعا من عمل رياء
يكتب لا له ولا عليه ذكره السيوطي في الدر ولم اقف على اسناده فما اظنه ثبت
والكتاب والسنة يدلان على خلافه بل هو موضوع قال وعن ابي سعيد مرفوعا
الا اخبركم بما هو اخوف عليكم عندي من المسيح الدجال قالوا بلى قال الشرك الخفي
يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل رواه احمد هذا الحديث
رواه احمد كما قال المصنف ورواه ابن ماجة وابن ابي حاتم والبيهقي وفيه قصة
ولفظ ابن ماجة والبيهقي خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر
المسيح الدجال فقال الا اخبركم الحديث وفي سنده ضعف ومعناه صحيح
وروى ابن خزيمة في صحيحه معناه عن محمود ابن لبيد قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا ايها الناس اياكم وشرك السرائر قالوا يا رسول الله وما شرك السرائر

قال يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهد المايرى من نظر الرجل اليه فذلك شرك السرائر
قوله عن ابي سعيد هو الخدري تقدمت ترجمته قوله الا اخبركم بما هو اخوف عليكم
عندي من المسيح الدجال انما كان الرياء كذلك لخفائه وقوة الداعي اليه وعسر التخلص
منه لما يزينه الشيطان والنفس الامارة في قلب صاحبه قوله قالوا بلى ففيه الحرص
على العلم وان من عرض عليك ان يخبرك بما فيك فلا ينبغي لك رده بل قابله با
القبول والتعلم قوله قال الشرك الخفي سمي الرياء كما خفيا لان صاحبه يظهر
ان عمله لله ويخفي في قلبه انه لغيره وانما تزين باظهاره انه لله بخلاف الشرك الجلي
وفي حديث محمود ابن لبيد الذي تقدم في باب الخوف من الشرك تسمية بالشرك
الاصغر وعن شداد ابن اوس قال كنا نعد الرياء على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم الشرك الاصغر رواه ابن ابي الدنيا في كتاب الاخلاص وابن جرير في التهذيب
والطبراني والحاكم وصححه فظاهره انه من الاصغر مطلقا وهو ظاهر قول الجمهور وقال
ابن القيم واما الشرك الاصغر فكيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقول
الرجل للرجل ما شاء الله وشئت وهذا من الله وحدك وانا بالله وبك ومالي الا الله
وانت وانا متوكل على الله وعليك ولولا الله وانت لم يكن كذا وكذا وقد يكون هذا
شركا اكبر بحسب حال قائله ومقصده انتهى فقسم الشرك الاصغر باليسير من الرياء
قد علم ان كثيره اكبر وضد الشرك الاكبر والاصغر التوحيد والاخلاص وهو افراد الله
تعالى بالعبادة باطنا وظاهرا كما قال تعالى فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين
الخالص وقال قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقال تعالى قل الله اعبد مخلصا له
له ديني وقيل الاخلاص استواء احوال العبد في الظاهر والباطن والرياء ان يكون ظاهره
خيرا من باطنه اي لملاحظة الخلق والصدق في الاخلاص ان يكون باطنه اعمر من ظاهره
قوله فيصلي فيزين لما يرى من نظر رجل فسر الشرك الخفي بهذا ان يعمل الرجل العمل لله
لكن يزين فيه صفة كتحسينه وتطويله ونحو ذلك لما يرى من نظر رجل فهذا هو الشرك

الخفي وهو الرياء والحامل له على ذلك هو حب الرياسة والجاه عند الناس قال الطيبي و
هو من اضر غوائل النفس وبواطن مكائدها يبتلي به العلماء والعباد والمتمرون عن
ساق الجد لسلوك طريق الآخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وقطموها عن الشهوات
وصانوها عن الشبهات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على
الجوارح فطلبت الاستراحة الى الظاهر بالخير واظهار العلم فوجدت مخلصا من مشقة
المجاهدة الى لذة القبول عند الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق تبارك وتعالى وفرحت
بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده فاحبت مدحهم وبرهم بمشاهدته وخدمته
واكرامه وتقديمه في المحافل فاصابت النفس في ذلك اعظم اللذات واعظم الشهوات
وهو يظن ان حياته به بالله تعالى وبعباداته وانما حياته هذه الشهوة الخفية التي
تعمى عند ذكرها العقول الناقدة فدائست اسمه عند الله من المنافقين وهو يظن
انه عند الله من عباده المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها الا الصديقون
ولذلك قيل احرص ما يخرج من رؤوس الصديقون حب الرياسة انتهى كلامه وفي الحديث
من الفوائد شفقته صلى الله عليه وسلم على امته ونصحه لهم وان الرياء اخوف على الصا
لحين من فتنة الدجال والحذر من الرياء ومن الشرك الاكبر اذا كان صلى الله عليه وسلم
يخاف الرياء على اصحابه مع علمهم وفضلهم ففيرهم اولى بالخوف **باب من**
الشرك ارادة الانسان بعمله الدنيا قد ظن بعض الناس ان هذا الباب داخل
في الرياء وان هذا مجرد تكريره فاحتاج المراد بهذا ان يعمل الانسان عملا صالحا
يريد به الدنيا كالذي يجاهد للعقيقة والحميل ونحو ذلك ولهذا سماه النبي صلى الله
عليه وسلم عبد الدنار بخلاف المرائي فانه انما يعمل ليراه الناس ويعظموه والذي يعمل
لاجل الدراهم والعقيقة ونحو ذلك اعقل من المرائي لان ذلك عمل لدنيا يصيبها
والمرائي عمل لاجل المدح والجلالة في اعين الناس وكلاهما خاسر نعوذ بالله من موجبات
غضبه واليم عقابه قال وقوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف

اليهم اعمالهم فيها الآيتين قال ابن عباس من كان يريد الحيوة الدنيا اي ثوابها وزينتها
اي مالها نوف اليهم نوفرلهم ثواب اعمالهم بالصحة والسرور في الأهل والمال والولد
وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون ثم نسختها من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها
ما نشاء لمن نريد الاية رواه النحاس في ناسخه وقوله ثم نسختها اي قيدتها او خصصتها
فان السلف كانوا يسمون التقييد والتخصيص نسخا والا فاية محكمة وقال الضحاك
من عمل صالحا من اهل الايمان من غير تقوى عجل له ثواب عمله في الدنيا واختاره الفرا
قال ابن القيم وهذا القول ارجح ومعنى الاية على هذا من كان يريد بعمله الحيوة الدنيا
وزينتها وقالت طائفة هذه الاية في حق الكفار بدليل قوله اولئك الذين ليس
لهم في الاخرة الا النار وقوله اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار اي لانهم لم
يعملوا الا للحياة الدنيا وزينتها وحبط ما صنعوا فيها قال بعض المفسرين اي وحبط
في الاخرة ما صنعوه اوضيعهم يعني لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الأخرة انما اراد وبه
الدنيا وقد وفى اليهم ما اراد وا وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه
لا يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له انتهى فان قيل الاية على القول الأول
تقتضي تخليد المؤمن المريد بعمله الدنيا في النار قيل ان الله سبحانه ذكر جزاء من يريد بعمله
الحيوة الدنيا وزينتها وهو النار واخبر بحبوط عمله وبطلانه فاذا حبط ما ينجو به وبطل
لم يبق معه ما ينجيه فان كان معه ايمان لم يرد به الحيوة الدنيا وزينتها بل اراد به الله
والدار الاخرة لم يدخل هذا الايمان في العمل الذي حبط وبطل وانجاه هذا الايمان من
الخلود في النار وان دخلها بحبوط عمله الذي به النجاة المطلقة فالايمان ايمانان ايمان
يمنع دخول النار وهو الايمان الباعث على ان تكون الاعمال لله وحده يبتغى بها وجهه
وثوابه وايمان يمنع الخلود في النار فان كان مع المرائي شيء منه والا كان من اهل الخلود فا
الاية لها حكم نظائرها من ايات الوعيد ذكره ابن القيم وقد سئل شيخ الاسلام المصنف
عن هذه الاية فاجاب بما يلخصه ذكر عن السلف من اهل العلم فيها انواع مما يفعله الناس

اليوم

اليوم ولا يعرفون معناه من ذلك العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله
من صدقة وصلة وصلاة واحسان الى الناس وترك ظلم ونحو ذلك مما يفعله الناس او
يتركه حال صالحة لكنه لا يريد ثوابه في الأخرة انما يريد ان يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته
او حفظ اهله وعياله او ادامة النعم عليه ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار فهذا
يعطى ثواب عمله في الدنيا وليس له في الاخرة نصيب وهذا النوع ذكره ابن عباس
النوع الثاني وهو اكبر من الاول واخوف وهو الذي ذكره مجاهد في الاية انها نزلت فيه وهو ان يعمل اعمالا صالحة وينيه رياء الناس لا طلب ثواب الأخرة النوع الثالث
ان يعمل اعمالا صالحة يقصد بها مالا مثل ان يحج لمال ياخذه او يهاجر لدنيا يصيبها
او امراة يتزوجها او يجاهد لاجل المغنم فقد ذكروا ايضا هذا النوع في تفسير هذه
الاية وكما يتعلم الرجل لاجل مدرسة او مكسبهم او رياستهم او يتعلم القران ويواظب
على الصلاة لاجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثير وهؤلاء اعقل من الذين قبلهم
لانهم عملوا المصلحة يحصلونها والذين قبلهم عملوا لاجل المدح والجلالة في اعين الناس
ولا يحصل لهم طائل والنوع الاول اعقل من هؤلاء لانهم عملوا لله وحده لا شريك له
لكن لم يطلبوا منه الخير الكثير الدائم وهو الجنة ولم يهربوا من الشر العظيم وهو النار
النوع الرابع ان يعمل بطاعة الله مخلصا في ذلك لله وحده لا شريك له لكنه على عمل
يكفره كفرا لا يخرجه من الاسلام مثل اليهود والنصارى اذا عبدوا الله وتصدقوا وصاموا
ابتغاء وجه الله والدار الاخرة ومثل كثير من هذه الامة الذين فيهم كفر او شرك
اكبر يخرجهم عن الاسلام بالكلية اذا اطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب
الله في الدار الأخرة لكنهم على اعمال تخرجهم من الاسلام وتمنع قبول اعمالهم فهذا
النوع ايضا قد ذكر في هذه الاية عن انس ابن مالك وغيره وكان السلف يخافون
منها قال بعضهم لو اعلم ان الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت لان الله يقول انما
يتقبل الله من المتقين ثم قال بقي ان يقال اذا عمل الرجل الصلاة الخمس والزكاة والصوم

والحج ابتغاء وجه الله طالبا ثواب الآخرة ثم بعد ذلك عمل اعمالا قاصدا بها الدنيا مثل ان يحج
فرضه الله ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو واقع فهو لما غلب عليه منهما وقد قال بعضهم القرآن
كثيرا ما يذكر اهل الجنة المخلص واهل النار المخلص ويسكت عن صاحب الشيئين وهو هذا
وامثاله انتهى وقد اجاد وافاد رحمه الله وفي الاية من الفوائد ان الشرك محبط للاعمال
وان ارادة الدنيا وزينتها بالعمل كذلك وان الله يجازي الكافر بحسناته وكذلك طالب
الدنيا اذا رآها تمضي الى الآخرة وليس له حسنة الخامسة شدة الوعيد على ذلك السادسة
الفرق بين الحبوط والبطلان قال في الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة ان
اعطي رضي وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش طوبى
لعبد اخذ بعنان فرسه في سبيل الله اشعث راسه مغبرة قدماه ان كان في الحراسة كان
في الحراسة وان كان في الساقة كان في الساقة ان استاذن لا يؤذن له وان شفع
لا يشفع له قوله في الصحيح اي صحيح البخاري قوله تعس عبد الدينار وهو بكسر
العين ويجوز الفتح اي سقط والمراد هنا هلك قاله الحافظ وقال في موضع اخر وهو عند سعيد
اي شقي وقيل معنى التعس الكب على الوجه قال ابو السعادات يقال تعس يتعس اذا عثر
والكب لوجهه وهو دعاء عليه بالهلاك قوله تعس عبد الخميصة قال ابو السعادات
هي ثوب خز او صوف معلم وقيل لا تسمى خميصة الا ان تكون سوداء معلمة وكانت من لباس
الناس قديما وجمعها الخمائص والخميلة بفتح الخاء المعجمة قال ابو السعادات الخميل والخميلة
القطيفة وهي ثوب له خمل من اي شيء كان وقيل الخميل الاسود من الثياب قوله تعس
وانتكس قال الحافظ هو بالمهملة اي عاوده المرض وقال ابو السعادات اي انقلب على
راسه وهو دعاء عليه بالخيبة لان من انتكس في امره فقد خاب وخسر وقال الطيبي فيه
الترقي في الدعاء عليه لانه اذا تعس انكب على وجهه فاذا انتكس انقلب على راسه بعد
ان سقط قوله واذا شيك اي اصابته شوكة فلا انتقش قال ابو السعادات اي

شاكته

شاكته شوكة فلا يقدر على استخراجها بالمنقاش قال وفي الدعاء عليه بذلك
اشارة الى عكس مقصوده لان من عثر فدخلت في رجله الشوكة فلم يجد من يخرجها يصير
عاجزا عن السعي والحركة في تحصيل مصالح الدنيا وقال الطيبي المعنى انه اذا وقع في البلاء
لا يترحم عليه فان وقع في البلاء اذا ترحم الناس عليه ويتسلى بعض
التسلي وهؤلاء بخلافه بل يزيد غيظهم بفرح الاعداء وشماتتهم فان قيل لم سماه
النبي صلى الله عليه وسلم عبد الدينار والدرهم قيل لما كان ذلك هو مقصوده ومطلوبه
الذي عمل له وسعى في تحصيله بكل ممكن حتى صارت نيته مقصوده عليه يغضب ويرضى له
صار عبده قال شيخ الاسلام فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الدينار والدرهم وعبد
القطيفة وعبد الخميصة وذكر فيه ما هو دعاء وخبر وهو قوله تعس وانتكس واذا شيك
فلا انتقش وهذه حال من اذا اصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس فلا
نال المطلوب ولا خلص من المكروه وهذه حال من عبد المال وقد وصف ذلك بانه ان
اعطي رضي وان منع سخط كما قال تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها
رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون فرضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله وهكذا
حال من كان متعلقا برياسة او بصورة ونحو ذلك من اهواء نفسه ان حصل له رضي وان
لم يحصل له سخط فهذا عبد ما يهواه من ذلك وهو رقيق له اذا الرق والعبودية في الحقيقة
هو رق القلب وعبوديته فما استرق القلب واستعبده فهو عبده الحان قال وهكذا ايضا
طالب المال فان ذلك يستعبده ويسترقه وهذه الأمور نوعان فمنها ما يحتاج اليه العبد
كما يحتاج الى طعامه وشربه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ويرغب اليه فيه
فيكون المال عنده يستعان به في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه
من غير ان يستعبده فيكون هلوعا ومنها ما لا يحتاج اليه العبد فهذه ينبغي ان لا يعلق
قلبه بها فاذا تعلق قلبه بها صار مستعبدا لها وربما صار مستعبدا معتمدا على غير الله
فيها فلا ينبغي معه حقيقة العبودية لله ولا حقيقة التوكل عليه بل فيه شعبة من العبادة

لغير الله وشعبة من التوكل على غير الله وهذا احق الناس بقوله صلى الله عليه وسلم تعس عبد
الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة وهذا هو عبد لهذه الأمور
ولو طلبها من الله اذا اعطاه اياها رضي وان منعه اياها سخط وانما عبد الله من يرضيه
ما يرضي الله ويسخطه ما يسخط الله ويحب ما احب الله ورسوله ويبغض ما ابغض الله
ورسوله ويوالي اولياء الله ويعادي اعداء الله فهذا الذي استكمل الأيمان انتهى ملخصا
قوله طوبى لعبد قال ابو السعادات طوبى اسم الجنة وقيل هي شجرة فيها قلت فقد روى
ابن وهب عن عمرو ابن الحارث ان دراجا حدثه ان ابا الهيثم حدثه عن ابي سعيد في حديث
فقال رجل يا رسول الله وما طوبى قال شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب اهل الجنة
تخرج من اكمامها رواه حرملة عنه وروى احمد في مسنده من حديث عتبة ابن السلمي جاء
اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فساله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الاعرابي وفيها
فاكهة قال نعم وفيها شجرة تدعى طوبى الحديث وقال الزجاج في قوله طوبى لهم معناه
العيش الطيب وقال ابن الانباري الحال المستطابة لهم لانه فعلى من الطيب وقيل معناه
هنيئا بطيب العيش لهم وهذه الاقوال ترجع لاقول واحد قوله اخذ بعنان فرسه
في سبيل الله اي في طريق الجهاد قوله اشعث راسه هو بنصب اشعث صفة لعبد لانه
غير مصروف للصفة ووزن الفعل وراسه مرفوع على الفاعلية لاشعث وهو مغبر الراس
وفيه فضل اصابة الغبار في سبيل الله قوله مغبرة قدماه هو كاشعث في الاعراب
والمراد به كثرة اصابة الغبار له في سبيل الله لكثرة جهاده ومصابرته قوله ان كان
في الحراسة قال بعضهم هو بكسر الحاء اي حماية الجيش ومحافظتهم عن ان يهجم عليهم عدوهم
قوله كان في الحراسة اي ممتثلا غير مقصر فيها بالنوم والغفلة ونحوها قوله وان كان
في الساقة كان في الساقة اي ان جعل في مؤخرة الجيش صار فيها ولزمها وقال ابن الجوزي
المعنى انه حامل الذكر لا يقصد السوق فاي موضع اتفق له كان كافيه وقال الخطابي
المعنى ائتماره لما امر واقامته حيث اقيم لا يفقد من مكانه وانما ذكر الحراسة والساقة

لانهما اشد مشقة واكثر افة قلت وفيه فضيلة الحرس في سبيل الله قوله ان استاذن
لم يؤذن له اي ان استاذن على الامراء ونحوهم لم ياذنوا له لانه ليس بذي جاه ولا يقصد
بعمله الدنيا فيطلبها منهم ويتردد اليهم لاجلها بل هو محض لله قوله وان شفع بفتح
اوله وثالثه مبني للفاعل ويشفع بتشديد الفاء مبني للمفعول والمراد والله اعلم
انه لا يشفع عند الملوك ونحوهم لعدم جاهه عندهم وعلى تقدير شفاعته ان شفع
لم يشفع بل يردون شفاعته قال بعضهم قيل ان هذا اشارة الى عدم التفاته للدنيا
واربابها بحيث لا يبتغي مالا ولا جاها عند الناس بل يكون عند الله وجيها ولم يقبل
الناس شفاعته ويكون عند الله شفيعا مشفعا كما في الحديث الذي رواه احمد ومسلم
عن ابي هريرة مرفوعا رب اشعث مدفوع بالأبواب لو اقسم على الله لابره وقال الحافظ
فيه ترك حب الرياسة والشهرة وفضل الخمول والتواضع قلت وفيه ان هذه الأمور
ونحوها لا تكون لهوان المؤمن على الله بل للكرامة وفيه الثناء على المجاهد الموصوف بتلك
الصفات قاله المصنف **باب من اطاع العلماء والأمراء في تحريم ما احل الله او**
تحليل ما حرمه الله فقد اتخذهم اربابا من دون الله لما كانت الطاعة من انواع
العبادة بل هي العبادة فانها طاعة الله بامتثال ما امر به على السنة رسله عليهم
السلام نبه المصنف رحمه الله بهذه الترجمة على وجوب اختصاص الخالق تبارك
وتعالى بها وانه لا يطاع احد من الخلق الا حيث كانت طاعته مندرجة تحت طاعة الله
والا بحيث لا طاعة احد من الخلق استقلالا والمقصود هنا الطاعة الخاصة في تحريم
الحلال او تحليل الحرام فمن اطاع مخلوقا في ذلك غير الرسول صلى الله عليه وسلم فانه
لا ينطق عن الهوى فهو مشرك كما بينه الله تعالى في قوله تعالى اتخذوا احبارهم اي
علماءهم ورهبانهم اي عبادهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا
ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون وفسرها النبي صلى الله عليه وسلم بطاعتهم
في تحريم الحلال وتحليل الحرام كما سياتي في حديث عدي فان قيل قد قال الله تعالى

واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم قيل هم العلماء وقيل هم الامراء وهما
روايتان عن احمد قال ابن القيم والتحقيق ان الاية تعم الطائفتين قيل انما تجب طا
عتهم اذا امروا بطاعة الله وطاعة رسوله فكان العلماء مبلغين لامر الله وامر رسوله
والامراء منفذين له فحينئذ تجب طاعتهم تبعا لطاعة الله ورسوله كما قال صلى الله
عليه وسلم لا طاعة في معصية انما الطاعة في المعروف وقال على المرء المسلم السمع والطا
عة مالم يؤمر بمعصية فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة حديثان صحيحان فليس في هذه
الاية ما يخالف الاية براءة قال وقال ابن عباس يوشك ان تنزل عليكم حجارة من
السماء اقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال ابو بكر وعمر قوله
يوشك بضم اوله وكسر الشين المعجمة قال ابو السعادات اي يقرب ويدنو او يسرع
وهذا الكلام قاله ابن عباس لمن ناظره في متعة الحج وكان ابن عباس يامرها فاحتج عليه
المناظر بنهي ابي بكر وعمر عنها اي وهما اعلم منك واحق بالاتباع فقال هذا الكلام صا
در عن محض الايمان وتجريد المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم وان خالفه من خالفه
كائنا من كان كما قال الشافعي اجمع العلماء على ان من استبانت له سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يكن له ان يدعها لقول احد فاذا كان هذا كلام ابن عباس لمن عارضه بابي
بكر وعمر وهما هما فما ظنك بقول لمن يعارض سنن الرسول صلى الله عليه وسلم بامامه
وصاحب مذهبه الذي ينتسب اليه ويجعل قوله عيارا على الكتاب والسنة فما وافقه قبله
وما خالفه رده او تاوله فالله المستعان وما احسن ما قال بعض المتاخرين فان جاءهم
فيه الدليل موافقا لما كان للآباء اليه ذهاب رضوا والا قيل هذا مؤول ويركب
للتاويل فيه صعاب ولا ريب ان هذا داخل في قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله الاية قال المصنف وقال احمد بن حنبل عجبت لقوم عرفوا الاسـ
ناد وصحته يذهبون الى رايي سفيان والله تعالى يقول فليحذر الذين يخالفون
عن امره ان تصيبهم فتنة الاية اتدري ما الفتنة الفتنة الشرك لعله اذا ا

اراد بعض قوله ان يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك هذا الكلام من احمد رواه عنه
الفضل ابن زياد وابو طالب قال الفضل عن احمد نظرت في المصحف فوجدت طاعة
الرسول في ثلاثة وثلاثين موضعا ثم جعل يتلو فليحذر الذين يخالفون عن امره ان
تصيبهم فتنة الاية وجعل يكررها ويقول والفتنة الشرك لعله اذا زاغ بعض قوله
ان يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلك وجعل يتلو هذه الاية فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم وقال ابو طالب عن احمد وقيل له ان قوما
يدعون الحديث ويذهبون الى راي سفيان فقال اعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا
الاسناد وصحته ويذهبون الى سفيان وغيره قال الله فليحذر الذين يخالفون
عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وتدري ما الفتنة الكفر قال الله تعالى
والفتنة اكبر من القتل فيدعون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتغلبهم اهواؤ
هم الى الراي ذكر ذلك شيخ الاسلام قلت وكلام احمد في ذمه التقليد وانكار تاليف
كتب الراي كثير مشهور قوله عرفوا الاسناد اي اسناد الحديث وصحته اي صحة الاسناد
وصحته دليل على صحة الحديث قوله يذهبون الى راي سفيان اي الثوري الامام الزاهد العا
لم الثقة الفقيه وكان له اصحاب ومذهب مشهور فانقطع ومراد احمد الانكار على من يعرف
اسناد الحديث وصحته ثم بعد ذلك يقلد سفيان او غيره ويتعذر عن ذلك بالاهتدا
الباطل اما بان الاخذ بالحديث اجتهاد والاجتهاد انقطع منذ ازمان واما بان
هذا الامام الذي قلدته اعلم مني وهو لا يقول الا بعلم ولا يترك هذا الحديث مثلا الا عن
علم واما بان ذلك اجتهاد ويشترط في المجتهد ان يكون عالما بكتاب الله عالما بسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وناسخ ذلك منسوخه وصحيح السنة وسقيمها عالما برجوع
الدلالات عالما بالعربية والنحو والاصول ونحو ذلك من الشروط التي لعلها لا توجد
تامة في ابي بكر وعمر رضي الله عنهما كما قاله المصنف فيقال له هذا ان صح فمراده بذلك
المجتهد المطلق اما ان يكون ذلك شرطا في جواز العمل بالكتاب والسنة فكذب على الله

وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى ائمة العلماء بل الفرض والتحكم على المؤمن اذا بلغه كتاب
الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلم معنى ذلك في اي شيء كان ان يعمل به ولو
خالفه من خالفه فبذلك امرنا ربنا تبارك وتعالى ونبينا صلى الله عليه وسلم واجمع
على ذلك العلماء قاطبة الا جهال المقلدين وجفاتهم ومثل هؤلاء ليسوا من
اهل العلم كما حكى الاجماع على انهم ليسوا منهم ابو عمر ابن عبد البر وغيره قال الله تعالى
اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون وقال
تعالى وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين فشهد تعالى لمن اطاع
الرسول صلى الله عليه وسلم بالهداية وعند جفاة المقلدين ان من اطاعه صلى الله عليه
وسلم ليس بمهتد انما المهتدي من عصاه وعدل عن اقواله ورغب عن سنته الى مذهب
اوشيخ ونحو ذلك وقد وقع في هذا التقليد المحرم خلق كثير ممن يدعي العلم والمعرفة
بالعلوم ويصنف التصانيف في الحديث والسنن ثم بعد ذلك تجده جامدا على
احد هذه المذاهب يرى الخروج عنها من العظائم وفي كلام احمد اشارة الى ان التقليد
قبل بلوغ الحجة لا يذم انما المذموم المنكر الحرام الاقامة على ذلك فبعد بلوغ الحجة نعم
وينكر الاعراض عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والاقبال على تعلم الكتب
المصنفة في الفقه استغناء بها عن الكتاب والسنة بل ان قرؤا شيئا من كتاب الله
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فانما يقرؤنه تبركا لا تعلما ولا تفقها او لكون بعض
الموقفين وقف على من قرء البخاري مثلا فيقرؤنه لتحصيل الوضيفة لا لتحصيل الشريعة
فهؤلاء من احق الناس بدخولهم في قول الله تعالى وقد اتيناك من لدنا ذكرا من اعرض
عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيمة حملا وقوله تعالى
ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى الى قوله ولعذاب
الآخرة اشد وابقى **فان قلت** فماذا يجوز للانسان من قرائت هذه الكتب المصنفة
في المذاهب **قيل** يجوز من ذلك قرائتها على سبيل الاستعانة بها على فهم الكتاب

والسنة وتصوير المسائل فتكون من نوع الكتب الاتية اما ان تكون هي المقدمة
على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الحاكمة بين الناس فيما اختلفوا فيه المدعو
الى التحاكم اليها دون التحاكم الى الله والرسول صلى الله عليه وسلم فلا ريب ان ذلك
مناف للايمان مضاد له كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فاذا التحاكم عند المشاجرة
اليها دون الله ورسوله ثم اذا قضى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بامر لم تسلم له وان
قضوا بامر سلمت له فقد اقسم الله سبحانه وهو اصدق القائلين باجل مقسم به وهو
نفسه تبارك وتعالى انك لست بمؤمن والحالة هذه وبعد ذلك فقد قال تعالى بل الانسان
على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره على ان الائمة الاربعة وغيرهم من اهل العلم
قد نهوا عن تقليدهم مع ظهور السنة فكلام احمد الذي ذكره المصنف كاف عن تكثير النقل
عنه وقال ابو حنيفة اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الراس والعين
واذا جاء عن الصحابة فعلى الراس والعين واذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم
رجال وفي روضة العلماء سئل ابو حنيفة اذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه قال
اتركوا قولي لكتاب الله قيل اذا كان قول الرسول يخالفه قال اتركوا قولي لخبر الرسول
صلى الله عليه وسلم قيل اذا كان قول الصحابة يخالفه قال اتركوا قولي لقول الصحابة فلم
يقل هذا الامام ما يدعيه جفاة المقلدين له انه لا يقول قولا يخالف كتاب الله حتى اتر
لو منزلة المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وروى البيهقي في المعنى عن الشافعي انه
قال اذا قلت قولا وكان عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف قولي فما يصح من حديث رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم اولى فلا تقلدوني وقال الربيع سمعت الشافعي يقول اذا و
جدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ودعوا ما قلت وتواتر عنه انه قال اذا صح الحديث اي بخلاف قولي
فاضربوا بقولي الحائط وقال مالك كل احد يوخذ من قوله ويترك الا قول رسول الله

صلى الله عليه وسلم وكلام الأيمة مثل هذا كثير فخالف المقلدون ذلك وجدوا على ما وجدوه
في الكتب المذهبية سواء كان صوابا ام خطا مع ان كثيرا من هذه الأقوال المنسوبة
الى الايمة ليست اقوالهم منصوصا عليها وانما هي تعريفات ووجوه واحتمالات و
قياس على اقوالهم ولسنا نقول ان الأيمة على خطا بل هم ان شاء الله على هدى من
ربهم وقد قاموا بما اوجب الله عليهم من الأيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ومتا
بعته ولكن العصمة منتفية عن غير الرسول صلى الله عليه وسلم فهو الذي لا ينطق عن
الهوى ان هو الا وحي يوحى فالعذر فاتباعهم وترك اتباع الذي لا ينطق عن
الهوى قوله لعله اي لعل الانسان الذي تصح عنده سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم قوله اذا رد بعض قوله اي قول النبي صلى الله عليه وسلم قوله ان يقع في قلبه
شيء من الزيغ فيهلك هذا تنبيه على ان رد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب
لزيغ القلب الذي هو سبب الهلاك في الدنيا والأخرة فاذا كانت اساءت الادب
معه في الخطاب سببا لحبوط الاعمال كما قال تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون فما
ظنك برد احكامه وسنته لقول احد من الناس كائنا من كان قال شيخ الاسلام فاذا
كان المخالف عن امره قد حذر من الكفر والشرك او من العذاب الاليم دل على انه قد يكون
مفضيا الى الكفر او العذاب الاليم ومعلوم ان افضاءه الى العذاب هو مجرد فعل
المعصية فافضاءه الى الكفر انما هو لما يقترن به من استخفاف نحو الأمر كما فعل ابليس
لعنة الله عليه انتهى فاذا علمت ان المخالفة عن امره صلى الله عليه وسلم سبب للفتنة التي
هي الشرك والعذاب الاليم في الدنيا والأخرة علمت ان من رد قوله وخالف امره لقول
ابي حنيفة او مالك او غيرهما لهم النصيب الكامل والحض الوافر من هذه الاية وهذا الوعيد
على مخالفة امره صلى الله عليه وسلم وقد استدل بهذه الاية كثير من العلماء على ان اصل
الامر للوجوب حتى يقوم دليل على استحبابه قال عن عدي ابن حاتم انه سمع النبي صلى الله

عليه وسلم يقرا هذه الاية اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله الأية
فقلت له انا لسنا نعبدهم قال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما
حرم الله فتحلونه فقلت بلى قال فتلك عبادتهم رواه احمد والترمذي وحسنه
هذا الحديث قد روي من طرق فرواه ابن سعد وعبد ابن حميد وابن المنذر وابن جرير
وابن ابي حاتم والطبراني وابو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في السنن وفيه قصة
اختصرها المصنف قوله عن عدي ابن حاتم اي الطائي المشهور وهو ابن عبد الله ابن سعد
ابن الحشرج بفتح المهملة وسكون المعجمة واخره جيم مات مشركا وعدي يكنى ابا طريف
بفتح المهملة صحابي شهير حسن الاسلام مات سنة ثمان وستين وله مئة وعشرون سنة
قوله فقلت انا لسنا نعبدهم ظن عدي ان العبادة المراد بها التقرب اليهم بانواع العبادة
من السجود والذبح والنذر ونحو ذلك فقال انا لسنا نعبدهم قال اليس يحرمون ما
احل الله فتحرمونه الاخره صرح النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بان عبادة الاحبار
والرهبان هي طاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام وهو طاعتهم في خلاف حكم الله ورسوله قال شيخ الاسلام وهؤلاء الذين اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله حيث اطاعوهم في تحليل ما حرم الله وعكسه يكون على وجهين احدهما انهم يعلمون
انهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما
حلل الله اتباعا لرؤسائهم مع علمهم بانهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر وقد جعله الله
ورسوله شركا وان لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون الثاني ان يكون اعتقادهم وايمانهم
بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتا لكنهم اطاعوهم في معصية الله كما يفعله المسلم ما
يفعله من المعاصي التي يعتقد انها معاصي فهؤلاء لهم حكم امثالهم من اهل الذنوب كما
ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما الطاعة في المعروف ثم نقول اتباع
هذا المحلل للحرام والمحرم للحلال ان كان مجتهدا قصده اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
لكن خفي عليه الحق في نفس الامر وقد اتقى الله ما استطاع فهذا لا يؤاخذه الله بخطائه

بل يثيبه على اجتهاده الذي اطاع به ربه ولكن من علم ان هذا خطا فيما جاء به الرسول
صلى الله عليه وسلم ثم اتبعه على خطائه وعدل عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم فله نصيب
من هذا الشرك الذي ذمه الله لاسيما ان اتبعه في ذلك لهواه ونصره باللسان واليد
مع علمه بانه مخالف للرسول صلى الله عليه وسلم فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه
ولهذا اتفق العلماء على انه اذا عرف الحق لا يجوز له تقليد احد في خلافه واما ان
كان المتبع للمجتهد عاجزا عن معرفة الحق على التفصيل وقد فعل ما يقدر عليه مثله
من الاجتهاد في التقليد فهذا لا يؤاخذ ان اخطا كما في القبلة واما ان قلد شخصا دون
نظيره بمجرد هواه ونصره بيده ولسانه من غير علم ان الحق معه فهذا من اهل الجاهلية فا
ن كان متبوعه مصيبا لم يكن عمله صالحا وان كان متبوعه مخلصا كان اثما كمن قال في
القرآن برايه فان اصاب فقد اخطا وان اخطا فليتبوء مقعده من النار انتهى ملخصا
قال المصنف وفيه تعرف الاحوال الى هذه الغاية صار عند الاكثر عبادة الرهبان هي
افضل الاعمال ولاسيما الولاية وعبادة الاحبار هي العلم والفقه ثم تغيرت الحال
الى ان عبد من ليس من الصالحين وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين قولا صار
عند الاكثر عبادة الرهبان هي افضل الاعمال يشير الى ما يعتقده كثير من الناس
فمن ينتسب الى الولاية من النفع والضر والعطا والمنع ويسمون ذلك الولاية والسر و
نحو ذلك وهو الشرك في قوله وعبادة الاحبار هي العلم والفقه اي التي تسمى اليوم
العلم والفقه المؤلف على مذاهب الائمة ونحوهم فيطيعونهم في كل ما يفعلونه سوا
وافق حكم الله ام خالفه بل لا يعباؤن بما خالف ذلك من كتاب وسنة بل يردون
كلام الله وكلام رسوله لاقوال من قلدوه ويصرحون بانه لا يجب العمل بكتاب
ولا سنة وانه لا يجوز تلقي العلم والهدى منهما وانما العلم والفقه والهدى عندهم
هو ما وجدوه في هذا الكتاب بل اعظم من ذلك واطم رمي كثير منهم كلام الله وكلام
رسوله بانه لا يفيد العلم ولا اليقين في باب معرفة اسماء الله وصفاته وتوحيده

ويسمونها ظواهر لفظية ويسمون ما وصفه الفلاسفة المشركون القواطع العقلية
ثم يقدمونها في باب الأسماء والصفات والتوحيد على ما جاء من الله ثم يرمون
من خرج عن عبادة الأحبار والرهبان الى طاعة رب العالمين وطاعة رسوله في حكم
ما انزل الله في موارد النزاع بالبدعة والكفر وقوله ثم تغيرت الاحوال الى ان عبد
من ليس من الصالحين وذلك كاعتقادهم في كثير ممن ينتسب الى الولاية من الفساق
والمجاذيب وقوله وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين وذلك كاعتقادهم
العلم في الناس من جهلة المقلدين فيحسنون لهم البدع والشرك فيطيعونهم ويظنون
انهم علماء مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون **باب**
قول الله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من
قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت لما كان التوحيد الذي هو معنى شها
دة ان لا اله الا الله متضمنا على الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ركنا واحدا في
قوله بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام
الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا انبه
في هذا الباب على ما تضمنه التوحيد واستلزمه من تحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم
في موارد النزاع اذ هذا هو مقتضى شهادة ان لا اله الا الله ولازمها الذي لا بد منه
لكل مؤمن فان من عرف ان لا اله الا الله فلا بد من الانقياد لحكم الله والتسليم لأمره
الذي جاء من عنده على يد رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فمن شهد ان لا اله الا الله
ثم عدل الى تحكيم غير الرسول صلى الله عليه وسلم في موارد النزاع فقد كذب في شهادته
وان شئت قلت لما كان التوحيد مبنيا على الشهادتين اذ لا ينفك احدهما عن
الأخرى لتلازمهما وكان ما تقدم من هذا الكتاب في معنى شهادة ان لا اله الا الله التي
تتضمن حق الله على عباده بنى في هذا الباب على معنى شهادة ان محمدا رسول الله
التي تتضمن حق الرسول صلى الله عليه وسلم فانها تتضمن ان عبدا لا يعبد ورسوله صادق

لايكذب بل يطاع ويتبع لانه المبلغ عن الله تعالى فله عليه الصلاة والسلام منصب الرسالة
والتبليغ عن الله والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه اذ هو لا يحكم الا بحكم الله ومحبته
على النفس والاهل والمال والوطن وليس له من الالهية شيء بل هو عبد الله ورسوله
كما قال تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وقال صلى الله
عليه وسلم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ومن لوازم ذلك متابعته وتحكيمه
في موارد النزاع وترك التحاكم لغيره كالمنافقين الذين يدعون الايمان به
ويتحاكمون الى غيره وبهذا يتحقق العبد بكمال التوحيد وكمال المتابعة وذلك هو
كمال السعادة وهو معنى الشهادتين اذا تبين هذا فمعنى الاية المترجم لها ان الله
تبارك وتعالى انكر على من يدعي الايمان بما انزل الله على رسوله وعلى الانبياء قبله
وهو مع ذلك يريد ان يتحاكم في فصل الخصومات لغير كتاب الله وسنة رسوله
كما ذكره المصنف في سبب نزولها قال ابن القيم والطاغوت كل ما تعدى به حده
من الطغيان وهو مجاوزة الحد فكل ما تحاكم اليه متنازعات غير كتاب الله وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم فهو طاغوت اذ قد تعدى به حده ومن هذا كل من عبد شيئا دون الله
فانما عبد الطاغوت وجاوز بمعبوده حده فاعطاه العبادة التي لا تنبغي له كما ان من
دعا الى تحكيم غير الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد دعا الى تحكيم الطاغوت
وتامل تصديره سبحانه الاية منكرا لهذا التحكيم على من زعم انه قد امن بما انزل الله
على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى من قبله ثم هو مع ذلك يدعو الى تحكيم غير الله تعالى
ورسوله صلى الله عليه وسلم ويتحاكم اليه عند النزاع وفي ضمن قوله يزعمون نفي لما زعموا
من الايمان ولهذا لم يقل الم تر الا الذين امنوا فانهم لو كانوا من اهل الايمان حقيقة لم
يريدوا ان يتحاكموا الى غير الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ولم يقل فيهم يزعمون
فان هذا انما يقال غالبا لمن ادعى دعوا هو فيها كاذب او منزلة منزلة الكاذب لمخالفة
لموجبها وعلمه بمانيا فيها قال ابن كثير والاية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة

وتحاكم الى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت ههنا وقوله تعالى وقد امروا
ان يكفروا به اي بالطاغوت وهو دليل على ان التحاكم الى الطاغوت منافٍ للايمان
مضاد له فلا يصح الايمان الا بالكفر به وترك التحاكم اليه فمن لم يكفر بالطاغوت لم
يؤمن بالله وقوله ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا اي لان ارادة
التحاكم الى غير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من طاعة الشيطان وهو انما
يدعو احزبه ليكونوا من اصحاب السعير وفي الاية دليل على ان ترك التحاكم الى الطاغوت
الذي هو ما سوى الكتاب والسنة من الفرائض وان المتحاكم اليه غير مؤمن بل ولا مسلم
وقوله واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون
عنك صدودا اي اذا دعوا الى التحاكم الى ما انزل الله والى الرسول اعرضوا اعراضا مستكبرين كما قال تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم
معرضون قال ابن القيم هذا دليل على ان من دعي الى تحكيم الكتاب والسنة فلم
يقبل والى ذلك انه من المنافقين ويصدون هنا لازم لا متعد هو بمعنى يعرضون
لا بمعنى يمنعون غيرهم ولهذا اتى مصدره على صدود ومصدر المتعدي صدا فاذا
كان المعرض عن ذلك قد حكم الله سبحانه بنفاقهم فكيف بمن ازداد الى اعراضه منع الناس
من تحكيم الكتاب والسنة والتحاكم اليهما بقوله وعمله وتصانيفه ثم يزعم مع ذلك
انه انما اراد الاحسان والتوفيق الاحسان في فعل ذلك والتوفيق بين الطاغوت
الذي حكمه وبين الكتاب والسنة قلت وهكذا حال كثير ممن يدعي العلم والايمان في
هذه الازمان اذا قيل لهم تعالوا نتحاكم الى ما انزل الله والى الرسول رايتهم يصدون
وهم مستكبرون ويعتذرون انهم لا يعرفون ذلك ولا يعقلون بل لعنهم الله بكفرهم
فقليلا ما يؤمنون وقوله تعالى فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم
قال ابن كثير اي فكيف بهم اذا اصابتهم المقادير اليمة في المعائب بسبب ذنوبهم وما
صاحوا اليه في ذلك وقال ابن القيم قيل المصيبة فضيحتهم اذا نزل القرآن بحالهم

ولا ريب ان هذا اعظم المصيبة والامر فالمصائب ان تصيبهم بما قدمت ايديهم في ابدانهم
وقلوبهم وادیانهم بسبب مخالفة الرسول عليه الصلاة والسلام اعظمها مصائب
القلب والدين فبر المعروف منكرا والهدى ضلال والرشاد غيا والحق باطلا والصلاح
فسادا وهذا من المصيبة التي اصيب بها في قلبه وهو الطبع الذي اوجبه مخالفة الرسول
صلى الله عليه وسلم وتحكيم غيره قال سفيان الثوري في قوله فليحذر الذين يخالفون
عن امره ان تصيبهم فتنة قال هي يطبع على قلوبهم وقوله تعالى ثم جاءوك يحلفون
بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا قال ابن كثير اي يعتذرون ويحلفون ان
اردنا بذهابنا الى غيرك الا الاحسان والتوفيق اي المداراة والمصانعة وقال غيره
الا احسانا اي لا اساءة وتوفيقا اي بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا
لحكمك قلت فاذا كان هذا حال المنافقين يعتذرون عن امرهم ويلبسونه لئلا
يظن انهم قصدوا المخالفة لحكم النبي صلى الله عليه وسلم والسخط له فكيف بمن يصرح بما
كان المنافقون يضمرونه حتى يزعم ان من حكم الكتاب والسنة في موارد النزاع فهو اما
كافر واما مبتدع ضال وفعل المنافقين الذي ذكره الله عنهم في هذه الاية هو
بعينه الذي يفعله المجرمون للكلم عن مواضعه الذين يقولون انما قصدنا التوفيق
بين الواقع العقلية بزعمهم التي هي الفلسفة وللكلام بين الادلة النقلية ثم يحلفون
الفلسفة التي هي سفاهة وضلالة الاصل ويردون بها ما انزل الله على رسوله من الكتاب
والحكمة زعموا ان ذلك يخالف الفلسفة التي يسمونها القواطع فتطلبوا له وجوه التاويلات
البعيدة وحملوه على شواذ اللغة التي لا تكاد تعرف وقوله تعالى اولئك الذين يعلم
الله ما في قلوبهم قال ابن كثير اي هذا الضرب من الناس هم المنافقون والله عالم
بما في قلوبهم وسيجزيهم على ذلك فانه لا يخفى عليه خافية فاكتف يا محمد فيهم فانه عالم
ببواطنهم وظواهرهم وقوله تعالى فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا
قال ابن القيم امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم فيهم بثلاثة اشياء احدها الاعراض

عنهم

عنهم اهانة لهم وتحقير لشانهم وتصغير لامرهم لاعراض متاركة واهمال وبهذا يعلم انها
غير منسوخة الثاني قوله وعظهم وهو تخويفهم عقوبة الله وباسه ونقمته ان اصروا على
التحاكم الى غير رسوله صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه الثالث قوله وقل لهم في انفسهم قولا
بليغا اي يبلغ تاثيره الى قلوبهم ليس قولا لينا لا يتاثر به المقول له وهذه المادة تدل
على بلوغ المراد بالقول فهو قول يبلغ به مراد قائله من الزجر والتخويف ويبلغ تاثيره الى
نفس المقول له ليس هو كالقول الذي يمر على الاذن صفحا وهذا القول البليغ يتضمن
ثلاثة امور احدها عظم معناه وتاثر النفوس به الثاني مخافة الفاظه وجزالتها الثالث
كيفية القائل في القائه الى المخاطب فان القول كالسهم والقلب كالقوس الذي
يدفعه والسيف والقلب كالساعد الذي يضرب به وفي متعلق قوله في انفسهم قولان
احدهما بقوله بليغا اي قولا بليغا في انفسهم وهذا احسن من جهة المعنى ضعيف من جهة
الاعراب لان صفة الموصوف لا تعمل فيما قبلها والقول الثاني انه متعلق بقل وفي المعنى
على هذا قولان احدهما قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم بل سر لهم النصيحة
والثاني ان معناه قل لهم في معنى انفسهم كما يقال قل لفلان في كيت وكيت اي في ذلك
المعنى قلت وهذا القول احسن ثم قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن
الله قال ابن كثير اي في حال طاعة على من ارسلته اليهم وقال ابن القيم هذا تنبيه على جلالة
منصب الرسالة وعظم شانها وانه سبحانه لم يرسل رسلا عليهم الصلاة والسلام الا ليطاعوا
باذنه فتكون الطاعة لهم لا لغيرهم لان طاعتهم طاعة مرسلهم وفي ضمنه من كذب رسوله
محمدا صلى الله عليه وسلم فقد كذب الرسل والمعنى انك واحد منهم تجب طاعتك وتتعين عليهم
كما وجبت طاعة من قبلك من المرسلين فان كانوا قد اطاعوهم كما زعموا وامنوا بهم فالهم
لا يطيعونك ويؤمنون بك والاذن ههنا هو الاذن الامري لا الكوني اذ لو كان اذنا
كونيا قدريا لما تخلفت طاعتهم وفي ذكره نكتة وهي انه بنفس الرسالة تتعين طاعة فلا
تتوقف على نص اخر سوى الامر بالرسالة يامر فيه بالطاعة بل في تحققت رسالته وجبت طاعته

في انفسهم

ورسالته نفسها متضمنة للأذن في الطاعة ويصح ان يكون الاذن ههنا اذنا كونيا قدريا
ويكون المعنى ليطاع بتوفيق الله وهدايته فتتضمن الاية للامرين الشرع والقدر ويكون
فيها دليل على ان احدا لا يطيع رسله الا بتوفيقه وارشاده وهدايته وهذا حق جدا و
المقصود ان الغاية من ارسال الرسل هي طاعتهم ومتابعتهم فاذا كانت الطاعة والمتابعة لغيرهم
لم تحصل الفائدة المقصودة من ارسالهم وقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك
فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما قال ابن القيم
لما علم سبحانه ان المرسل اليهم لا بد لهم من ظلم لانفسهم واتباع لاهوائهم ارشدهم الى ما
يدفع عنهم شر ذلك الظلم وموجبه وهو شيئان احدهما منهم وهو استغفارهم وبهم عز
وجل والثاني من غيرهم وهو استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم اذا جاءوه وانقادوا
له واعترفوا بظلمهم فمتى فعلوا ذلك وجدوا الله توابا رحيما يتوب عليهم فيمحو اثر
سيئاتهم ويقيهم شرها ويزيدهم مع ذلك رحمة وبره واحسانه فان قلت فما حظ
من ظلم نفسه بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الاية وهل كلام بعض الناس في
دعوة المجيء الى قبره صلى الله عليه وسلم والاستغفار عنده والاستشفاع به والاستدلال
بهذه الاية على ذلك صحيح ام لا قيل اما حظ من ظلم نفسه بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم
من هذه الاية فالاستغفار وان يتوب الى الله توبة نصوحا في كل زمان ومكان ولا
يشترط في صحة التوبة المجيء الى قبره والاستغفار عنده بالاجماع واما المجيء الى قبره والاستغفار
عنده والاستشفاع به والاستدلال بالاية على ذلك فهو استدلال على ما لا
تدل الاية عليه بوجه من الوجوه الدلالات لانه ليس في الاية الا المجيء اليه صلى الله عليه وسلم
لا المجيء الى قبره واستغفاره لهم واستشفاعهم به بعد موته فعلم ان ذلك باطل يوضح
ذلك ان الصحابة الذين هم اعلم الناس بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما فهموا هذا
من الاية بل ولا فعلوه بعد موته صلى الله عليه وسلم فعلم ان ذلك بدعة واكثر ما استدل به
من اجاز ذلك رواية العتبي عن اعرابي مجهول على ان القصة لا تعلم لها اسنادا ومثل هذا

لو كان

لو كان حديثا واثرا عن صحابي لم يجز الاحتجاج به ولم يلزمنا حكمه لعدم صحته فكيف يجوز الاحتجاج في هذا بقصة لا تصح عن بدوي لا يعرف ثم قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما
قال ابن القيم اقسم سبحانه بل جل مقسم به وهو نفسه عز وجل على انه لا يثبت لهم الايمان ولا يكونوا
من اهله حتى يحكموا رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع موارد النزاع في جميع ابواب الدين فان
لفظة ما من صيغ العموم ولم يقتصر على حتى ضم اليه انشراح صدورهم بحكمه بحيث لا يجدو
ن في انفسهم حرجا وهو الضيق والحصر من حكمه بل يقبلون حكمه بالانشراح ويقابلونه
بالقبول له ياخذونه على اغماض ويشربونه على قذا فان هذا منافاة للايمان بل لا بد
ان يكون اخذه بقبول ورضا وانشراح صدر ومتى اراد العبد شاهدا فلينظر في حاله
ويطالع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وعرضه وعلى خلاف ما قلد فيه اسلافه من
المسائل الكبار وعادوها بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره فسبحان الله
كم من حرارة في نفوس كثير من النصوص وبودهم ان لو لم ترد وكم من حرارة في اكبادهم
منها وكم من شجى في حلوقهم من موردها ثم لم يقتص سبحانه على ذلك حتى ضم اليه قوله
ويسلموا تسليما فذكر الفعل موكدا له بالمصدر القائم مقام ذكره مرتين وهو الخضوع
والانقياد لما حكم به طوعا ورضا وتسليما لا قهرا ومصابرة كما يسلم المقهور لمن قهره كرها
بل تسليم عبد مطيع لمولاه وسيده الذي هو احب شيء اليه يعلم ان سعادته وفلاحه في
تسليمه انتهى وقد ورد في الصحيح ان سبب نزولها قصة الزبير لما اختصم هو والا
نصاري في شراج الحرة ولكن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فاذا كان سبب
نزولها محاكمة في سيل ماء وقضى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقضاء فلم يرضه الاء
نصاري فنفى عنه الايمان بذلك فما ظنك بمن لم يرض بقضاوه صلى الله عليه وسلم وحكا
مه في اصول الدين وفروعه بل اذا دعوا الى ذلك تولوا وهم معرضون ولم يكفهم ذلك
حتى صدوا الناس عنه ولم يكفهم ذلك حتى كفروا وبدعوا من اتبعه صلى الله عليه وسلم وحكمه في

اصول الدين وفروعه ورضي بحكمه في ذلك ولم يبلغ عنه حرجا وقوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان
اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم المعنى والله اعلم اي لو اوجبنا
عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين تابوا من
عبادة العجل ما فعلوه الا قليل منهم وهذا توبيخ لمن لم يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم
في موارد النزاع اي نحن لم نكتب عليهم ذلك بل انما اوجبنا عليهم ما في وسعهم فما
لهم لا يحكمونك ولا يرضون بحكمك ثم قال تعالى ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان
خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا
مستقيما قال ابن القيم اخبر تعالى انهم لو فعلوا ما يعظهم به وهو امره ونهيه المقرون
بوعده ووعيده لكان فعل امره وترك نهيه خيرا لهم في دينهم ودنياهم واشد
تثبيتا لهم على الحق وتحقيقا لايمانهم وقوة لعزائمهم وارادتهم وثباتا لقلوبهم
عند جيوش الباطل وعند وردات الشبهات المضلة والشهوات المردية فطاعة الله
تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم هي سبب ثبات القلب وقوته وقوة عزائمه وارادته
ونفاذ بصيرته وهذا دليل على ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم تثمر الهداية وثبات
القلب عليها ومخالفته تثمر زيغ القلب واضطرابه وعدم ثباته ثم قال تعالى واذا
لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما فهذه اربعة انواع من
الجزاء المرتب على طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم احدها حصول الخير المطلق بها الثاني
التثبيت والقوة المتضمنة للنصر والغلبة والثالث حصول الاجر العظيم لهم في الاخرة
والرابع هدايتهم الصراط المستقيم وهذه الهداية هي هداية ثانية اوجبتها طاعة الر
سول صلى الله عليه وسلم فطاعته صلى الله عليه وسلم ثمرة الهداية السابقة عليها فهي
محفوفة بهدايتين هداية قبلها وهي سبب الطاعة وهداية بعدها وهي ثمرة لها وهذا
يدل على انتفاء هذه الامور الاربعة عند انتفاء طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم
ثم قال تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا قال ابن القيم فاخبر سبحانه
ان طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم توجب مرافقة المنعم عليهم وهم اهل السعادة
الكاملة وهم اصناف النبيون وهم افضلهم ثم الصديقون وهم بعدهم في الدرجة ثم
الشهداء ثم الصالحون فهؤلاء هم المنعم عليهم النعمة التامة وهم السعداء الفائزون
ولا فلاح لاحد الا بمرافقتهم والكون معهم ولا سبيل الى مرافقتهم الا بطاعة الرسول
صلى الله عليه وسلم ولا سبيل اليها الا بمعرفة سنته وما جاء به فدل على ان من عدم العلم بسنته
وما جاء به فليس له الى مرافقة هؤلاء سبيل بل هو ممن يعض على يديه يوم القيمة ويقول
يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا قلت عالما لمن لم يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم
في موارد النزاع الى مرافقة هؤلاء المنعم عليهم سبيل وكيف يكون لهم سبيل الى ذلك وعنده
ان من حكم الرسول في موارد النزاع فهو اما زنديق او مبتدع وانى له بطاعة الله ور
سوله وهذا اصل اعتقاده الذي بنى عليه دينه ومع ذلك يحسبون انهم يحسنون
صنعا اذا حكموا غير الرسول صلى الله عليه وسلم ونبذوا حكمه وراء ظهورهم كانهم لا
يعلمون قال المصنف وقوله ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها قال ابو بكر ابن عياش
في الاية ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى اهل الارض وهم في فساد فاصلحهم الله
بمحمد صلى الله عليه وسلم فمن دعا الى خلاف ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو من المفسدين
في الارض وقال ابن القيم قال اكثر المفسرين لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء الى غير طاعة
الله بعد اصلاح الله اياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء الى طاعة الله فان
عبادة غير الله والدعوة الى غيره والشرك به هو اعظم فساد في الارض في الحقيقة انما هو
بالشرك به ومخالفة امره فالشرك والدعوة لغير الله واقامة معبود غيره ومطاع متبع
غير رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اعظم الفساد في الارض ولا صلاح لها ولا هلها الا ان
يكون الله وحده هو المعبود والمدعو له لا لغيره والطاعة والاتباع لرسوله ليس الا
وغيره انما تحب طاعته اذا امر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فاذا امر بمعصيته وخلاف

يهتدون

شريعته فلا سمع له ولا طاعة ومن تدبر احوال العالم وجد كل صلاح في الارض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة الى غير الله ورسوله انتهى وبهذا تبين وجه مطابقة الاية للترجمة لان من يدعو الى التحاكم الى غير ما انزل الله والى الرسول قد اتى باعظم الفساد

قال وقوله واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون قال ابو العالية في الاية يعني لا تعصوا في الارض وكان فسادهم ذلك معصية الله لانه من عصى الله في الارض او امر بمعصية الله فقد افسد في الارض لان صلاح الارض والسماء بالطاعة قلت ومطابقة الاية للترجمة ظاهر لان من دعى الى التحاكم الى غير ما انزل الله فقد اتى باعظم الفساد و في الاية دليل على وجوب الطراح الراي مع السنة وان الداعي صاحبه انه مصلح وان دعوى الاصلاح ليس بعذر في ترك ما انزل الله والحذر من العجب بالراي

قال وقوله افحكم الجاهلية يبغون الاية قال ابن كثير ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير وعدل الناهي عن كل شر الى ما سواه من الآراء والاهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان اهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات كما يحكم التتار من السياسات المأخوذة عن جنكز خان الذي وضع لهم كتابا مجموعا من احكام اقتبسها من شرائع شتى من الملة الاسلامية وغيرها وفيها كثير من الاحكام اخذها عن مجرد نظره فصارت في بنيه شرعا يقدمونه على الحكم بالكتاب والسنة ومن فعل ذلك منهم كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير قال تعالى افحكم الجاهلية يبغون اي يريدون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اي ومن اعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن وايقن علم ان الله تعالى احكم الحاكمين وارحم بعباده من الوالدة بولدها فانه سبحانه وتعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء العادل في كل شيء قلت وفي الاية اشارة الى ان من ابتغى غير حكم الله ورسوله فقد ابتغى حكم الجاهلية كائنا من كان

قال عن عبد الله ابن عمرو

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به

قال النووي رويناه في كتاب الحجة باسناد صحيح هذا الحديث رواه الشيخ ابو الفتح نصر ابن ابراهيم المقدسي الشافعي في كتاب الحجة على تارك المحجة باسناد صحيح كما قال المصنف عن النووي وهو كتاب يتضمن ذكر اصول الدين على قواعد اهل الحديث والسنة ورواه الطبراني وابو ابكر ابن عاصم والحافظ ابو نعيم في الاربعين التي شرط في اولها ان تكون في صحاح الاخبار وقال ابن رجب تصحيح هذا الحديث بعيد جدا من وجوه وذكرها وتعقبه بعضهم قلت ومعناه صحيح قطعا وان لم يصح اسناده واصله في القرآن كثير كقوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية وقوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم و قوله فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم وغير ذلك من الايات فلا يضر عدم صحة اسناده

قوله لا يؤمن احدكم اي لا يحصل له الايمان الواجب ولا يكون من اهله

قوله حتى يكون هواه تبعا لما جئت به قال بعضهم هواه بالقصر اي ما يهواه نفسه وتميل اليه ثم المعروف في استعمال الهوى عند الاطلاق انه الميل الى خلاف الحق ومنه ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقد يطلق على الميل والمحبة ليشمل الميل الحق وغيره وربما استعمل في محبة الحق خاصة والانقياد اليه كما في حديث صفوان ابن عسال انه سئل هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الهوى في الحديث قال ابن رجب اما معنى الحديث فهو ان الانسان لا يكون مؤمنا كاملا الايمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الأوامر والنواهي وغيرها فيحب ما امر به ويكره ما نهى عنه وقد ورد القرآن بمثل هذا في غير موضع وذم سبحانه من كره ما احبه الله او احب ما كرهه الله كما قال ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم وقال ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم فالواجب على كل مؤمن ان يحب ما احبه الله محبة توجب له الاتيان بما وجب عليه منه فان زادت المحبة حتى افضى

ندب اليه كان ذلك فضلا وان يكره ما كرهه الله كراهة توجب له الكف عما حرم عليه منه
فان زادت الكراهة حتى اوجبت الكف عما كرهه تنزيها كان ذلك فضلا فمتى احب الله
ورسوله محبة صادقة من قلبه اوجب ذلك له ان يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله
ويكره ما يكرهه الله ورسوله ويرضى بما يرضى به الله ورسوله ويسخط ما يسخط الله
ورسوله ويعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض فان عمل بجوارحه شيئا يخالف
ذلك دل على ان في قلبه بعض ما يكرهه الله ورسوله وترك بعض ما يحبه الله ورسوله مع
وجوبه والقدرة عليه دل ذلك على نقص محبة الواجبة فعليه ان يتوب من ذلك ويرجع
الى تكميل المحبة الواجبة فجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله
وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه فقال تعالى فان لم يستجيبوا
لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم الاية وكذلك البدع انما تنشأ من تقديم الهوى
على الشرع ولهذا سمي اهلها اهل الاهواء وكذلك المعاصي انما تقع من تقديم الهوى
على محبة الله ومحبة ما يحبه الله وكذلك حب الاشخاص الواجب فيه ان يكون تبعا
لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فيحب على المؤمن محبة من يحبه الله من الملائكة و
الرسل والصديقين والانبياء والشهداء والصالحين عموما ولهذا كان من علامات
وجود حلاوة الايمان ان يحب المرء لا يحبه الا لله ويحرم موالاة اعداء الله ومن
يكرهه الله عموما ولهذا يكون الدين كله لله ومن احب لله وابغض لله واعطى لله و
منع لله فقد استكمل الايمان ومن كان حبه وبغضه وعطاه ومنعه لهوى نفسه
كان ذلك نقصا في ايمانه الواجب فيجب التوبة من ذلك والرجوع الى اتباع ما جاء به
الرسول صلى الله عليه وسلم من تقديم محبة الله ورسوله وما فيه رضا الله ورسوله
على هوى النفس ومرادها انتهى ملخصا ومطابقة الحديث للباب ظاهرة من جهة
ان الرجل لا يؤمن حتى يكون هواه تبعا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في كل
شيء حتى في الحكم وغيره فاذا حكم بحكم او قضى بقضاء فهو الحق الذي لا محيد للمؤمن

عنه ولا اختيار له بعده قال المصنف وقال الشعبي كان بين رجل من المنافقين ورجل
من اليهود خصومة فقال اليهودي نتحاكم الى محمد عرف انه لا ياخذ الرشوة وقال
المنافق نتحاكم الى اليهود لعلمه انهم ياخذون الرشوة فاتفقا على ان ياتيا كاهنا
من جهينة فيتحاكما اليه فنزلت الم تر الى الذين يزعمون الآية هذا الاثر رواه ابن جرير
وابن المنذر بنحوه قوله كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة لم اقف
على تسمية هذين الرجلين وقد روى ابن اسحق وابن المنذر وابن ابي حاتم قال كان
بين الجلاس ابن الصامت قبل توبته ومعتب ابن قشير ورافع ابن زيد وبشير كانوا
يدعون الاسلام فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين في خصومة كانت بينهم و
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعوهم الى الكهان حكام الجاهلية فانزل الله فيهم
الم تر الى الذين يزعمون الاية فيحتمل ان يكون المنافق المذكور في قصة الشعبي احد هؤلاء
بل روى الثعلبي عن ابن عباس ان المنافق اسمه بشر قوله عرف انه لا ياخذ الرشوة هي
بتثليث الراء قال ابو السعادات وهي الوصلة الى الحاجة بالمصانعة واصله من الرشاء
الذي يتوصل به الى الماء والراشي من يعطي الذي يعينه على الباطل والمرتشي الآخذ
قلت فعلى هذا رشوة الحاكم هي ما يعطاه ليحكم بالباطل سواء طلبها ام لا وفيه دليل
على شهادة ان محمدا رسول الله لان اعداءه يعلمون عدله في الاحكام وتراهته عن قبول
الرشوة صلى الله عليه وسلم بخلاف حكام الباطل قوله فاتفقا على ان ياتيا كاهنا
في جهينة لم اقف على تسمية هذا الكاهن وفي قصة رواها ابن جرير وابن ابي حاتم عن السدي
سبب نزول الاية قال فتقاضت النضير وقريضة فقالت النظير نحن اكرم منكم قريضة وقالت
قريضة نحن اكرم منكم فدخلوا المدينة الى ابي برزة الكاهن الاسلمي وفي بعض النسخ
ابي بردة وذكر القصة وابو برزة هذا غير ابي بردة الصحابي قال المصنف وقيل نزلت
في رجلين اختصما فقال احدهما نترافع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال الآخر الى كعب
ابن الاشرف ثم ترافعا الى عمر فذكر له احدهما القصة فقال للذي لم يرض برسول الله

صلى الله عليه وسلم اكذلك قال نعم فضربه بالسيف فقتله هذه القصة قد رويت من طرق متعددة
من اقربها السياق المصنف ما رواه الثعلبي وذكره البغوي عن ابن عباس في قوله الم تر الى الذين
يزعمون انهم امنوا الاية قالت في رجل من المنافقين يقال له بشر خاصم يهوديا فدعاه
اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب ابن الاشرف ثم انهما
احتكما للنبي صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر ابن
الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضاءه فقال
للمنافق اكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج
فضربه عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فانزلت
ورواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول هذه القصة عن مكحول وقال في اخرها الى ان
جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عمر قد فرق الرجل وفرق الله بين
الحق والباطل على لسان عمر فسمي الفاروق ورواه ابو اسحق ابن دحيم في تفسيره على ما ذكره
شيخ الاسلام وابن كثير ورواه ابن ابي حاتم وابن مردويه من طريق ابن لهيعة عن ابن
الاسود وذكر القصة وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنت اظن ان يجترئ عمر
على قتل مؤمن فانزل الله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الاية فهدر دم ذلك الرجل
وبرئ عمر من قتله فكره الله ان يسن ذلك بعد فقال ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم الاقوله والله تثبيتا وبالجملة فهذه القصة مشهورة متداولة بين السلف
والخلف تداولا يغني عن الأسناد ولها طرق كثيرة ولا يضرها ضعف اسنادها وكعب ابن الأ
شرف المذكور هنا هو طاغوت من رؤساء اليهود وعلمائهم ذكر ابن اسحق وغيره انه كان
موادعا للنبي صلى الله عليه وسلم في جملة من وادعه من يهود المدينة وكان عربيا من بني طي
وكانت امه من بني النضير قالوا فلما قتل اهل بدر وشق ذلك عليه وذهب الى مكة ورثى
بها هم لقريش وفضل دين الجاهلية على دين الاسلام حتى انزل الله فيه الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى

من

من الذين امنوا سبيلا فلما رجع الى المدينة اخذ ينشد الأشعار ويهجو بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم وشبب بنساء المسلمين حتى اذاهم حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم من لكعب
ابن الأشرف فانه قد اذى الله ورسوله وذكر قصة قتله وقتل محمد ابن مسلمة وابو عبس
ثالثه وابو عبس ابن جبر وعباد ابن بشر رضي الله عنهم وفي القصة من الفوائد ان الدعا
الى تحكيم غير الله ورسوله من صفات المنافقين ولو كان الداعي الى تحكيم امام فاضل ومعرفة
اعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان عليه من العلم والعدل في الاحكام وفيها الغضب
لله والشدة في امر الله كما فعل عمر رضي الله عنه وفيها ان من طعن في احكام النبي صلى الله
عليه وسلم او في شيء من دينه قتل كهذا المنافق بل اولى وفيها جواز تغيير المنكر باليد وان
لم يأذن فيه الامام وكذلك تعزير من فعل شيئا من المنكرات التي يستحق عليها التعزير
لكن اذا كان الامام لا يرضى بذلك وربما ادى الى وقوع فرقة او فتنة فيشترط اذنه
في التعزير فقط وفيها ان معرفة الحق لا تكفي عن العمل والانقياد فان اليهود يعلمون
ان محمدا رسول الله ويحاكمون اليه في كثير من الامور

باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات

اي من اسماء الله وصفاته والمراد ما حكمه حكم الجاحد وان لم يسم جاحدا
ولما كان تحقيق التوحيد بل التوحيد لا يحصل الا بالايمان باسمه والايمان باسمائه
وصفاته نبه المصنف على وجوب الايمان بذلك وايضا فالتوحيد قسمان اتفق
توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد العبادة والأولان وسيلة الى الثالث
وهو الغاية والحكمة المقصودة بالحق والامر وكلها متلازمة فناسب التنبيه على الايمان
بتوحيد الصفات

قال وقوله وهم يكفرون بالرحمن الاية

اي يجحدون هذا الاسم
لانهم يجحدون الله فانهم يقرون بالله كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله
والمراد بهذا كفار قريش او طائفة منهم فانهم جحدوا هذا الاسم عنادا وجهلا ولهذا
لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي يوم الحديبية اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا
لا نعرف الرحمن ولا الرحيم في بعض الروايات لا نعرف الرحمن الا رحمان اليمامة يعنون

مسيلمة الكذاب فانه فيحة الله كان قد لقب بهذا الاسم واما كثير من اهل الجاهلية فيقرون
بهذا الاسم كما قال بعضهم وما شاء الرحمن يعقد ويطلق قال ابن كثير وهم يكفرون بالرحمن
اي لا يقرون به لانهم يابون من وصف الله بالرحمن الرحيم ومطابقة الاية للترجمة
ظاهرة لان التصنع في سبب جحود الاسم من اسماءه كفر فدل على ان جحود شيء من اسماء الله
وصفاته كفر فمن جحد شيئا من اسماء الله وصفاته من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة
ونحوهم فله نصيب من الكفر بقدر ما جحد من الاسم او الصفة فان الجهمية والمعتزلة و
نحوهم وان كانوا يقرون بجنس الاسماء والصفات فعند التحقيق لا يقرون بشيء لان
الاسماء عندهم اعلام محضة لا تدل على صفات قائمة بالرب تبارك وتعالى وهذا نصف
كفر الذين جحدوا اسم الرحمن وقوله قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب
اي قل يا محمد رادا عليهم في كفرهم بالرحمن تبارك وتعالى هو اي الرحمن عز وجل ربي لا اله الا
هو اي لا معبود سواه عليه توكلت واليه متاب اي اليه مرجعي وتوبتي وهو مصدر من
قول القائل هبت متابا وتوبة قاله ابن جرير وفي الاية دليل على ان التوكل عبادة وعلى
ان التوبة عباده واذا كان كذلك فالتوبة الى غيره شرك ولما قال السارق وقد قطعت
يده النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتوب اليك ولا اتوب الى محمد قال النبي صلى الله عليه
وسلم عرف الحق لاهله وقوله وفي صحيح البخاري قال علي حدثوا الناس بما يعرفون
اتريدون ان يكذب الله ورسوله هذا الاثر رواه البخاري مسندا الا مطلقا لكنه في
بعض الروايات علقه اولا ثم ذكر اسناده وفي بعضها ساق اسناده اولا فرواه عن عبيد الله
ابن موسى عن معروف ابن خربوذ عن ابي الطفيل عن علي به ولفظه اتحبون ان يكذب الله ورسوله
قوله بما يعرفون اي يفهمون قال الحافظ واراد ادم ابن ابي اياس في كتاب العلم له
عن عبد الله ابن داود عن معروف في اخره ودعوا ما ينكرون اي ما يشتبه عليهم فهمه
قال وفيه دليل على ان المتشابه لا ينبغي ان يذكر عند العامة ومثله قول ابن مسعود
ما انت محدثا قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة رواه مسلم قال

وممن

ومن راى التحديث ببعض دون بعض احمد في الاحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان
ومالك في احاديث الصفات وابو يوسف في الغرائب ومن قبلهم ابو هريرة كما تقدم
عنه في الجرابين وان المراد ما يقع من الفتن ونحوه عن حذيفة وعن الحسن انه انكر تحديث
انس للحجاج بقصة العرنيين لانه اتخذها وسيلة الى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك
الدماء بتاويل الواهي فضابط ذلك ان يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره
في الاصل غير مراد فالامساك عنه عند من يخشى عليه الاخذ بظاهره مطلوب انتهى
وما ذكره عن مالك في احاديث الصفات ما اظنه يثبت عن مالك وهل في احاديث
الصفات اكثر من ايات الصفات التي في القرآن فهل يقول مالك او غيره من علماء
الاسلام ان ايات الصفات لا تتلى على العوام وما زال العلماء قديما وحديثا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم يقراون ايات الصفات واحاديثها بحضرة عوام
المؤمنين وخواصهم بل شرط الايمان هو الايمان بالله وصفاته كما اتى وصفها
نفسه في كتابه او على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فكيف يكتم ذلك عن عوام المؤمنين
بل يقول من لم يؤمن بذلك فليس من المؤمنين ومن وجد في قلبه حرجا من ذلك فهو
من المنافقين ولكن هذا من بدع الجهمية واشباههم الذين ينفون صفات الرب تبا
رك وتعالى فلما راوا احاديث الصفات مبطلة لمذاهبهم قامعة لبدعهم توا صوا
بكتمانها عن عوام المؤمنين لئلا يعلموا ضلالهم وفساد اعتقادهم فاعلم ذلك وفي الا
دليل على انه اذا خشي ضرر من تحديث الناس ببعض ما لا يعرفون فلا ينبغي تحديثهم
به وليس ذلك على اطلاقه فان كثيرا من المتقدمين والسلف يتحدث الناس فاذا حدثوا
به كذبوا بذلك واعظم فلا يترك العالم تحديثهم بل يعلمهم برفق ويدعوهم
بالتي هي احسن قال وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن
ابن عباس انه راى رجلا انتفض لما سمع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم
في الصفات استنكارا لذلك فقال ما فرق هؤلاء يجدون رقة عند محكم

ويملكون عند متشابهه انتهى قوله وروى عبد الرزاق هو ابن همام الصنعاني الأمام
الحافظ صاحب التصانيف كالمصنف وغيره روى عنه احمد ابن حنبل ويحيى ابن معين
وخلق لا يحصون مات سنة احدى عشرة ومايتين ومعمر هو ابن راشد الازدي ابو
عروة البصري نزيل اليمن ثقة ثبت مات سنة اربع وخمسين وماية وله ثمان وخمسون سنة
وابن طاووس هو عبد الله ابن طاووس اليماني ثقة فاضل عابد مات سنة اثنين وثلاثين
ومايه وابوه طاووس ابن كيسان اليماني ثقة فقيه فاضل من جلة اصحاب ابن عباس وعلمائهم
مات سنة مة ومايه قوله انه راى رجلا لم يسم هذا الرجل قوله انتفض اي ارتعد
لما سمع حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم فاستنكره اما لان عقله لم يحتمله لكونه اعتقد
عدم صحته فانكره قوله فقال اي ابن عباس وهو عبد الله رضي الله عنه قوله ما فرق
هؤلاء ويحتمل وجهين احدهما ان تكون ما استفهامية انكاريه وفرق بفتح الفاء
والراء هو الخوف والفزع اي ما فزع هذا واضرابه من احاديث الصفات واستنكارهم
لها والمراد الانكار عليهم فان الواجب على العبد التسليم والاذعان والايمان بما صح
عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم وان لم يحط به علما ولهذا قال الشافعي امنت بالله
وبما جاء عن الله على مراد الله وامنت برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله
والثاني ان يكون بفتح الفاء وتشديد الراء ويجوز تخفيفها وما نافيه اي ما فرق
هذا واضرابه بين الحق والباطل ولا عرفوا ذلك فلهذا قال يحدون رقة وهي ضد القسوة
اي لينا وقبولا للمحكم ويهلكون عند متشابهه اي ما يشتبه عليهم فهمه لان ايات
الصفات هي المتشابه كما تقول الجهمية ونحوهم ولان في القران متشابها لا يعرف معناه
كالألفاظ الأعجمية فان لفظ التشابه والمتشابه يدل على بطلان ذلك وانما المراد بالمتشابه
المتشابه اي ما يشتبه فهمه على بعض الناس دون بعض فالمتشابه امر نسبي اضافي
فقد يكون مشتبها بالنسبة الى قوم بينا جليا بالنسبة الى اخرين ولهذا قال النبي صلى الله
عليه وسلم لما خرج قوم يتراجعون في القران فغضب وقال بهذا اضلت الأمم قبلكم بما

باختلافهم

باختلافهم على انبيائهم وضرب الكتاب بعضه ببعض وان القران لم ينزل ليكذب
بعضه بعضا ولكن نزل يصدق بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه عليكم
فامنوا به رواه سعد وابن الضريس وابن مردويه واما قوله تعالى هو الذي انزل
عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فقال ابن كثير
يخبر تعالى ان في القران ايات محكمات اي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على احد
ومنه ايات اخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس وبعضهم فمن رد ما اشتبه
عليه الى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس ولهذا
قال هن ام الكتاب اي صله الذي يرجع اليه عند الأشتباه واخر متشابهات اي تحتمل
دلالتها موافقة المحكم وقد تحتمل اشياء اخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث
المراد ولهذا قال تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ضلال وخروج عن الحق الى الباطل
فيتبعون ما تشابه منه اي انما ياخذون منه المتشابه الذي يمكنهم ان يحرفوه الى مقاصدهم
الفاسدة ويتنزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه فاما المحكم فلا نصيب لهم فيه
لانه دافع لهم وحجة عليهم ولهذا قال ابتغاء الفتنة اي الاضلال لاتباعهم اياها ما
لهم يحتجون على بدعتهم بالقران وهو حجة عليهم لا لهم انتهى وقال ابن عباس فاما
الذين في قلوبهم زيغ يعني اهل الشك فيحملون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم
ويلبسون فلبس الله عليهم وما يعلم تاويله الا الله قال تاويله يوم القيمة لا يعلمه الا الله
رواه ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وقوله وما يعلم تاويله الا الله تقدم كلام
ابن عباس وقال مقاتل والسدي يبتغون ان يعلموا ما يكون وما عواقب الأشياء
من القران قلت فعلى هذا التاويل الذي انفرد الله بعلمه هو العلم بحقائق الأشياء
وما تؤول اليه وعواقبها كالأخبار بما يكون وما في الجنة من النعيم وما في النار من
العذاب فان هذه الامور وان علمناها لكن العلم بحقائقها مما لا يعلمه الا الله ولهذا
قال ابن عباس ليس في الدنيا مما في الجنة الا الأسماء فعلى هذا يكون الوقف على الجلالة

كما روي عن جماعة من السلف وقيل الوقف على قوله والراسخون في العلم اي ما يعلم تاويله الا
الله والراسخون في العلم فاما اهل الزيغ فلا يعلمون تاويله وعلى هذا فالمراد بتاويله
هو تفسيره وفهم معناه وهذا هو المروي عن ابن عباس وجماعة من السلف قال ابن
بجيح عن مجاهد عن ابن عباس انا من الراسخين الذين يعلمون تاويله وقال مجاهد
والراسخون في العلم يعلمون تاويله ويقولون امنا به وكذا قال الربيع ابن انس
وغيره قد تبين وبه الحمد انه ليس في الاية حجة للمبطلين في جعلهم ما اخبر الله به من
صفات كماله هو المتشابه ويحتجون على باطلهم بهذه الاية فيقال واين في الاية
ما يدل على مطلوبهم وهل جاء نص عن الله او عن رسوله صلى الله عليه وسلم انه جعل
ما وصف الله به نفسه او وصف به رسوله متشابها ولكن اصل ذلك انهم ظنوا ان
التاويل المراد في الاية هو صرف اللفظ عن ظاهره الى ما يحتمله اللفظ اذا قرن
بذلك وهذا هو اصطلاح كثير من المتاخرين وهو اصطلاح حادث فاراد واحمل كلام الله
على هذا الاصطلاح فضلوا ضلالا بعيدا وظنوا ان نصوص الصفات تاويلا يخالف
ما دلت عليه لا يعلمه الا الله كما يقوله اهل التجهيل او يعلمه المتاولون كما يقوله اهل التا
ويل وفي الاثر المشروع دليل على ذكر ايات الصفات واحاديثها بحضرة عوام المؤمنين
وخواصهم وان من رد شيئا منها او استنكره بعد صحته فهو ممن لم يفرق بين الحق والبا
طل بل هو من الهالكين وانه ينكر عليه استنكاره قال وما سمعت قريش رسول الله
صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن انكروا ذلك فانزل الله وهم يكفرون بالرحمن
هكذا ذكر المصنف هذا الاثر بالمعنى وقد روى ابن جرير ابن المنذر عن ابن جريج في الاية
قال هذا لما كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا في الحديبية بسم الله الرحمن الرحيم فقال
لا نكتب الرحمن ولا ندري ما الرحمن ولا نكتب الا باسمك اللهم فانزل الله وهم يكفرون بالرحمن
الاية وفيه دليل على ان من انكر شيئا من الصفات فهو من الهالكين لان الواجب على العبد
الايمان بذلك سواء فهمه او لم يفهمه وسواء قبله عقله او انكره فهذا هو الواجب على العبد

ظ

في كل ما صح عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو الذي ذكره الله تعالى عن الراسخين في
العلم انهم يقولون امنا به كل من عند ربنا **باب قول الله تعالى يعرفون**
نعمة الله ثم ينكرونها الاية المراد بهذه الترجمة التادب مع جناب الربوبية عن الالفا
ظ الشركية المخفية كنسبة النعم الى غير الله فان ذلك باب من ابواب الشرك الخفي وضده
باب من ابواب الشكر كما في الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن جابر مرفوعا
من ولي معروفا فلم يجد له جزاء الا الثناء فقد شكره ومن كتمه فقد كفره قال المنذري
من ابلي اي من انعم عليه الابلاء الانعام فاذا كان ذكر المعروف الذي يقدر العبد
على ايدي الانسان من شكره فذكر معروف رب العالمين والائه واحسانه ونسبة ذلك
اليه اولا بان يكون شكرا **قال المصنف قال مجاهد فامعناه هو قول الرجل هذا مالي**
ورثته من ابائي هذا الاثر رواه ابن جرير وابن ابي حاتم ولفظه كما في الدر قال المسا
كن والانعام وسرابيل الثياب والحديد يعرفه كفار قريش ثم ينكرونه بان يقولوا
هذا كان لاباءنا ورثناه عنهم قال ابن القيم فامعنا لما اضافوا النعمة الى غير الله فقد
انكروا نعمة الله بنسبتها الى غيره فان الذي يقول هذا جاحد لنعمة الله عليه غير معترف
بها وهو كالابرص والاقرع الذين ذكرهما الملك بنعم الله عليهما فانكروها وقالا انما
ورثنا هذا كابرا عن كابر وكونها موروثة عن الاباء ابلغ في انعام الله عليهم اذا انعم
بها على اباءهم ثم ورثهم اياها فمنعوا هم واباءهم بنعمه **قال وقال عون ابن عبد الله**
يقولون لولا فلان لم يكن كذا وكذا هذا الاثر رواه ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم
ولفظه كما في الدر لولا فلان اصابني كذا ولولا فلان لم يصب كذا وكذا وعون هو ابن عبد الله
ابن عتبة ابن مسعود الهذلي ابو عبد الله الكوفي ثقة عابد مات قبل سنة عشرين ومائة
قوله لولا فلان الى اخره قال ابن القيم ما معناه هذا يتضمن قطع الطائفة النعمة عمن لولاه
لم تكن واضافتها الى من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عن غيره وغاية ان يكون
جزء من اجزاء السبب اجراه الله نعمة على يده والسبب لا يستقل بالايجاد وجعله سببا

هو من نعم الله عليه فهو المنعم فتلك النعمة وهو المنعم بما جعله من اسبابها فالسبب
والمسبب من انعامه وهو تعالى كما انه قد ينعم بذلك السبب فقد ينعم بدونه ولا يكون
له اثر وقد يسلبه سببيته وقد يجعل لها معارضا يقاومها وقد يرتب على السبب
ضد مقتضاه فهو وحده المنعم على الحقيقة **قال وقال ابن قتيبة يقولون هذا**
بشفاعة لهتنا ابن قتيبة هو عبد الله ابن مسلم ابن قتيبة الدينوري الحافظ صاحب
التفسير والمعارف وغيرها وثقه الخطيب وغيره ومات سنة سبع وستين ومائتين
او قبلها قوله يقولون هذا بشفاعة لهتنا قال ابن القيم هذا يتضمن الشرك مع اضافة
النعمة الى غير وليها فالآلهة التي تعبد من دون الله احقر واذل من ان تشفع
عند الله وهي محضرة في الهوان والعذاب مع عابديها واقرب الخلق الى الله واجبههم
اليه لا يشفع عنده الا من بعد اذنه لمن ارتضاه فالشفاعة باذنه من نعمه فهو المنعم بها
الشفاعة وهو المنعم بقبولها وهو المنعم بتاهيل المشفوع له اذ ليس كل احد اهلا
ان يشفع له فمن المنعم على الحقيقة سواه قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله فالعبد
لا خروج له عن نعمة الله وفضله ومنته واحسانه طرفة عين لا في الدنيا ولا في الآخرة
ولهذا ذم سبحانه من اتاه شيئا من نعمه فقال انما اوتيته على علم عندي قال
المصنف وقال ابو العباس بعد حديث زيد ابن خالد الذي فيه ان الله تعالى قال اصبح
من عبادي مؤمن وكافر الحديث وقد تقدم وهذا كثير في الكتاب والسنة يذم
سبحانه من يضيف انعامه الى غيره ويشرك به قال بعض السلف هو كقولهم كانت
الريح طيبة والملاح حاذق او نحو ذلك مما هو جار على السنة كثير قوله وقال
ابو العباس هو شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله قوله وقال بعض السلف لم اقف على تسمية
هذا البعض قوله كانت الريح طيبة والملاح حاذق الملاح هو سائس السفينة والمعنى
ان السفن اذا جرين بريح طيبة بامر الله جريا حسنا نسبوا ذلك الى طيب الريح وحذق
الملاح في سياسة السفينة ونسوا ربهم الذي اجرى لهم الفلك في البحر رحمة بهم كما

فر

فال تعالى ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما فيكون
نسبة ذلك الى طيب الريح وحذق الملاح من جنس نسبة المطر الى الانواء وان المتكلم
بذلك لم يقصد ان الريح والملاح هو الفاعل لذلك من دون خلق الله وامره وانما
اراد انه سبب لكن ينبغي ان يضيف ذلك الى الله وحده لانه غاية الامر في ذلك ان
يكون الريح والملاح سببا او جزء سبب ولو شاء ربك تبارك وتعالى لسلبه بسببيته
فلم يكن سببا اصلا فلا يليق بالمنعم عليه المطلوب منه الشكر ان ينسى من بيده الخير
كله وهو على كل شيء قدير ويضيف الى غيره بل يذكرها مضافة منسوبة الى مولاها
والمنعم بها وهو المنعم على الاطلاق كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله فهو المنعم
بجميع النعم في الدنيا والاخرة وحده لا شريك له فان ذلك من شكرها وضده من انكر ها
ولا ينافي ذلك الدعاء والاحسان الى من سببا او جزء سبب في بعض ما يصل اليك
من النعم من الخلق قال المصنف وفيه اجتماع الضدين في القلب **باب قول الله تعالى**
فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون اعلم ان من تحقيق التوحيد الاحتراز من الشرك
بالله في الالفاظ وان لم يقصد المتكلم بها معنى لا يجوز بل ربما تجري على لسانه من غير قصد
لكن يجري على لسانه الفاظ من انواع الشرك الاصغر لا يقصدها **فان قلت** الاية نزلت
في الاكبر **قيل** السلف يحتجون بما نزل في الاكبر على الاصغر كما فسرها ابن عباس وغيره فيما
ذكره المصنف عنه بانواع من الشرك الاصغر وفسرها ايضا بالشرك الاكبر وفسرها غيره
بشرك الطاعة وذلك لان الكل شرك ومعنى الاية ان الله تبارك وتعالى نهى الناس ان يجعلوا
له اندادا اي امثالا في العبادة والطاعة وهم يعلمون انه الذي فعل تلك الافعال فهو
ربهم وخالقهم وخالق من قبلهم وجاعل الارض فراشا والسماء بناء والذي انزل من
السماء ماء فاخرج به من انواع الثمرات رزقا لهم فاذا كنتم تعلمون ذلك فلا تجعلوا
لله اندادا قال ابن القيم فتامل هذه وشد لزومها فتلك المقدمات قبلها وظفر
العقل بها اول وهلة وخلوصها من كل شبهة وريب وقادح اذا كان الله وحده

هو الذي فعل هذه الأفعال فكيف تجعلون له انداداً وقد علمتم انه لا ند له يشاركه
في فعله قال المصنف قال ابن عباس في الاية الانداد هو الشرك اخفى من دبيب النمل
على صفات سوداء في ظلمة الليل وهو ان تقول والله وحياتك يا فلان وحياتي
وتقول لولا كلبة هذا لاتانا اللصوص ولولا البط في الدار لاتانا اللصوص
وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت وقول الرجل لولا الله وفلان هذا كله
به شرك رواه ابن ابي حاتم هذا الأثر رواه ابن ابي حاتم كما قال المصنف وسنده
جيد قوله هو الشرك اخفى من دبيب النمل الخ اي ان هذه الأمور من الشرك
خفية في الناس لا يكاد يتفطن لها ولا يعرفها الا القليل وضرب المثل لخفائها بما هو
اخفى شيء وهو اثر النمل فانه خفي فكيف اذا كان على صفاء فكيف اذا كانت صفاة سوداء فكيف
اذا كانت في ظلمة الليل وهذا يدل على شدة خفائه على من يدعي علم الاسلام وعسر
التخلص منه ولهذا جاء في حديث ابي موسى قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم فقال يا ايها الناس اتقوا هذا الشرك فانه اخفى من دبيب النمل فقال
له ماشاء الله ان يقول وكيف نتقيه وهو اخفى من دبيب النمل يا رسول الله قال
قولوا اللهم انا نعوذ بك ان نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه رواه احمد والطبراني
قوله وهو ان تقول والله وحياتك يا فلان وحياتي اي ان منه الحلف بغير الله كالحلف
بحياة المخلوق وسياتي الكلام عليه قوله وتقول لولا كلبة هذا لاتانا اللصوص اي السراق
والمعنى ان من الشرك نسبة السرقة الى الكلبة التي اذا ارادة السراق تنبحهم فاستيقظ
اهلها وهرب السراق وربما امتنعوا من اتيان المحل الذي هي فيه خوفا من نباحها فيعلم
بهم اهلها كما روى ابن ابي الدنيا في الصمت عن ابن عباس قال ان احدكم ليشرك حتى يشرك
بكلبة يقول لولاه لسرقنا الليلة قوله ولولا البط في الدار لاتى اللصوص البط بفتح
الموحدة طائر معروف يتخذ في البيوت واذا دخلها غريب صاح واستنكره وهو
الوز بكسر الهمزة وبفتح الواو ومعناه كالذي قبله والواجب نسبة ذلك الى الله تعالى

فهو

لا تجعل فيها فلان ٢

فهو الذي يحفظ عباده ويكلؤهم بالليل والنهار كما قال تعالى قل من يكلؤكم بالليل
والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون قوله وقوله وقول الرجل لصاحبه
ما شاء الله وشئت سياتي الكلام عليه ان شاء الله قوله وقول الرجل لولا الله وفلان
لا تجعل فيها فلانا هكذا اثبت بخط المصنف فلان بلا تنوين والمعنى لا تجعل فيها اي
في هذه الكلمة فلان فتقول لولا الله وفلان بل قل لولا الله وحده ولا تقل لولا الله
وفلان فهو نهي عن ذلك قوله هذا كله به اي بالله شرك واعاد الضمير على الله لانه
قد تقدم ذكر اسمه عز وجل فتبين ان هذه الامور ونحوها من الالفاظ الشركية
الخفية كما نص عليه ابن عباس رضي الله عنه قال وعن عمر ابن الخطاب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من حلف بغير الله فقد كفر او اشرك رواه الترمذي وحسنه
وصححه الحاكم قوله عن عمر ابن الخطاب هكذا وقع في الكتاب وصوابه عن ابن عمر كذلك
اخرجه احمد وابو داود والترمذي والحاكم وصححه ابن حبان وقال الزين العراقي في
امالية اسناده ثقات قوله من حلف بغير الله فقد كفر او اشرك قال بعضهم ما
معناه رواه الترمذي باو الى الشك وفي ابن حبان والحاكم عدمها وفي رواية للحاكم
كل يمين يحلف بها دون الله شرك وفي الصحيحين من حديث ابن عمر مرفوعا ان الله
ينهاكم ان تحلفوا بابائكم من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت وعن بريدة مرفوعا
من حلف بالامانة فليس منا رواه ابو داود والاحاديث في ذلك كثيرة وقد تقدم
كلام ابن عباس في عدة ذلك من الانداد وقال كعب انكم تشركون في قولكم الرجل
كلا وابيك كلا والكعبة كلا وحياتك واشباه هذا احلف بالله صادقا او كاذبا
ولا تحلف بغير الله رواه ابن ابي الدنيا في الصمت واجمع العلماء على ان اليمين لا تكون
الا بالله او بصفاته واجمعوا على المنع من الحلف بغيره قال ابن عبد البر لا يجوز الحلف
بغير الله بالاجماع انتهى ولا اعتبار بمن قال من المتاخرين ان ذلك على سبيل كراهة
التنزيه فان هذا قول باطل وكيف يقال ذلك لما اطلق عليه الرسول صلى الله عليه وسلم

انه كفر او شرك بل ذلك محرم وظهر اختيار ابن مسعود رضي الله عنه ان يحلف بالله كاذبا
ولا يحلف بغيره صادقا فهذا يدل على ان الحلف بغير الله اكبر من الكذب مع ان الكذب
من المحرمات في جميع الملل فدل ذلك ان الحلف بغير الله من اكبر المحرمات **فان قلت** ان الله
تعالى اقسم بالمخلوقات في القرآن **قيل** ذلك يختص بالله تبارك وتعالى فهو يقسم بما
يشاء من خلقه لما في ذلك من الدلالة على قدرة الرب ووحدانيته والهيته وعلمه
وحكمته وغير ذلك من صفات كماله واما المخلوق فلا يقسم الا بالخالق تعالى فالله تعالى
يقسم بما شاء من خلقه وقد نهانا عن الحلف بغيره فيجب على العبد التسليم والاذعان
لما جاء من عند الله قال الشعبي الخالق يقسم بما شاء من خلقه والمخلوق لا يقسم الا بالخالق
قال ولان اقسم بالله فاحنث احب الي من ان اقسم بغيره فابر وقال مطرف
ابن عبد الله انما اقسم الله بهذه الأشياء ليعجب بها المخلوقين ويعرفهم قدرته
لعظم شأنها عنده ودلالتها على خالقها ذكرهما ابن جرير **فان قلت** قد جاء في الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للاعرابي الذي سأله عن امور الاسلام فاخبره فقال
والذي صلى الله عليه وسلم افلح وابيه ان صدق رواه البخاري وقال للذي سأله اي الصدقة
افضل اما وابيك بنيان رواه مسلم ونحو ذلك من الاحاديث **قيل** قد ذكر العلماء
عن ذلك جوابا **احدها** ما قاله ابن عبد البر في قوله افلح وابيه ان صدق هذه اللفظة غير
محفوظة وقد جاءت عن راويها اسمعيل ابن جعفر افلح والله ان صدق قال وهذا اولى
من رواية من روى عنه بلفظ افلح وابيه لانها لفظة منكرة ترد بها الآثار الصحاح ولم
تقع في رواية مالك اصلا وزعم بعضهم ان بعض الرواة عنه صحف قوله وابيه من
قوله والله انتهى وهذا جواب عن هذا الحديث الواحد فقط ولا يمكن ان يجاب به عن غيره
الثاني ان هذا اللفظ كان يجري على السنتهم من غير قصد للقسم به والنهي انما ورد في
حق من قصد حقيقة الحلف ذكره البيهقي وقال النووي انه المرضي قلت هذا جواب فاسد بل احاديث النهي عامة مطلقة ليس فيها تفريق بين من قصد القسم وبين من لم يقصد

يؤيد ذلك ان سعد ابن ابي وقاص حلف مرة باللات والعزى ويبعد ان يكون اراد
حقيقة الحلف بهما ولكنه جرى على لسانه من غير قصد على ما كانوا يعتادونه قبل ذلك ومع
هذا نهاه النبي صلى الله عليه وسلم غاية ما يقال من جرى ذلك على لسانه من غير قصد
معفو عنه اما ان يكون ذلك امرا جائزا للمسلم ان يعتاده فكلا وايضا فهذا يحتاج
الى نقل ان ذلك كان يجري على السنتهم من غير قصد للقسم وان النهي انما ورد في حق
من قصد حقيقة الحلف والى يوجد ذلك **الثالث** ان مثل ذلك يقصد به التوكيد
لا التعظيم وانما وقع النهي عما يقصد به التعظيم قلت وهذا افسد من الذي قبله
وكان من قال ذلك لم يتصور ما قال فهل يراد بالحلف الا تاكيد المحلوف عليه بذكر
من يعظمه الحالف والمحلوف له فتاكيد المحلوف عليه بذكر المحلوف به مستلزم للتعظيم
وايضا فالاحاديث مطلقة ليس فيها تفريق وايضا فهذا يحتاج الى نقل ان ذلك
جائز لتاكيد دون التعظيم وذلك معدوم **الرابع** ان هذا كان في اول الامر ثم
نسخ فما جاء من الاحاديث فيه ذكر شيء من الحلف بغير الله فهو قبل النسخ ثم نسخ
ونهي عن الحلف بغير الله وهذا الجواب هو الحق يؤيده ان ذلك كان مستعملا شائعا
حتى ورد النهي عن ذلك كما في حديث ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم ادرك عمر ابن
الخطاب يسير في ركب يحلف بابيه فقال الا ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم من
كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت رواه البخاري وسلم وعنه ايضا قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من كان حالفا فلا يحلف الا بالله وكانت قريش تحلف بآبائها
فقال ولا تحلفوا بآبائكم رواه مسلم وعن سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه قال حلفت مرة
باللات والعزى فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم قل لا اله الا الله وحده لا شريك له ثم اتفل
عن يسارك ثلاثا وتعوذ ولا تعد رواه النسائي وابن ماجة وهذا لفظ وفي هذا اللفظ
احاديث مما ورد فيه ذكر الحلف بغير الله فهو جار العادة قبل النهي لان ذلك هو الاصل
حتى ورد النهي عن ذلك **قوله** فقد كفر او اشرك احتج به طائفة من العلماء فقالوا يكفر من

حلف بغير الله كفر شرك قالوا ولهذا امره النبي صلى الله عليه وسلم بتجديد اسلامه بقوله لا اله
الا الله فلولا انه كفر ينقل من الملة لم يؤمر بذلك وقال الجمهور لا يكفر كفرا ينقل عن الملة
لكنه من الشرك الاصغر كما نص على ذلك ابن عباس وغيره واما كونه امر من حلف باللات
والعزى ان يقول لا اله الا الله فلان هذا كفارة له مع الاستغفار كما قال في الحديث الصحيح
من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا اله الا الله وفي رواية فيستغفره فهذا
كفارة في كونه تعاطى صورة تعظيم الصنم حيث حلف به لا انه لتجديد اسلامه ولو قدر
ذلك فهو تجديد لاسلامه لنقصه بذلك لا لكفره لكن الذي يفعله عباد القبور اذا طلبت
من احدهم اليمين بالله تعالى اعطاك ما شئت من الايمان صادقا او كاذبا فاذا طلبت
منه اليمين بالشيخ او تربته او حياته ونحو ذلك لم يقدم على اليمين به ان كان كاذبا فهذا
شرك اكبر بلا ريب لان المحلوف به عنده اخوف واجل واعظم من الله وهذا ما بلغ اليه
شرك عباد الاصنام لان جهد اليمين عندهم هو الحلف بالله كما قال تعالى واقسموا بالله جهد
ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى من كان جهد يمينه الحلف بالشيخ او بحياته او بتربته
فهو اكبر شركا منهم فهذا هو تفصيل القول في هذه المسئلة والحديث دليل على انه لا تجب
الكفارة بالحلف بغير الله مطلقا لانه لم يذكر فيه كفارة للحلف بغير الله ولا في غيره من الأحاديث
فليس فيه كفارة الا النطق بكلمة التوحيد والاستغفار قال بعض المتاخرين
تجب الكفارة بالحلف برسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وهذا قول باطل ما انزل الله
به من سلطان فلا يلتفت اليه وجوابه المنع قال المصنف وقال ابن مسعود لان احلف
بالله كاذبا احب الي من ان احلف بغيره صادقا هكذا ذكره المصنف هذا الأثر عن ابن
مسعود ولم يعزه وقد ذكره ابن جرير بغير سند ايضا قلت وقد جاء عن ابن عباس
وابن عمر نحوه ورواه الطبراني باسناده موقوفا هكذا قال المنذري ورواته رواة الصحيح
قوله لان احلف بالله الخ هي المصدرية والفعل بعدها منصوب في تاويل
مصدر مرفوع على الابتداء واجب خبره ومعناه ظاهر وانما رجح ابن مسعود رضي الله عنه

الحلف

الحلف بالله كاذبا على الحلف بغيره صادقا لان الحلف بالله توحيد والحلف بغيره شرك
وان قدر الصدق في الحلف بغير الله فحسنة التوحيد اعظم من حسنة الصدق وسيئة
الكذب اسهل من سيئة الشرك ذكره شيخ الاسلام وفيه دليل على ان الحلف بغير الله صادقا
اعظم من اليمين الغموس وفيه دليل على ان الشرك الأصغر اكبر من الكبائر وفيه
اشارة للقاعدة المشهورة وهي ارتكاب اقل الشرين ضررا اذا كان لا بد من احدهما
قال وعن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان
ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان رواه ابو داود وبسند صحيح هذا الحديث
رواه ابو داود كما قال المصنف ورواه احمد وابن ابي شيبة والنسائي وابن ماجة
والبيهقي وله علة وله شواهد وهو صحيح للغير بلا ريب وياتي الكلام على معناه في
باب قول ما شاء الله وشئت انشاء الله قال وجاء عن ابراهيم النخعي انه يكره ان
يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول بالله ثم بك قال ويقولوا لولا الله
ثم فلان ولا تقولوا لولا الله وفلان هذا الأثر ذكره المصنف غير معزو وقد رواه عبد
الرزاق وابن ابي الدنيا في كتاب الصمت عن مغيرة قال كان ابراهيم يكره ان يقول الرجل
اعوذ بالله وبك ويرخص ان يقول اعوذ بالله ثم بك ويكره ان يقول لولا الله وفلان
ويرخص ان يقول لولا الله ثم فلان لفظ ابن ابي الدنيا وذلك والله اعلم لان الواو تقتضي
مطلق الجمع فمنع منها لئلا توهم الجمع بين الله وبين غيره كما منع من جمع اسم الله واسم
رسوله في ضمير واحد وثم انما تقتضي الترتيب فقط فجاز ذلك لعدم المانع ومطابقة
الحديثين والاثرين للترجمة ظاهرة على ما فسر به ابن عباس رضي الله عنه الاية باب
ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله اي من الوعيد لان ذلك يدل على علة تعظيمه لجناب
الربوبية اذ القلب للممتلئ بمعرفة عظمة الله وجلاله وعزته وكبريائه لا يفعل ذلك
قال عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحلفوا بابائكم من حلف بالله
فليصدق ومن حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله رواه ابن ماجة

ط
عدم

بسند حسن هذا الحديث رواه ابن ماجة في سننه وترجم عليه من حلف له بالله فليرض حدثنا
محمد ابن اسماعيل ابن سمرة حدثنا اسباط ابن محمد عن محمد ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر
قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يحلف بابيه فقال لا تحلفوا بابائكم الحديث وهذا
اسناد جيد على شرط مسلم عند الحاكم وغيره فانه متصل ورواته ثقات بل قد روى مسلم
عن ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بني قبار اركبا وهاشيا
واصل هذا الحديث في الصحيحين عن ابن عمر بلفظ لا تحلفوا بابائكم من كان حالفا فليحلف
بالله او ليصمت وليس فيه هذه الزيادة قوله لا تحلفوا بابائكم تقدم ما يتعلق به
قوله من حلف بالله فليصدق اي وجوبا لان الصدق واجب ولو لم يحلف بالله فكيف
اذا حلف به وايضا فالكذب حرام لو لم يؤكد الخبر باسم الله فكيف اذا اكده باسم الله قوله
ومن حلف له بالله فليرض اي وجوبا كما يدل عليه قوله ومن لم يرض فليس من الله وفي لفظ
ابن ماجة وهذا وعيد كقوله تعالى ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء قال ابن كثير اي
فقد برئ من الله وهذا عام في الدعاوي وغيرها مالم يفض الى الغاء حكم شرعي كمن
تشهد عليه البينة الشرعية بشيء فيحلف على تكذيبها فلا يقبل حلفه ولهذا لما راى عيسى
عليه السلام رجلا يسرق فقال له سرقت قال كلا والله الذي لا اله الا هو فقال عيسى
امنت بالله وكذبت عيني رواه البخاري وفيه وجهين احدهما قال القرطبي ظاهر قول عيسى
عليه السلام للرجل سرقت انه خبر جازم لكونه احدهما لا من حيث رؤيته وقال الرجل
كلا نفي لذلك ثم اكده باليمين وقول عيسى امنت بالله وكذبت عيني اي صدقت من حلف
بالله وكذبت ما ظهر لي من كون الاخذ سرقة فانه يحتمل ان يكون الرجل اخذ ماله فيه حق
او ما اذن له صاحبه في اخذه او اخذه ليقلبه وينظر فيه ولم يقصد الغصب والاستيلاء
قلت وهذا فيه نظر وصدر الحديث يرده وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم راى عيسى رجلا
يسرق فاثبت صلى الله عليه وسلم سرقة الثاني ما قاله ابن القيم ان الله تعالى كان في قلبه
اجل من ان يحلف به احد كاذبا فدار الامر بين تهمة الحالف وتهمة بصره فرد التهمة الى

ومن لم يرض فليس من الله ولفظ ابن ماجة صح

بصره كما ظن ادم عليه السلام صدق ابليس لما حلف له انه ناصح قلت هذا القول احسن من
الاول وهو الصواب ان شاء الله تعالى وحدث عن المصنف انه حمل حديث الباب على اليمين
في الدعاوي لكن يتحاكم عند الحاكم فيحكم على خصمه باليمين فيحلف فيجب عليه ان يرضى باب
قول ما شاء الله وشئت اي ما حكم المتكلم بذلك هل يجوز ام لا واذا قلنا لا يجوز
فهل هو من الشرك ام لا قال عن قتيلة ان يهوديا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال انكم
تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم
اذا ارادوا ان يحلفوا ان يقولوا ورب الكعبة وان يقولوا ما شاء الله ثم شئت
رواه النسائي وصححه هذا الحديث رواه النسائي في السنن واليوم والليلة وهذا
لفظه في اليوم والليلة اخبرنا يوسف ابن عيسى قال حدثنا الفضل ابن موسى قال انا مسعر
عن عبد الله بن خالد عن عبد الله ابن يسار عن قتيلة امراة من جهينة ان يهوديا اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال انكم تنددون وتشركون تقولون ما شاء الله وشئت
وتقولون والكعبة فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يحلفوا ان يقولوا
ورب الكعبة ويقول احدكم ما شاء الله وشئت ثم رواه عن احمد ابن حفص حدثني
ابي حدثني ابراهيم ابن طهمان عن مغيرة عن معبد ابن خالد عن قتيلة امراة من جهينة
قالت دخلت يهودية على عائشة فقالت انكم تشركون وساق الحديث ولم يذكر عبد الله
بن يسار والمشهور ذكره وقد رواه بن سعد والطبراني وابن مندة واشار ابن سعد
الى انها ليس لها غيره قوله عن قتيلة هو بضم القاف وفتح التاء بعدها مثناة تحتية
مصغرة بنت صيفي الجهنية او الانصارية صحابية قوله انكم تشركون تقولون ما شاء
الله وشئت هذا نص في ان هذا اللفظ من الشرك لان النبي صلى الله عليه وسلم اقر اليهودي
على تسمية هذا اللفظ تنديدا وشركا ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وارشد
الى استعمال اللفظ البعيد من الشرك وهو قول ما شاء الله ثم شئت وان كان
الاولى قول ما شاء الله وحده كما يدل عليه حديث ابن عباس وغيره وعلى النهي

عن قول ماشاء الله وشئت جمهور العلماء الا انه حكي عن ابي جعفر الداودي ما يقتضي
جواز ذلك احتجاجا بقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله ورسوله من فضله وقوله
واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه ونحو ذلك والصواب القول الاول فان
النبي صلى الله عليه وسلم انكر ذلك وقال لمن قال له اجعلتني لله ندا واقر من سماه
شديدا وشركا على تسميته ومن المحال ان يكون هذا في امر جائز فاما ما احتج به من
القرآن فقد ذكروا عن ذلك جوابين احدهما ان ذلك لله وحده لا شريك له كما انه
تعالى يقسم بما يشاء من مخلوقاته فكذلك هذا الثاني ان قوله ماشاء الله وشئت تشريك
في مشيئة الله واما الاية فانما اخبر بها عن فعلين متغايرين فاخبر تعالى انه اعنامهم و
ان رسوله اعنامهم وهو من الله حقيقة لانه الذي قدر ذلك ومن الرسول صلى الله عليه
وسلم حقيقة باعتبار تعاطي الفعل وكذا الانعام انعم الله على زيد بالاسلام والنبي
صلى الله عليه وسلم انعم عليه بالعتق وهذا بخلاف المشاركة في الفعل الواحد فالكلام
انما هو فيه والمنع انما هو فيه فان قلت قد ذكر النحاة ان ثم تقتضي اشتراك المعطوف
والمعطوف عليه في الحكم كالواو فلو جاز ذلك بثم ومنع منه بالواو غاية ما يقال ان ثم
تقتضي الترتيب بخلاف الواو فانها تقتضي مطلق الجمع وهذا لا يغير صورة الاشتراك
قيل النهي عن ذلك انما هو اذا اتى بصورة التشريك جمعا ولا يحصل الا بالواو وبخلاف
ثم فانها لا تقتضي الجمع انما تقتضي الترتيب فاذا اتى بها زالت صورة التشريك والجمع في
اللفظ واما المعنى فالله تعالى ما يختص به من المشيئة وللمخلوق ما يختص به فلو اتى بثم
واراد انه شريك لله تعالى في المشيئة فلولا الله وفلان مثلا لا يجود ذلك فالنهي باق
بحاله يكون في هذه الصورة اشد ممن اتى بالواو مع عدم هذا الاعتقاد ويشبه ذلك
الجمع بين اسم الله واسم غيره في ضمير واحد ولهذا انكره النبي صلى الله عليه وسلم على الخطيب
لما قال ومن يعصهما فقد غوى فقال بئس الخطيب انت قوله فامرهم النبي صلى الله
عليه وسلم اذا اراد وا ان يحلفوا ان يقولوا ورب الكعبة تقدم ما يتعلق بالحلف

بغير الله قريبا وفي الحديث من الفوائد معرفة اليهود بالشرك الأصغر وكثير ممن يدعي
الاسلام لا يعرف الشرك الاكبر بل يصرف خالص العبادات من الدعاء والذبح والنذر
لغير الله ويظن ان ذلك من دين الاسلام فعلمت ان اليهود في ذلك الوقت احسن
حالا ومعرفة منهم وفيه فهم الانسان اذا كان له هوى كما نبه عليه المصنف وان
المعرفة بالحق لا تستلزم الايمان ولا العمل وقبول الحق ممن جاء به وان كان عدوا
مخالفا في الدين وان الحلف بغير الله من الشرك وان الشرك الأصغر لا يرق به الانسان
من الاسلام قال وله ايضا عن ابن عباس ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
ماشاء الله وشئت قال اجعلتني لله ندا قل ماشاء الله وحده هذا الحديث رواه
النسائي كما قال المصنف لكن في اليوم والليلة وهذا لفظه واخبرنا علي ابن خشرم
عن عيسى عن الاجلح عن يزيد ابن الأصم عن ابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فكلمه في بعض الامر فقال ماشاء الله وشئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلتني
لله عدلا قل ماشاء الله وحده ورواه ابن ماجة في الكفارات من السنن عن هناد
بن عمار عن عيسى نحوه ولفظه اذا حلف احدكم فلا يقل ماشاء الله وشئت الحديث وقد
تابع عيسى على هذا الحديث سفيان الثوري وعبد الرحمن المحاربي وجعفر ابن عون عن
الأجلح وكلهم ثقات وخالفهم القاسم ابن مالك وهو ثقة فرواه عن الأجلح عن ابي
الزبير عن جابر والاول ارجح ويحتمل ان يكون عند الأجلح عنهما جميعا قوله اجعلتني لله ندا
هذه رواية ابن مردويه والرواية عند النسائي وابن ماجة اجعلتني لله عدلا والمعنى
واحد قال ابن القيم ومن ذلك اي من الشرك بالله في الألفاظ قول القائل للمخلوق
ماشاء الله وشئت كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل ماشاء الله وشئت
وذكر الحديث للشروح ثم قال هذا مع ان الله قد اثبت للعبد مشيئة لقوله لمن شاء
منكم ان يستقيم فكيف بمن يقول انا متوكل على الله وعليك وانا في حسب الله وحسبك
ومالي الا الله واحت وهذا من الله ومنك وهذا من بركات الله وبركاتك واسلي في السما

وانت في الارض او يقول والله وحياة فلان او يقول نذر لله ولفلان او انا تائب لله
ولفلان او ارجو الله وفلان ونحو ذلك فوازن بين هذه الألفاظ وبين قول القائل
ماشاء الله وشئت ثم انظر بها فحسب يتبين لك ان قائلها اولى بجواب النبي صلى الله عليه وسلم
لقائل تلك الكلمة وانه اذا كان قد جعل لله ندا بها فهذا قد جعل من لا يدانى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في شيء من الأشياء بل لعله ان يكون من اعداء الله رب العالمين فالسجود
والعبادة والتوكل والانابة والتقوى والخشية والحب والتوبة والنذر والحلف والتسبيح
والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الراس خضوعا والتعبد والطواف
بالبيت والدعا كل ذلك محض حق الله الذي لا يصلح ولا ينبغي لسواه من ملك مقرب
ولا نبي مرسل وفي مسند الامام احمد ان رجلا اتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم قد اذنب
فلما وقف بين يديه قال اللهم اني اتوب اليك ولا اتوب الى محمد فقال عرف الحق
لاهله قلت اذا كان هذا كلامه صلى الله عليه وسلم لمن قال له ماشاء الله وشئت فكيف بمن
يقول فيه فان من جود الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم
ويقول في حمريته هذه علي وانت طبيبي ليس يخفا عليك في القلب داء
واشباه هذا من الكفر الصريح قال ولابن ماجة عن الطفيل اخي عائشة لامها قال
رايت كاني اتيت على نفر من اليهود فقلت انكم لانتم القوم لولا انكم تقولون عزير ابن الله
قالوا وانتم لانتم القوم لولا انكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد ثم مررت بنفر من
النصارى فقلت انكم لانتم القوم لولا انكم تقولون المسيح ابن الله قالوا وانكم لا انتم
القوم لولا انكم تقولون ماشاء الله وشاء محمد فلما اصبحت اخبرت بها من اخبرت
ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته قال هل اخبرت بها احدا قلت نعم قال
فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان طفيلا راى رؤيا اخبر بها من اخبر منكم وانكم
قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا ان انهاكم عنها فلا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن
قولوا ماشاء الله وحده هذا الحديث لم يروه ابن ماجة بهذا اللفظ عن الطفيل انما رواه

عن حذيفة

عن حذيفة ولفظه حدثنا هشام ابن عمار حدثنا سفيان ابن عيينة عن عبد الملك ابن عمير
عن ربعي ابن حراش عن حذيفة ابن اليمان ان رجلا من المسلمين راى في النوم انه لقي رجلا
من اهل الكتاب فقال نعم القوم انتم لولا انكم تشركون تقولون ماشاء الله وشاء
محمد وذكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما والله ان كنت لا اعرفها لكم قولوا ماشاء
الله ثم شاء محمد ورواه احمد والنسائي بنحوه وفي رواية النسائي ان الراي لذلك
هو حذيفة نفسه وهذه رواية ابن عيينة ثم ذكر ابن ماجة حديث الطفيل هذا فساق
اسناده ولم يذكر اللفظ فقال حدثنا ابن ابي الشوارب حدثنا ابو عوانة عن عبد
الملك عن ربعي ابن حراش عن الطفيل ابن سنجوم اخي عائشة لامها عن النبي صلى الله
عليه وسلم بنحو هذا لفظ ابن ماجة وهكذا رواه حماد بن سلمة وشعبة وابن ادريس
عن عبد الملك فقالوا عن الطفيل وهو الذي رجحه الحفاظ وقالوا ان ابن عيينة وهم
في قوله عن حذيفة فقد تبين ان هذا الحديث المذكور لم يروه ابن ماجة بهذا اللفظ
لكن رواه احمد والطبراني بنحو مما ذكر المصنف قوله عن الطفيل هو ابن سنجوم بمهملة بعد
معجمة ثم موحدة الازدي حليف قريش ويقال الطفيل ابن الحارث ابن سنجوم وفي حد
يثه هذا انه اخو لعايشة لامها وكذا قال الحربي وقال الذي عندي ان الحارث ابن سنجوم
قدم مكة فحالف ابا بكر فمات فحلف ابو بكر بعده على ام اومان فولدت له عبد الرحمن وعايشة
وكان لها من الحارث الطفيل ابن الحارث فهو اخو عائشة لامها وقيل فيه غير ذلك وهو
صحابي ليس له الا هذا الحديث قال البغوي لا اعلم له غيره قوله قال رايت فيما يرى النائم
كما رواه احمد والطبراني قوله على نفر من اليهود وفي رواية احمد والطبراني كاني مررت
برهط من اليهود فقلت من انتم فقالوا نحن اليهود والنفر رهط الانسان وعشيرته وهو
اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة الى العشرة ولا واحد له من لفظه
قال ابو السعادات قوله فقلت انكم لانتم القوم لولا انكم تقولون عزير ابن الله اي
نعم القوم انتم لولا ما انتم عليه من الشرك والمعنى لكم بنسبة الولد اليه وهذا لفظ الطبراني

ولفظ احمد قال انتم القوم قوله قالوا وانتم القوم لولا انكم تقولون ماشاء الله وشاء
محمد عارضوه بد كوشئ مما في المسلمين من الشرك الاصغر قالوا له هذا الكلام اي
نعم القوم انتم لولا ما فيكم من هذا الشرك وكذلك جرى له مع النصارى قوله فلما
اصبحت اخبرت بها من اخبرت في رواية احمد فلما اصبح اخبر بها من اخبر وفي رواية الطبراني
فلما اصبحت اخبرت بها ناسا قوله ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فيه حسن
خلقه صلى الله عليه وسلم وعدم احتجابه عن الناس كالملوك بحيث اذا اراد احد الوصول
اليه امكنه بلا كلفة ولا مشقة بل يصلون اليه ويقضي حاجتهم ويخبرونه بما يحتاجون
اليه من امور دينهم ودنياهم ويقصون عليه ما يرونه في المنام بل كان صلى الله عليه وسلم
يعتني بالرؤيا لانها من اقسام الوحي وكان اذا صلى الصبح كثيرا ما يقول هل راى احد
منكم رؤيا قوله فحمد الله واثنى عليه في رواية احمد فلما صلوا خطبهم فحمد الله واثنى عليه
وفي رواية الطبراني فلما صلى الظهر قام خطيبا ففيه مشروعية حمد الله والثناء عليه
في الخطب وفيه الخطبة اوفى الامور المهمة واما مع الحمد فقد تقدم في باب قول الله
تعالى اليشركون مالا يخلق شيئا واما الثناء فقال ابن القيم هو تكرار المحامد قوله
ثم قال لها بعد في رواية احمد والطبراني ثم قال ان طفيلا راى رؤيا ولم يذكر اما بعد
وفي رواية للطبراني فقام نبي الله على المنبر فقال ان اخاكم راى رؤيا فاحدثكم بما راى
ففيه مشروعية اما بعد في الخطب ان ثبتت في هذا الحديث والا فلا يضر فانها ثابتة في خطبه عليه السلام في غير
قوله وانكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا اني انهاكم
عنها في رواية احمد والطبراني وانكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم ان انهاكم عنها
وهذا الحياء منهم ليس على سبيل الحياء عن الانكار عليهم بل كان صلى الله عليه وسلم ينكرها
ويستحي ان ينكرها لانه لم يؤمر بانكارها فلما جاءه الامر الالهي بالرؤيا الصالحة انكرها
ولم يستحي في ذلك وفيه دليل على انها من الشرك الاصغر اذ لو كانت من الاكبر لانكرها من
اول مرة قالوها وفيه ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من الحياء وانه من الاخلاق المحمودة

قوله فلا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله وحده هذا على سبيل
الاستحباب والا فيجوز ان يقول ماشاء الله ثم شاء فلان كما تقدم وفيه ان الرؤيا
قد تكون سببا لشرع بعض الاحكام كما في هذا الحديث وحديث الاذان وحديث الذكر
بعد الصلوات باب من سب الدهر فقد اذى الله مناسبة هذا الباب
لكتاب التوحيد ظاهرة لان سب الدهر يتضمن الشرك كما سياتي بيانه ولفظ الاذى
في اللغة هو لما خف امره وضعف اثره من الشرك والمكروه ذكره الخطابي قال شيخ
الاسلام وهو كما قال وهذا بخلاف الضرر فقد اخبر سبحانه ان العباد لا يضرونه كما قال
تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا فبين سبحانه ان
الخلق لا يضرونه لكن يوذونه اذا سبوا مقلب الامور قال وقول الله تعالى وقالوا
ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر الاية قال ابن كثير يخبر
تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في انكار المعاد وقالوا
ما هي الا حياتنا الدنيا قال ابن جرير اي ما حياة الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها لا حياة
سواها تكذيبا منهم بالبعث بعد الموت نموت ونحيا قال ابن كثير اي يموت قوم ويعيش
اخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد وتقوله
الفلاسفة الالهيون منهم وهم ينكرون البداة والرجعة وتقوله الفلاسفة الدورية
المنكرون للصانع المعتقدون ان في كل سنة وثلاثين الف سنة يعود كل شيء الى ما
كان عليه ويزعمون ان هذا قد تكرر مرارا لا تتناهى فكابروا العقول وكذبوا المنقول
ولهذا قالوا وما يهلكنا الا الدهر قال ابن جرير اي ما يهلكنا فيما نرى الا مر الليالي
والايام وطول العمر انكارا منهم ان يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم ثم روى باسناد على شرط الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان اهل الجاهلية يقولون انما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا الا الدهر وانا الدهر اقلب
الليل والنهار قوله وما لهم بذلك من علم قال ابن جرير يعني من يقين علم انهم الا

يظنون قال ابن كثير اي يتوهمون ويتخيلون فان قلت فاين مطابقة الآية للترجمة
اذا كانت خبرا عن الدهرية المشركين قيل المطابقة ظاهرة لان من سب الدهر فقد شا
ركهم في سبه وان لم يشاركهم في الاعتقاد قال في الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال قال الله تعالى يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر اقلب الليل
والنهار وفي رواية لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر قوله في الصحيح اي صحيح
البخاري ورواه احمد بهذا اللفظ واخرجه مسلم بلفظ اخر قوله يؤذيني ابن ادم يسب الدهر
فيه ان سب الدهر يؤذي الله تبارك وتعالى قال الشافعي تاويله والله اعلم ان العرب
كان من شانها ان تذم الدهر وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم من موت او هرم
او تلف او غير ذلك فيقولون انما يهلكنا الدهر وهو الليل والنهار ويقولون اصابتهم
قوارع الدهر بانه الذي يفنيهم ويفعل بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
الدهر على انه الذي يفنيكم والذي يفعل بكم هذه الأشياء فانكم اذا سببتم فاعل هذه الأ
شياء فانما تسبون الله تبارك وتعالى فانه فاعل هذه الأشياء انتهى قلت الظاهر
ان المشركين نوعان احدهما من يعتقد ان الدهر هو الفاعل فيسبه لذلك فهؤلاء هم الد
هرية الثاني من يعتقد ان المدبر للامر هو الله وحده لا شريك له ولكن يسبون الدهر لما
يجري عليهم فيه من المصائب والحوادث فيضيفون ذلك اليه من اضافة الشيء الى محله
ولانه عندهم فاعل لذلك والحديث صريح في النهي عن سب الدهر مطلقا سواء اعتقد انه
فاعل او لم يعتقد ذلك كما يقع كثيرا ممن يعتقد الاسلام كقول ابن المعتز يا دهر
ويحك ما ابقيت لي احدا ه وانت والدسوّ تاكل الولد ه وقول ابي الطيب ه قبحا لوجهك
يا زمان فانه ه وجه لكل قبيح برقع ه وقول الطوغي ه ان تبتلي بلئام الناس
يرفعهم ه عليك دهر لاهل الفضل قد خانا ه وقول الحريري ه ولا من الدهر الدهر
الخؤون ه ومكره قد خامل اخفى عليه وناباه ه ونحو ذلك كثير وكل هذا داخل في
الحديث قال ابن القيم وفي هذا ثلاث مفاسد عظيمة احدها سبه من ليس باهل للسب

فان الدهر

فان الدهر خلق مسخر من خلق الله منقاد لامره منذل للتسخيره فسابه اولى بالذم والسب
منه الثانية ان سبه متضمن للشرك فانه انما سبه لظنه انه يضر وينفع وانه مع ذلك
ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر واعطى من لا يستحق العطاء ورفع من لا يستحق الرفعة
وحرم من لا يستحق الحرمان وهو عند شائمه من اظلم الظلمة واشعار هؤلاء الظلمة الخونة
في سبه كثيرة جدا وكثير من الجهال يصرح بلعنه وبقبحه الثالثة ان السب منهم انما
يقع على من فعل هذه الافعال التي لو اتبع الحق فيها اهواءهم لفسدت السموات والا
رض واذا وافقت اهواءهم حمدوا الدهر واثنوا عليه وفي حقيقة الامر فرب الدهر
هو المعطي المانع الخافض الرافع المعز المذل والدهر ليس له من الامر شيء فسبهم
الدهر صيرة لله عز وجل ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى فساب الدهر دائرين
امرين لا بد له من احدهما اما سبة الله او الشرك به فان اعتقد ان الدهر فاعل
مع الله فهو شرك وان اعتقد ان الله وحده هو الذي فعل ذلك وهو يسب من فعله
فقد سب الله تعالى انتهى واشار ابن ابي جمرة الى ان النهي عن سب الدهر تنبيه بالأعلى
الادنى وان فيه اشارة لترك سب كل شيء مطلق الا ما اذن فيه الشرع فيه لان العلة
واحدة قوله وانا الدهر قال الخطابي معناه انا صاحب الدهر ومدبر الامور التي ينسبو
الى الدهر فمن سب الدهر من اجل انه فاعل هذه الامور عاد سبه الى ربه الذي هو فاعلها
وانما الدهر زمان جعل ظرفا للمواقع الأمور قلت ولهذا قال في الحديث وانا الدهر بيدي
الأمر اقلب الليل والنهار وفي رواية لا حد بيدي الليل والنهار اجدده وابليه واذهب
بالملوك وفي رواية له لا تسبوا الدهر ان الله قال انا الدهر الأيام والليالي اجدها
وابليها واتي بملوك بعد ملوك قال الحافظ وسنده صحيح قد تبين بهذا خطا ابن حزم
في عدة الدهر من اسماء الله الحسنى وهذا غلط فاحش ولو كان كذلك لكان الذي قالوا
وما يهلكنا الا الدهر مصيبين قوله وفي رواية هذه الرواية رواها مسلم وغيره قال
المصنف وفيه انه قد يكون سببا ولو لم يقصده بقلبه باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

كالقضاة وحاكم الحاكم ان سيد الناس ونحو ذلك اي ما حكم التسمي بذلك هل يجوز ام لا
قال في الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخنع اسم عند الله رجل
تسمى ملك الاملاك لا مالك الا الله قال سفيان مثل شاهان شاه وفي رواية
اغيظ رجل على الله واخبثه قوله اخنع يعني اوضع قوله في الصحيح اي الصحيحين
قوله اخنع ذكر المصنف ان معناه اوضع وهذا التفسير رواه مسلم عن الامام احمد
عن ابي عمرو الشيباني قال عياض معناه انه اشد الأسماء صغارا ونحو ذلك
فسره ابو عبيد والخانع الذليل وخنع الرجل ذل قال ابن بطال واذا كان الاسم اذل
الأسماء كان من تسمى به اشد ذلا وقد فسر الخليل اخنع بافجر فقال الخنع الفجور وفي
رواية اخنى الأسماء من الخنا بفتح المعجمة وتخفيف النون مقصور وهو الفحش في القول
وفي رواية اشد غضب الله على من زعم انه ملك الاملاك رواه الطبراني قوله رجل
يسمى بصيغة المجهول من التسمية اي يدعي بذلك ويرضى به وفي بعض الروايات
تسمى بفتح الفوقية وتشديد الميم اي من معلوم من التسمي من سمى نفسه قوله ملك الاملاك
ملاك هو بكسر اللام من ملك والاملاك جمع ملاك ثم اكد النبي صلى الله عليه وسلم التشديد
في تحريم التسمي بذلك بقوله لا مالك الا الله فالذي يتسمى بهذا الاسم فقد كذب وفجر و
ارتقى الى ما ليس له باهل بل هو حق لرب العالمين فانه المالك في الحقيقة فلهذا كان
اذل الناس عند الله يوم القيمة والفرق بين الملك والمالك ان المالك هو المتصرف
بفعله والملك هو المتصرف بفعله وامره ذكره ابن القيم فالذي يسمى ملاك الاملاك
او ملك الملوك قد بلغ الغاية في الكبر والكذب ولقد كان بعض السلاطين المساكين
يفتخر بهذا الاسم فاذله الله قوله قال سفيان هو ابن عيينة تقدمت ترجمته قوله
مثل شاهان شاه هو بسكون النون والهاء في آخره وقد تنون وليست هاء تانيث فلا
يقال بالمشاة اصلا وانما مثل سفيان بشاهان شاه لانه قد كثرة التسمية به في ذلك
العصر فنبه سفيان على ان الأسم الذي ورد الخبر بذمه لا ينحصر في ملاك الاملاك

بل كل ما ادى معناه اي لسان كان فهو مراد بالذم ذكره الحافظ والحديث صريح في تحريم
التسمي بملك الأملاك ونحو كملك الملوك وسلطان السلاطين قال ابن القيم لما كان
الملك سبحانه وحده لا ملك على الحقيقة سواه كان اخنع اسم واوضعه عنده واغيظه له اسم شاهان
شاه اي ملك الملوك وسلطان السلاطين فان ذلك ليس لاحد غير الله تعالى فتسمية غيره بهذا
من ابطل الباطل والله لا يحب الباطل وقد الحق اهل العلم بهذا قاضي القضاة وقالوا ليس قاضي
القضاة الا من يقضي الحق وهو خير الفاصلين الذي اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
ويلي هذا الاسم في القبح والكراهة والكذب سيد الناس وسيد الكل وليس ذلك الا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم خاصة كما قال انا سيد الناس ولا فخر فلا يجوز لاحد قط ان يقول عن غيره هو
سيد الناس كما لا يجوز له ان يقول انا سيد ولد ادم عليه السلام وقال ابن ابي حمزة يلتحق
بملك الاملاك قاضي القضاة وان كان قد اشتهر في بلاد الشرق من قديم الزمان اطلاق
ذلك على كبير القضاة وقد سلم اهل المغرب من هذا اسم كبير القضاة عندهم قاضي الجماعة
وزعم بعض المتاخرين ان التسمي بقاضي القضاة ونحوه جائز واستدل له بحديث افضلكم
على قال فيستفاد منه ان لا حرج على من اطلق على قاضي يكون اعدل القضاة واعلمهم في زمانه
اقضى القضاة او يريد اقليمه او بلده وتعقبه العلم العراقي فصواب المنع ورد ما احتج به
الفضل في ذلك وقع في حق من خوطب به ومن يليق بهم فليس مساويا لاطلاق التفضيل با
الالف واللام قال ولا يخفى ما في اطلاق ذلك من الجراءة وسوء الادب وغيره يقول من ولي
في القضا فنعت بذلك فلذ في سمعه فاحتال في الجواز فان الحق احق ان يتبع قلت وقد تبين
بهذا مطابقة الحديث للترجمة قوله وفي رواية اغيظ رجل على الله يوم القيمة واخبثه هذه
الرواية رواها مسلم في صحيحه قال ابن ابي حمزة وفي الحديث مشروعية الادب في كل شيء لان
الزجر عن ملك الاملاك والوعيد عليه يقتضي المنع منه مطلق سواء اراد من تسمى بذلك
ان ملاك على ملوك الارض ام على بعضها وسواء كان محقا في ذلك او مبطلا مع انه لا يخفى
الفرق بين من قصد ذلك وكان فيه صادقا ومن قصده وكان فيه كاذبا قلت يعني ان الثاني

اسد ائما من الاول باب احترام اسماء الله تعالى وتغيير الاسم لاجل ذلك اي لأجل
احترامها وهو تعظيمها وذلك من تحقيق التوحيد ويستفاد منه المنع من التسمي بها ابتداء
من باب الاولى لكن في الأسماء المختصة بالله تعالى قال عن ابي شريح انه كان يكنى ابا الحكم
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الله هو الحكم واليه الحكم فقال ان قومي اذا اختلفوا في
شيء اتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين فقال ما احسن هذا فما لك عن اولد قال
شريح ومسلم وعبد الله قال فمن اكبرهم قلت شريح قال انت ابو شريح رواه ابو داود
وغيره قال هذا الحديث رواه ابو داود كما قال المصنف ورواه النسائي ولفظ ابي داود من
طريق زيد ابن المقدام ابن شريح عن ابيه عن جده عن ابيه هاني وهو ابو شريح انه لما وفد الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه سمعهم يكنون بابي الحكم فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
ان الله هو الحكم فلم تكنى ابا الحكم فقال ان قومي اذا اختلفوا في شيء اتوني الحديث قال ابن مفلح واسناده
جيد ورواه الحاكم وزاد فدعا له ولولده قوله عن ابي شريح هو بضم المعجمة وفتح الراء واخره مهملة
مصغر واسمه هاني ابن يزيد الكندي قاله الحافظ وقيل الحارث الضبابي قاله المزي وقيل المذ
حجي وقيل غير ذلك صحابي نزل الكوفة ولا عبرة بقول من قال انه الخزاعي ولا من ظن انه النخعي
والد شريح القاضي فان ذلك خطأ فاحش قوله انه كان يكنى ابا الحكم قال بعضهم الكنية قد
تكون بالاوصاف كابي الفضائل وابي المعالي وابي الحكم وابي الخير وقد تكون بالنسبة الى
الاولاد كابي سلمة وابي شريح والى ما يلابسه كابي هريرة فانه عليه السلام سراه ومعه هرة فكناه
بابي هريرة وقد تكون للعلمية الصرفة كابي بكر قوله ان الله هو الحكم واليه الحكم اما الحكم
فهو من اسماء الله تبارك وتعالى كما في هذا الحديث وقد ورد عدة في الاسماء الحسنى مقرونا
بالعدل فسبحان الله ما احسن اقتران هذين الاسمين قال في شرح السنة الحكم هو الحاكم
الذي اذا حكم لا يرد حكمه وهذه الصفة لا تليق بغيره تعالى كما قال والله يحكم لا معقب لحكمه
وقال بعضهم عرف الخبر في الجملة الاولى والى بضمير الفصل فدل على الحصر وان هذا الوصف
مختص به لا يتجاوز الى غيره واما قوله واليه الحكم اي اليه الفصل بين العباد في الدنيا والآخرة

كما قال تعالى وله الحكم واليه ترجعون وقال تعالى ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين
وفيه دليل على المنع من التسمي باسماء الله المختصة به والمنع مما يوهم عدم الاحترام لها
كالتكني بابي الحكم ونحوه قوله ان قومي اذا اختلفوا في شيء اتوني فحكمت بينهم اي انما
لم اكن تقسي بهذه الكنية وانما كنت احكم بين قومي يكنوني بها وفيه جواز التحاكم الى من
يصلح للقضاء وان لم يكن قاضيا وانه يلزم حكمه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما
احسن هذا قال الخطابي للتعجب اي الحكم بين الناس حسن ولكن هذه الكنية غير حسنة
وقال غيره اي الذي ذكرته من الحكم بالعدل وقيل ما احسن هذا اي ما ذكرت من وجه
الكنية قال بعضهم وهو الاولى قلت فعلى هذا يكون حكمه لقومه قبل اسلامه اذ يبعد
ان يكون قاضيا قبل ان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتعلم منه لان هذه القضية كانت
بعد اسلامه بقليل لانه كان مع وفد قومه حين اسلموا وقد هو على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسن امر احكام الجاهلية قوله قال شريح
ومسلم وعبد الله صريح في ان الواو لا تقتضي الترتيب وانما تقتضي مطلق الجمع فلذا اساله
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاكبر اذ لو كان دالة على الترتيب لم يحتج الى سؤال عن
اكبرهم قوله قال فانت ابو شريح اي رعاية للاكبر سنا في التكريم والاجلال فان
الكبير اولى بذلك قال في شرح السنة فيه يكنى الرجل باكبر بنيه فان لم يكن له ابن فباكبر
بناته وكذلك المرأة تكنى باكبر بنيها فان لم يكن لها ابن فباكبر بناتها انتهى وفيه تقديم
الاكبر وفيه استعمال اللفظ الشريف الحسن مكروه في حق من ليس كذلك ومنه ان يقول
المملوك لسيده ربي وغيره نبه عليه ابن القيم باب من هزل بشيء فيه ذكر الله او
القرآن او الرسول اي انه يكفر بذلك لاستخفافه بجناب الربوبية والرسالة وذلك منافٍ
للتوحيد ولهذا اجمع العلماء على كفر من فعل شيئا من ذلك فمن استهزء بالله او بكتابه او برسوله
او بدينه كفر ولو هازلا لم يقصد حقيقة الاستهزاء اجماعا قال وقول الله تعالى ولئن
سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الاية يقول تعالى مخاطبا لرسوله صلى الله عليه وسلم

كافر

ولئن سالتهم ليقولن اي سالت المنافقين الذين تكلموا بكلمة الكفر استهزاء ليقولن انما كنا
نخوض ونلعب اي يعتذرون بانهم لم يقصدوا الاستهزاء والتكذيب انما قصدوا الخوض
في الحديث واللعب قل ابالله وايآته ورسوله كنتم تستهزءون لم يعباء باعتذارهم اما
لانهم كانوا كاذبين واما الان الاستهزاء على وجه الخوض واللعب لا يكون صاحبه معذورا
وعلى التقديرين فهذا عذر باطل فانهم اخطؤا مع موقع الاستهزاء وهو يجتمع الايمان
بالله وكتابه ورسوله الاستهزاء بذلك في قلب بل ذلك عين الكفر فلهذا كان الجواب
مع ما قبله لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم قال شيخ الاسلام فقد امره ان يقول لهم
كفرتم بعد ايمانكم وقول من يقول انهم قد كفروا بعد ايمانهم بلسانهم مع كفرهم اولا بقلوبهم
لا يصح لان الايمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر فلا يقال قد كفرتم بعد
ايمانكم فانهم لم يزالوا كافرين في نفس الامر وان اريد انكم اظهرتم الكفر بعد اظهاركم الايمان
فانهم لم يظهروا ذلك الا لمن اصهم مازالوا هكذا بل لما نافقوا وحذروا ان تنزل
عليهم سورة تبين لهم ما في قلوبهم من النفاق تكلموا بالاستهزاء صاروا كافرين بعد
ايمانهم ولا يدل اللفظ على انهم مازالوا منافقين الى ان قال تعالى ولئن سالتهم ليقولن
انما كنا نخوض ونلعب فاعترفوا واعتذروا ولهذا قيل لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم
ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة فدل على انهم لم يكونوا عند انفسهم قد تابوا كفرا
بل ظنوا ان ذلك ليس بكفر فبين ان الاستهزاء بايات الله ورسوله كفر بكفر صاحبه
بعد ايمانه فدل على انه كان عندهم ايمان ضعيف ففعلوا هذا المحرم الذي عرفوا انه محرم
ولكن لم يظنوا كفرا وكان كفرا كفروا به فانهم يعتقدون جوازه وقوله تعالى ان نعف عن
طائفة منكم نعذب طائفة قال ابن كثير اي لا يعفى عن جميعكم ولا بد من عذاب بعضكم لانهم
كانوا مجرمين بهذه المقالة القاجرة قيل ان الطائفة المعفو عنها مخشي بن حمير عفى الله عنه وسمي عبد
الرحمن وسال الله ان يقتل شهيدا لا يعلم مقتله فقتل يوم اليمامة ولم يعلم مقتله ولا من
قتله ولا يدرى له عين ولا اثر وقيل ان الطائفة زيد ابن وديعة والاول اشهر ويحتمل ان الله

عفى عنهما جميعا وفي الاية دليل على ان الرجل اذا فعل الكفر ولم يعلم انه كفر لا يعذر بذلك بل
يكفر وعلى ان الساب كافر بطريق الاولى نبه عليه شيخ الاسلام قال عن ابن عمر ومحمد ابن كعب
وزيد ابن اسلم وقتادة دخل حديث بعضهم في بعض انه قال رجل في غزوة تبوك ما
رايتنا مثل قرائنا هؤلاء ارغب بطونا ولا اكذب السنا ولا اجبن عند اللقاء يعني
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه القراء فقال عوف ابن مالك كذبت ولكنك منافق
لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليخبره فوجد القران قد سبقه فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب
نقطع به عنا الطريق فقال ابن عمر كاني انظر اليه متعلقا بنسعة ناقة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وان الحجارة تنكب رجليه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابالله وايآته ورسوله كنتم تستهزءون ما يلتفت اليه وما يزيده عليه
هذا الاثر ذكره المصنف مجموعا من رواية ابن عمر ومحمد ابن كعب وزيد ابن اسلم وقتادة و
قد ذكره قبله كذلك شيخ الاسلام فاما اثر ابن عمر فرواه ابن جرير وابن ابي حاتم وغيرهما
نحو مما ذكره المصنف واما اثر محمد ابن كعب وزيد ابن اسلم وقتادة فهي معروفة لكن بغير هذا
اللفظ قوله عن ابن عمر هو عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما ومحمد ابن كعب هو محمد ابن كعب
ابن سليم ابو حمزة القرظي المدني قال البخاري انه اباه كان ممن ينبت من سبي قريظة وهو
ثقة عالم مات سنة عشرين وماية وزيد ابن اسلم هو مولى عمر ابن الخطاب والد عبد الرحمن
واخوته يكنى اباعبد الله ثقة مشهور مات سنة ست وثلاثين ومايه وقتادة هو ابن
دعامة تقدم قوله دخل حديث بعضهم في بعض اي ان الحديث مجموع من روايا تهم فلذا
قال دخل بعضه في بعض قوله انه قال رجل في غزوة تبوك لم اقف على تسمية القائل
لذلك بل ابهم اسمه في جميع الروايات التي وقفت عليها ولكن قد ورد تسمية جماعة ممن
نزلت فيهم الاية مع اختلاف الرواية فيما قالوه من الكلام ففي بعض الروايات انهم قالوا

ما ذكره المصنف وعن مجاهد في الآية قال رجل من المنافقين يحدثنا محمد ان ناقة فلان
بوادي كذا يوم كذا وكذا وما يدريه ما الغيب رواه ابن ابي شيبة وابن المنذر وابن ابي
حاتم وعن قتادة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الى تبوك وبين يديه
اناس من المنافقين فقالوا ايرجو هذا الرجل ان تفتح له قصور الشام وحصونها
هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا علي
هؤلاء الركب فاتاهم فقال قلتم كذا قلتم كذا قالوا يا نبي الله انما كنا نخوض ونلعب
فانزل الله فيهم ما تسمعون رواه ابن المنذر وابن ابي حاتم وفي رواية جابر ابن عبد الله
عند ابن مردوية كان فيمن تخلف من المنافقين بالمدينة وداعة ابن ثابت احد بني
عمرو ابن عوف فقيل له ما خلفك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخوض واللعب
فانزل الله فيه وفي اصحابه ولئن سئلهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى المجرمين
وسمى ابن عباس في رواية عند ابن مردوية منهم وديعة ابن ثابت ومخشي ابن حمير
وانهم قالوا نحسبون قتال بني الاصفر كقتال غيرهم والله لكانا بكم غدا مقرنون في
الحبال القصة بكمالها فيحتمل انهم قالوا ذلك كلاه فان المنافقين اذا خلوا الى شياطينهم
اخذوا في الاستهزاء بالله وايا ته ورسوله والمؤمنين فلا يبعد انهم قالوا ذلك فنقل
ذكر بعض كلامهم والاية تعم ذلك وفي هذه الروايات ذكر بعض اسماء القائلين
لبعض ذلك منهم وديعة ابن ثابت وقيل وداعة وزيد ابن وديعة ومخشي ابن حمير
الذي تاب الله عليه لكنه لم يقل ذلك انما حضره وفي بعض الروايات ان عبد الله ابن ابي
هو الذي قال ذلك لكن رواه ابن القيم بان ابن ابي تخلف عن غزوة تبوك وذكر ابن
اسحق اسماء الذين بالفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فعد جماعة فيحتمل انهم من
المستهزئين ويحتمل انهم غيرهم ولهذا قال تعالى في المستهزئين قد كفرتم بعد ايمانكم وفي الا
خرين ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قوله ما رايتا مثل قرائنا هؤلاء القرا
جمع قاري وهم عند السلف الذين يقرؤن القران ويعرفون معانيه اما قرائته من غير

فهم

فهم لمعناه فلا يوجد في ذلك العصر وانما حدث بعد ذلك من جملة البدع قوله ارغب
بطونا اي اوسع بطونا الرغب والرغيب الواسع يقال جوف رغيب وواد رغيب يصفو
نهم بسعة البطون وكره الاكل كما روى ابو نعيم عن شريح ابن عبيد ان رجلا قال
لابي الدرداء يا معشر القرا ما بالكم اجبن منا وابخل اذا سئلتم واعظم لقما اذا اكلتم
فاعترض عنه ابو الدرداء ولم يرد عليه شيئا واخبر بذلك عمر ابن الخطاب فانطلق عمر
الى الرجل الذي قال ذلك فقال بئسما به وخنقه وقاده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الرجل انما كنا نخوض ونلعب قوله فقال له عوف ابن مالك كذبت ولكنك منا
فق فيه المبادرة في الانكار والشدة على المنافقين وجواز وصف الرجل بالنفاق اذا
قال او فعل ما يدل عليه قوله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ان هذا وما الشبهه
لا يكون غيبة ولا نميمة بل من النصح لله ورسوله فينبغي الفرق بين الغيبة والنميمة وبين
النصيحة لله ورسوله فذكر افعال المنافقين والفساد لولاة الامور ليزجروهم ويقيموا
عليهم احكام الشريعة ليس من الغيبة والنميمة في شيء قوله فوجد القران قد سبقه
اي جاءه الوحي من الله بما قالوه في هذه الاية ولئن سئلتهم ليقولن انما كنا نخوض و
نلعب وفيه دلالة على علم الله سبحانه وعلى قدرته والهيبة وعلى ان محمدا رسول الله قوله
فجاء ذلك الرجل قد تقدم انه ابن ابي كما رواه ابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابن عمر لكن
رده ابن القيم فالله اعلم قوله فقال يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث
الركب نقطع به عنا الطريق اي لم نقصد حقيقة الاستهزاء وانما قصدنا الخوض و
اللعب والمراد الهزل لا الجد ونتحدث كما يتحدث الركبان اذا ركبوا راحلتهم
وقصدوا ترويح انفسهم وتوسيع صدورهم ليسهل عليهم السفر وقطع الطريق
قوله بنسعة بكسر النون قال ابو السعادات هو سير مضفور يجعل زماما للبعير
وغيره وقد تنسج عريضة تجعل على صدر البعير قوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابالله وايا ته ورسوله كنتم تستهزؤن الخ اراد صلى الله عليه وسلم انه ليس لهم عذر

لان هذا لايدخله الخوض واللعب لان هذه الاشياء مما تحرم وتعظم ويخشع عندها ايمانا
بالله وتصديقا لرسوله وتعظيما لاياته وتوقيرا لرسوله صلى الله عليه وسلم فالمقابل
لها بالخوض واللعب واضع له في غير محله منتقص له ولاياته ولرسوله ولا يكون معذورا
قوله ما يلتفت اليه فيه الغلظة على اعداء الله وعدم المبالات بهم قوله ومايزيده عليه
فيه الاقتصار على النص والاعراض عن مجادلة المبطلين وفيه ان من الاعذار ما لا
ينبغي ان يقبل فان قلت كيف لم يقتلهم صلى الله عليه وسلم قيل لم يكن صلى الله عليه وسلم
يقتل المنافقين اذا ظهر نفاقهم وان كان قتلهم جائزا خشية ان يتحادث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه كما بينه هو صلى الله عليه وسلم فكان في ترك قتلهم مصلحة تاليف
الناس على الاسلام واستيلاف عشائرهم المسلمين ايضا باب ماجاء في
قول الله تعالى ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي الاية
المراد والله اعلم بهذه الترجمة التنبيه على ان ما يحصل للعبد من النعم فهو مجرد فضل الله
واحسانه عليه من غير استحقاق من العبد لذلك فانه اذا عرف نفسه وعلم ضعفها
وفقرها وحاجتها وفاقتها واضطرارها الى فاطرها ومعبودها الذي لا غناء لها عنه
طرفة عين وان جميع النعم منه وحده منة منه وفضلا وجودا وكرما وانه لو خلى ونفسه
لما قدر على شربة ماء فضلا عن غيرها ولكن الانسان لظلمه وجهله لا يعلم ذلك الا ان
يتداركه الله برحمة وان علم ذلك من حيث الاجمال فانه يغيب عنه عند التفصيل كما يقع
لكثير من الناس اذا حصلت له النعمة ظن ان ذلك بتحصيله وكده فنسبها الى نفسه وا
ستكبر ونسي فاطره ومولاه الحق كما قال تعالى واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه
فاذا علم ذلك استفاد فوائد جليلة منها محبة الرب على احسانه وجوده وكرمه و
منها الحذر احتقار النفس واستصغارها واستكانتها وتواضعها عند النعم لمولاها
الحق ومنها الحذر من كفر النعم ونسبتها الى تعبه وكده وتحصيله كما فعل الاقرع
واما معنى الاية فانه اخبر تعالى عن الانسان انه اذا اصابته رحمة من الله من مال وعيال

او غير ذلك من اصناف النعم ليقولن هذا لي حصلته بسعيي واجتهادي فنسبها الى نفسه
ولا ينسبها الى ربه وهذا معنى ما ذكره المصنف عن مجاهد هذا بعملي وانا محقوق به يعني
ان ما حصل لي هذا المال بسعيي في التجارة وانواع التكسب وعلمي بالاسباب الجالبة للربح
وانا محقوق به اي مستحق لذلك المال فظاهر كلام مجاهد ان القائل بسبب الاعطا الى ربه
وسببه فجعل السبب في جميع المال بسعيه والمعطي لذلك هو الله لكنه استدل بذلك على ان الله
انما اعطاه هذا المال لكرامته عليه ولهذا قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي
ان لي عنده للحسنى

بياض في المنسخ

كلام الحسن بحال ويؤيد ذلك ان الحسن
نفسه روى عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما ولدت حوى طاف بها ابليس وكان لا
يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان وامره رواه ا
احمد والترمذي وحسنه وابن جرير والحاكم وصححه ولهذا ذكر الضمير في اخرها بصيغة الجمع
استطرادا من ذكر الشخص الى الجنس ومعنى الاية انه تعالى يخبر عن عبد الجنس الانساني
وما هو فيه من عجائب القدرة فاوجد هذا الجنس على كثرته واختلاف انواعه من نفس وا
حدة وهو ادم عليه السلام وجعل منها زوجها ليسكن اليها اي يألفها ويطمئن اليها
كما قال تعالى ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها الاية فلما تغشاها اي
وطاها حملت حملا خفيفا وذلك الحمل لا تجد المرأة له ألما انما هي النطفة ثم العلقة ثم المضغة
قوله مرت به قال مجاهد استمرت عليه وقال مهران استخفته وقال ابن جرير استمرت بالماء
به وقعدت فلما اثقلت اي صارت ذات ثقل بحملها قال السدي كبر في بطنها دعوا الله هي
اي ادم وحوا عليهما السلام دعوا الله لئن اتيتنا صالحا بشرا سويا قال ابن عباس اشفقا
ان يكون بهيمة لتكونن من الشاكرين اي لنشكرنك على ذلك انتهى ملخصا من ابن كثير وفيه بعض
زيادة قوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء اي لله شركا فيما اتاهما اي لم يقوما بشكر ذلك
على الوجه المرضي كما وعد بذلك بل جعلا لله شركاء فيما اعطاهما من الولد الصالح والبشر السوي
بان سمياه عبد الحارث فان من تمام الشكر الا يعبد الا الله واذا تاملت سياق

الكلام من اوله الى اخره مع ما فسره به السلف تبين قطعا ان ذلك في ادم وحوى عليهما السلام
فان فيه غير موضع يدل على ذلك والعجب ممن يكذب بهذه القصة ويتسى ما جرى اول مرة ويكابر
بالتفاسير المبتدعة ويترك تفاسير السلف واقوالهم وليس المحذور في هذه القصة باعظم
من المحذور في المرة الأولى وقوله فتعالى الله عما يشركون هذا والله اعلم عائد الى المشركين
من الذرية فاستطرد من ذكر الشخص الى الجنس وله نظائر في القرآن قوله قال ابن حزم هو
ابو محمد علي ابن احمد ابن سعيد ابن حزم الظاهري المشهور صاحب كتاب الاجماع والايصال
والمحلى وغيرها من المصنفات قوله اتفقوا الظاهر ان المراد اجمعوا فنقصوده حكاية
الأجماع لا حكاية الاتفاق على طريق المتاخرين قوله حاشى عبد المطلب قال ابن القيم لا تحل
التسمية بعبد علي وعبد الحسين ولا عبد الكعبة وقد روى ابن ابي شيبة عن هانئ ابن شريح
قال وفد على النبي صلى الله عليه وسلم قوم فسمعهم يسمون رجلا عبد الحجر فقال له ما اسمك
قال عبد الحجر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت عبد الله قيل فكيف يتفقون على
تحريم الأسم المعبد لغير الله وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم تغير عبد الدينار الحديث وصح انه
قال انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فالجواب اما قوله تغير عبد الدينار فلم يرد الاسم
وانما اراد به الوصف والدعاء على من يعبد قلبه للدينار والدرهم فرضي بعبوديتهما عن
عبودية ربه تبارك وتعالى واما قوله انا ابن عبد المطلب فهذا ليس من باب انشاء التسمية
بذلك وانما هو من باب الاخبار بالاسم الذي عرف به المسمى دون غيره والاخبار بمثل ذلك
على وجه تعريف المسمى لا يحرم ولا وجه التخصيص ابي محمد ذلك بعد المطلب خاصة فقد كان
اصحابه يسمون بني عبد شمس وبني عبد الدار باسمائهم وينكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك فالأخبار اوسع من باب الانشاء فيجوز فيه ما لا يجوز في الأنشاء انتهى ملخصا
وهو حسن ولكن بقي اشكال وهو ان في الصحابة من اسمه المطلب ابن ربيعة ابن الحارث ابن
عبد المطلب فالجواب اما من اسمه عبد شمس فغيره النبي صلى الله عليه وسلم الى عبد الله كما ذكروا ذلك
في تراجمهم واما عبد المطلب ابن ربيعة فذكر ابن عبد البر ان اسمه عبد المطلب وقد كان

على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يغير اسمه فيما علمت وقال الحافظ وفيما قاله
نظر فان الزبير ان بكار اعلم من غيره بنسب قريش ولم يذكر اسمه الا المطلب وقد ذكر
العسكري ان اهل النسب انما يسمونه المطلب واما اهل الحديث فمنهم من يقول المطلب
ومنهم من يقول عبد المطلب واما عبد اسيد ابو اركانة فذكره الذهبي في التجريد وقال
ابو اركانة طلق امراته وهذا لا يصح والمعروف ان صاحب القصة ركانة وروى حديثه
ابو داود وفي السنن عن ابن عباس قال طلق عبد يزيد ابو اركانة واخوة ام ركانة
وذكر الحديث ثم قال وحديث نافع ابن عجير وعبد الله بن علي ابن يزيد ابن ركانة عن
ابيه عن جده ان ركانة طلق امراته فجعلها النبي صلى الله عليه وسلم واحدة اصح لانهم
ولد الرجل واهله وهم اعلم به فقد تبين انه ليس في الصحابة من اسمه معبد لغير الله الا و
غيره النبي صلى الله عليه وسلم او من لا يصح تسميته بذلك او لا يصح له صحبة فعلى هذا لا تجوز
التسمية بعبد المطلب ولا غيره مما عبد لغير الله وكيف تجوز التسمية وقد اجمع العلماء على تحريم
التسمية بعبد النبي وعبد الرسول وعبد المسيح وعبد علي وعبد الحسين وعبد الكعبة لوجا
زت التسمية به وايضا فقد نهض النبي صلى الله عليه وسلم على ان التسمية بعبد الحارث من
وحي الشيطان وامره وعبد المطلب كعبد الحارث لا فرق بينهما الا ان اصدق الأسماء
الحارث وهمام فلعله اولى بالجواز لا يقال ان الحارث اسم للشيطان لانه وان كان اسما له
فلا فرق في ذلك بين جميع من اسمه الحارث فلا يجوز التسمية به وان نوى به عبد الحارث
ابن هشام او غيره فان قلت اذا كان ابن حزم قد حكى الأجماع على جواز التسمية بعبد المطلب
فكيف يجوز خلافه قلت كلام ابن حزم ليس صريحا في حكاية الاجماع على جواز ذلك بعد
المطلب فان لفظ واتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد العزى وعبد هبل وعبد عمر
وعبد الكعبة وما اشبه ذلك حاشا عبد المطلب واتفقوا على اباحة كل اسم بعد ما ذكرنا
مالم يكن اسم نبي او اسم ملك الا هو كلامه فيحتمل ان مراده حكاية الخلاف فيه ويكون النقد
اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله حاشى عبد المطلب اي فانهم لم يتفقوا على تحريمه بل

اختلفوا ويؤيده انه قال بعده واتفقوا على اباحة كل اسم بعد ما ذكر الى اخره ويكون المراد
حاشية عبد المطلب فلا احفظ ما قالوا فيه ويكون سكوتا منه عن حكاية اجماعا او خلاف
فيه وعلى تقدير ان مراده حكاية الاجماع على جواز ذلك فليس كل من حكى اجماعا يسلم له
ولا كل اجماع يكون حجة ايضا فكيف والخلاف موجود والسنة فاصلة بين المتنازعين و
وغاية حجة من اجازه قوله صلى الله عليه وسلم انا ابن عبد المطلب ونحوه او ان بعض الصحابة
اسمه عبد المطلب وقد تقدم الجواب عن ذلك وايضا فلو كان قوله انا ابن عبد المطلب
حجة على جواز التسمية بعبد مناف ولكن فرق بين انشاء التسمية وبين الاخبار بذلك
عمن هو اسمه قوله في الاية اي المترجم لها قوله لما تغشاها اي جوى اي وطئها ادم
عليهما السلام قوله اولا جعلن له اي الولد كما قوله قرني ايل هو بالتثنية او الا
ضافة وايل بفتح الهمزة وكسر المثناة التحتية المشددة ذكر الاوعال والمعنى انه يخوفهما الولد
قرني وعل فيخرج من بطنها فيشقه كما قال فيخرج من بطنك فيشقه قوله ولا فعلن ولا
فعلن يخوفهما اي يخوفهما بغير ما ذكر ويزعم انه يفعل بهما غير ذلك قوله سمياه عبد الحارث
قال سعيد ابن جبير كان اسمه في الملائكة الحارث وكان مراده ان سمياه بذلك ليكون
قد وجد له صورة الاشراك به فان هذا باب من كيد ابليس اذا عجز عن الادمي ان يوقعه في
المعصية الكبيرة قنع منه بالصغيرة وايضا فانه يحصل له منها طاعة كما اطاعاه اول مرة كما
روى ابن جرير وابن ابي حاتم عن عبد الرحمن ابن زيد ابن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خدعهما مرتين قال زيد خدعهما في الجنة وخدعهما في الارض قوله فابيا ان يطيعاه فخرج ميتا
الخ هذا والله اعلم من الامتحان فان الانسان لا ازم له وان عاين ما ذا عساه ان يعاين
من الايات الا بتوفيق الله فان الطبيعة البشرية تغلب عليه كما غلب على الابوين مرتين مع
ما وقع لهما قبل من التحذير والانذار عن كيد ابليس وعداوته لهما ومع ذلك ادركهما حب
الولد فسمياه عبد الحارث وكان ذلك شركا في التسمية وان لم يقصد العبيدة للشيطان
بل قصد به فيما ظنا ما دفع شره عن حوى واما الخوف على الولد من الموت كما روى عبد

ابن حميد وابن ابي حاتم عن ابي ابن كعب قال لما حملت حوى اتاها الشيطان فقال اتطيعيني
ويسلم لك ولدك سميه عبد الحارث فلم تفعل فولدت فمات ثم حملت فقال لها مثل ذلك
فلم تفعل ثم حملت الثالثة فقال اتطيعيني ويسلم لك والا فانه يكون بهيمة فحبلها فاطا
عاه رواه ابن ابي حاتم قلت واسناده صحيح ورواه ايضا سعيد ابن منصور وابن المنذر
وعن ابن عباس قال كانت حوى تلد لادم فتعبدهم لله وتسميه عبد الله وعبيد الله ونحو
ذلك فيصيبهم الموت فاتاها ابليس وادم فقال انكما تسميانه بغير اسمه لعاش
فولدت له رجلا فسماه عبد الحارث ففيه انزل هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى اخر
الاية رواه ابن مردويه قوله شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته اي لكونهما اطاعاه
في التسمية بعبد الحارث لانهما عباداه فهو دليل على الفرق بين شرك الطاعة وشرك
العبادة قال بعضهم تفسير قتادة في هذه الاية بالطاعة لان المراد بها على كلام كثير
من المفسرين ادم وحوى عليهما السلام فناسب تفسيرها بالطاعة لانهما اطاعا الشيطان
في تسمية الولد بعبد الحارث وقد استشكله بعض المعاصرين بما حاصله انهم قد فسروا
العبادة بالطاعة فيلزم على قول قتادة ان يكون الشرك في العبادة والجواب ان تفسير
العبادة بالطاعة من التفسير باللازم فان لازم العبادة ان يكون العابد مطيعا لمن
عبده بها فلذا فسرة بالطاعة او يقال هو من التفسير باللزوم وارادة اللازم اي
لما كانت الطاعة ملزوما للعبادة والعبادة لازمة لها فلا تحصل الا بالطاعة جاز تفسيرها
بذلك وهو واضح وبالجملة فلا اشكال في ذلك بحمد الله فان قلت قد سمى النبي صلى الله عليه
وسلم طاعة الاحبار والرهبان في معصية الله عبادة قلت راجع الكلام على حديث عدي
يتضح الجواب قوله اشفقا اي خافا اي ادم وحوى ان لا يكون انسانا قال ابو صالح
اشفقا ان يكون بهيمة فقالا لئن اتيتنا بشرا سويا رواه ابن ابي حاتم في هذا ان هبة الله
للرجل البنت السوية من النعم ذكره المصنف وذلك ان الله سبحانه قادر على ان يجعلها
غير سوية او ان يجعلها من غير الجنس فلا ينبغي للرجل ان يتسخط ما وهبه الله له كما

بفعل اهل الجاهلية بل يحمد الله الذي جعلها بشرية سوية ولهذا كانت عائشة رضي الله عنها
اذا بشرت بمولود لم تسأل الا عن صورته لا عن ذكوريته وانوثيته

وحدناه بياض

قوله وذكر اي ذكر ابن ابي حاتم فانه روى ذلك عن ذكر المصنف معناه عن الحسن
هو البصري قوله وسعيد ابن جبير وغيره كالسدي وغيره باب قول الله تعالى ولله
الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه الاية يخبر تعالى ان له اسماء
وصفها بكونها حسنى اي حسان وقد بلغت الغاية في الحسن فلا احسن منها كما يدل عليه
من صفات الكمال ونعوت الجلال فاسماؤه الدالة على صفاته هي احسن الأسماء واكملها
فليس في الأسماء احسن منها ولا يقوم غيرها مقامها وتفسير الأسم منها بغير ليس تفسيرا بمرادف
محض بل هو على سبيل التقريب والتفهيم فلم من كل صفة كمال احسن اسم واكمله وامتد معنى
وابعده وانزهه عن شائبة نقص فلم من صفة الادراكات العليم الخبير دون العاقل
الفقيه والسميع البصير دون السامع والباصر ومن صفات الاحسان البر الرحيم الودود دون
الرفيق والشفيق والمشوق وكذلك العلي العظيم دون الرفيع الشريف وكذلك الكريم
دون الصفح والخالق البارئ المصور دون الفاعل الصانع المشكل والعفو الغفور دون
الصفوح الساتر وكذلك سائر اسمائه تعالى يجري على نفسه اكملها واحسنها ولا يقوم غيره
مقامه فاسماؤه احسن الاسماء كما ان صفاته اكمل الصفات فلا نعدل عما سمى به نفسه
لا غيره كما لا نتجاوز ما وصف به نفسه ووصف به رسوله صلى الله عليه وسلم الى ما وصفه به
المبطلون ومن هنا يتبين لك خطأ من اطلق عليه اسم الصانع والفاعل والمريد ونحوها لان
اللفظ الذي اطلقه سبحانه على نفسه واخبر به عنها اتم من هذا واكمل واجل شانا فانه يوصف من
كل صفة كمال باكملها واجلها واعلاها فيوصف من الارادة باكملها وهو الحكمة وحصول كل
ما يريد بارادته كما قال تعالى فعال لما يريد وبالارادة اليسر للعسر كما قال تعالى يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر وبارادة الاحسان وتمام النعمة على عباده كقوله والله يريد ان يتوب
عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما فارادة التوبة له وارادة

الميل

الميل لمتبعي الشهوات وقوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته
عليكم وكذلك العليم الخبير اكمل من الفقيه العارف والكريم الجواد اكمل من السخي والرحيم
اكمل من الشفيق والخالق البارئ المصور اكمل من الفاعل الصانع ولهذا لم تجيء هذه في اسمائه
الحسنى فعليك بمراعاة ما اطلقه سبحانه على نفسه من الاسماء والصفات ولو قوف معها
وعدم اطلاق ما لم يطلقه على نفسه ما لم يكن مطابقا لمعنى اسمائه وصفاته وحينئذ فيطلق
المعنى لمطابقته لها دون اللفظ ولا سيما اذا كان مجملا او منقسما الى ما يمدح به وغيره فانه لا
يجوز اطلاقه الا مقيدا وهذا كلفظ الفاعل والصانع فانه لا يطلق عليه في اسمائه الحسنى
الا اطلاقا مقيدا كما اطلقه على نفسه كقوله فعال لما يريد ويفعل الله ما يشاء وقوله
صنع الله الذي اتقن كل شيء فان اسم الفاعل والصانع منقسم المعنى الى ما يمدح عليه ويذم
فلهذا المعنى والله اعلم لم يجيء في الاسماء الحسنى المريد كما جاء فيها السميع البصير والمتكلم
الامر الناهي لانقسام مسمى هذه الاسماء بل وصف نفسه بكمالاتها وشرف انواعها ومن هنا
يعلم غلط بعض المتاخرين وزلقة الفاحش في اشتقاقه له سبحانه من كل فعل اخبر به
عن نفسه اسما مطلقا وادخله في اسمائه الحسنى فاشتق الاسم الماكر والمخادع والفاتن والمضل
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا انتهى ملخصا من كلام الامام ابن القيم وفيه فصل الخطاب
في اسماء الله الحسنى هل هي توقيفية ام لا وحاصله ان ما يطلق عليه من باب الأسماء والصفات
توقيفي وما يطلق من باب الاخبار لا يجب ان يكون توقيفيا كالقديم والشيء والموجود و
القائم بنفسه والصانع ونحو ذلك فادعوه بها اي اسالوه وتوسلوا اليه بها كما تقول اغفر لي
وارحمني انك انت الغفور الرحيم فان ذلك من اقرب الوسائل واجلها اليه كما في المسند والترمذي
الطبراني باذي الجلال والاكرام والحديث الاخر سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو وهو يقول
اللهم اني اسالك باني اشهد انك انت الله لا اله الا انت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفوا احد فقال والذي نفسي بيده لقد سال الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به اجاب
واذا سئل به اعطى رواه الترمذي وغيره وقوله عليه السلام اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك

وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك حديث صحيح
رواه مسلم وغيره ومنه اللهم اني اسئلك بان لك الحمد لا اله الا انت الحنان المنان بديع السموات
والارض يا ذا الجلال والاكرام رواه الترمذي بنحوه واللفظ لغيره سوال قال ابن القيم فهذا سؤال
له وتوسل اليه بحمده وانه لا اله الا هو المنان فهو توسل اليه باسماءه وصفاته وما احق ذلك
بالاجابة واعظم موقعا عند السؤال واعلم ان الدعاء بها احد مراتب احصاؤها الذي
قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة رواه البخاري
وغيره وهي ثلاث مراتب المرتبة الاولى احصاء الفاظها واسماءها وعددها المرتبة الثانية فهم
معانيها ومدلولها المرتبة الثالثة دعاءه بها كما في الاية وهو نوعان دعاء ثناء وعبادة ودعاء
طلب ومسئلة فلا يثنى عليه الا باسماءه الحسنى وصفاته العليا وكذلك لا يسئل الا بها فلا
يقال يا موجودا ويا شيء ويا ذات اغفر لي بل يسال في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك
المطلوب فيكون السائل متوسلا اليه بذلك الاسم ومن تامل ادعية الرسل لا سيما خاتمهم عليه
وعليهم السلام وجدها مطابقة لهذا كما تقول رب اغفر لي وارحمني انك انت الغفور الرحيم وكما تحسن
انك انت السميع العليم البصير ولكن اسماءه تعالى منها ما يطلق عليه مفردا وهو غالب الاسماء
كالقدير والسميع والبصير والحكيم فهذا يسوغ ان يدعا به مفردا ومقترنا بغيره فتقول يا عزيز
يا حكيم يا قدير يا سميع يا بصير وان انفرد كل اسم وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه وبه يسوغ
لك الافراد والجمع ومنها ما يطلق عليه مفردا بل مقرونا بمقابله كالمانع والضار والمنتقم والمذل
فلا يجوز ان يفرد هذا عن مقابلة فانه مقرون بالمعطي والنافع والعفو والعزيز والمعز فهو
المعطي المانع الضار النافع المنتقم العفو المعز المذل لان الكمال في اقتران كل اسم من هذه
بمقابلة لانه يراد به انه المتفرد بالربوبية وتدبير الخلق والتصرف فيهم اعطاء ومنعا ونفعا
وضرا وعفوا وانتقاما واعزازا واذلالا فاما الثناء عليه بمجرد المنع والانتقام والاضرار
فلا يسوغ فهذه الاسماء المزدوجة يجري الاسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل
بعض حروفه من بعض ولذلك لم يجيء مفردة ولم تطلق عليه الا مقترنة فلو قلت يا ضار

يا مانع

يا مانع يا مذل لم تكن مثنيا عليه ولا حامدا له حتى تذكر مقابلها انتهى ملخصا من كلام
ابن القيم وفيه بعض زيادة وبه يظهر الجواب عما قد يرد على ما سيق ذكر الاسماء الحسنى
التي ورد عددها في الحديث لما كان احصاء الاسماء الحسنى والعلم بها اصل العلم بكل
معلوم وكانت سعادة الدنيا والاخرة موقوفة عليها فاحصل من اثارها للعباد هو
الذي اوجب لهم دخول الجنة ولهذا جاء الحديث الصحيح المتفق عليه ان من احصاها
دخل الجنة وذكر مراتب الاحصاء كان العبد محتاجا بل مضطرا الى معرفتها فوق كل ضرورة
وقد قيل ان الله تعالى ذكرها كلها في القرآن ولا ريب ان الله تعالى ذكر اكثرها بلفظها
ولم يذكره بلفظه في القرآن ما يدل عليه قال الترمذي ثنا ابراهيم بن يعقوب ثنا صفوان
بن صالح ثنا الوليد ابن مسلم ثنا شعبة ابن ابي حمزة عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها
دخل الجنة هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن
العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم
القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم
العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع
الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ
المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الاحد الصمد القادر المقتدر المقدم
المؤخر الاول الاخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك
الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي
البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور هذا حديث غريب جدا لا نعرفه الا من حديث صفوان
بن صالح ولا نعرفه الا من حديث صفوان ابن صالح وهو ثقة عند اهل الحديث وقد روى
هذا الحديث من غير وجه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعلم في كبير شيء
من الروايات ذكر الاسماء الحسنى الا في هذا الحديث وقد روى ادم عن ابي اياس هذا الحديث

باسناد غير هذا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر فيه الأسماء وليس له اسناد صحيح
قلت يشير الى عدد الأسماء سردا والا فصدر الحديث متفق عليه وقد اخرجه بالعدد المذ
كور ابن المنذر وابن خزيمة في صحيحه وابن حبان والطبراني والحاكم في المستدرك وغيرهم به
ولم يذكر فيها المعطي واسناده صحيح ولكن المستغرب منه ذكر العدد ورواه ابن ماجة
من طريق عبد الملك ابن الصنعاني عن زهير ابن محمد التميمي عن موسى ابن عقبة عن الاعرج
وساق الأسماء وخالف سياق الترمذي والترتيب والزيادة والنقص فاما الزيادة
في الباري الراشد البرهان السديد الوالي القائم الحافظ الناظر السامع المعطي الابد
المنير التام القديم الوتر وعبد الملك لين الحديث وزهير مختلف فيه وحديث الوليد
اصح اسناد واحسن قياسا واجدر ان يكون مرفوعا ولهذا قال النووي هذا حديث حسن
قال بعضهم ولعلة في كونهما لم يخرجاه بذكر الأسامي تفرد الوليد ابن مسلم بذكر زيادة الأ
سماء ولم يذكرها غيره وهذا ليس بعلة فالوليد ابن هلم عالم الشاميين ثقة وقد قيل ان
العدد المذكور مدرج قال في الارشاد وما معناه ذكر جماعة من الحفاظ المحققين المنقبين
ان سرد الأسماء في حديث ابي هريرة مدرج فيه وان جماعة من اهل العلم جمعوها من
القرآن كما روي ذلك عن جعفر ابن محمد وسفيان ابن عيينة والبي يزيد اللغوي وقال البيهقي
يحتمل ان يكون التفسير للاسماء وقع من بعض الرواة ولهذا الاحتمال ترك الشيخان اخراج
حديث الوليد في الصحيح قال في البدر والدليل على ذلك وجهان احدهما ان اصحاب
الحديث لم يذكروها والثاني ان فيها تغيير ا بزيادة ونقصان وذلك لا يليق بالمرتبة
العليا النبوية كذا قال وفيه نظر فان الزيادة والنقصان قد تكون من الرواة وان
كان الحديث صحيحا كما في غير ذلك من الاحاديث وقد رواه الطبراني في الدعاء والحاكم و
غيرهما فزاد والرب الاله الحنان المنان البارئ وفي لفظ القائم الفرد وفي لفظ القادر
بدل الفرد الغيث الدائم الحميد وفي لفظ الجميل الصادق المولى النصير المنير القديم الوتر الفاطر
العلام المليك الاكرم المدبر المالك الشاكر الرفيع ذو الطول ذو المعارج ذو الفضل

الخلاق

الخلاق ولا اظنه يثبت وان كان بعض العدد صحيحا وعد جعفر بن محمد منها المنعم المتفضل
السريع وقال ابن حزم جاءت في احصائها احاديث مضطربة لا يصح منها شيء اصلا ونقل
عنه انه قال صح عندي قريبا من ثمانين اسما استمل عليها الكتاب والصحاح من الاء
خبار فيطلب الباقي بطريق الاجتهاد وقال القرطبي في شرح الاسماء الحسنى العجب من ابن
حزم ذكر من الأسماء الحسنى نيفا وثمانين فقط والله يقول ما فرطنا في الكتاب من
شيء ثم ساق ما ذكره ابن حزم وفيه من الزيادة على ما تقدم الرب الاله الأعلى الاكبر
الاعز السيد السبوح الوتر المحسن الجميل الرفيق الدهر وقد عدها الحافظ فزاد الخفي السريع
الغالب العالم الحافظ المستعان وفي هذا نظر بفهم مما تقدم وان كان قد ذكر بعضها
فيما لا يثبت من الحديث فهذه خمسة وستون اسما قربها من جهة الاسناد سياق الترمذي
وما عدا ذلك ففيه اسماء صحيحة ثابتة وفي بعضها توقف وبعضها خطأ محض كالا
بد والناظر والسامع والقائم والسريع فهذه وان ورد عدادها في بعض الاحاديث
فلا يصح ذلك اصلا وكذلك الدهر والفعال والفالق والمخرج والعالم مع ان هذه لم
ترد في شيء من الاحاديث الا حديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وقد مضى معنا
وبينا خطأ ابن حزم في عده من الأسماء الحسنى هناك واعلم ان الاسماء الحسنى لا تدخل
تحت حصر ولا تحد بعدد فانه لله تعالى اسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب
عنده لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل كما في الحديث الصحيح اسئلك بكل اسم هو
لك سميت به نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استأثرت به
في علم الغيب عندك رواه احمد وابن حبان في صحيحه وغيرهما قال ابن القيم فجعل اسمائه
ثلاثة اقسام قسم سمى به نفسه فاظهره لمن شاء من ملائكته او غيرهم ولم ينزل به كتابه
وقسم انزل به كتابه وعرف به الى عباده وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يطلع عليه احدا من
خلقه ولهذا قال استأثرت به اي انفردت بعلمه وليس المراد انفراده بالمسمى به لان
هذا الانفراد ثابت في الاسماء التي انزل بها كتابه ومن هذا قوله عليه السلام في حديث

الشفاعة فيفتح علي من محامده بما لا اعلمه الان وتلك المحامد هي باسمائه وصفاته
ومنه قوله لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك واما قوله صلى الله عليه وسلم
ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة فالكلام جملة واحده وقوله من احصاها
دخل الجنة صفة لاخبر مستقبل والمعنى له اسماء متعدده من شانها ان من احصاها دخل
الجنة وهذا لاينفي ان يكون له اسماء غيرها وهذا كما تقول لفلان مائة مملوك
قد اعدهم للجهاد فلا ينفي ان يكون له مماليك سواهم معدين لغير الجهاد وهذا الاخلاف
بين العلماء فيه قوله وذروا الذين يلحدون في اسمائه هو العدول بها وبحقائقها و
ومعانيها عن الحق الثابت لها وهو ما هو ذو من الميل كما يدل عليه مادة لحد ومنه اللحد
وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط ومنه اللحد في الدين المائل عن الحق
الى الباطل اذا عرف هذا فالحاد في اسمائه احدها ان يسمي الاصنام بها كتسميتهم اللات
من الاله والعزى من العزيز وتسميتهم الصنم الها وهذا الالحاد حقيقة فانهم عدلوا بها
سمائه الى اوثانهم والهتهم الباطلة الثاني تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له ابا
وتسمية الفلاسفة له موجبا بذاته او علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك وتالهها وصفه بما
يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقوله احبت اليهود انه فقير وقولهم انه استراح بعد
ان خلق خلقه وقولهم يد الله مغلولة وامثال ذلك مما هو الحاد في اسمائه وصفاته و
رابعها تعطيل الاسماء الحسنى عن معانيها وجحد حقايقها كقول من يقول من الجهمية
واتباعهم انها الفاظ مجرده لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع البصير
والحي والرحيم والمتكلم ويقولون لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا ارادة تقوم
به وهذا من اعظم الالحاد فيها عقلا وشرعا ولغة وفطرة وهو يقابل الحاد المشركين
فان اولئك اعطوا اسمائه وصفاته لا لهتهم وهؤلاء سلبوا كماله وجحدوها وعطلوها
وكلاهما الحد في اسمائه ثم الجهمية وفروعهم متفاوتون في هذا الالحاد فمنهم الغالي
والمتوسط والمقلون وكل من جحد شيئا مما وصف الله به نفسه او وصفه به رسوله

اي اتركوهم واعرضوا عن مجالستهم قال الزجاج هذا وعيد والالحاد في اسمائه ميل

صلى الله عليه وسلم فقد الحد بذلك فليقل او ليستكثر وخامسها تشبيه صفاته
بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علوا كبيرا فهذه الالحاد في مقابلة
الحاد المعطلة فان اولئك نفوا صفات كماله وجحدوها وهؤلاء شبهوها بصفات
خلقه فجمعهم الالحاد وتفرقت بهم طرقه وبرا الله اتباع رسوله وورثته العالمين
بسنته عن ذلك كله فلم يصفوا الا بما وصف به نفسه ولم يجحدوا صفاته ولم
يشبهوها بصفات خلقه ولم يعدلوا بها عما انزلت عليه لفظا ولا معنا بل اثبتوا له
الاسماء والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات وكان اتباعهم بريئا من
التشبيه وتنزيههم خليا من التعطيل لا كمن شبه كانه يعبد صنما او عطل حتى كانه
لا يعبد الا عدما واهل السنة وسط في النحل كما ان اهل الاسلام وسط في الملل توقد
مصابيح معارفهم من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو
لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء قوله سيجزون ما كانوا يعملون
وعيد وتهديد قوله يلحدون في اسمائه يشركون اي يشركون غيره في اسمائه كتسميتهم
الصنم الها ويحتمل ان المراد الشرك في العبادة لان اسماءه تعالى تدل على التوحيد فالاء
شرك بغيره الحاد في معاني اسمائه سبحانه وتعالى لا سيما مع الاقرار بها كما كانوا يقرون
بالله ويعبدون غيره فهذا الاسم وحده اعظم الادلة على التوحيد فمن عبد غيره فقد
الحد في هذا الاسم وعلى هذا بقية الاسماء وهذا الاثر لم يروه ابن ابي حاتم عن ابن عباس
انما رواه عن قتادة فاعلم ذلك قوله وعنه سموا اللات من الالهة والعزى من
العزيز هذا الاثر معطوف على سابقه اي رواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس وكذلك
الاثر الثاني عن العوفي معطوف على سابقه اي رواه ابن ابي حاتم عنه والاعمش اسمه
سليمان ابن مهران ابن محمد الكوفي الفقيه ثقة حافظ ورع مات سنة ٧ ٤ ٨ او كان
مولده اول سنة ٦١ قوله يدخلون فيها ما ليس منها اي كتسمية النصارى له ابا
ونحو كما سبق وقوله باب لا يقال السلام على الله قوله لما كان حقيقة لفظ الاء

السلام السلامة البرائة والخلاص والنجاة من الشر والعيوب فاذا قال المسلم السلام عليكم
فهو دعاء للمسلم عليه وطلب له ان يسلم من الشر كله والله هو المطلوب منه لا المطلوب له
وهو المدعو الا المدعو له وهو الغني له ما في السموات وما في الارض استحال ان يسلم عليه
سبحانه وتعالى بل هو المسلم على عباده كما قال تعالى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين
اصطفى وقال وسلام على المرسلين وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام فهو السلام ومنه
السلام لا اله غيره ولا رب سواه قال وفي الصحيح عن ابن مسعود قال اذا كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا السلام على الله من عباده السلام على فلان وفلان
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولوا السلام على الله فان الله هو السلام وقوله في الصحيح
اي الصحيحين قوله قلنا السلام على الله اي يقولون ذلك في التشهد الاخير كما هو
مصرح به في بعض الفاظ الحديث كنا نقول قبل ان يفرض التشهد السلام على الله فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله هو السلام ولكن قولوا التحيات لله قوله فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا تقولوا السلام على الله والله اعلم لما تقدم ولان السلام اسمه كما يرشد اليه
اخر الحديث قوله فان الله هو السلام انكر عليه السلام التسليم على الله واخبر ان ذلك
عكس ما يجب له سبحانه فان كل سلام ورحمة ومنه فهو مالكها ومعطيها وهو السلام
قال ابن الانباري امرهم ان يعرفوا الى الخلق لحاجتهم الى السلامة وقال غيره وهذا كله
حماية منه صلى الله عليه وسلم لجناب التوحيد حتى يعرف الله تعالى ما يستحقه من الاسماء والصفات
وانواع العبادات السلام على فلان وفلان اختلف العلماء
في معنى السلام المطلوب عند التحية على قولين احدهما ان المعنى اسم السلام عليكم هنا هو الله
عز وجل ومعنى الكلام تولت كت اسم السلام عليكم وحملت عليكم فاخبرني هذا المعنى من
اسمائه اسم السلام دون غيره ويدل عليه قوله في اخر الحديث قوله فان الله هو
السلام فهذا صريح في كون السلام اسما من اسمائه فاذا قال المسلم السلام عليكم كان
معناه اسم السلام عليكم يدل عليه ما رواه ابو داود عن ابن عمر ان رجلا سلم على النبي صلى الله
عليه وسلم فلم يرد عليه حتى استقبل الجدار ثم تيمم ورد عليه وقال اني كرهت ان اذكر الله الا

بياض في الأصل

على طهور فهذا بيان ان السلام ذكر لله وانما يكون ذكرا اذا تضمن اسما من اسمائه الثاني ان
السلام مصدر بمعنى السلامة وهو المطلوب بالمدعو به عند التحية لانه ينكر بالف ولام فيجوز ان
يقول المسلم سلام عليكم ولو كان اسما من اسمائه تعالى لم يستعمل كذلك بل كان يطلق عليه
معرفا كما يطلق على سائر اسماءه الحسنى فيقال السلام المؤمن المهيمن فان التنكير لا يصرف
اللفظ الى معين فضلا عن ان يصرفه الا الله وحده بخلاف المعرف فانه ينصرف اليه
تعيينا اذا ذكرت اسماءه الحسنى ويدل على ذلك عطف الرحمة والبركة عليه في قوله سلام
عليكم ورحمة الله وبركاته ولانه لو كان اسما من اسمائه تعالى لم يستقم الكلام بالاضمار
وذلك خلاف الاصل ولا دليل عليه ولانه ليس المقصود من السلام هذا المعنى وانما المقصود
منه الايذان بالسلامة خبرا ودعاء قال ابن القيم والصواب في مجموعهما اي القولين
وذلك ان من دعا لله باسماءه الحسنى يسأل في كل مطلوب ويتوسل اليه بالاسم
المقتضي لذلك المطلوب المناسب لحصوله حتى كان الداعي مستشفع اليه متوسل اليه
فاذا قال رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم الغفور فقد سأله امرين وتوسل
اليه باسمين من اسمائه مقتضيين لحصول مطلوبه وهذا كثير جدا واذا ثبت هذا فالمقام
لما كان طلب السلامة التي هي اهم ما عند الرجل اتى بلفظها بصيغة اسم من اسمائه تعالى وهو
السلام الذي تطلب من السلامة فتضمن لفظ السلام معنيين احدهما ذكر الله تعالى
كما في حديث ابن عمرو الثاني طلب السلامة وهو مقصود المسلم فقد تضمن سلام عليكم اسما
من اسماء الله وطلب السلامة منه انتهى ملخصا باب قوله اللهم اغفر لي ان شئت
لما كان العبد لا غنى له عن رحمة الله ومغفرته طرفة عين بل فقير بالذات الى الغني بالذات
كما قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد نهى عن قول لا
ايهام الاستغناء عن مغفرة الله ورحمته كما سيأتي وذلك مضاد للتوحيد قال في الصحيح
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم
ارحمني ان شئت ليعزم المسألة فانه لا مكره له ولمم وليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظم

شيء اعطاه قوله في الصحيح اي الصحيحين قوله اللهم اغفر لي ان شئت قال القرطبي انما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا القول لانه يدل على فتور الرغبة وقلة التهمم بالمطلوب وكان هذا القول يتضمن ان هذا المطلوب ان حصل والا استغنى عنه ومن كان هذا حاله لم يتحقق من حاله الافتقار والاضطرار الذي هو روح عبادة الدعا وكان ذلك دليلا على قلة الرغبة بذنوبه وبرحمة ربه وايضا فانه لا يكون موقنا بالاجابة وقد قال عليه السلام ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل الان قوله ليعزم على المسئلة قال القرطبي اي ليجزم في طلبته ويحقق رغبته ويتيقن الاجابة فانه اذا فعل ذلك دل على علمه بعظيم ما يطلب من المغفرة والرحمة وعلى انه مفتقر الى ما يطلب مضطر اليه وقد وعد الله المضطر بالاجابة بقوله امن يجيب المضطر اذا دعاه قوله فانه لا مكره له اي فان الله لا مكره له هذا لفظ البخاري في الدعوات ولفظ مسلم عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم على المسئلة في الدعا فان الله صانع ما شاء لا مكره له قال القرطبي هذا اظهار لعدم فائدة تقييد الاستغفار والرحمة بالمشيئة لان الله تعالى لا يفطره الى فعل شيء عاء ولا عليه بل يفعل ما يريد ويحكم ما يشاء ولذلك قيد الله تعالى الاجابة بالمشيئة في قوله فيكشف ما تدعون اليه ان شاء فلا معنى لاشتراط المشيئة فيما هذا سبيله قوله وليعظم اي من وجه آخر قوله وليعظم الرغبة هو بالتشديد فان الله لا يتعاظم شيء يقال تعاظم زيد هذا الامر اي كبر عليه وعسر قال بعضهم والرغبة يعني الطلبة والحاجة التي يريد وقيل السؤال والطلب تعظيمه على هذا بالالحاح والاول اظهر اي لسعة جوده وكرمه لا يعظم عليه اعطاء شيء بل جميع الموجودات في امره يسير وهو على كل شيء قدير ولهذا امر عباده بسؤاله الجنة والفردوس الاعلى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الاعلى بل امر الله بسؤاله رضاه وهو اكبر من ذلك وهذا هو غاية المطالب فالاقتصار على الدني في المسئلة اساءة ظن بجوده وكرمه باب لا يقول عبدي وامتي

اي لما في ذلك من ايهام المشاركة في الربوبية فنهى عن ذلك او بامع جانب الربوبية وحماية لجانب التوحيد قال في الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم اطعم ربك وضئ ربك وليقل سيدي ومولاي ولا يقول احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي قوله في الصحيح اي الصحيحين قوله لا يقل احدكم هو بالجزم على النهي والمراد ان يقول ذلك لمملوكه او مملوك غيره فالكل منهي عنه قوله اطعم ربك بفتح الهمزة امر من الاطعام وضئ ربك امر من الوضوء وفيهما في هذا الحديث زيادة اسق ربك وكان المؤلف اختصرها قال الخطابي وسبب المنع ان الانسان مربوب معبد باخلاص التوحيد سبحانه وترك الاشراك به فترك المضاهات فالاسم لئلا يدخل في معنى الشرك ولا فرق في ذلك بين الحر والعبد واما من لا تعبد عليه من سائر الحيوانات والجمادات فلا يكره ان يطلق ذلك عليه عند الاضافة كقوله رب الدار والثوب قال ابن مفلح في الفروع وظاهر النهي التحريم وقد يحتمل انه للكراهة وجزم به غير واحد من العلما فان قلت قد قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام اذكرني عند ربك وقال النبي صلى الله عليه وسلم في اشراط الساعة ان تلد الامة ربتها فهذا يدل على الجواز قيل اما الاية فعنها جوابان احدهما وهو الاظهر ان هذا جائز لنا في شرع من قبلنا وقد ورد شرعنا بخلافه والثاني انه ورد لبيان الجواز والنهي للادب والتنزيه دون التحريم واما الحديث فالذي فيه فليس من هذا الباب المتنازع والنهي عنه ان يقول ذلك للذكر لما فيه من الايهام المشاركة وهو معدوم في الانثى او يقال بحمله على الكراهة في الانثى ايضا لو ورد الحديث بذلك دون الذكر لانه لم يرد فيه النهي او يقال وهو اظهر ان هذا ليس فيه الا وصفها بذلك لا دعاؤها به وتسميتها به وفرق بين الدعا والتسمية وبين الوصف كما تقول زيد فاضل فتصفه بذلك ولا تسميه به ولا تدعوه به قوله وليقل سيدي قيل انما فرق بين الرب

والسيد لان المراد من السماء لله تعالى اتفاقا واختلف في السيد هل من اسماء الله تعالى
ولم يات في القران انه من اسماء الله لكن في حديث عبد الله ابن الشخير السيد الله وسياتي
فان قلنا ليس من اسماء الله فالفرق واضح اذ لا التباس وان قلنا انه من اسماء الله
فليس في الشهرة والاستعمال كلفظ الرب فيحصل الفرق واما من حيث اللغة فالسيد
من السودد وهو التقدم يقال ساد قومه اذا تقدمهم ولا شك في تقدم السيد على
غلامه فلما حصل الافتراق جاز الاطلاق قلت وحديث ابن الشخير لا ينبغي اطلاق
لفظ السيد على غير الله بل المراد ان الله هو الاحق بهذا الاسم بانواع الاعتبارات لان غيره
لا يسمى به ومولاي قال النووي المولا يطلق على ستة عشر معنى منها الناصر والمولى و
المالك وح فلا باس ان يقول مولاي قال في الفروع ولا يقل عبدي وامتي كلكم عبد الله
واما في الله ولا يقل العبد لسيده ربي وفي مسلم ايضا ولا مولاي فان مولاكم الله وظاهر
النهي التحريم وقد يحتمل انه للكراهة وجزم غير واحد من العلماء كما في شرح مسلم انتهى
كلامه قلت فظاهر رواية مسلم معارض لحديث الباب واجيب بان مسلما قد بين الا
خلاف فيه عن الاعمش وان منهم من ذكر هذه الزيادة ومنهم من حذفها قال عياض و
حذفها اصح فظهر ان اللفظ الاول ارجح وانما صرنا للترجيح للتعارض بينهما والجمع ما
متعذر والعلم بالتاريخ مفقود فلم يبق الا الترجيح قلت الجمع ممكن بحمل النهي
على الكراهة او على خلاف الاولى قوله ولا يقل احدكم عبدي وامتي لان حقيقة العبودية
انما يستحقها الله تعالى ولان فيها تعظيما لا يليق بالمخلوق وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم
العلة في ذلك كما رواه ابو داود باسناد صحيح عن ابي هريرة موقوفا لا يقولن احدكم
عبدي وامتي ولا يقول المملوك ربي وربي وليقل المالك فتاي وفتاتي وليقل المملوك
سيدي وسيدتي فانكم المملوكون والرب الله عز وجل ورواه ايضا باسناد صحيح موقوفا
فهذه علة له وفي رواية لمسلم لا يقولن احدكم عبدي فان كلكم عبيد الله فلا في مصا
بيح الجامع النهي انما جاء متوجها الى السيد اذ هو في مظنة الاستطالة واما قول

الغير

الغير هذا عبدي زيد وهذه امة خالد فجائز لانه يقوله اخبارا وتعريفا وليس في مظنة
الاستطالة قلت وهو حسن وقد رويت احاديث تدل على ذلك وقال ابو جعفر
النحاس لا نعلم بين العلماء خلافا انه لا ينبغي لاحد ان يقول لاحد من المخلوقين
مولاي ولا يقول عبدك ولا عبدي وان كان مملوكا وقد حظر ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم على المملوكين تكيف للاحرار قوله وليقل فتاي وفتاتي وغلامي
اي لانها ليست دالة على الملك كدلالة عبدي وامتي فارشد عليه السلام الى ما يؤدي
المعنى مع السلامة من الايهام والتعاظم مع انها تطلق على الحر والمملوك لكن اضافته
تدل على الاخلاص باب لا يرد من سال بالله اي اعطاما واجلالا لله تعالى ان يسئل
به في شيء ولا يجاب السائل لاسؤاله ومطلوبه ولهذا امر النبي صلى الله عليه وسلم
بابرار القسم وتنازعوا هل هو امر استحباب او ايجاب وظاهر كلام شيخ الاسلام
التفريق بين ان يقصد الزامه بالقسم فيجب اجابته او يقصد اكرامه فلا تجب عليه
ولهذا اوجب على المقسم في الاولى الكفارة اذا لم تفعل المحلوف عليه دون الثانية
لانه كالامر ولا يجب اذا كان للاكرام لامر النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر بوقوفه في
الصف ولم يقف ولان ابا بكر اقسم على النبي صلى الله عليه وسلم ليقسم كما في الصحيحين
ليخبره بالصواب والخطا لما فسر الرؤيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقسم كما في
الصحيحين قال لانه لم يقصد الاقسام عليه مع المصلحة المقتضية للكلم قال عن ابن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استعاذ بالله فاعيذوه ومن سئل با
الله فاعطوه ومن دعاكم فاجيبوه ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما
تكافئوه فادعوا له حتى تروا انكم قد كافئتموه رواه ابو داود والنسائي بسند صحيح
قوله من استعاذ بالله فاعيذوه اي ما سئلكم ان تدفعوا عنه شركم او شر غيركم بالله
كقوله بالله عليك ان تدفع عني شر فلان او شرك او اعوذ بالله من شرك او شر فلان
ونحو ذلك فاعيذوه اي امنعوه مما استعاذ منه وكفوه عنه لتعظيم اسم الله كما ولهذا

قالت الجونية للنبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بالله منك قال لقد عذت بمعاذ الحقي باهلك
ولفظ ابي داود من استعاذكم بالله فاعيذوه ومن سالكم بالله فاعطوه **قوله**
ومن سئل بالله فاعطوه ومعناه ظاهر وهو ان يقول اسئلك بالله او بوجه الله ونحو
ذلك ان تفعل او تعطيني كذا ويدخل في ذلك القسم عليه بالله ان يفعل كذا وظاهر
الحديث وجوب اعطائه ما سال حالم يسال اثما او قطيعة رحم وقد جاء الوعيد على
ذلك في عدة احاديث منها حديث ابي موسى مرفوعا ملعون من سال بوجه الله وملعون
من يسئل بوجه الله ثم منع سائله مالم يسئل هجرا رواه الطبراني قال في تنبيه الغافلين ورجال اسناده رجال الصحيح الا شيخه يحيى ابن عثمان ابن صالح والاكثر على توثيقه
فان بلغ هذا الاسناد او اسناد غيره صلغا يحتج به كان ذلك من الكبائر وعن ابي
عبيدة مولا رفاعة ابن رافع مرفوعا ملعون من سال بوجه الله وملعون من سئل
بوجه الله فمنع سائله رواه الطبراني ايضا وعن ابن عباس مرفوعا الا اخبركم بشر
رجل يسئل بالله ولا يعطي رواه الترمذي وحسنه ابن حبان في صحيحه وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بشر البرية قالوا بلى يا رسول الله قال
الذي يسئل بالله ولا يعطي رواه احمد اذا تبين هذا فهذه الاحاديث دالة على اجابة
من سال بالله او اقسم به ولكن قال شيخ الاسلام انما تجب على معين فلا تجب على
سائل يقسم على الناس وظاهر كلام الفقهاء ان ذلك مستحب كابرار القسم والاول
اصح **قوله** ومن دعاكم فاجيبوه اي من دعاكم الى طعام فاجيبوه فان كان وليمة
عرس وتوفرت الشروط المنبية في كتب الفقه وجبت الاجابة وان كان لغيرها
استحب اجابتها ولا تجب وقيل تجب مطلقا وهو الصحيح لظواهر الاحاديث وهي لم تفرق
وليمة العرس وغيرها وان كانت وليمة عرس اكد واوجب **قوله** ومن صنع اليكم معروفا
فكافئوه المعروف اسم جامع للخير وقوله فكافئوه اي على احسانه بمثله او خير منه
وقد اشار شيخ الاسلام الى ان مشروعية المكافات ان القلوب جبلت على حب من احسن

اليها

اليها فواد اذا احسن اليه ولم يكافه يبقى في قلبه نوع تالم لمن احسن اليه فشرع قطع ذلك
بالمكافات هذا معنى كلامه وقال غيره انما امر بالمكافات ليخلص القلب من احسان
الخلق ويتعلق باولئك الحق ولفظ ابي داود ومن اتى اليكم معروفا **قوله** فان لم تجدوا
ما تكافئونه هكذا اثبت بحذف النون في خط المصنف وهكذا هو في غيره من اصول
الحديث قال الطيبي سقطت من غير ناصب ولا جازم اما تخفيفا او سهوا من النساخ
قوله فادعوا له الخ يعني من احسن اليكم احسانا فكافئوه بمثله فان لم تقدروا فبالغوا في الدعاء له جهدكم حتى تحصل المسئلة ووجه المبالغة انه راى في نفسه تقصيرا في
المجازات لعدم القدرة عليها فاحالها الى الله ونعم المجازي هو وهذا الحديث رواه
ايضا احمد باسناد صحيح وابن حبان والحاكم وصححه النووي وقد رمز الترمذي وصححه
النسائي وابن حبان عن اسامة ابن زيد مرفوعا من صنع اليكم معروفا فقال لفاعله
جزاك الله خيرا فقد ابلغ في الثنا **باب لا يسئل بوجه الله الا الجنة** اي اعظاما
واجلالا واكراما لوجه الله ان يسئل به الا غايات المطالب وهذا من معاني قوله
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام **قال عن جابر قال** قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يسئل بوجه الله الا الجنة رواه ابو داود **قوله** عن جابر ابن عبد الله
قوله لا يسئل بوجه الله روي بالبنا للفاعل وبالبنا للمفعول وهو الذي في الاصل وروي
بالخطاب للمفرد وفيه اثبات الوجه خلاف للجهمية ونحوهم فانهم اولوا الوجه بالذات وهو باطل اذ لا يسمى ذات الشيء وحقيقته وجها فلا يسمى الانسان وجها
ولا يسمى يده وجها ولا يسمى رجله وجها والقول في الوجه عند اهل السنة كالقول
في بقية الصفات فيثبتونه لله على ما يليق بجلاله وكبريائه من غير كيف ولا تحديد
اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل **قوله** الا الجنة كان يقول اللهم اني اسئلك
بوجهك الكريم ان تدخلني الجنة وقيل المراد لا تسالوا من الناس شيئا بوجه الله
كان يقال اعطني شيئا بوجه الله فان الله اعظم ان يسال به شيء من الحطام قلت والظاهر

ان كل المعيبين صحيح قال الحافظ العراقي وذكر الجنة انما هو للتنبيه به على الأمور العظام
لا التخصيص فلا يسئل بوجهه في الامور الدينية بخلاف الأمور العظام تحصيلا
او دفعا كما يشير اليه استعاذة النبي صلى الله عليه وسلم قلت الظاهر ان المراد لا يسئل
بوجه الله الا الجنة او ما هو وسيلة اليها كالاستعاذة بوجه الله من غضبه ومن
النار ونحو ذلك مما هو وارد في ادعيته صلى الله عليه وسلم وتعوذاته ولما نزلت قوله
تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ
بوجهك او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك رواه البخاري وهذا الحديث رواه الضيا
في المختارة ايضا ولكن في اسناده سليمان ابن معاذ قال ابن معين ليس بشيء وضعفه
عبد الحق وابن قطان **باب ما جاء في لو وقول الله تعالى يقولون لو كان لنا**
من الامر من شيء ما قتلنا ههنا الاية اعلم ان من كمال التوحيد الاستسلام للقضا
والقدر مع مباشرة الأسباب فاذا فعل العبد ما امر به شرعا من الاسباب ولم
يات الامر على مراده او على ما يظنه فالواجب عليه الأستسلام للقضاء والقدر
رضاء بالله ربا فان هذا من جنس المصائب والعبد مامور عند المصائب بالصبر والا
جاع والتوبة فان السلف وقول لو لا يجدي عليه شيء الا الحزن والتحسر مع ما يخالط
توحيده نوع المعاندة للقدر الذي لا يكاد يسلم منها من وقع منه هذا الا ما شاء الله
فهذا وجه ايراد هذا الباب في التوحيد **قوله** وقول الله تعالى يقولون لو كان لنا
من الامر شيء ما قتلنا ههنا قال ابن كثير فسره ما اخفوه في انفسهم بقوله يقولون
لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا اي يسرون هذه المقالة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ابن اسحق حدثني يحيى ابن عباد ابن عبد الله ابن الزبير عن ابيه قال قال الزبير
لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف علينا ارسل الله علينا النوم
فما منا من رجل الا ذقنه في صدره فوالله اني لاسمع قول معتب ابن قشير ما اسمعه الا
كالحلم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا فحفظها منه وفي ذلك انزل الله عز وجل

ستر

يقولون

يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قول معتب رواه ابن ابي حاتم قال الله
تعالى قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي هذا قدر
مقدر من الله عز وجل وحكم حتم لا يرام لا يحيد عنه ولا يناص منه قلت فتبين بوجه
ايراد المصنف بالاية على الترجمة لان قوله لو في الامور المقدرة الى قوله ما قتلنا
فتبين ولهذا رد الله عليهم ذلك بان هذا قدر من كتب عليه شيء فلا بد ان يلاقيه فما
يغني عنكم قولكم لو وليست الا الحسرة والندامة فالواجب عليكم في هذه الحالة الايمان
بالله والتعزي بقدره مع ما ترجون من حسن ثوابه وفي ذلك عين الفلاح لكم في الدنيا
والاخرة بل يصير الامر الذي تنقلب المخاوف امانا والاحزان سرورا وفرحا كما قال عمر
ابن عبد العزيز ما سحت وما لي سرور الا موقع القضاء والقدر **قوله** الذين قالوا لاخوانهم
روى ابن جرير عن السدي قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد في الف رجل وقد وعدهم
الفتح ان صبروا فلما خرجوا رجع عبد الله ابن ابي في ثلاثمائة فتبعهم ابو جابر السلمي يدعوهم
قال الغلبوه وقالوا له ما نعلم قتالا ولئن اطعتنا لترجعن معنا فنزل فيهم الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا
لو اطاعونا ما قتلوا الاية وعن جويبر في الاية قال عبد الله ابن ابي الذين قعدوا وقالوا لاخوانهم
الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد قعدوا ابن جرير وابن ابي حاتم وقوله هذا
اخوانهم هم المسلمون المجاهدون وسماهم اخوانهم لموافقتهم لهم في الظاهر وقيل اخوانهم
في النسب لا في الدين وقعدوا والوا طاعونا فما قتلوا قال ابن كثير لو سمعوا لما قتلوا وسلموا
في القعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل قال الله تعالى قل فادرؤا عن انفسكم الموت
ان كنتم صادقين اي ان كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت فينبغي انكم لا تموتوا
والموت لا بد آت اليكم ولو كنتم في بروج مشيدة فادفعوا عن انفسكم الموت ان كنتم صا
دقين قال مجاهد عن جابر ابن عبد الله نزلت هذه الاية في عبد الله ابن ابي قلت وكان
ايثار على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد بعد الخروج فلما قدر الله الامر قال ذلك
تصويبا لرايه ورفعا للتهمة فرد الله عليه وعلى امثاله بقوله قل فادرؤا عن انفسكم الموت

ان كنتم صادقين فلا تقدرون على ذلك فعلم ان ذلك بقضاء الله وقدره اي استوفى الذي
في وسط الصفوف والذي في البروج المشيدة في القتل والموت قل لو انتم في بيوتكم
لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم فلا ينجي حذر عن قدر وفي حكم ذلك
قول لو ونحوها في مثل هذا المقام لان ذلك لا يجدي شيئا اذ المقدور قد وقع
فلا سبيل الى دفعه ابدا فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا قال في الصحيح عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن
وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء
فعل فان لو تفتح عمل الشيطان قوله في الصحيح اي صحيح مسلم قوله احرص على ما
ينفعك الى هذا الحديث اختصره المصنف رحمه الله ولفظ ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال المؤمن القوي خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف ففي ان الله سبحانه موصوف بالمحبة
والله يحب حقيقة كما قال يحبهم ويحبونه وفيه ان سبحانه يحب مقتضاء اسمائه
وصفاته وما يوافقها فهو القوي ويحب المؤمن القوي وهو وتر يحب الوتر وجميل يحب
الجمال وعليم يحب العلماء ومحسن يحب المحسنين وصبور يحب الصابرين وشكور يحب
الشاكرين قلت الظاهر ان المراد القوة في امر الله وتشييده والمسابقة بالخير والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ما يصيب في ذات الله ونحو ذلك لا قوة البدان
ولهذا مدح الله الانبياء بذلك في قوله واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي
والابصار فالايدي القوى والعزائم في تنفيذ امر الله وقوله واذكر عبدنا
داود ذا الايد انه اواب وقوله وفي كل خير اي كل من المؤمن القوي والمؤمن الضعيف
على خير وعافية لا شركة بينهما في الايمان والعمل الصالح ولكن المقوي في ايمانه ودينه
احب الى الله وفيه ان محبة المؤمنين تتفاضل فيحب بعضهم اكثر من بعض وقوله احرص على
ما ينفعك هو بفتح الراء وكسرها قال ابن القيم سعادة الانسان في حرصه على ما ينفعه
في معاشه ومعاده والحرص هو بذل الجد واستفراغ الوسع فاذا صادف ما ينتفع به

الحريص كان حرصه محمودا وكماله كله في مجموع هذين الامرين ان يكون حريصا وان يكون
حرصه على ما ينتفع به فان حرص على ما لا ينفعه او فعل ينفعه بغير حرص فانه من الكمال
بحسب ما فاته من ذلك فالخير كله في الحرص على ما ينفع قوله واستعن بالله قال ابن القيم
لما كان حرص الانسان وفعله انما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه امره ان يستعين
به ليجتمع له مقام اياك نعبد واياك نستعين فان حرصه على ما ينفعه عبادة لله
ولا تتم الا بمعونته فامره بان يعبده ويستعين به وقال غيره استعن بالله اي اطلب
الاعانة في جميع امورك من الله لا من غيره كما قال تعالى اياك نعبد واياك نستعين
فان العبد عاجز لا يقدر على شيء ان لم يعنه الله عليه فلا معين له على مصالح دينه ودنياه
الا الله عز وجل فمن اعان الله فهو المعان ومن خذله فهو المخذول وقد كان صلى الله
عليه وسلم يقول في خطبته ويعلم اصحابه ان يقولوا الحمد لله نستعينه ونستهديه
ومن دعاء القنوت اللهم انا نستعينك وامر معاذا ان لا يدع في دبر كل صلاة
ان يقول اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وكان ذلك من دعائه
صلى الله عليه وسلم ومنه ايضا رب اعني ولا تعن علي واذا حقق العبد مقام الاستعانة
وعلم انه كان مستعينا بالله عز وجل متوكلا عليه راغبا وراهبا اليه فيتحقق له مقام التو
حيد اذا شاء الله قوله ولا تعجزن هو بكسر الجيم وفتحها استعمل الحرص والاجتهاد في
تحصيل ما ينفعك من امر دينك ودنياك التي تستعين بها على صيانة دينك وصيانة
عيالك ومكارم اخلاقك ولا تفرط في طلب ذلك ولا تتعاجز عنه متكلا على القدر
او متهونا بالامر فتنسب للتقصير وتلام على التفريط شرعا وعقلا مع انهاء الاجتهاد
ونهايته وابلاغ الحرص غايته فلا بد من الاستعانة بالله والتوكل عليه والالتجاء في
كل الامور اليه فمن ملك هذين الطريقين حصل على خير الدارين وقال ابن القيم العجز
ينافي حرصه على ما ينفعه وينافي استعانته بالله فالحريص على ما ينفعه المستعين بالله
ضد العاجز فهذا ارشاد له قبل رجوع المقدور الى ما هو من اعظم اسباب حصوله وهو الحرص

الايمن

عليه مع الاستعانة بمن ازمة الامور بيده ومصدرها منه ومردها اليه قوله فان اصابك
شيء الى آخره العبد اذا فاته مالم يقدر له فله حالتان حالة عجز وهي مفتاح عمل الشيطان
فيلقه العجز الى لو ولا فائدة في لو ههنا بل هي مفتاح عمل الشيطان اللوم والعجز والسخط
والاسف والحزن وذلك كله من عمل الشيطان فنهاه صلى الله عليه وسلم عن افتتاح عمله
بهذا المفتاح وامره بالحالة الثانية وهي النظر الى القدر وملاحظته وانه لو قدر له
لم يفته ولم يغلبه عليه احد فلم يبق له ههنا انفع من شهود القدر ومشيئة الرب
النافذة التي توجب وجوب المقدور واذا انتفت امتنع وجوده فلهذا قال وان اصابك
شيء اي غلبك الامر ولم يحصل المقصود بعد بذل الجهد والاستعانة بالله فلا تقل لو
اني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فارشده الى ما ينفعه في
الحالين حالة حصول مطلوبه وحالة فواته فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد
ابدا بل هو اشد شيء اليه ضرورة وهو يتضمن اثبات القدر والكسب والاختيار والقيام
بالعبودية باطنا وظاهرا في حالتي حصول المطلوب وعدمه هذا معنى كلام ابن القيم وقال
القاضي قال بعض العلماء هذا النهي انما هو لمن قاله معتقدا ذلك حتما وانه لو فعل ذلك
لم يصبه قطعا فاما من رد ذلك الى مشيئة الله تعالى وانه لن يصيبه الا ما شاء الله فليس من
هذا واستدل بقول ابي بكر الصديق في الغار لو ان احدهم رفع راسه لرانا قال القاضي
وهذا لا حجة فيه لانه اخبر عن مستقبل وليس فيه دعوى لرد قدر بعد وقوعه قال
وكذا جميع ما ذكره البخاري فيما يجوز من اللو كحديث لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت
البيت على قواعد ابراهيم ولو كنت راجما بغير بينة لرجمت هذه ولولا ان اشق على امتي
لامرتهم بالسواك ونحو ذلك وكل مستقبل لا اعتراض فيه على قدر ولا كراهة فيه لانه انما
اخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع وعما هو في قدرته فاما ما ذهب فليس في قدرته
فان قيل ما تصنعون بقوله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي
ولجعلتها عمرة قيل هذا كقوله لولا حدثان قومك بالكفر ونحو ما هو خبر عن مستقبل لا اعتراض

فيه على القدر بل هو اخبار لهم انه لو استقبل الاحرام بالحج ما ساق الهدي ولا احرم بالعمرة بقوله
لهم لما امرهم بفسخ الحج الى العمرة حثا لهم وتطييبا لقلوبهم لما راهم توقفوا في امره فليس
من النهي عنه بل هو اخبار لهم عما كان يفعل في المستقبل لو حصل ولا خلاف في جواز ذلك
وانما نهى عن ذلك في معارضة القدر مع اعتقاد ان ذلك المانع لو يقع لوقع خلاف
المقدور قوله فان لو تفتح عمل الشيطان اي من الجزع والعجز واللوم والتسخط من القضاء
والقدر او نحو ذلك ولهذا من قالها على وجه النهي عنه فان سلم من التكذيب بالقضاء
والقدر لم يسلم من المعاندة له واعتقاد انه لو فعل ما زعم لم يقع المقدور ونحو ذلك
وهذا من عمل الشيطان فان قيل ليس في هذا رد للقدر ولا تكذيب به اذ تلك الاسباب
التي تمناها من القدر فهو يقول لو اني وفقت لهذا القدر لاندفع به عني ذلك القدر
فان القدر يدفع بعضه ببعض قيل هذا حق ولكن هذا ينفع قبل وقوع القدر المكروه
فاما اذا وقع فلا سبيل الى دفعه وان كان له سبب الى دفعه او تخفيفه بقدر اخر فهو اولى
به من قوله لو كنت فعلت بل وحقيقة في هذه الحال ان استقبل فعل الذي يدفع به
او تحقيق ولا يتمنى حالا قطع في وقوعه فانه عجز محض والله يلوم على العجز ويحب الكيس
ويامر به والكيس مباشرة الاسباب التي نبط الله بها مسبباتها النافعة للعبد في معاده انتهى ملخصا من كلام ابن القيم باب النهي عن سب الريح عن ابي ابن
كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا الريح فاذا رايتم ما تكرهون
فقولوا اللهم انا نسالك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما امرت به و
نعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما امرت به صححه الترمذي اي انها
مامورة لا تاتي لها في شيء الا بامر الله فسبها كسب الدهر وقد تقدم النهي عنه فكذلك
الريح قوله عن ابي ابن كعب اي ابن قيس ابن عبيد ابن زيد ابن معاوية ابن عمرو ابن مالك
ابن النجار الانصاري الخزرجي ابو المنذر صحابي بدري جليل وكان من قراء الصحابة
وفضائلهم وعلمائهم وله مناقب مشهورة اختلف في سنة موته فقال الهيثم رحمه

مات من تسع عشرة وقال خليفة ابن خياط سنة اثنين وثلاثين يقال فيها مات ابي ابن كعب ويقال بل مات في خلافة عمر قلت وقيل غير ذلك قوله لا تسبوا الريح اي لا تسبوها ولا تلعنوها للحوق ضرر فيها فانها مأمورة مقهورة فلا يحسن سبها بل يجب التوبة عند التضرر بها وهو تاديب من الله تعالى لعباده وتاديبه رحمة للعباد ولهذا جاء في حديث ابي هريرة مرفوعا الريح من روح الله تاتي بالرحمة وبالعذاب فلا تسبوها ولكن سلوا الله من خيرها وتعوذوا بالله من شرها رواه احمد وابو داود وابن ماجة وكونها قد تاتي بالعذاب لا ينافي كونها من رحمة الله وعن ابن عباس ان رجلا لعن الريح عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تلعنوا الريح فانها مأمورة وانه من لعن شيئا ليس له باهل رجعت اللعنة اليه رواه الترمذي وقال غريب قال الشافعي لا ينبغي شتم الريح فانها خلق مطيع لله وجند من جنوده يجعلها رحمة اذا شاء ونقمة اذا شاء ثم روى باسناده حديثا منقطعا ان شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر فقال له لعلك تسب الريح وقال مطرف لو حبست الريح عن الناس لانتن ما بين السماء والارض قوله فاذا رايتم ما تكرهون اي من الريح اما شدة حرها او بردها او قوتها قوله فقولوا اللهم انا نسالك من خير هذه الريح الى اخره امر صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى خالقها وآمرها الذي ازمة الامور كلها بيده ومصدرها عن قضائه فاستجلبن بعمة بمثل طاعته وشكره ولاستدفعن نقمة بمثل الالتجاء اليه والتعوذ به والاضطرار اليه والاستكانة له ودعاءه والتوبة اليه والاستغفار من الذنوب قالت عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم اني اسئلك من خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به واذا تخيلت السماء وتغير لونه وخرج ودخل وادبر واقبل فاذا امطرت سري ذلك عنه فعرفت عائشة ذلك فسالته فقال لعله يا عائشة كما قال قوم عاد فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا رواه البخاري ومسلم فهذا ما امر به صلى الله عليه وسلم وفعله عند الريح

وغيرها من الشدائد والمكروهات فاين هذا ممن يستغيث بغير الله من الطواغيت والاموات فيقول يا فلان الزمها او ازلها فالله المستعان باب قول الله تعالى يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله الاية قوله يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله الآية اراد المصنف بهذه الترجمة التنبيه على وجوب حسن الظن على العالم برحمة الله وعزته واحسانه وقدرته وعلمه وحسن اختياره وقوة التوكل عليه فاذا تم العلم بذلك تم له حسن الظن بالله وقد ينشأ حسن الظن من مشاهدة بعض هذه الصفات لاستلزامها الباقي وبالجملة فمن قام بقلبه حقائق معاني اسماء الله وصفاته قام به من حسن الظن ما يناسب كل اسم وصفة لان لكل وصف منها عبودية خاصة وحسن ظن خاص وقد جاء في الحديث القدسي قال الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وانا معه حيث يذكرني رواه البخاري ومسلم وعن جابر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل رواه مسلم وابو داود وفي حديث عند ابي داود وابن حبان حسن الظن من حسن العبادة رواه الترمذي والحاكم ولفظهما احسن الظن بالله من حسن العبادة فاذا تبين هذا فقوله يقولون هل لنا من الامر من شيء قال ابن القيم ثم اخبر عن الكلام الذي صدر عن ظنهم الباطل وهو قولهم هل لنا من الامر من شيء وقولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هنا فليس مقصودهم بالكلمة الاولى والثانية اثبات القدر ورد الامر كله لله ولو كان ذلك مقصودهم لما ذموا عليه ولما حسن الرد عليهم بقوله قل ان الامر كله لله ولا كان مصدر هذا الكلام ظن الجاهلية ولهذا قال غير واحد من المفسرين ان ظنهم الباطل ههنا هو التكذيب بالقدر وظنهم ان الامر لو كان اليهم لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه تبعا لهم يسمعون منهم لما اصابهم القتل ولكان التصرف والظفر لهم فكذبهم الله عز وجل في هذا الظن الباطل الذي هو ظن الجاهلية وهو الظن

المنسوب الى اهل الجهل الذين يزعمون بعد نفاذ القضا والقدر الذي لم يكن به من نقاده
انهم كانوا قادرين على دفعه وان الامر لو كان اليهم لما نفذ القضا فاكذبهم الله بقوله
قل ان الامر كله لله فلا يكون الا ما سبق به قضاءه وقدره وجرى به قلمه وكتابه السا
بق وما شاء الله كان ولا بد شاء الناس ام ابو وما لم يشاء لم يكن شاء الناس او
لم يشاءوا ما وجرى عليكم من الهزيمة والقتل فبامره الكوني الذي لا سبيل الى
دفعه سواء كان لكم من الامر شيء او لم يكن لكم فانكم لو كنتم في بيوتكم وقد كتب القتل
على بعضكم لبرز من كتب عليه القتل من بيته الى مضجعه ولا بد سواء كان له من الأمر
شيء او لم يكن وهذا من اظهر الأشياء ابطالا لقول القدرية النفاة الذين يجوزون
ان يقع ما لا يشاء الله وان شاء ما لا يقع قوله وليبتلي الله ما في صدوركم اي
ليختبرها فيها من الايمان والنفاق فالمؤمن لا يزداد بذلك الا ايمانا وتسليما
والمنافق ومن في قلبه مرض لا بد ان يظهر ما في قلبه على جوارحه ولسانه قوله و
ليمحص ما في قلوبكم هذه حكمة اخرى وهي تمحيص ما في قلوب المؤمنين وهو تخليصه
وتنقيته والقدر به فان القلوب يخالطها تخليات الطباع وميل النفوس وحكم
العادة وتزيين الشيطان واستيلاء الغفلة ما يضاد ما اودع فيها من الايمان
والاسلام والبر والتقى فلو تركت في عافية دالة مستمرة لم تتخلص من هذا المخالط
ولم تتمحص منه فاقتضت حكمة العزيز الرحيم ان قيض لها من المحن والبلايا ما يكون كدول
الكريه لمن عرض له داء ان لم يتداركه طبيب بازالته وتنقيته ممن هو في جسده والا
خيف عليه من الفساد والهلاك فكانت نعمة سبحانه عليهم بهذه الكسرة والهزيمة و
قتل من قتل منهم تعادل نعمته عليهم بنصرهم وتاييدهم وظفرهم بقدر تهم فله
عليهم النعمة التامة في هذا وهذا قوله والله عليم بذات الصدور ثم انزل عليكم من بعد
الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم معنى اهل الايمان واليقين والثبات والتوكل
الصادق وهم الجازمون بان الله عز وجل سينصر رسوله وليظهرنه ما موله ولهذا قال

وطائفة

ولا يقرب منه احد وان ذوات الشياطين في القرب منه كذوات الملائكة المقربين فقد
ظن به ظن السوء ومن ظن انه يسوي بين المتضادين او يفرق بين المتساويين في كل
وجه او يحيط طاعات العمر الطويل الخالصة الصواب بكبيرة واحدة تكون بعدها
فيخلده في الجحيم لتلك الكبيرة كما يخلد من لم يؤمن به طرفة عين واستنفد عمره في
مساخطه ومعاداة رسله ودينه فقد ظن به ظن السوء وبالجملة فمن ظن به خلاف
ما وصف به نفسه او وصفه به رسله او عطل حقائق ما وصف به نفسه ووصفه به
رسله فقد ظن به ظن السوء ومن ظن ان له ولدا او شريكا او ان احدا يشفع عنده بدون
اذنه او ان بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم اليه او انه نصب لعباده او
لياء من دونه يتقربون بهم اليه ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم فيدعونهم ويخا
فونهم ويرجونهم فقد ظن به اقبح الظن واسوءه ومن ظن به انه ينال ما عنده بمعصيته
ومخالفته كما ينال بطاعته والتقرب اليه فهو من ظن السوء ومن ظن به انه اذا ترك
لاجله شيئا لم يعوضه خيرا منه او من فعل شيئا لاجله لم يعطه افضل منه فقد ظن به
ظن السوء ومن ظن انه يغضب على عبده ويعاقبه بغير جرم ولا سبب من العبد الا بمجرد
المشيئة فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به انه اذا صدق في الرغبة والرهبة وتضرع اليه
وسأله واستعان به وتوكل عليه انه يخيبه فقد ظن به ظن السوء ومن ظن انه يثيبه
اذا عصاه كما يثيبه اذا اطاعه وسأله ذلك في دعائه فقد ظن به خلاف ما هو اهله
وما لا يفعله ومن ظن انه اذا غضب واسخطه واوضع في معاصيه ثم اتخذ من دونه
وليا ودعا من دونه ملكا او بشرا حيا او ميتا يرجو بذلك ان ينفعه عنده به ويخلصه
من عذابه فقد ظن به ظن السوء ومن ظن به ان يسلط على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم
اعدائه تسليطا مستقرا دائما في حياته وممانه وابتلاءهم لا يفارقونه فلما مات استبدوا
بالامر دونه وصيه واهل بيته وسلبوهم حقهم واذلوهم من غير جرم ولا ذنب للاولياء
واهل الحق وهو يرى ذلك ويقدر على نصرة اوليائه وحزبه ولا ينصرهم ثم جعل

المبدلين لدينه مضاجعه في حضرة سلامته عليه وعليهم كل وقت كما تظنه الرافضة فقد
ظن به اقبح الظن انتهى اختصارا وهو ينبهك على احسان الظن بالسر في كل شيء
فليعتن اللبيب اللب العقل واللبيب العاقل قال ولو فتشت فتشت لرايت
عنده تعنتا على القدر وملامة له وانه كان ينبغي ان يكون كذا وكذا ومستقل
ومستكثر وفتش نفسك هل انت سالم فان نجا منها نجا من ذي عظيمة والا
فاني لا اخالك ناجيا قوله ولو فتشت من فتشت لرايت عنده تعنتا على القدر
وملامة وانه كان ينبغي ان يكون كذا وكذا قلت بل يبوحون بذلك ويصرحون به
جهارا في اشعارهم وكلامهم قال ابو عقيل في الفنون الواحد من العوام اذا راى
مراكب مقلدة بالذهب والفضة ودار مشيدة مملوءة بالخدم والرتبة قال انظر
الى ما اعطاهم مع سوء افعالهم ولا يزال يلعنهم ويذم معطيهم حتى يقول فلان
يصلي الجماعات والجمع ولا يوذي الذر ولا ياخذ ما ليس له ويؤدي الزكاة اذا كان له مال
ويحج ويجاهد ولا يزال خلة بقلبه ويظهر الاعجاب كانه ينطق انه لو كانت الشرائع حقا
لكان الامر بخلاف ما ترى وكان الصالح غنيا والفاسق فقيرا قال ابو الفرج ابن الجوزي
وهذه حالة وقد شملت خلقا كثيرا من العلماء والجهال اولهم ابليس فانه نظر بعقله
فقال كيف يفضل الطين على جوهر النار وفي ضمن اعتراضه ان حلمك قاصرة وان اجود
واتبع ابليس في تفضيله واعتراضه خلق كثير مثل ابن الراوندي والمعري ومن قوله

اذا كان لا يحظى برزقك عاقل ٭ وترزق مجنونا وترزق احمقا ٭ ولا ذنب يا رب السما عليك اذ
رايتك ما لا يشتهي ٭ تمتعت بدقا ٭ وكان ابو علي ابن مقلة يقول ٭ ايا رب قد دليل
٭ واغصان بان ٭ وكثبان رمل ٭ وتبدع من كل طرف بسحرة ٭ وفي كل قدر شيق شكلي
٭ وتنهى عبادك ان يعشقوا ٭ اياحاكم العدل داحكم عدل ٭ وكان ابو طالب المكي
يقول ليس على المخلوق اضر من الخالق قال ابن الجوزي ودخلت على صدقة ابن الحسين
الحداد وكان فقيها غير انه كان كثير الاعتراض وكان عليه جرب فقال هذا ينبغي ان يكون

لا عجل

على اجل لا علي وكان يتفقده بعض الاكابر اكول فيقول يعبث لي هذا على الكبر وقت لا اقدر
على اكل وكان رجل يصحبني قد قارب ثمانين سنة كثير الصلاة والصوم فمرض واشتد
به المرض فقال ان كان يريد ان اموت فيميتني واما هذا التعذيب فما معنى والله
لو اعطاني الفردوس كان مكفورا رايت اخر يأبى العلم اذا ضاق عليه رزقه
يقول ايش هذا التدبير وعلى هذا كثير من العوام اذا ضاقت عليهم ارزاقهم اعتر ضوا
وربما قالوا ما يريد نصلي واذا اوارجلا صالحا موذنا قالوا ما يستحق قد حافى
القدر وكان قد جرى في زماننا تسلط من الظلمة وقال بعض من تزيا بالدين هذا
حكم بارد وما فهم ذلك الاحمق فان الله على للظالم وفي الجمع من يقول اي فايدة
في خلق الحياة والعقارب وما علم ان ذلك نموذج لعقوبة الخالق وهذا امر قد شاع
فلهذا مددت النفس وفيه واعلم ان المعترض قد ارتفع ان يكون شريكا وعلى الخا
لق بالحكم عليه وهؤلاء كلهم كفره لانهم راوا حكمة الخالق قاصرت واذا كان قد توقف
القلب ان الرضى بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم يخرج من الايمان قال فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية فكيف يصح الايمان مع الاعتراض على الله وكان في زمن
ابن عقيل رجل راى بهيمة على غاية من السمن فقال وارحمتي لك واقل حيلتي في اقامة التا
ويل لمعذبك فقال له ابن عقيل ان لم تقدر على حمل هذا الامر لاجل رقة الحيوانية
ومناسبتك الجنسية فعندك عقل تعرف به حكم الصانع وحكمته يوجب عليك التاويل
قال لم تجد استطرحت لفاطر العقل حيث حاك العقل عن معرفة الحكمة في ذلك انتهى
قوله وفتش نفسك هل انت سالم قال ابن القيم اكثر الخلق الا من شاء الله يظنون
بالله غير الحق وظن السوء فان غالب بني ادم يعتقد انه مبخوس الحق ناقص الحظ وانه يستحق
فوق ما اعطاه الله ولسان حاله يقول ظلمني ربي ومنع ما استحقه ونفسه تشهد عليه بذ
لك وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به ومن فتش نفسه وتغلغل في معرفة دفا
ئنها وطوايا ها راى ذلك فيها كامنا كمون النار في الزناد فاقدح زناد من شئت ينبيك

شراره عما في زناده فليعاتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع وليتب الى الله ويستغفره
كل وقت من ظنه بربه ظن السوء بنفسه التي هي ماوى كل سوء ومنبع كل شر المركبة على الجهل
والظلم فهو اولى بظن السوء من احكم الحاكمين واعدل العادلين وارحم الراحمين الغني
الحميد الذي له الغنا التام والحمد التام والحكمة التامة المنزه عن كل سوء في ذاته وصفا
ته وافعاله واسماءه فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه وصفاته كذلك وافعاله
كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل واسماءه كلها حسنى تظنن بربك ظن السوء فان الله
اولى بالجميل ولا تظنن بنفسك قط خيرا وكيف بظالم جان جهول وظن بنفسك
السوء تجدها كذلك وخيرها كالمستحيل وما بك من نعمة فمنه وخير فمنك مواهب
الرب الجليل وليس لها ولا منها ولكن من الرحمن فاشكر للدليل قوله فان تنج منها
اي من هذه الخصلة العظيمة قوله من ذي عظيمة اي تنج من شر عظيم قوله لا احالك
بكسر الهمزة اي اظنك قوله ناجيا اي سالما والله تعالى اعلم باب ماجاء في منكر
القدر اي من الوعيد والقدر بالفتح والسكون ما يقدره الله من القضاء ولما كان تو
حيد الربوبية لا يتم الا باثبات القدر قال القرطبي القدر مصدر قدرت الشيء خفيفة
الدال قدره وتقدره قدرا وقدرا اذا حطت بمقداره ويقال فيه قدرت اقدر تقديرا
مشدد الدال للتضعيف فاذا قلنا ان الله تعالى قدر الاشياء فمعناه انه تعالى علم مقاديرها
واحوالها وازمانها قبل ايجادها ثم اوجد منها ما سبق في علمه ان يوجده على نحو ما سبق
في علمه محدث في العالم العلوي والسفلي الا هو صادر عن علمه تعالى وقدرته وارادته هذا
هو المعلوم من دين السلف الماضين الذين دلت عليه البراهين ذكر المصنف ما جاء من الو
عيد فيمن انكره تنبيها على وجوب الايمان ولهذا اعده النبي صلى الله عليه وسلم اركان الا
يمان كما في حديث جبريل عليه السلام لما سئل عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره قال صدقت وعن عبد الله
ابن عمرو ابن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى كتب مقادير الخلائق

قبل

قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء وعن ابن عمر رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقدر حتى العجز والكيس رواهما مسلم
في صحيحه عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن
باربع يشهد ان لا اله الا الله وانني رسول الله بعثني بالحق ويؤمن بالموت والبعث بعد
الموت ويؤمن بالقدر رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم في صحيحه والاحاديث في ذلك
كثيرة جدا قد امر دها العلماء بالتصنيف قال البغوي في شرح السنة الايمان بالقدر فرض
لازم وهو ان يعتقد ان الله تعالى خالق اعمال العباد خيرها وشرها كتبها عليهم في اللوح
المحفوظ قبل ان يخلقهم قال الله تعالى والله خلقكم وما تعملون فالايمان والكفر والطاعة
والمعصية كلها بقضاء الله وقدره وارادته ومشيته غير انه يرضى الايمان والطاعة ويعد
عليها الثواب ولا يرضى الكفر والمعصية ويعد عليها العقاب قال الله تعالى ويضل الله الظا
لمين ويفعل الله ما يشاء قال والقدر سر من اسرار الله تعالى لا يطلع عليه ملكا مقربا
ولا نبيا مرسلا ولا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل بل يعتقد ان الله تعالى خلق
الخلق فجعلهم فريقين اهل يمين خلقهم للنعيم فضلا واهل شمال خلقهم للجحيم عدلا قال
الله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقد سئل رجل علي بن ابي طالب رضي الله عنه
فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن القدر قال طريق مظلم فلا تسلكه فاعاد السؤال فقال
بحر عميق لا تلجه فاعاد السؤال فقال سر الله خفي عليك فلا تفتشه وقال شيخ الاسلام
مذهب اهل السنة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون
الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان وهو ان الله خالق كل شيء
وربه ومليكه وقد دخل في ذلك جميع الاعيان القائمة بانفسها وصفاتها القائمة بها
من افعال العباد وغيرها فقال العباد وانه سبحانه ما شاء كان وما لم يشا لم يكن فلا يكون
في الوجود شيء الا بمشيئته وقدرته ولا يمتنع عليه شيء شاءه بل هو قادر على كل شيء ولا
يشاء شيئا الا وهو قادر عليه وانه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان

يكون

وقد دخل في ذلك افعال العباد وغيرها وقدر مقادير الخلائق قبل ان يخلقهم قدر ارزاقهم واجالهم واعمالهم وكتب ذلك وكتب ما يصيرون اليه من سعادة وشقاوة فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالاشياء قبل ان تكون وتقديره لها وكتابته اياها قبل ان تكون وغلاة القدرية ينكرون علمه المتقدم وكتابته السابقة ويزعمون انه امر ونهى وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه بل الأمر انف اي مستانف وهذا القول اول ما حدث في الاسلام بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين وبعد امارة معاوية ابن ابي سفيان في زمن الفتنة التي كانت بين ابن الزبير وبين ابن ابي اميه في الاخر عصر عبد الله ابن عمر وعبد الله ابن عباس وغيرهما من الصحابة وكان اول من ظهر ذلك عنه بالبصرة معبد الجهني فلما بلغ الصحابة قوله هؤلاء وتبرءوا منهم وانكروا مقالتهم وعنوهم من الصحابة ثم لما كثر خوض الناس في القدر صار جمهورهم يقرون بالعلم المتقدم والكتاب السابق ولكن ينكرون عموم مشيئة الله وعموم خلقه وقدرته ويظنون انه لا معنى لمشيئة الا امره فما شاء الله فقد امر به وما لم يشأ لم يأمر به فلزمهم انه قد يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء وانكروا ان يكون الله خالقا لأفعال العباد وقادرا عليها وان يختص بعض عباده من النعم بما يقتضي ايمانهم له وطاعتهم له وزعموا ان نعمته التي بها يمكن الايمان والعمل الصالح على الكفار كابي جهل وابي لهب مثل نعمته بذلك على ابي بكر وعمر وعثمان وعلي بمنزلة رجل دفع الى ولديه مالا قسمه بينهم بالسوية لكن هؤلاء احدثوا اعمالهم الصالحة وهؤلاء احدثوا اعمالهم الفاسدة من غير نعمة خص الله بها المؤمنين وهذا قول باطل وقد قال الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين وقال ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم

قوله وقال ابن القيم ما معناه مراتب القضاء والقدر اربع مراتب الاولى علم الرب

سبحانه

سبحانه بالأشياء قبل كونها الثانية كتابة ذلك عنده في الازل قبل خلق السموات والارض الثالثة مشيئته المتناولة لكل موجود فلا خروج لكائن كما لا خروج له عن علمه الرابعة خلقه لها وايجاده وتكوينه فالله خالق كل شيء وما سواه فمخلوق قال وقال ابن عمر والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لاحدكم ملاء الارض ذهبا ثم انفقه في سبيل الله ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره رواه مسلم قوله وقال ابن عمر هو عبد الله ابن عمر ابن عبد الخطاب قوله والذي نفس ابن عمر بيده لفظ الحديث والذي يحلف عبد الله ابن عمر الى اخرها وليس فيه فالذي نفس ابن عمر بيده قوله لو كان لاحدهم مثل احد ذهبا ثم انفقه في سبيل الله ما قبله الله منه الخ هذا قاله ابن عمر لغلاة القدرية الذين انكروا ان يكون الله تعالى عالما بشيء من اعمال العباد قبل وقوعها منها وبما يعلمها بعد كونها منهم كما تقدم عنهم قال القرطبي ولا شك في تكفير من يذهب الى ذلك بعد معلوم من الشرع لضرورة لذلك تبرأ منهم ابن عمر وافتى بانهم لا يقبل منهم اعمالهم ولا نفقاتهم وانهم كمن قال الله فيهم وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله وهذا المذهب قد ترك اليوم فلا يعرف من ينسب اليه من المتاخرين من اهل البدع المشهورين فقال شيخ الاسلام لما ذكر كلام ابن عمر وكذلك كلام ابن عباس وجابر ابن عبد الله وواثلة ابن الأسقع وغيرهم من الصحابة والتابعين لهم باحسان وسائر ائمة المسلمين فيهم كثير جدا قال فيهم الأئمة كمالك والشافعي واحمد ابن حنبل وغيرهم ان المنكرين لعلم الله المتقدم ينكرون قوله ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره فجعل النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث فانه لما سئل عن الاسلام ذكر اركان الاسلام الخمسة لانها اصل الايمان ولما سئل عن الايمان اجاب بقوله ان تؤمن بالله الى اخره فيكون المراد بالايمان جنس تصديق القلب وبالاسلام جنس العمل والقرآن فالسنة مملوان

باطلاق الأيمان على الاعمال كما هما مملوءان باطلاق الأسلام على الايمان الباطن مع ظهور
دلالتهما ايضا على الفرق بينهما ولكن حيث افرد احد الأسمين دخل فيه الاخر وانما يفرق
بينهما حيث قرن الأسمين بالاخر ومن اراد تحقيق ما اشرنا اليه فليراجع كتاب الأيمان
الكبير لشيخ الأسلام اذا تبين هذا فوجه استدلال ابن عمر بالحديث من جهة ان النبي
صلى الله عليه وسلم عد الايمان بالقدر من اركان الأيمان فمن انكره لم يكن مؤمنا اذ الكافر
بالبعض كافر بالكل فلا يكون مؤمنا متقيا والله لا يتقبل الا من المتقين وهذا قطعه
من حديث جبرئيل عليه السلام وقد اخرجه مسلم بطوله اول كتاب الايمان في صحيحه من حديث
يحيى ابن معمر عن ابن عمر ولفظه عن يحيى ابن يعمر قال كان اول من قال في القدر بالبصرة معبد
الجهني فانطلقت انا وحميد ابن عبد الرحمن حاجين او معتمرين فقلنا لو لقينا احدا من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسأله عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله
ابن عمر ابن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته انا وصاحبي احدنا عن يمينه والاخر عن شماله
فظننت ان صاحبي سيكل الكلام الي فقلت يا ابا عبد الرحمن انه قد ظهر قبلنا اناس هم يقرؤن
القرآن ويتفقهون العلم وذكر من شأنهم وهم يزعمون ان لا قدر وان الأمر انف قال
فاذا لقيت اولئك فاخبرهم اني بريء منهم وانهم برآء مني والذي يحلف عبد الله ابن عمر
لو ان لاحدهم مثل احد ذهبا فانفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال حدثني ابيه عمر
ابن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اذ طلع علينا رجل شديد
بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر سفر ولا يعرفه منا احد حتى جلس الى النبي
صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ثم قال يا محمد اخبرني
عن الأسلام وذكر الحديث وقوله خيره وشره اي خير القدر وشره اي انه تعالى قدر الخير والشر
قبل خلق الخلق وان جميع الكائنات بقضائه وقدره وارادته لقوله تعالى وخلق كل شيء
فقدره تقديرا والله خلقكم وما تعملون انا كل شيء خلقناه بقدر وغير ذلك فان قلت
كيف قال وتؤمن بالقدر خيره وشره وقد قال في الحديث والشر ليس اليك قيل اثبات الشر

في القضاء والقدر انما هو بالاضافة الى العبد والمفعول ان كان مقدرا عليه بسبب جهله وظلمه
وذنوبه لان الى الخالق فله في ذلك من الحكم ما تقصر عنه افهام البشر لان الشر انما هو بالذنوب
وعقوباتها في الدنيا والأخرة فهو شر بالاضافة الى العبد اما بالاضافة الى الرب سبحانه وتعالى
فكله خير وحكمة فانه صادر عن حكمه وعلمه وما كان كذلك فهو خير محض بالنسبة الى الرب
سبحانه وتعالى اذ هو موجب اسمائه وصفاته ولهذا قال والشر ليس اليك اي تمتنع اضافته
اليك بوجه من الوجوه فلا يضاف الشر الى ذاته وصفاته ولا اسمائه ولا افعاله
فان ذاته منزهة عن كل شر وصفاته كذلك اذ كلها صفات كمال ونعوت جلال
لا نقص فيها بوجه من الوجوه واسمائه كلها حسنى ليس فيها اسم ذم ولا عيب وافعاله
كلها حكمة ورحمة ومصلحة واحسان وعدل لا تخرج من ذلك البتة وهو المحمود على
ذلك كله فيستحيل اضافة الشر اليه فاذ ليس في الوجود شر الا الذنوب وعقوباتها
وكونها ذنوبا ناشئ من نفس العبد فان سبب الذنب الظلم والجهل وهما في نفس العبد
فانه ذات مستلزم للجهل والظلم وما ليس من العلم والعدل فانما حصل له بفضل الله عليه
وهو امر خارج عن نفسه فمن اراد الله به خيرا اعطاه الفضل فصدر منه الاحسان والبر وهو
الطاعة ومن اراد الله به شرا امسك عنه وخلاه ودواعي نفسه وطبعه وموجبها فصدر عنه
موجب الجهل والظلم من كل شر وقبيح وليس منعه من ذلك شرا بالنسبة الى الرب سبحانه
وانما يقع الشر في القدر بالنسبة الى العبد لاستحقاقه لذلك فهو السبب في الشر وهو في
ذلك الحكمة التامة والحجة البالغة فهذا عدله وذلك فضله يؤتيه من يشاء والله ذو
الفضل العظيم وهو العليم الحكيم هذا معنى كلام ابن القيم وهو الحق وحاصله ان الشر
راجع الى مفعولاته لا الى ذاته وصفاته ويتبين ذلك بمثال ولله المثل الأعلى لو ان ملكا
من ملوك العدل كان معروفا بقمع المخالفين واهل الفساد مقيما للحدود والتعزيرات
الشرعية على ارباب اصحابها العدو ذلك خير ايجاد عليه الملك ويمدحه الناس ويشكرونه
على ذلك فهو خير بالنسبة الى الملك يمدح ويثنى به ويشكر عليه وان كان شرا بالنسبة الى

من اقيم عليه فرب العالمين اولى بذلك لان له الكمال المطلق من جميع الوجوه بجميع الاعتبارات
وايضا فلولا الشر هل كان يعرف الخير فان الضد لا يعرف الا بضده فان لم تحط به خبرا فاذ
كر كلام ابن عقيل في الباب الذي قبل هذا وسلم تسلم والله اعلم قال وعن عبادة ابن الصامت
انه قال لابنه يا بني انك لن تجد طعم الايمان حتى تعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطيك
وما اخطاك لم يكن ليصيبك يا بني اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
اول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقال رب وماذا اكتب قال اكتب مقادير كل شيء
حتى تقوم الساعة يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات على غير هذا
فليس مني قوله يا بني انك لم تجد طعم الايمان الى اخره ابنه هذا هو الوليد ابن عبادة
كما صرح الترمذي في روايته وفيه ان للايمان طعما وهو كذلك فان له حلاوة وطعما من
ذاقه تسلاه به عن الدنيا وما عليها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه و
جد فيهن حلاوة الايمان الحديث وانما يكون العبد كذلك اذا كان مؤمنا بالقدر اذ لا
يمتنع ان توجد الثلاث فيها لا يؤمن بالقدر بل يكذب به ويرد على الله كلامه وعلى الر
سول صلى الله عليه وسلم مقاله فان المحبة التامة تقتضي المتابعة التامة فمن لم يؤمن
بالقدر لم يكن الله ورسوله احب اليه مما سواهما فلا يجد حلاوة الايمان ولا طعمه بل ان كان منكرا للعلم
القديم وهو كافر كما تقدم ولهذا روي عن بعض الائمة القدرية الكبار باسناد صحيح انه قال لما
ذكر حديث ابن مسعود رضي الله عنه حدثني الصادق المصدوق الحديث لو سمعت الاعمش يقول
هذا الكذبة ولو سمعت زيد ابن وهب يقول هذا الاحيته ولو سمعت عبد الله ابن مسعود يقول
هذا ما قبلته ولو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا لرددته وذكر كلمة بعدها فهذا
كفر صريح نعوذ بالله من موجبات غضبه واليم عقابه وقد بين عبادة في الحديث كيفية الاء
يمان بالقدر ان يعلم انما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وهذا كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم في حديث جابر رضي الله عنه لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حتى
ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه رواه الترمذي والمعنى ان العبد

(الى قوله)

لا يؤمن حتى يعلم انما اصابه في القدر اي قدر عليه من الخير والشر لم يكن ليخطئه اي يجاوزه
فلا يصيبه كما قال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل
ان نبرأها ان ذلك على الله يسير وقال تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا
وعلى الله فليتوكل المؤمنون قوله ان اول ما خلق الله القلم قال شيخ الاسلام قد ذكرنا
ان السلف في العرش والقلم ايهما خلق قبل الاخر قولين كما ذكر ذلك الحافظ ابو العلاء
الهمداني وغيره احدهما ان القلم خلق اولا كما اطلق ذلك غير واحد وهذا هو الذي يفهم في
الظاهر كتب المصنفة في الاوايل كالحافظ ابي عروبة الحراني وابي القاسم الطبراني للحديث
الذي رواه ابو داود في سننه عن عبادة ابن الصامت وذكر الحديث المشروح والثاني ان
العرش خلق اولا قال الامام عثمان ابن سعيد الدارمي في مصنفه في الرد على الجهمية
حدثنا محمد ابن كثير العبدي انبأنا سفيان الثوري حدثنا ابو هاشم عن مجاهد عن
ابن عباس قال ان الله كان على عرشه قبل ان يخلق شيئا فكان اول ما خلق الله القلم فا
مره ان يكتب ما هو كائن وانما يجري الناس على امره قد فرغ منه وكذلك ذكر الحافظ
ابو بكر البيهقي في كتاب الاسماء والصفات لما ذكر بدء الخلق ثم ذكر حديث الاعمش
عن المنهال ابن عمرو وعن سعيد ابن جبير عن ابن عباس انه سئل عن قول الله تعالى وكان عرشه
على الماء على اي شيء كان قال على متن الريح ورواه حديث القاسم ابن ابي بزة عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس انه يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اول شيء خلقه الله
القلم وامره فكتب كل شيء يكون قال البيهقي وانما اراد والله اعلم اول شيء خلقه
بعد الماء والريح والعرش والقلم وذلك في حديث عمران ابن حصين ثم خلق السموات
والارض قلت حديث عمران ابن حصين الذي اشار اليه هو ما رواه البخاري من غير
وجه مرفوعا هو كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والا
رض وكتب في الذكر كل شيء ورواه البيهقي كما رواه محمد ابن هارون الروياني في
مسنده وعثمان ابن سعيد الدارمي وغيرهما من حديث الثقات المتفق على ثقتهم عن

ابي اسحق الفزاري عن الاعمش عن جامع ابن شداد عن صفوان ابن محرز عن عمران ابن حصين
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الله ولم يكن شيئا غيره وكان عرشه على الماء ثم كتب
في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والارض وذكر احاديث واثار ثم قال ما معناه ٥
فثبت في النصوص الصحيحة ان العرش خلق اولا قال ابن كثير قال قائلون خلق القلم
اولا هذا احتيار ابن جرير وابن الجوزي وغيرهما قال ابن جرير وبعد القلم السحاب
الرقيق وبعد العرش واحتجوا بحديث عبادة والذي عليه الجمهور ان العرش مخلوق
قبل ذلك كما دل عليه الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه يعني حديث عبد الله ابن عمرو
ابن العاص الذي تقدم قالوا وهذا التقدير هو كتابته بالقلم المقاديري وقد دل
هذا الحديث ذلك بعد خلق العرش فثبت تقديم العرش على القلم الذي كتب به
المقادير كما ذهب الى ذلك الجماهير وكما حديث القلم على انه اول المخلوقات من هذا العالم
انتهى بمعناه قوله اكتب مقاديرك كل شيء حتى تقوم الساعة قال شيخ الاسلام وكذا في
حديث ابن عباس وغيره وهذا يبين انه انما امره حينئذ ان يكتب مقدار هذا الخلق الى
قيام الساعة لم يكتب حينئذ ما يكون بعد ذلك قوله من مات على غير هذا لم يكن مني
اي لانه ان كان جاحد للعلم القديم فهو كافر قال كثير من ائمة السلف ناظروا القدرية
بالعلم فان اقروا به خصموا وان جحدوا كفروا يريدون ان من انكر القلم القديم السابق
باعمال العباد وان الله قسمهم قبل خلقهم الى شقي وسعيد وكتب ذلك عنده في كتاب حفيظ
فقد كذبوا بالقرآن فيكفر بذلك كما نص عليه الشافعي واحمد وغيرهما وان اقروا بذلك وانكروا
ان الله خلق افعال العباد وشاءها واراد ها بينهم ارادة كونية قدرية فقد خصموا
لان ما اقروا به حجة عليهم فيما انكروه في تكفير هؤلاء وتراع مشهور وبالجملة منهم اهل بدعة
شنيعة والرسول صلى الله عليه وسلم بريء منهم كما هو بريء من الاولين وقد بيض المصنف
آخر الحديث ليفرده وقد رواه ابو داود وهذا لفظه ورواه احمد والترمذي وغيرهما
قال وفي رواية لابن وهب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يؤمن با

القدر

القدر خيره وشره احرقه الله بالنار قوله وفي رواية لابن وهب هو الامام الحا
فظ عبد الله ابن وهب ابن مسلم القرشي مولاهم المصري ثقة امام مشهور عابد
له مصنفات ومنها الجامع وغيره مات سنة سبع وتسعين ومايه وله اثنتان و
سبعون سنة قوله احرقه الله بالنار اي لكفره او بدعته ان كان ممن يقر با
لعلم السابق وينكر خلق افعال العباد فان صاحب البدعة متعرض للوعيد كاصحاب
الكبائر بل اعظم وفي مسنده اي مسند احمد والسنن اي سنن ابي داود وابن ماجة
حدثنا علي بن محمد حدثنا اسحق ابن سليمان قال سمعت ابا سنان عن وهب ابن خالد
الحمصي عن ابي الدرداء قال وقع في نفسي شيء من هذا القدر حتى ثبت ان يفسد علي ديني
وامري فاتيت ابي بن كعب فقلت يا ابا المنذر انه وقع في قلبي شيء من هذا القدر
فخشيت على ديني وامري فحدثني من ذلك بشيء لعل الله ان ينفعني به فقال لو ان الله
عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته
خيرا لهم من اعمالهم ولو كان لك جبل احد ذهبا او مثل جبل احد ذهبا
تنفقه في سبيل الله ما قبل الله منك حتى تؤمن بالقدر كله فتعلم ان ما اصابك لم يكن
ليخطئك وما اخطاك لم يكن ليصيبك وانك ان مت على غير هذا دخلت النار هذا
لفظ ابن ماجة ولفظ ابي داود كما ذكره المصنف الا انه قال ثم اتيت عبد الله ابن ٥

مسعود فقال مثل ذلك ثم اتيت حذيفة ابن اليمان فقال مثل ذلك ثم اتيت زيدا بن ثا
بت فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك قوله عن ابي الديلمي هو عبد الله بن فيروز
الديلمي وفيروز قاتل الاسود العنسي الكذاب وعبد الله هو ثقة من كبار التابعين بل
بل ذكره بعضهم في الصحابة والديلمي نسبة الى جيل الديلم وهو ابن الفرس الذي بعثهم
كسرى الى اليمن قوله وقع في نفسي شيء من القدر اي شك او اضطراب يؤدي الى شك
فيه او مجادلة قوله لو انفقت مثل احد ذهبا ما قبله الله منك هذا تمثيل على
سبيل الفرض لا تحديد اذ لو فرض انفاق ملؤ السموات والارض كان كذلك قوله
حتى تؤمن بالقدر اي بان جميع الامور الكائنة خيرها وشرها
وحلوها ومرها ونفعها وضرها وقليلها وكثيرها
وكبيرها وصغيرها بقضائه وقدره واراد
ته ومشيئته وامره كما ذكر عن علي هذا
اخر ما تيسر والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد والروصحبه
وسلم تسليما
كثيرا

ان تجد عيبا فسد الخلل جل من لا فيه عيبا وعلا

وطائفة قد اهمتهم انفسهم يعني لا يغشاهم النعاس من القلق يظنون بالله غير الحق
ظن الجاهلية كما قال في الاية الاخرى بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى
اهليهم ابدا وزين ذلك في قلوبكم الاية وهكذا هؤلاء اعتقدوا ان المشركين لما
ظهروا تلك الساعة انها الفيصلة وان الاسلام قد باء واهل وهذا شان اهل الريب
والشك اذا حصل امر من الامور الفظيعة تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة قال
ابن القيم بظن الجاهلية هو الظن المنسوب الى اهل الجهل وظن الحق لانه ظن غير ما يليق
باسمائه الحسنى وصفاته العليا وذاته المبراة من كل عيب وسوء وخلاف ما يليق بحكمته
وحمده وتفرده بالربوبية والالهية وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه وقد
ذكر المؤلف تفسير ابن القيم لهذه الاية وهو احسن ما قيل فيها وسياتي ما يتعلق به
الله تعالى وقوله يقولون هل لنا من الامر من شيء هذا ايضا من حكاية قول المنافقين
والظاهر ان المعنى انا اخرجناكرها ولو كان الامر الينا ما خرجنا كما اشار ابن ابي بن
لذلك ولفظ استفهام ومعناه النفي اي ما ان شيء من الامر اي من امر الخروج وقيل
غير ذلك فرد الله عليهم بقوله قل ان الامر كله لله اي ليس لكم من الامر شيء ولا لغيركم
بل الامر كله لله فهو الذي ان شاء شيئا فلا مرد له وقوله يقولون لو كان لنا من الامر
شيء ما قتلنا ههنا تقدم الكلام عليها في باب ما جاء في اللو وقوله وليبتلي الله
ما في صدوركم اي قدر الله هذه الهزيمة والقتل ليختبر الله ما في صدوركم باعمالكم
لانه قد علمه غيبا فيعلمه شهادة لان المجازات انما تقع على ما يعلمه مشاهدة لا على
ما هو معلوم منهم معمور وليمحص ما في قلوبكم اي يطهرها من الشك والمرض بما يريكم
من عجائب ايانه وباهر قدرته وهذا خاص بالمؤمنين دون المنافقين والله عليم بذات
الصدور معناه ان الله لا يبتليكم ليعلم ما في صدوركم فانه عليم بذلك وانما ابتلاكم
ليظهر اسراركم والله اعلم قوله الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء الاية
قال ابن كثير اي يتهمون الله تعالى في حكمه ويظنون بالرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه

ان يقتلوا ويذهبوا بالكلية ولهذا قال عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم اي ابعدهم
من رحمته واعد لهم جهنم وساءت مصيرا قوله فسر هذا الظن بانه سبحانه لا ينصر رسوله الى آخره
هذا تفسير غير واحد من المفسرين وهو ما حوذ من تفسير قتادة والدي وذكر ذلك عنهما ابن
جرير وغيره بالمعنى وقوله وان امره سيضمحل اي سيذهب جملة حتى لا يبقى له اثر والاضمحلال
ذهاب الشيء جملة قوله وفسرا انما اصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته قال القرطبي وقال الجويبر
عن الضحاك عن ابن عباس في قوله يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يعني التكذيب
بالقدر وذلك انهم تكلموا فيه فقال الله قل ان الامر كله لله يعني القدر خيره وشره من الله
واما تفسيره بانكار الحكمة فلم اقف عليه عن السلف فهو تفسير صحيح فمن انكر ان ذلك
لم يكن لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد والشكر فقد ظن بالله ظن السوء وقد اشار تعالى
الى بعض الحكم والغايات المحمودة في ذلك في سورة آل عمران فذكر شيئا كثيرا منها في الآية
المفسرة وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور
فهذا بعض الحكمة في ذلك فمن انكره فقد ظن ظن السوء بالله وحكمته وعلمه ورحمته
بكمال علمه وقدرته ورحمته ولان من اسماء الحق وذلك هو موجب الهيبة وربوبيته قوله
لان الظن غير ما يليق به سبحانه انه يظهر الحق على الباطل وينصره فلا يجوز في عقل ولا
شرع ان يظهر الباطل على الحق قال تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق
وقال تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا قوله وما يليق بحكمته
وحمده اي ان الذي يليق بحكمته وحمده ان لا يكون في السموات ولا في الارض حركة ولا سكون
الا وله في ذلك الحكمة البالغة والحمد الكامل التام عليها فكيف بمثل هذا الامر العظيم الذي
وقع على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى سادات الاولياء رضي الله عنهم فله سبحانه
وتعالى في ذلك الحكمة وله عليه الحمد بل والشكر ومن تامل ما في سورة آل عمران في سياق
القصة راى من ذلك العجب فمن ظن بالله تعالى انه لم يفعل ذلك بقدر وحكمة ويستحق عليها
الحمد والشكر فقد ظن بالله ظن السوء قوله فمن ظن انه يديل الباطل على الحق اذا له مستقرة

تحل